اللهجات العربية

نشأة وتطورا

دكتور

عبد الغفار حامد هلال

أستاذ ورئيس قسم أصول اللغة
في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر

يطلب من

مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية . عابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الثانية

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

بـــر ودعـــاء

قال تعالى : (وقضى ربــك ألا تعبــدوا الا ايــاه وبالوالدين احسانا) •

وانني أهب ثــواب هذا العمــل الخــالص الى والدى اللذين وجهاني ، وغرسا في حب البحث العلمي ، وأفاضا على من رضاهما ما مكنني ــ بعون الله ــ من السير في طريق الله لخدمــة لغة القرآن وعلومه وسنة رسوله صــلى الله عليه وسلم ، والله عز وجل أســأل أن يتغمدهما برحمته ، وأن يجزيهما عنى وعن كل ما أفدته وأفيده من هذه العــلوم خــير الجزاء وأوفاه ، وأدعــو ــ كما أمرني المولى عز وجــل •

« رب ارحمهما كما ربياني صغيرا »

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذى أنزل القرآن بالعربية وكان سياجا لها حفظا وسلامة وكفل لها التوحد والسلطان والنفوذ بين لغات العالم ، والصلاة والسلام على من علمه ربه لهجات العرب فقال : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » • وبعد

فليست العربية بدعا من اللغات فى نشأتها وتطورها وتوحدها فقد كان العرب قبائل متعددة متوزعة فى شتى أنحاء الجزيرة العربية الواسعة التى تشتمل على بيئات كثيرة يلتقى فيها بعضها ببعض وينفصل بعضها عن بعض بعوامل جغرافية وثقافية وحضارية فى أزمنة وأماكن خاصة أدت الى سماع بعضهم ألسنة من غير بنى جنسه مما وقع تحت تأثيره وحسه ، وكانت لهم لهجات مختلفة حسب تنوع بيئاتهم وتعدد ألوان حياتهم وثقافاتهم ، ولا ريب أن ذلك كان له أثره فى استقلال بعض هذه اللهجات — أحيانا — واتصال بعضها بغيرها أحيانا أخرى وكان هذا وذاك عاملين على الانقسام تارة والتوحد تارة أخرى •

ثم كتب لبعض هذه اللهجات أن يحيا ولبعضها أن يموت نتيجة أسباب كثيرة ثم ظهرت لغة عامة تحدث بها العرب جميعا فى محافلهم وأسواقهم ومجالات القول عندهم •

ولما نزل القرآن الكريم عمل على شد أزر هذه اللغة الموحدة واستمرار حياتها راسخة البنيان عالية الذرا •

واذا كانت اللغات العالميـة دائمـة التغـير يعروهـا الضعف والشيخوخة والاكتهال كلما مرت بها حقبة من الزمان فان العربيـة بعد التوحـد ونزول القـرآن الكريم حظيت بالثبات فى أصـواتها وكلماتها وتراكيبها ولم يعترها الضعف أو الوهن فلا تزال — والحمد لله — تجرى على ألسنة المتحدثين المثقفين بها بصورة تقارب — ان لم تماثل تماما — ما كان ينطق به أسلافنا من العرب الفصحاء •

وكان لحديث علماء اللغة الجامعين لها والواضعين لقواعدها — فى شتى فروع علم اللغة — جهد كبير فى الحفاظ عليها لتظل أداة لفهم كتاب الله وسنة رسوله — صلى الله عليه وسلم — وقد دعاهم حبهم لها وشغفهم بها لارتباطها بمصدرى التشريع أن يحيطوها بالتقـدير والاكبار والحفظ والصون وأن ينفوا عنها ما يحتمل أن يحولها عن مسارها الحيوى فأسقطوا من حسابهم الحديث عن بعض اللهجات التى كانت ظواهرها غـير مستحسنة أو شذت عن الاتجاه العام للعربيـة النموذجية ، فأهملها الرواة أحيانا ، وتركوها تموت وتختفى أو جمعوا بعضها وحاول علماء اللغة اخضاعه للمقاييس العامة ببعض التوجيهات والتأويلات أو الحكم عليها بالندرة أو الشذوذ أو نحو ذلك مما أطلقوه من مصطلحات وتسميات •

وان هذه اللهجات التى كانت فى لغة العـرب تكشف للباحث والدارس المراحل التى مرت بها وخط سيرها وتوصل نتائج دراستها الى ما يفيد اللغة العربية اذا أحسنا فهمها ومعرفة سلوكها •

وهذا الكتاب يتناول بالحديث حياة العربيـة حـين كثرت فيها اللهجات وتنوعت وحين توحدت فى لغة عامة للعرب جميعا •

واقتضت الدراسة والبحث أن يكون هذا الكتاب مشتملا عـلى أربعة أبواب تتدرج فيها دراسة هذا الموضوع المهم •

تحدثت فى الباب الأول عن الكلام والقول واللغة واللهجة والصلة بينها اشتقاقا ومعنى وطبيعة جغرافية وحضارية •

وفى الباب الثانى عرضت عوامل انشعاب اللغة الى لهجات مع تطبيق ذلك على نشأة العربية وتنوع لهجاتها •

وخصصت الباب الثالث بالتوحد اللغوى وأسبابه وأثر ذلك فى العربية الباقية •

وكان حديثنا فى الباب الرابع عن اختلاف اللهجات العربية ومظاهره فتناولنا — بالعرض والبحث — آثار اللهجات العربية ودراستها ، ثم عالجنا ما اختصت به من مظاهر عديدة فى عدة فصول تحدثنا فيها عن الابدال فى الحروف والحركات والتغيير فى بعض الصيغ اللغوية واختلاف الأوجه النحوية وطرائق العرب فى اظهار الحروف وادغامها ونقص بعض الحروف وزيادتها •

ثم عرضنا لأهمية البحث اللهجى الحديث وأدواته وطرقه والافادة منه فى دراسة اللغات واللهجات وسقنا صورا لدراسة بعض اللهجات الحديثة لنفيد منها فى دراسة فصحانا العربية •

وكانت لنا جولات واسعة فى كتب اللغة والنحو والأدب فتشنا فيها عن آثار هذه اللهجات لينضم بعضها الى بعض ونستقبل القاصى والدانى ونبحث عن شواردها وأوابدها بين أحاديث متفرقة فى بطون المراجع وأمهات الكتب حتى نقف على حقيقة هذه اللهجات وطبيعتها وشواهدها فيما نقل الينا من نصوص موثوق بها مما أمكننا العثور عليه ومحاولة تفسيره من الوجهة اللغوية •

وحديثنا يتناول بيان آراء اللغويين فى هذه الظواهر من خلال دراستهم لها وتصورهم لما بقى منها فى اطار القواعد والأسس التى

رسموها ثم كانت لنا وقفات مع آرائهم بالتأييد أو المناقشة أو التفسير والتوجيه والترجيح أو التضعيف حسب مقاييس علمية اتخذناها طريقا لاثبات ما صح ونفى مازيف ، وعالجناها من منظور موضوعى يعتمد على بعض ما جد فى مجال الدراسة اللغوية على المستوى الصوتى والمعجمى والدلالى والتنظيمى دون أن ننساق وراء بعض التفسيرات التى تنأى عن المناهج العلميـــة الصحيحة التى تحـــكم لغتنا وتتفق وطبيعتها •

ولعلنا نكون قد أضفنا بهذا العمل العلمى نواحى جديدة فى بحث لهجات العرب وتوجهها اللغوى •

والله أسأل رشادا وتوفيقا

القاهرة فى :
١١ من جمادى الآخرة سنة ١٤١٠ هـ
٨ من ينـــاير ســـنة ١٩٩٠ م

أ د / عبد الغفار حامد هلال

الباب الأول

الكلام والقول واللغة واللهجة والصلة بينها

الكلام والقول

لا يستطيع باحث أن يفرق بين الكلام واللغة أو يعزل أحدهما عن الآخر « فقد اتفق الفلاسفة واللغويون على أن الانسان لا يستطيع أن يفرق بين فكرتين تفريقا حقيقيا بلا علامات لغوية أى كلمات فالتفكير بلا كلمات عائم »[1] ، « والكلمات أهم مكونات اللغة وتسمى وحدات لها »[2] ، « وما يسميه النحاة أقسام الكلام وهم يقصدون الاسم والفعل والحرف ليس فى الواقع الا أقسام اللغة فقول صاحب الألفية الكلام وما يتألف منه يجب أن يصير الى اللغة وما تتألف منه »[3] ، « فالكلام الذى هو نشاط انسانى نطقى نتيجة لارادة المتكلم » يعد الباعث لكلمات اللغة بحيث يجعلها حية بعد موتها ووجودها فى طوايا العقل أو المعاجم ، فاللغة بمادتها المكونة لها توجد فى القواميس أو تختزن فى عقل الجماعة الانسانية التى تتخذها وسيلة للتفاهم ولها قواعد خاصة يفهمها أصحابها ويراعونها فى استعمالهم من ناحية النظام الصوتى والصرفى والنحوى، واللغة بهذا الوصف تسمى « باللغة المعينة »[4] التى هى نتاج جمعى يستعمله الأفراد « وللكلام علاقة باللغة المعينة ولذلك يجب أن يدخل فى الدراسة لأنه الجانب العلمى منها »[5] ، وفى الدراسات الصوتية الحديثة يستخدم الكلام طريقا لمعرفة الاتجاهات الصوتية فى لغة

---

(١) مناهج البحث فى اللغة ص ٢٤٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٠ .

(٤) اللغة (فندريس) ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

(٥) مناهج البحث فى اللغة ص ٣٢ — ٣٥ .

ما أو لهجة ما وتلك من أبرز الوسائل الناجحة لمعرفة حقائق صوتية لم يهتد الباحثون اليها من خلال الدراسات القديمة تبعا لأن دراسة القدماء بنيت على الوصف النظرى للأصوات دون تطبيق عملى لهـا لعدم توافر الأجهزة الحديثة لديهم .

وعلماء العربية القدامى فى تنـاولهم للكلام والقول لا يأتون بمتكلمين ليسجلوا أقوالهم ويطبقوا عليها وانما يبحثون المسألة من وجهة نظر أخرى هى بيان معنى كل منهما وهل له صلة باللغة أو لا ؟ ولا ريب أنهم مصيبون فى بحثهم اذ الكلمات — كما رأينا — هى مكونات اللغة وأساسها وقد عرض ابن جنى للكلام والقول على طريق الاشـتقاق الأكبر محللا معنييهما وتصرفاتهما والفرق بينهما ومعللا كل ذلك بما يعن له من أسباب وقد مزج بين طريقى النحويين واللغويين فى ذلك .

الـكلام : عرف الكلام بأنه « كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه وهو الذى يسميه النحويون الجمل نحو زيد أخوك وقام محمد وضرب سعيد وفى الدار أبوك وصـه ومه ورويد وحـاء وعاء فى الأصوات وحس ولب وأف وأوه ، فكل لفظ استقل بنفسه وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام »[٦] ، وقال : ان الكلام اسم من كلم بمنزلة السلام من سلم وهما بمعنى التكليم والتسـليم وهما المصدران الجاريان عـلى كـلم وسلم ، قال الله سبحانه : « وكلم الله موسى تكليما » وقال عز اسمه : « صلوا عليه وسلموا تسليما »[٧] وهو جنس للجمل المركبة لأدلة :

١ — أن العرب حددوا للدلالة على الواحد لفظ (كلمة) .

٢ — أن المصدر كذلك حاله ، فاذا قيل : قـام محمد فهو كلام واذا قيل : قـام محمد وأخوك جعفر فهو أيضا كلام كما كان لمـا وقع على الجملة الواحدة كلاما واذا قيل قام محمد وأخوك جعفر وفى

---

(٦) الخصائص ١/١٧ .

(٧) المصـدر السـابق ١/٢٥ .

الدار سعيد فهو أيضا كلام كما كان لما وقع على الجملتين كلاما وهذا طريق المصدر لما كان جنسا لفعله ، ألا ترى أنه اذا قام قومة واحدة فقد كان منه قيام واذا قام قومتين فقد كان منه قيام واذا قام مائة قومة فقد كان منه قيام ، فالكلام اذن انما هو جنس للجمل التوام مفردها ومثناها ومجموعها كما أن القيام جنس للقومات مفردها ومثناها ومجموعها ، فتظير القومة الواحدة من القيام الجملة الواحدة من الكلام .

٣ — استعملت العرب لفظ (كلام) وما بمعناه من كلمة حديث ومنطق فى أشعارها فى مقام الشجو وأحاديث المحبين « ومعلوم أن الكلمة الواحدة لا تشجو ولا تحزن ولا تتملك قلب السامع ، انما ذلك فيما طال من الكلام وأمتع سامعيه بعذوبة مستمعه ورقة حواشيه »، وقد ساق ابن جنى أمثلة كثيرة لهذا الاستعمال من أشعار العرب كقول كثير عزة :

لو يسمعون كما سمعت كلامها خروا لعزة ركعا وسجودا

وقول الراعى :

وحديثها كالغيث يسمعه راعى سنين تتابعت جدبا
فأصاخ يرجو أن يكون حيا ويقول من فرح هيا ربا

وقول ذى الرمة :

لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشى لا هراء ولا نزر

وقد عقب على كل مثال ذكره بما يوضح أن لفظ الكلام أو الحديث أو المنطق لابد أن يكون عبارة عن « كلام مفيد مستقل بنفسه ولو بجملة واحدة فان نقص عن ذلك لم يكن هناك استحسان ولا استعذاب » بل ان كل مقام من المقامات التى ذكرها الشعراء يستدعى جملا كثيرة حتى يتحقق لكل منهم ما أراد[٨] .

---

(٨) الخصائص ١/٢٧ — ٣٢ .

٤ — يقتضى اختصاص الكلام بالجمل التامة المستقلة بنفسها اشتقاق لفظ الكلام فهو — كما يرى ابن جنى — من الكلم والكلام والكلوم وهى الجراح لما يدعو اليه ولما يجنيه فى أكثر الأمر على المتكلمة[٩] ، قال : (وجرح اللسان كجرح اليد) ومنه قوله :

قوارص تأتينى ويحتقرونها وقد يملأ القطر الاناء فيفعم

وانما ينقم من القول ويحقر ما ينثى ويؤثر وذلك ما كان منه تاما غير ناقص ومفهوما غير مستبهم ، وهذه صورة الجمل وهو ما كان من الألفاظ قائما برأسه غير محتاج الى متمم له فلهذا سموا ما كان من الألفاظ تاما مفيدا كلاما لأنه فى غالب الأمر وأكثر الحال مضر بصاحبه وكالجارح له[١٠] .

هذا البيان كان وفاءا عن معنى الكلام على الطريقة النحوية ، ثم قرن ابن جنى ذلك ببحث مادة (ك ل م) وتقلباتها على الطريقة اللغوية فتعرض لمادة (ك ل م) وتقلباتها على طريقة الاشتقاق الأكبر الذى يعد هو مبتكره فبين أنها « حيث تقلبت فمعناها الدلالة على القوة والشدة والمستعمل منها أصول خمسة هى : (ك ل م) — (ك م ل) — (ل ك م) — (م ك ل) — (م ل ك) وأهملت منه (ل م ك) فلم تأت فى ثبت .

فالأصل الأول (ك ل م) يأتى منه الكلم وما تصرف منه بمعنى الجرح والكلام ما غلظ من الأرض وفى كل ذلك شدة وقوة ، ومنه :

(عليها الشيخ كالأسد الكليم)

اذا جرح فحمى أنفا وغضب فلا يقوم له شىء ، ومنه الكلام وذلك أنه سبب كل شر وشدة فى أكثر الأمر ألا ترى الى قول رسول

---

(٩) يقصد المتكلمين .

(١٠) الخصائص ٣٢/١ .

الله ﷺ : « من كفى مئونة لقلقه وقبقبه وذبذبه دخل الجنة »[١١] ، ومنه قول أبى بكر رضى الله عنه فى لسانه : « هذا أوردنى الموارد » وهو باب واسع .

والثانى : (ك م ل) كمل الشىء — مثلثة الميم — فهو كامل وكميل وعليه بقية تصرفه والتقاؤها ، أن الشىء اذا تم وكمل كان حينئذ أقوى وأشد منه اذا كان ناقصا غير كامل .

والثالث : (ل ك م) اللكم اذا وجأت الرجل ونحو ولا شك فى شدة ما هذه سبيله .

والرابع : (م ك ل) منه بئر مكول اذا قل ماؤها ، قال القطامى : (كأنها قلب عادية مكل) ، فالبئر اذا قل ماؤها كره موردها وجفا جانبها وذلك شدة ظاهرة .

والخامس : (م ل ك) منه ملكت العجين عجنته فاشتد وقوى ومنه ملك الانسان ، ففيه قدرة للمالك عليه[١٢] .

وبذلك يكون ابن جنى قد فسر مادة (ك ل م) وأبان عن — معنى الكلام بما يفيد أنه عبارة عن « الألفاظ برؤوسها المستغنية عن غيرها وهى التى يسميها أهل هذه الصناعة الجمل على اختلاف تركيبها »[١٣] .

القول : عرف القول بأنه كل لفظ مذل به اللسان تاما أو ناقصا فالتام هو المفيد أعنى الجملة وما كان فى معناه نحو : صه وايه

---

(١١) اللقلق : اللسان ، القبقب : البطن ، الذبذب : الفرج الجمهرة ١٢٦/١ وانظر كلام ابن جنى بالخصائص ١٤/١ .

(١٢) المصدر السابق ١٣/١ — ١٧ .

(١٣) المصدر السابق ٣٢/١ .

والناقص ما كان بضد ذلك نحو زيد ومحمد وان ، وكان أخوك اذا كانت الزمانية لا الحدثية فكل كلام قول وليس كل قول كلاما[١٤] هذا هو حقيقة معناه ثم انه يستعمل مجازا بمعنى الاعتقاد والرأى فيقال : هذا قول فلان أى رأيه ومعتقده « وفلان يقول بقول أبى حنيفة ويذهب الى قول مالك أى يعتقد ما كانا يريانه ولا يراد بذلك أنه يحكى لفظهما عينه من غير تغيير لشىء من حروفه ومثل ذلك أن تقول فى رفع زيد بالابتداء فى قولنا : زيد قام أبوه ، هذا قول البصريين أى رأيهم وفى رفعه بما يعود عليه من ذكره هذا قول الكوفيين وأنت تريد بذلك اعتقادهم لا نفس حروفهم والا فان عبارة القائل قد تتغير والمراد الرأى لا العبارة[١٥] ولا يصح هذا كلام أبى حنيفة أو كلام البصريين أو كلام الكوفيين اذ الكلام يتعلق

علاقة له بالرأى والاعتقاد وذلك

وصح اطلاق القول على الاعتقادات

تظهر الا بالقول فهى سبب له والقول

باسم غيره اذا كان ملابسا له ومثله

الله سبحانه : « ويأتيه الموت من كل مكان وما هو

» الله أعلم — أسباب الموت اذ لو جاءه الموت نفسه

ومنه تسمية المزادة الراوية والنجو نفسه الغائط

... ، وتدور مادة (ق و ل) وتصرفاتها حول الخفوف

وتصرفاتها الستة كلها مستعملة .

---

(١٤) المصدر السابق ١/١٧ .

(١٥) المصدر السابق ١/١٨ .

(١٦) ولهذا يصح أن تقول كلام فلان ... الخ اذا وضعت الكلام موضع القول متجوزا بذلك . الخصائص ١/١٨ وجواز ذلك فى القول دون الكلام مجرد اتجاه الى الأليق فقط الخصائص ١/٢٠ .

(١٧) المصدر السابق ١/١٩ ، ٢٠ .

الأصل الأل : (ق و ل) ، وهو القول فالفم واللســان يخفان ويقلقان ويمذلان به •

الأصل الثانى : (ق ل و) ، منه القلو حمــار الوحش وقلوت الشىء وكل ذلك فيه اسراع وخفة •

الأصل الثالث : (و ق ل) ، منه الوقل للوعل لأنه يصعد الجبل بحركة وسرعة •

الأصل الرابع : (و ل ق) ، قالوا : ولق يلق اذا أسرع •

الأصل الخامس : (ل و ق) ، منه لوق الطعام واللوقــة الزبدة وذلك فيه تحريك وخفة واسراع •

الأصل السادس : (ل ق و) منه اللقوة للعقاب لخفتها وسرعة طيرانها ، ومنه اللقوة فى الوجه كأن اضطراب شــكله بها جعله فى خفة وطيش ، واللقوة الناقة السريعة اللقاح ، وكل ذلك يتضح فيه معنى الخفة والسرعة والحركة[١٨] •

مقارنة بين الكلام والقول : أوضح ابن جنى من خلال حديثــه السابق فروقا وصلات بين الكلام والقول واستعمال كل منهما :

١ ــ مادة (كلم) تدور حول الشدة والقوة ، على حين تدور مادة (قول) حول الخفوف والحركة •

٢ ــ الكلام يستعمل فى الألفــاظ المستقلة المفيدة والقول أعم فيستعمل فيما يكون مفيداً أو غير مفيد ، وقــد نبه على ذلك سيبويه حين قال : « واعلم أن قلت فى كلام العرب انما وقعت على أن يحكى بها وانما يحكى بعد القول ما كان كلاما لا قولا »[١٩] ، ثم قــال فى

---

(١٨) المصدر السابق ١/٥ ــ ١١ •

(١٩) الكتاب ٦٢/١ •

التمثيل : « نحو قلت زيد منطلق » فهذا يعنى أن الكلام الذى يحكى بالقول لا يصدق الا على التام المستقل المعنى « وأن القول لا يستحق هذه الصفة »[٢٠] .

٣ — الكلام لا يستعمل فى الاعتقادات والآراء والقول يستعمل فيها ، ومن أدل الدليل على الفرق بين الكلام والقول اجماع الناس على أن يقولوا القرآن كلام الله ولا يقال القرآن قول الله وذلك أن هذا موضع ضيق متحجر لا يمكن تحريفه ولا يسوغ تبديل شىء من حروفه فعبر لذلك عنه بالكلام الذى لا يكون الا أصواتا تامة مفيدة وعدل بـه عن القول الذى قد يكون أصواتا غير مفيدة وآراء معتقدة[٢١] ، وانما عبروا عن الاعتقادات والآراء بالقول دون الكلام « من حيث كان القول بالاعتقاد أشبه منه بالكلام وذلك أن الاعتقاد لا يفهم الا بغيره وهو العبارة عنه كما أن القول قد لا يتم معناه الا بغيره ، ألا ترى أنك اذا قلت قام وأخليته من ضمير فانه لا يتم معناه الذى وضع فى الكلام عليه لأنه انما وضع على أن يفاد معناه مقترنا بما يسند اليه من الفاعل وقام هذه نفسها قول وهى ناقصة محتاجة الى الفاعل كاحتياج الاعتقاد الى العبارة عنه فلما اشتبها من هنا عبر عن أحدهما بصاحبه وليس كذلك الكلام لأنه وضع على الاستقلال والاستغناء عما سواه والقول قد يكون من الفقر الى غيره على ما قدمناه فكان الى الاعتقاد المحتاج الى البيان أقرب وبأن يعبر به عنه أليق[٢٢] ، واختصاص القول بالاعتقاد والرأى تخصيص لغوى وضعى كما ذكرت فيما سبق لمجرد أنه الأليق به من ناحية المعنى ولذلك صح استعمال الكلام فيه أيضا ألا ترى الى قول رؤبة :

---

(٢٠) الخصائص ١٩/١ .

(٢١) المصدر السابق ١٨/١ .

(٢٢) المصدر السابق ٢٠/١ .

لــو أننى أوتيت عــلم الحــكل   علــم ســليمان كــلام النحــل

فحديث النحل أشبه بالاعتقاد فكان الأجــدر به القول الا أنــه أوقع الكلام موقعه [٢٣] .

٤ ــ يستعمل كل من الكلام والقول مجازا فى الأصوات غــير الانسانية ومما جاء منه فى الكلام :

فصبحت والطــير لــم تــكلم   جابيــة[٢٤] طمت بســيل مفعم

ومن استعمال القول فى مثل ذلك :

قــالت له الطــير تقدم راشــدا   انــك لا ترجـــع الا حــامدا

امتــلأ الحــوض وقــال قطنى

بينمـــا نحــن مرتعــون بفلج   قــالت الدلــح الــرواء انيــه

وقــالت له العينان سمعا وطاعة   وأبدت كمثــل الــدر لمــا يثقب

وذلك كثير فى القول دون الكلام لسعة مذاهب القول عن الكلام حتى ليشمل المفيد وغيره « واذا جاز أن نسمى الرأى والاعتقاد قولا وان لم يكن صوتا كانت تسمية ما هو أصوات قولا أجــدر بالجواز ألا ترى أن الطير لها هدير والحوض له غطيط والسحاب له دوى فأما قوله (وقالت له العينان سمعا وطاعة) فانه وان لم يكن منها صوت فــان الحال آذنت بأن لو كان لهما جــارحة نطق لقالتا سمعا وطاعة وقد حرر هذا الموضع وأوضحه عنترة بقوله :

لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى   ولكان لو علم الكــلام ــ مكلمى

---

(٢٣) انظر تعقيب الأستاذ النجار فى الخصائص ٢٢/١ .

(٢٤) الجابية : الحوض الضخم وطمت : غمرت . يقال : طم المــاء يطم طما وطموما : علا وغمر وجاء السيل فطم كل شىء : أى علاه . انظر اللســـان (طم) ج ٢٦٢/١٥ ، ٢٦٣ ، (جبى) ١٤٠/١٨ .

وامتثله شاعرنا آخرا فقال :

فلو قدر السان على لسان لقال لك السنان كما أقول[٢٥]

فالكلام والقول وما يعبران عنه وما اشتقا منه وما دارا حوله من معنى فيه أصوات وحركات ينجم عنها أصوات تتضح من استعراض حديث ابن جنى السابق عنهما ، ويؤخذ من هذا كله أن ما يسمى بالكلام والقول هو عبارة عن مجموعة من الأصوات تتجزأ الى مجموعات صغيرة يمكن أن تسمى كل منهما وحدة صوتية وهذه الوحدة الصوتية تتألف مع أختها فى التركيب لتكون معنى من المعانى المرادة للمتكلم ، هذه الوحدة هى ما يعرفه علماء اللغة والنحو باسم الكلمة وكل كلمة مركبة من مجموعة من الأصوات الفردية التى تجتمع هى الأخرى لتكون هذه الوحدة الصوتية المركبة الدالة على المعنى المراد منها والذى وضعها له المجتمع المعين ، فالنحاة يجعلون الكلام الذى هو الألفاظ المفيدة تعبيرا صوتيا ونشاطا يرمز مفهومه الى أجزاء ثلاثة هى : الاسم والفعل والحرف ، وكل منها يسمى فى عرف العلماء كلمة قال ابن مالك :

كلامنا لفظ مفيد كاستقم واسم وفعل ثم حرف الكلم[٢٦]
واحده كلمة والقول عم وكلمة بها كلام قد يؤم

وهذه الوحدة التى عرفت باسم (كلمة) عرفها النحاة بأنها قول مفرد[٢٧] أو لفظ مفرد[٢٨] أو قول مفرد مستقل أو منتوى فيه

---

(٢٥) الخصائص ٢٢/١ — ٢٥ .

(٢٦) الكلم اسم جنس جمعى لأنه يفرق بينه وبين واحدة بالتاء واحده كلمة كنبق ونبقه . الخصائص ٢٥/١ ، حاشية الخضرى ١٧/١ .

(٢٧) الشذور ص ٥ .

(٢٨) الأشمونى ٢٦/١ .

فالمستقل مثل محمد — جاء والمنتوى فيه مثل فاعل قم وهو الضمير أنت[٢٩] وهم يقصدون بكلمة قول أنها لفظ ولما كان القول (الذى هو كل لفظ) يشمل المفرد والمركب والتام والناقص (الكلمة الواحدة وما هو أكثر من كلمة) حددت التعريفات مفهوم الكلمة بقولها (مفرد) .

وقد عاب الدكتور تمام حسان هذه التعريفات بما يأتى :

١ — أنها لا تفرق بين الصوت والحرف أى بين عملية النطق والنظام الذى أجرى عليه .

٢ — أنها تخلط بين الوظيفة اللغوية والمعانى المنطقية والوضعية .

٣ — أنها لا تفرق بين وجود الكلمة وعدمها فى تعريفها وهذا مما يؤدى الى الخلط فى التفكير[٣٠] .

ولذلك عرفها بقوله :

« صيغة ذات وظيفة لغوية معينة فى تركيب الجملة تقوم بدور وحدة من وحدات المعجم وتصلح لأن تفرد أو تحذف أو تحشى أو يغير موضعها أو يستبدل بها غيرها فى السياق ، وترجع فى مادتها غالبا الى أصول ثلاثة وقد تلحق بها زوائد »[٣١] .

ويبدو لى أن تعريف الأقدمين لا عيب فيه بل هو دقيق تماما وموجز واف بالمعنى المطلوب منه ، فهو :

أولا — لا يخلط بين القول والكلمة واللفظ بل فيه تحديد لها

---

(٢٩) همع الهوامع ص ٣ .

(٣٠) مناهج البحث فى اللغة ص ٢٢٦ .

(٣١) المصدر السابق ص ٢٣٢ .

ولا عيب أن تلتقى معانى الألفاظ الثلاثة لاشتمال الأصوات عليها فكل لفظ يمكن أن يطلق عليه قول لأن القول هو ما يتلفظ به وكل لفظ بهذا المعنى هو قول والكلمة ليست الا لفظا فلا مانع من اطلاق اسم القول عليها ، وهذا لا يعد خلطا بل يعد اشتراكا فى جنس هو جزء التعريف مثل الانسان حيوان ناطق حيث يشترك فى لفظ الحيوان مع الانسان سائر الحيوانات ولم يعب ذلك أحد والجزء الآخر من التعريف يمنع ما يراد منعه فكلمة ناطق تمنع ما عدا الانسان من الدخول فى التعريف ، وقد أضيف الى تعريف الكلمة ما منع غيرها من الدخول معها وهو (مفرد) فكلمة مفرد أخرجت المركبات سواء كانت تامة أو ناقصة .

ثانيا — فيما يبدو لى أنه لا يصح ادخال الوظيفة اللغوية فى تعريف أجزاء اللغة ، وهذا غير موجود فى تعريف الأقدمين بل هو موجود فى تعريف الدكتور تمام نفسه ، وبالرجوع اليه يمكن فهم ما أقول .

ثالثا — ليس هناك خلط فى التفكير بالاشارة الى الكلمات المضمرة مثل أنت فى قم بل هذا مجرد تلميح الى أن الكلمة تارة تكون واضحة مرئية وأخرى مستترة قياسا على وجودها الخارجى .

وقد عرف مييه الكلمة بأنها ربط معنى ما بمجموعة ما من الأصوات صالحة لاستعمال جراماطيقى[٣٢] ، وهذا التعريف صالح للمورفيمات والجمل وأجزاء الجمل أيضا ، وعند جاردنر[٣٣] « أن الكلمات ذات وجهين فى طبيعتها فوجه هو المعنى ووجه آخر هو

---

(٣٢) مناهج البحث فى اللغة ٢٢٧ ، ٢٨ وانظر اللغة (فندريس) ص ١٢٤ .

(٣٣) عالم لغوى انجليزى .

الصوت وحيث تكون الكلمات فى ملك كل شخص تكون من ناحيته جواهر طبيعية مكونة من منطقة المعنى من جهة ومن صورة صوت معين من جهة أخرى ، هذا الصوت صالح لأن يعاد نطقه بالارادة والكلمات فى حقيقتها نفسية وهى مواد للمعرفة والتكلم مع أنها فى أحد جانبى طبيعتها تشير الى حدث عضوى تمكن اعادته بحسب الارادة » .

والتعريف الأول للكلمة شامل لها ولغيرها ، والثانى يدخلها فى عالم الفلسفة وعلم النفس « وليس الباحث اللغوى بحاجة الى أن يبنى أفكاره على أسس غريبة عن منهج اللغة ... لاحظ فى تعريف جاردنر استعمال كلمات : الحقيقة — الطبيعة — الملك — المعرفة — التكلم — النفس » .

ويلاحظ الدكتور تمام أن تعريف الكلمة لا يمكن اتحاده فى جميع اللغات بل لكل منها تعريف يستمد من طبيعتها ووسائلها الخاصة فى التركيب كما يقول فندريس (٣٤) ، ولكن يبدو لنا أن الكلمة التى هى وحدة لغوية تدل على معنى من المعانى لا تختلف بهذا التحديد من لغة الى أخرى ، فلا مانع من وضع تعريف شامل لها فهذا لا صلة له بطرق البناء الصرفى أو غيره من خصائص اللغات .

واعتقد أن تعريف الكلمة العربية واف بالغرض المقصود ، فالكلام والقول — كما رأينا — يعبران عن أصوات تفيد معانى خاصة يراها المتكلمون وتلك الأصوات التى يترجم عنها الكلام هى جوهر اللغة ومعناها والمراد منها كما يتبين ذلك من عرضنا للغة ومفهومها عند عالمنا ابن جنى وغيره من قدامى ومحدثين .

---

(٣٤) مناهج البحث فى اللغة ص ٢٣٥ وما بعدها وانظر اللغة ص ١٢٤ .

اللغـة واللهجـة

اللغـة :

تاريخها :

منـذ التقى الانسـان بغـيره وهـو يحتـاج الى وسـيلة تفـاهم ـ وكما يقول فندريس « أصـبح تـكرار القـول بـان الانسان كائن اجتماعى أمرا مبتذلا ولعل من أدل السمات على الطبيعة الاجتماعية فى الانسان تلك الغريزة التى تدفع على الفور الأفـراد المقيمين معا الى جعـل الخصائص التى تجمعهم مشاعة بينهم ليتميزوا بها عن أولئك الذين لا توجد لهم هذه الخصائص بنفس الدرجة »[١] ، وهذه الوسيلة تتنوع من مجتمـع بدائى الى مجتمـع حضـارى » فالسلوك الجماعى على ثلاث درجات بلا رموز جماعية وبرموز جماعية غير شعورية وبلغة »[٢] ، ونحن الآن بصدد بيان أرقى الوسائل التى وصل اليها الانسان فى تفاهمه مع أخيه وهى اللغة الصوتية .

ولم تعرف كلمة (اللغة) طريقها الى الظهور بين مفردات العربية الا بعد انتهاء القرن الثانى الهجرى وقد أطلقت آنذاك على ما جمعه الرواة من البادية عن العرب الفصحاء بعد فشو اللحن ... ولم يطلق على الرواة وهم القائمون بفنون اللغة لفظ (اللغوى) الا فى القرن الرابع بعد أن استفاض التصنيف فى اللغة وتميزت العلوم العربيـة واستعجمت الدولة فصار صاحب اللغة يعـرف بها ... وخلف ذلك اللقب لقب الراوية وممن عرفوا به فى القرن الرابع أبو الطيب اللغوى وابن دريد والأزهرى وغيرهم[٣] .

---

(١) اللغـة ٣٠٢ .　　(٢) مناهج البحث فى اللغـة ٥٣ .

(٣) تاريخ آداب العرب ٣٣٧/١ ، ٣٣٨ .

ويعتقد أن الكلمة لم ترد فى الأدب العربى قبل القرن الثامن الهجرى فقد جاءت أول مرة فى شعر لصفى الدين الحلى[٤] وهو :

بقدر لغـات المرء يكثر نفعه فتلك لـه عند الملمات أعوان
فهافت على حفظ اللغات وفهمها فـكل لسان فى الحقيقة انسان

ويعبر القرآن الكريم عن اللغة بكلمة لسان[٥] مثـل « وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين »[٦] ، « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلســان عربى مبين »[٧] ، وهذه الكلمة هى المشـــهورة فى اللغـات السامية ، ففى العبريـــة lashoon بمعنى اللغة يقال : Hallashoon ha - evrit (اللغـــة العبرية) وفى بقية الساميات كذلك .

ومن هنا يقول الدكتور أنيس : « يظهر أن العرب القدماء فى العصور الجاهلية وصدر الاسلام لم يكونوا يعبرون عما نسميه نحن باللغة الا بكلمة اللسان تلك الكلمة المشتركة اللفظ والمعنى فى معظم اللغات السامية شقيقات اللغة العربية ، وقد يستأنس لهذا الرأى بما جاء فى القرآن الكريم من استعمال كلمة اللســان وحدها فى معنى اللغة »[٨] ، ولكن مادة (ل غ و) التى تعنى الصوت والكلام قــد وردت فى القرآن الكريم والحديث والشعر المعتمد كثيرا ، وسيتبين ذلك من حديثنا عن اشتقاقها وتصريفها ، وتطلق كلمة لغة عند القدماء ويراد منها اللهجة[٩] وتقـــابل باللغـــات الأجنبيـــة LONGUE فى

---

(٤) توفى سنة ٧٥٠ هـ وانظر ديوانه ص ٤٥٣ .

(٥) وردت كلمة لسان بمعنى اللغة ٨ مرات فى القرآن انظر المعجم المفهرس ص ٦٤٧ .

(٦) الأحقاف الآية ١٢ .

(٧) الشعراء ١٩٢ — ١٩٥ .

(٨) فى اللهجات العربية ط ٢ ص ١٤ .

(٩) المصدر السابق ط ٣ ص ١٦ .

الانجليزية بمعنى لسان أو لغة[١٠] ، LANGUE في الفرنسية بالمعنى السابق[١١] ، وبذلك تتفق اللغتان الانجليزية والفرنسية مع العربية في التعبير باللسان عن اللغة وفيهما مع ذلك كلمات أخرى لمعنى اللغة لا تطلق على اللسان وقد تطلق على اللهجة أيضا ، وهذه الكلمات فى اللغات التى تقدمت تفهم اشتراكها فى الصدور عن أصل واحد .

اشتقاقها وتصريفها :

يذكر اللغويون ومنهم ابن جنى وأرباب المعاجم أنها مشتقة من الفعل لغا يلغو اذا تكلم أو من لغى يلغى بكسر الغين فى الماضى وفتحها فى المضارع اذا لهج يقول ابن جنى : أما تصريفها ومعرفة حروفها فانها فعلة من لغوت أى تكلمت وأصلها لغوة ككرة وقلة وثبة كلها لاماتها واوات لقولهم كروت بالكرة وتلوت بالقلة ولأن ثبة كأنها من مقلوب ثاب يثوب وقالوا فيها لغات ولغون[١٢] ككرات وكرون وقيل منها لغى يلغى اذا هذى ومصدره واللغا قال :

وربّ أسراب حجيج كظم   عن اللغا ورفث التكلم

وكذلك اللغو قال الله سبحانه وتعالى « واذا مروا باللغو مروا كراما » أى بالباطل وفى الحديث : « من قال فى الجمعة صه فقد لغا » أى تكلم[١٣] .

---

(١٠) قاموس انجليزى عربى تاليف محمد طه محمود ط الاستقامة ٣٨٣ وتطلق بمعنى اللغة ايضا فى الانجليزية كلمة language ص ٢١٦ .

(١١) قاموس فرنسى عربى تاليف اسكندر شحاتة لندن ط ٢ ص ٢١٠ وتطلق كلمة langage بمعنى لغة او لهجة او نطق او اسلوب وهناك الفاظ اخرى غير ذلك .

(١٢) ملحق بجمع المذكر .

(١٣) الخصائص ٣٣/١ .

ويأخذ عليه أستاذنا الدكتور قناوى أنه غير جار على المشهور من القواعد الصرفية التى تقول اذا حذف حرف من الموزون حذف ما يقابله من الميزان وكون أصلها لغوة يلزم عليه الجمع بين العوض والمعوض وقلما يجتمعان[١٤] ، ويجرى هذا النقد على ما قاله الأزهرى وغيره من أن أصلها لغوة بوزن فعلة[١٥] ، وما نبـــه عليـــه أستاذنا الدكتور قناوى ملحظ صرفى دقيق[١٦] .

ومن نص ابن جنى السابق يفهم أنه يرى اشتقاق لغة من لغا يلغو بمعنى تكلم أو من لغى يلغى بمعنى هذى ، وبالاشتقاق الأول قال صاحب القاموس وبالثانى قال صاحب المفردات ، ففى القاموس لغا لغوا تكلم ج لغات ولغون[١٧] ، وفى المفردات : لغى بكذا أى لهج به لهج العصفور بلغاه أى بصوته ومنه قيل للكلام الذى يلهج بـــه الناس فرقة فرقة لغة[١٨] ومع ذلك ذكرا الاشتقاق الثانى وما يتعلق بالمـــادة من معان لغوية يقال : لغيت تلغى نحو لقيت تلقى واللغو من الكلام ما لا يعتد به وهو الذى يورد لا عن روية وفكرة فيجرى مجرى اللغا وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور قال أبو عبيدة لغو ولغا نحو عيب وعاب — وأنشـــد (عن اللغا ورفث التكلم) ، وقد يسمى كل كلام قبيح لغوا قال : « لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا » وقال : « واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه » وقال : « لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما » وقال : « والذين هم عن اللغو معرضون » وقال : « واذا

---

(١٤) محاضرات استاذنا الدكتور قناوى .

(١٥) اللســان ١١٦/٢٠ ، ١١٨ .

(١٦) الأشمونى ٣٤٠/٤ — ٣٤٣ ومنار السالك ٣٦٦/٢ ، ٤١١ ، ٤١٢ وانظر الكتاب وتعليق الأعلم على قول الشاعر (هما نفثا فى فى من فمويهما) ٢/ ٨٣ .

(١٧) القاموس ٣٨٦/٤ .

(١٨) المفردات ٤٥٢ .

مروا باللغو مروا كراما » أى كفوا عن القبيح ولم يصرحوا وقيل معناه اذا صادفوا أهل اللغو لم يخوضوا معهم ويستعمل اللغو فيما لا يعتد به ومنه اللغو فى الأيمان أى ما لا عقد عليه وذلك ما يجرى وصلا للكلام بضرب من العادة قال : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم » ومن هذا أخذ قول الشاعر :

ولست بمأخوذ بلغو تقوله اذا لم تعمد عاقدات العزائم

وقوله تعالى : « لا تسمع فيها لاغية » أى لغوا فجعل اسم الفاعل وصفا للكلام نحو كاذبة وقيل لما لا يعتد به فى الدية من الأبل لغو وقال الشاعر : (كما ألغيت فى الدية الحوار)[١٩] وذكر صاحب القاموس بعض ما تقدم :[٢٠]

ويبدو من استعراض مادة (لغو) فى الكتابين السابقين أن الأول يميل الى ترجيح أحدهما والثانى بالعكس على ما بينته •

وقيل ان فعله لغى الا أنه فتح حرف الحلق فيكون ماضيه لغا ومضارعه يلغو ويلغى[٢١] ، وقد قصدت بذكر كلام اللغويين بنصه وطوله أن أبين تأصل كلمة (لغة) فى العربية وموادها وقد استعملت فيما أوردته بمعناها الحقيقى الذى هو الأصوات الانسانية وغيرها وما يمكن أن يشبهها من معان مختلفة •

وبناء على ذلك لا يقبل القول الذى ذهب اليه بعض المحدثين من

---

(١٩) المفردات ٤٥١ ، ٤٥٢ والحوار — بضم الحاء وكسرها — الأخيرة رديئة عند يعقوب ، ولد الناقة من حين يوضع الى أن يفطم ويفصل ، فاذا فصل عن امه فصيل ، وقيل : هو حوار ساعة تضعه أمه خاصة . اللسان ٣٠١/٥ .

(٢٠) القاموس ٣٨٦/٤ .

(٢١) لسان العرب ١١٧/٢٠ .

أن كلمة لغة دخيلة على العربيـــة وأنها معربـــة من كلمة Logs الأغريقية التى تعنى كلمة أو فكرة ويعزز ذلك — عندهم — التشابه بين الكلمتين[٢٢] والزعم بأن الكلمة لم ترد فى آداب العرب المتقدمين ولا فى القــرآن الكريم • فقد ثبت لذى عينين وقوعها فى القــرآن وقول العجاج السابق كما وقعت فى الحديث ومن قال لصاحبه يوم الجمعة ••• الخ كما ورد فى المعاجم العربية (لغا يلغو) اذا تحدث ولغى يلغى اذا لهج مع تصرفات أخــرى لمــادة (لغو) ونصـــوص كثيرة موثوق بها وذلك كله يثبت عربية كلمة (لغة) وان شاركت غيرها من اللغات الأخرى للتشابه فى الأصل الأول للغة الانسان •

ننتقل بعد ذلك الى بيان معنى (اللغة) :

حدها ابن جنى بأنها : أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[٢٣] ووافقه على ذلك سائر القدماء من علماء اللغة العرب[٢٤] ويميل الى ذلك علماء الاجتماع فهى عندهم :

نظام من رموز ملفوظة عرفيـــة يتعاون ويتعامل بها أعضـــاء المجموعة الاجتماعية المعينة •

فيستفاد من كل من هذين التعريفين أن اللغة وسيلة مهمة فى الربط بين أفراد المجتمع والتعبير عن شئونهم المختلفة فكريـــة كانت أو غير فكرية ، من كل ما يهمهم فى حياتهم الخاصة والعامة •

بيد أن لبعض الباحثين ملاحظات عليه جد مفيدة ، فهذا التعريف يقصر اللغة على الأصوات الانسانية المعبرة عن أغراض ويخرج غيرها

---

(٢٣) اللسان والانسان د. حسن ظاظا ص ١٣١ ، ١٣٢ •

(٢٣) الخصائص ٣٣/١ •

(٢٤) القاموس ٣٨٦/٤ ولسان العرب ١١٨/٢٠ •

كالأصوات الانسانية التى لا تعبر عن غرض ، كغطيط النائم ، وتخرج كذلك أصوات الحيوانات المعبر بها عن أغراض وما كان المعبر بـه عن الغرض غير صوت ، كالعقد والنصب والاشارة بالرأس أو غيرها من أعضاء الجسم ، والاشارات التى تستعملها السفن ، والاشارات التى تستخدم فى الجيوش ، وما يتفاهم به الصم وبعض السكان الأصليين فى أمريكا ، واستراليا وبعض العشائر فى أواسط أفريقيا ، وما يظهر على الانسان من الانفعالات النفسية التى تظهر فى حالات المرض والغضب والفرح والحزن ونحو ذلك ، وكذلك الأصوات الصادرة عن كل ما له صوت أو له صلة بحدوثة ولو كان جمادا آلة أو نحوها كأصوات المدافع وآلات الحرب .

وقد عد صاحب هذا النقد خروج ما تقدم عن نطاق اللغة — فى رأى الأقدمين — قصورا فى التعريف ، وبنى ملحظه على أن هذه الأشياء الخارجة عن التعريف أصبحت — على وجه الحقيقة العرفية — من وسائل التفاهم فكان ينبغى أن تدخل فيه ، لكن تعريف الأقدمين خص اللغة بما تقدم أولا .

ويدل لذلك أن مرادهم بالأصوات ينحصر فى ذات المقاطع لأنها هى المعبرة عن الأغراض ، لا الأصوات المرسلة كالتى تصدر من الحيوانات ، والمراد بالقوم بنو آدم ، ولا يشمل معنى هذا اللفظ غيرهم ، فأما استعماله للجن فى مثل قوله تعالى : « قالوا يا قومنا أجيبوا داعى الله » فهو استعمال مجازى ، فلا يعترض به على الحقيقة (٢٥) .

---

(٢٥) انظر محاضرات فى فقه اللغة لأستاذنا الدكتور محمد قناوى ، وقد خالف الأستاذ عبد الله العلايلى سائر اللغويين فعد اللغة غاية لا وسيلة ، وهو قول ينبو عنه التحقيق . انظر : مقدمة لدرس لغة العرب ص ١٥ — ٢٤ .

ولعل علمــاءنا القدامى — حين خصوا اللغــة — فى اصطلاحهم العلمى — بما يصدر عن الانسان من الأصوات المعبرة عن الأغراض قصدوا الحديث عن اللغـــة التى تلبى حاجات الجماعــة ، ويهتم بها المجتمع لأنها الوسيلة التى تفى بأغراض الناس وشئونهم فى الحياة .

ولذا نرى أن التعريف واف بالغرض المطلوب .

وعلماء الفلســفة والمنطق يبنون تصورهم لها عــلى أســاس وظائفها التى حددها الأستاذ جفونز وهى :

١ — أنها وسيلة للتوصيل .

٢ — أنها مساعد آلى للتفكير .

٣ — أنها أداة للتسجيل والرجوع .

ويبدو أن الوظيفتين الأولى والثالثــة واحــدة فهما عبارة عن : توصيل الأفكار ، سواء أكان ذلك بالأصــوات المنطوقة بالفعل ، أم بالتسجيل والكتابة ليرجع اليها فيما بعد[٢٦] .

ويعرفها علماء النفس بأنها : اســتعمال رموز صــوتية منظمة للتعبير عن الأفكار ونقلها من شخص الى آخر[٢٧] .

ويبدو أن المناطقة وعلمــاء النفس يقصرون اللغة على نقــل الأفكار فحسب وذلك تحديد غير واف بالغرض ، فاللغة لا تقف عند حد التعبير عن الأفكار بل هناك موضوعات أخرى تخص الناس فى شئونهم العامة ، وهناك أحداث الترفيــه والتسلية ، فقد تســتعمل للتعبير عن العواطف والمشاعر المختلفة ، وقد تستخدم للترنم بالغناء ،

---

(٢٦) اللغة بين الفرد والمجتمع (جسبرسن) ص ٨ واللغة والمجتمع د. السعران ص ١٣ .

(٢٧) اللهجات العربية د. نجا ص ٥ .

وسوق القصص ، والحكايات والأساطير ، وكل ذلك للتسرية عن النفس ، والتخفيف من أعباء الحياة ومشكلاتها •

ومعنى ذلك أن اللغة أكثر من أن تكون أداة للفكر ، أو تعبيرا عن عاطفة • اللغة جزء من كياننا السيكلوجى الروحى ، وهى عملية فيزيائية واجتماعية(٢٨) ، وهذا كله يثبت أن اللغة هى الرابطة الحيوية بين افراد المجتمع والتى تعبر عن حاجاته ، وتجمع شمله ، وتوحد أهدافه وهذا ملاحظ فى تعريف علماء العرب ، ووافقهم عليه علماء الاجتماع •

اللهجة (٢٩)

اشتقاقها :

ورد اشتقاقها بوجهين :

الوجه الأول : انها مأخوذة من لهج الفصيل يلهج أمه : اذا تناول ضرع أمه يمتصه ولهج الفصيل بأمه يلهج اذا اعتاد رضاعها فهو فصيل لاهج •

الوجهه الثانى : أنها مشتقة من لهج بالأمر لهجا ولهوج وألهج يعنى أولع به واعتاده أو أغرى به فثابر عليه واللهج بالشىء : الولوع به(٣٠) •

---

(٢٨) محاضرات فى اللهجات د. انيس فريحة ص ٩ واللغة بين الفرد والمجتمع ص ٩ — ١١ •

(٢٩) يعبر القدما عن اللهجة بكلمة (اللغة) فقد عقد ابن جنى بابا فى الخصائص بعنوان (باب اختلاف اللغات وكلها حجة) وابن فارس يعقد بابا فى الصاحبى بعنوان (اختلاف لغات العرب من وجوه) وكذلك علماء آخرون كأبى على القالى فى (الأمالى فى لغة العرب) .

(٣٠) تهذيب اللغة ٥٤/٦ ، ٥٥ والصحاح ٢٣٩/١ ولسان العرب ١٨٣/٣ •

وكل من الوجهين مناسب لوجود العلاقة بين أصل الاشتقاق وطريقة النطق التى يتبعها الانسان فاللغة يتلقاها الانسان عن ذويه ومخالطيه كالفصيل الذى يتناول اللبن من ضرع أمه فيمتصه كما أنه حين يتعلم اللغة يلهج بها ويولع كمن يتعلق بشىء معين ويولع به[٣١] .

واللهجة هى لغة الانسان التى جبل عليها واعتادها ونشأ عليها وقد أطلقت اللهجة على اللسان أو طرفه فهو آلة التحدث بها .

معناها :

اللهجة : طريقة معينة فى الاستعمال اللغوى توجد فى بيئة خاصة من بيئات اللغة الواحدة .

ويعرفها بعضهم بأنها : العادات الكلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من الناس تتكلم لغة واحدة[٣٢] .

وهذه الطريقة أو العادة الكلامية تكون صوتية فى غالب الأحيان ومن ذلك — فى لهجات العرب القديمة : العنعنة وهى قلب الهمزة المبدوء بها عينا وهذه الصفة معروفة عند قيس وتميم يقولون فى أنك عنك ، وفى أذن عذن على حين أن بقية العرب ينطقون الهمزة دون تغيير فى أوائل الكلمات .

كذلك : الكشكشة وهى فى ربيعة ومضر يجعلون بعد كاف الخطاب فى المؤنث شينا فيقولون : رأيتكش وبكش وعليكش فمنهم من يثبتها حالة الوقف فقط وهو الأشهر ومنهم من يثبتها فى الوصل — أيضا — ومنهم من يجعلها مكان الكاف ويكسرها فى الوصل ويسكنها فى الوقف

---

(٣١) اللهجات العربية د. نجا ص ٩١ .

(٣٢) علم اللغة العام لروينز ص ٥٢ ومقدمة لدراسة فقه اللغة . د. محمد أبو الفرج ص ٩٣ .

فيقول : منش وعليش[٣٣] وغيرهم من العرب يبقى الكاف دون تغيير . كذلك : العجعجة فى لغة قضاعة يجعلون الياء المشددة جيما يقولون فى تميمى تميمج[٣٤] وغيرها يبقى الياء ويجرى مثل ذلك فى العاميات ففى مصر تنطق الهمزة مسهلة فى رأس وفأس فيقولون راس وفاس ، كما يبدلون الثاء سينا فيقولون فى ثبت : سبت وفى بحوث : بحوس وغير ذلك كثير[٣٥] .

وهذا كله لا ختلاف البيئات العربية وعوامل الاجتماع عندها وتطاول الأزمان عليها .

وقد تكون الطريقة متعلقة ببنية الكلمات ونسجها ، فاسم المفعول اذا صيغ من الفعل الثلاثى الأجوف فان عينه تعل عند الحجازيين سواء أكان واويا أم يائيا مثل : مقول ومدين . ولكن التميميين يعلون الواوى ويتممون اليائى فيقلون : مبيوع ومديون ، وعلى طريقة بنى تميم تجرى اللهجات العامية فى مصر وبعض جهات اليمن ونجد .

وقد يكون اختلاف الاستعمال اللغوى من جهة المعانى ، وتذكر كتب اللغة كثيرا من ذلك ككلمة (وثب) فهى عند (حمير) بمعنى (جلس) وعند عرب الشمال بمعنى (قفز) و (السدفة) عند تيم (الظلمة) وعند قيس (الضوء)[٣٦] .

ولكن الاختلاف الصوتى يلعب الدور المهم فى اختلاف اللهجات

---

(٣٣) المزهر ٢٢١/١ ، ٢٢٢ .

(٣٤) المصدر السابق .

(٣٥) وفى الفرنسية نجد بعض القرى تنطق (a) فتحة حيث تنطق قرى أخرى (e) فتحة ممالة وتنطق بعضها (o) ضمة مفتوحة حيث تنطق القرى الأخرى (u) ضمة صريحة . اللغة ٣١٠ .

(٣٦) المزهر ١٨٨/١ ، ١٩١ .

وتنوعها ، واللهجة اتجاه منحرف داخل اللغة ، وكل من اللغة واللهجة يتصلان بالصوت ، فاللغة ترتبط به من حيث افادة المعنى ، واللهجة من حيث صورة النطق وهيئته .

والاختلاف الصوتى يرجع الى ما يأتى :

١ — اختلاف فى مخرج بعض الأصوات اللغوية كالجيم فالعربية من وسط اللسان والمصرية من أقصاه مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى .

٢ — اختلاف فى وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات كترقيق الحرف وتفخيمه عند القبائل المختلفة .

٣ — اختلاف فى مقاييس بعض أصوات اللين . اذ ان أى انحراف يصيب تلك الحروف التى تعرف بحروف المد عند الأقدمين يؤدى الى اختلاف فى نطقها .

٤ — تباين فى النغمة الموسيقية للكلام : فذلك يختلف بين القبائل وحسب البيئات المختلفة .

٥ — اختلاف فى قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين يتأثر بعضها ببعض ، فالجمهرة من العرب تقلب الواو تاء عند وقوعها فاء لافتعل مثل ، اتصل هربا من تلاعب الحركات ، ولكن الحجازيين لا يقلبونها تاء ، فتتأثر بالحركات السابقة عليها فتقلب حسب الحركات واوا بعد الضمة ، وألفا بعد الفتحة ، وياء بعد الكسرة فيقولون : ايتصل — ياتصل — موتصل .... (٣٧) .

ويقول فندريس عن الفرنسية : « اننا نجد فروقاً ذات بال بين قرية وأخرى حتى ليمكننا أن نميز لهجة كل قرية منهما بوصف

---

(٣٧) اللهجات العربية د . نجا ٧ — ١٠ وفى اللهجات العربية د . أنيس ص ١٦ بتصرف .

مخالف لغيرها من حيث الصوتيات ، ومن حيث النحو ، ومن حيث المفردات[٣٨] ، واللهجة اذا اتسمت بخصائص بارزة بحيث توافر لها ما يجعلها تستغنى عن أصلها ، وتفى بحاجة الجماعة التى تتحدث بها أمكن أن تسمى لغة ، وذلك حين تنضج قواعدها ونظمها الصوتية والصرفية والتركيبية بحيث تجتمع لها عناصر الافادة الكاملة والتعبير السليم كاللهجات العربية فى مصر ، والمملكة العربية السعودية ، والعراق وسوريا ولبنان وغيرها من سائر البلاد العربية اذ يطلق عليها اسم (لغات) باعتبار وفائها بحاجة مجتمعاتها ، وباعتبار صلتها باللغة العربية الأم تعد كل منها لهجة لأنها لم تستغن عنها ، بل انها استمدت — ولا تزال تستمد — منها مقومات حياتها الأصلية .

وقد تساعد عوامل كثيرة على استقلال اللهجة وصيرورتها لغة قائمة بذاتها مشهورة لدى مجتمعها ، بل وسواه من المجتمعات الانسانية التى تكون على صلة بأهلها ، وهذه العوامل يمكن لكل منها أن يقوم بهذا الدور فى استقلال اللهجة على النحو السابق وهى :

١ — عامل عسكرى — سياسى .

٢ — عامل دينى .

٣ — عامل أدبى .

٤ — عامل اجتماعى طبقى .

وقد يتدخل عاملان أو ثلاثة فى تكوين هذه اللهجة .

مثال الأول : اللهجات الروسية التشيكية والبلغارية أصبحت لغات رسمية معترفا بها عندما استقلت هذه البلدان عن روسيا .

---

(٣٨) اللغة ص ٣١٠ .

مثال الثانى : ارتقاء العربية الفصحى من لهجة حجازية نجديـــة الى
مرتبة أدبية سامية بفضل نزول القرآن الكريم بها .

مثال الثالث : لغة ايطاليا الحديثة فهى اللهجـــة التى كتب بها أدباء
وشعراء أمثال : دانتى وبترارك ولوكانتشيو وأصلها لهجة
فلورنســـا .

مثال الرابع : لهجة باريس ـــ بعد القرن السابع عشر ـــ أصبحت المثال
الأدبى الرفيع الذى ينبغى لكل كاتب ناشىء أن يحتذيه .
وذلك ينطبق على لغتنا العربيـــة النموذجيـــة التى كان
أساسها لهجة قريش ، ثم استطاعت أن تتغلب عـــلى
اللهجات الأخرى لتلك العوامل .

الباب الثانى

انقسام اللغة وتكون اللهجات

منذ آدم — عليه السلام — واللغات التى يستعملها نسله يتوالى عليها الانقسام الى لهجات ، وبعد الطوفان توزع أبناء نوح — عليه السلام — فى الأرض ، فنشأت مجموعات لغوية تنسب الى أبنائـه الثلاثة : سام ، وحـام ، ويافث ، وكل منها لـه فروع متعددة فى القديم والحديث .

ولا ريب أن اللغة تبقى متحدة فى المجتمع الذى يتخذها أداة لـه اذا كـانت حيـاته الاجتمـاعية والأرض التى يعيش عليهـا متحدة فى أهدافها وعوامل تكوينها ، فاذا تغـير شىء من ذلك كان ايذانا بانشعاب تلك اللغة الى لهجات .

وقد عزا العلماء انشعاب اللغات الى لهجات لعوامل أهمها :

١ — اختلاف البيئات الجغرافية :

فالأرض التى يعيش عليها البشر مختلفة ، ففيها الجبال والسهول والوديان ، وفيها الأراضى الزراعية والقاحلة ، ومتى اختلفت البيئة الجغرافية فان ذلك يؤدى الى اختلاف اللغة ، فاذا انتشرت جماعـة لغوية تعيش فى مكان معين على أرض واسعة تختلف طبيعتها فـان ذلك يؤدى — مع تطاول الزمن — الى انشعاب لغتها الواحـدة الى لهجات . واذا كانت البيئة تؤثر على سكانها جسمياً وخلقيا ونفسيا ، كما هو الواقع فانها — كذلك تؤثر على أعضاء النطق وطريقة الكلام .

٢ — تنوع الظروف الاجتماعية :

لا ريب أن كل قوم لهم قوانينهم وطرقهم الخاصة فى معيشتهم

وتفكيرهم سواء فى ذلك الشعوب المختلفة وطبقـات الشعب الواحد فكل شعب له ملامح ثقافية وعادات وتقاليد خاصة تختلف عن الآخر ، فالمجتمع الانجليزى غير المجتمع الفرنسى غير الأمريكى أو الرومى أو العربى فى طريقة معيشته وقوانينه العامة والخاصة .

والمجتمع الواحد قد يوجد فيه الطبقات الارستقراطية والدنيا أو الطبقات الصناعية والزراعية والتجارية وغـيرها من أرباب المهن المختلفة وبقدر ما يوجـد من تلك المظاهر تتفرع لغـات المجتمعات وتختلف .

بل يوجد من العاميات الخاصـة بقدر ما يوجـد من جماعات متخصصة ، والعامية الخاصة تتميز بتنوعها الذى لا يحد ، وأنها فى تغيير دائم تبعا لأحوال الجماعات والأمكنة التى تعيش فيها فكل جماعة خاصة وكل هيئة من أرباب المهن لها عاميتها الخاصة[1] .

...ير تلك الأحوال التى تعيش فيها الجماعة تنعكس آثارها
...شك أن المهاجرين من الأسـبان والانجليز الى أمريكا
... الصوتى فاختلفت الاسبانية والانجليزية
...لى .

... جزيرتهم الى الأقطار المجاورة بعـد
...ن التطور ، بل تشعبت الى لهجات

...ى الاجتماعية ووسائل الحياة كانت لـه

... د. نجا ص ١٦ وفى اللهجات العربية د. انيس

آثاره فى لغة الجماعة بعد ارتحالها من بلدها الأصـلى بحيث برزت أمارات التغير هناك عنها هنا •

ومن كل ما تقدم ندرك أن نظام المجتمع واختلاف طبقاته وتغير أحواله قد يسبب تفرع لغته الى لهجات •

٣ ـ الاتصال البشرى وآثاره :

الانسان مدنى بطبعه ـ كما يقول علماء الاجتماع ـ فهو فى حاجة الى مساعدة أخيه الانسان ، ولذلك فقد يتصل بنو البشر لتبادل المنافع كما أن الانسان قد يحتاج الى الهجرة من وطنه الأصلى الى مكان آخر بحثا عن القوت أو لأسباب أخرى دينية أو استعمارية •

وبدهى أن تلك الاتصالات تحتـاج الى معرفـة هؤلاء وهؤلاء بلغات الآخرين حتى يمكنهم التفاهم وتوثيق الصلات ، أو اخضاع جماعة ما لسيطرتهم ، وهذا يؤدى الى احتكاك اللغات بعضها ببعض ونشوب صراع بينها ، فالتوسـع وضرورة الاتصال يقتضى معرفـة لغات عدة معرفة جيدة[٣] ، بما يخلق اختـلالا فى الأداء ، فكثـيرا ما لوحظ أن تطور اللغات يزداد بسرعة بازدياد انتشارها فى الخـارج وازدياد عدد الناس الذين يتكلمونها وتنوعهم اذ ان انتشارها فى أقاليم تحتك فيها بلغات أخرى يعرضها لأن تفقد خصائصها الموغلة فى الذاتية ، والتأثير الذى يقع عليها من الخارج يؤدى بها الى التغير السريع[٤] ، وقد تتغلب احدى هذه اللغات على الأخرى •

ونحن نشاهد نطق الأجانب للغة العربيـة اذا اتصلوا بالعـرب كاليونانيين والايطاليين فلا يستطيعون النطق بالطريقة العربيـة فهم ـ مثلا ـ لا يمكنهم نطق الحاء فى مثـل كلمة (محمد) فيحولونها الى خـاء •

---

(٣) اللغـة : ٣٤٨ .
(٤) المصدر السابق : ٤٢٧ .

وفى حالات الحروب نجد لغات المغزوين تتلاشى أمام لغة الغزاة وتنزوى فى ضعف وتقهقر ، وذلك واضح فى تغلب العربية على لغات البلاد المفتوحة كالقبطية فى مصر والفارسية فى بعض بلاد فارس القديمة والآرامية فى العراق والشام(٥) ، والأرمينية تقهقرت أمام الروسية فى أوربا(٦) ، لأن الضعيف عادة يحب أن يقلد من هو أقوى منه(٧) .

وقد تبقى لغة المغزوين صاحبة الهيبة والاستعمال فى شئون المجتمع فارادة الاغريق ألا يضحوا لغتهم أمام لغة فاتح يحتقرونه هى التى حفظت الاغريقية خلال العصور فلم تستطع التركية يوماً أن تحل محلها أو حتى أن تنال منها ، هذا اذا كثر عدد الغزاة .

أما اذا قل فان لغتهم قد يصيبها الضعف كما حدث للغة النورمانديين بعد غزوهم لانجلترا فقد تغلبت الانجليزية عليها لقلة عدد الغالبين ولم يكن للنورماندية الفرنسية غير أثر قليل فى اللغة الانجليزية(٨) .

فالباحث يرى أن هذه الاتصالات البشرية للمنافع أو للسيطرة واتصال اللغات نتيجة لذلك يعد عاملا من عوامل اختلاف اللغات عن أصلها بما يفرقها الى لهجات « فتطور اللغة المستمر فى معزل عن كل تأثير خارجى يعد أمرا مثاليا لا يكاد يتحقق فى أية لغة ، بل على العكس من ذلك فان الأثر الذى يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها كثيرا ما يلعب دورا مهما فى التطور اللغوى »(٩) .

---

(٥) فى اللهجات العربية : ٢٣ (٦) اللغة ١ ، ٢ .

(٧) اللهجات العربية : ١٦ .

(٨) فى اللهجات العربية ط ٣ ص ٣٤ .

(٩) اللغة ٣٤٨ . ويضيف بعضهم عاملا آخر هو : اختلاف الأفراد فى النطق فسابير يذهب الى أن اللهجات تنشأ من الميل العام الى الاختلاف الفردى فى الكلام ويجعلون من ذلك ما يسمى بالقياس الخاطىء . انظر اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص ٣٩ .

تطبيق تلك العوامل على العربية

وكل تلك العوامل حدثت فى لغتنا العربية التى عاشت فى مناطق مختلفة فقد كانت الصحراء تمثل جانبا من بيئتها الطبيعية ، ثم انتقلت الأمة العربية الى الحضارة فوجدت مناطق زراعية وأخرى تجارية ، وكان لذلك أثره فى اختلاف أحوال أهلها بين تنقل وترحال أو اقامة واستقرار .

ثم خرج العرب من جزيرتهم الى المناطق المجاورة فى الشام والعراق ومصر فالتقت العربية مع أخواتها من الساميات كالعبرية والآرامية وغيرهما كما التقت مع لغات أخرى أجنبية كالفارسية والرومية والقبطية .

وكل ذلك كانت له آثار بعيدة المدى فى ظهور لهجات شتى للغة العربية واليك تفصيل ذلك :

(أ) العامل الاجتماعى والثقافى والجغرافى :

اللغة العربية — وهى احدى لهجات اللغة السامية — كانت واحدة عند الناطقين بها ثم زادت وانقسمت بتأثير الحضارة والتطور ، اذ ان العرب لم تستمر حياتهم على طريق واحدةوفى حدود لا تتغير ، بل انهم — كبقية البشر — تتغير أحوالهم الاجتماعية وما مر بهم من ثقافات ، فدعاهم ذلك الى تطور لغتهم لتناسب مظاهر حياتهم الجديدة .

وقد أخذت العربية فى التطور — كذلك — لانتقالها من البادية الى الحاضرة فبعد أن كانت فى بقعة صحراوية يتمسك أهلها بمنطق آبائهم الفصيح ، بدأت تنتقل بانتقال أهلها الى مجتمع حضارى ، فتتغير على الألسنة وتتطور تبعا لذلك على الرغم من نهجهم طريق السلف ، فأهل

الحضر يتظاهرون بينهم بأنهم قد تركوا وخالفوا كلام من ينتسب الى اللغة العربية الفصيحة ، غير أن كلام أهل الحضر مضاه لكلام فصحاء العرب في حروفهم وتآليفهم ، الا أنهم أخلوا بأشياء من اعراب الكلام الفصيح[١٠] .

والفرق واضح بين صورة لهجات البادية التميمية ، ولهجات الحاضرة الحجازية المتمثلة فى القرشية ، فقد ارتفعت قريش فى الفصاحة عن عنعنة تميم ، وكشكشة ربيعة ، وكسكسة هوازن ، وتضجع قيس ، وعجرفية ضبة ، وتلتلة بهراء « فأما عنعنة تميم فان تميما تقول فى موضع (أن) : (عن) تقول عن عبد الله قائم وأنشد ذو الرمة عبد الملك :

أعن ترسمت من خرقاء منزلة

وأما تلتلة بهراء فانهم يقولون : تعلمون وتفعلون وتصنعون بكسر أوائل الحروف .

وأما كشكشة ربيعة ، فانما يريد قولها مع كاف ضمير المؤنث : أنكش ورأيتكش وأعطيتكش ، تفعل هذا فى الوقف ، فاذا وصلت أسقطت الشين[١١] ، فقريش ما ترفعت عن ذلك الا للثقافات الاجتماعية التى نشأ أهلها عليها كذلك فبيئة الحجاز الحضرية غير الصحراء التى يعيش بها بنو تميم .

(ب) الاتصال البشرى بين العرب وغيرهم :

لم يعش العرب فى عزلة عن غيرهم ، أو عن اتصال بعضهم ببعض ، فالحياة الاجتماعية تحتاج الى صلات وروابط بين الأفراد

---

(١٠) الخصائص ٢٩/٢ .

(١١) المصدر السابق ١١/٢ .

والجماعات والشعوب ، وقد تهيأت لهم وسائل هذا الاتصال عن طريق تبادل المنافع وعن طريق الغزو والسيطرة كما عرفنا ، ولا ريب أن الاسلام — بعد الفتوح — محا ديانات الشعوب التى تغلب عليها واحتلت لغته العربية الصدارة لديها ، فى جميع الأعمال والشئون والمخاطبات العادية .

وقد تأثرت العربية — أيضا — بلغات البلاد المفتوحة وآثرت فيها ، واذا كانت قد كتب لها التغلب ، فانها قد فقدت — أيضا — بعض مميزاتها حتى انشعبت الى لهجات .

ويؤكد ذلك فشو اللحن على ألسنة العرب بعد انتشار الاسلام واتساع رقعة الدولة الاسلامية ، فقد رووا أن النبى ﷺ سمع رجلا يلحن فى كلامه فقال : (أرشدوا أخاكم فقد ضل) ورووا أيضا أن أحد ولاة عمر — رضى الله تعالى عنه — كتب اليه كتابا لحن فيه ، فكتب اليه عمر « أن قنع كاتبك سوطا » وغير ذلك ، مما كان سببا فى وضع علم النحو على يد أبى الأسود الدؤلى ، ولذا منع علماء العربية الاحتجاج بكلام من كانت له صلة بالأمم المجاورة كلخم وجذام .

ومعنى ذلك أن احتكاك الشعوب يؤدى الى احتكاك لغتها[١٢] ، وقد تبرز خصائص احداهما على الأخرى « ولولا مقاومة المجتمع للتفكك اللغوى لأصبح العالم أمام حشد من صور التكلم التى لا تزيدها الأيام الا تفرقا ، ولكن الذين يتكلمون احدى هذه اللغات يميلون دائما الى المحافظة عليها كما هى »[١٣] .

وقد أدى هذا الاختلاط بين العرب والأجانب ممن دخلوا الاسلام

---

(١٢) اللغة : ٣٤٨ .

(١٣) المصدر السابق : ٣٢٦ .

الى تفرع العربية الى لهجات فى البلاد المفتوحة كالمصرية والسورية والعراقية وغيرها من اللهجات التى نرى آثارها حتى اليوم .

(ج) اختلاط القبائل العربية وأثره فى اللهجات :

وان اتصال العربى بأخيه له كذلك أثره فى لهجة كل فريق حيث تؤثر وتتأثر بأختها ، فقد دعت الحاجة الاجتماعية العرب الى التلاقى والتعامل الاجتماعى « فان العــرب بتجــاورهم وتلاقيهم وتزاورهم يجرون مجرى الجماعة الواحدة فى دار واحدة ، وهذا الاتصال الوثيق يؤدى الى اتصال لهجاتهم بعضــها ببعض فبعضهم يلاحظ صــاحبه ويراعى أمر لغته كما يراعى ذلك من مهم أمره »(١٤) .

فلقاء اللهجات مهم للعرب كأمور الحياة الأخــرى التى يلتقون من أجلها ، واذا التقى العربى بغيره حدث واحد من ثلاثة أمور :

— تمسكه بلهجته الأصــلية .

— انتقال لسانه الى اللهجة الجديدة .

— اجتماع لهجته مع لهجة غيره .

وذلك يمكن فهمه من قول ابن جنى :

« اعلم أن العرب تختلف أحوالها فى تلقى الواحد منها لغــة غيره ، فمنهم من يخف ويسرع فيقول ما يسمعه ، ومنهم من يستعصم فيقيم عــلى لغتــه البتة ، ومنهم من اذا طال تكرر لغة غــيره عليه لصقت به ووجدت فى كلامه »(١٥) .

---

(١٤) الخصائص ١٥/٢ ، ١٦ .

(١٥) المصدر السابق ٣٨٣/١ .

فعندما يلتقى العربى بأخيه ويتحادثان أو يسمع كل منهما لغة الآخر فاما أن يحس أحدهما من كلا صاحبه ما يعجبه ، فيتلقف كلماته بسرعة ويترك لهجته الأصلية ، واما أن يستعملها مع لهجته ، واما أن يتعصب للهجته الأولى فيستعصم بها •

ومن أمثلة تمسك العربى بلهجته الأصلية موقف أبى زياد الكلابى من نطق كلمة « النطع » بلهجته الخاصة وعدم اعترافه بغيرها ، فقد سأل أبا عبد الله الأعرابى عن قول النابغة الذبيانى :

على ظهر مبناة • • • • •

فقال أبو عبد الله : النطع بفتح النون فقال أبو زياد : لا أعرفه ، فقال : النطع بكسر النون فقال أبو زياد : نعم ، فقد أنكر غير لغته كما ترى مع ما بينهما من قرب(١٦) •

وليس الغالب أن يبقى العربى على لهجته غير متأثرة بما يجاورها من لهجات اخوانه الآخرين ، بل ان الأعم هو التفاعل بين تلك اللهجات بحيث تأخذ هذه من تلك وتلك من هذه •

ولذلك كان تبادل التأثيرات اللغوية هو الشائع بين تلك اللهجات المتولدة من لغة واحدة •

وقد عقد ابن جنى بابا (فى العربى يسمع لغة غيره أيراعيها ويعتمدها أم يلغيها ويطرح حكمها)(١٧) ذكر فيه سؤال أبى زيد للخليل عن الذين قالوا : مررت بأخواك ، وضربت أخواك ، ممن

---

(١٦) المصدر السابق ١/٣٨٣ •

(١٧) المصدر السابق ٢/١٤ — ١٦ •

يلزمون المثنى الألف ، فقال الخليل : هؤلاء قولهم عــلى قياس الذين قالوا فى ييأس : ياءس ، أبدلوا الياء لانفتاح ما قبلها .

وأخذ ابن جنى يفسر قول الخليل على أن بلحرث بن كعب نظروا فى استعمال أكثر العرب للمثنى بالياء نصبا ، وجرا فجعلوا مــكان الياء ألفا فى لغتهم حالتى النصب والجر ، استخفافا للألف .

وبعضهم فسر قول الخليــل عــلى أن العــرب جميعــا كانوا يستخدمون الياء فى المثنى حالتى النصب والجر الا أن بلحرث بن كعب فضلت استعمال الألف فى أوجه الاعراب كلها ، وان كان القيــاس يقتضى رأى الجمهور .

ورأى بعضهم احتمالا آخر هو : أن بلحــرث بن كعب كانوا ــ كغيرهم من الجمهور ــ يستعملون المثنى بالياء فى النصب والجــر ثم قلبت بلحرث بن كعب الياء ألفا للخفة لأنها أسهل عليهم ، وهذا القلب بسبب الفتحة قبل الياء ، وان لم تكن الياء مفتوحة وهذا قول آخر لأبى الحسن الأخفش .

ولكن ابن جنى لم يرتض هذا التفسير ، لأن الاحتمال الأقوى ــ عنده ــ أن يكون بلحرث بن كعب قد نطقوا بالألف من أول الأمــر ، ولم يكونوا ينطقون المثنى بالياء ، ثم تحولوا الى الألف ، لأن الياء هى القياس للفرق بين المرفوع وغيره ، وهى الأقوى والجماعة عليه ، فكيف ينتقلون من الأقوى الى الأضعف وهم لم ينطقوا قط بالياء ، ولم يبدلوها ألفا ، لكن بلحرث راعت لغة الكافة الكثيرة فصنعوا لغتهم من أول الأمر بالألف ، ولم يعدلوا اليها من غيرها .

وقد عقب ابن جنى عـــلى بعض هذه الأوجـــه بأن صاحب لغة يراعى لغة غيره ، لأن العرب يتصل بعضهم ببعض ، وهم خلق كثير منتشر متجاور لهم علاقات وارتباطات ، وبعضهم يلاحظ صاحبه ، ويراعى أمر لغته كما يراعى ذلك من مهم أمره .

وقد يؤدى هذا التبـــادل للتأثير بين اللهجات — أحيانا — الى انتقال لسان العربى الى غير لهجته اذا كثرت صلاته بها .

وقد تبقى لهجته الأصلية ، مع ظهور سمات خاصة فيها من لهجة غيره ، ولذلك صور متعددة تندرج تحت عنوان :

« تركب اللغـــات »

تركيب اللغــات

اقتضت الحاجة الاجتماعية أن يستعمل العربى ظواهر أو ألفاظ خاصة بلهجة أخيه الى جوار ما يستعمله فى لهجته الأصلية ، ودراسة هذا الموضوع تنحصر فى جانبين :

١ ـ جانب الأبنية • ٢ ـ جانب الألفاظ •

١ ـ التداخل فى الأبنية :

القدماء يجعلون من الممكن شكل عين الثلاثى فى الماضى والمضارع باحدى الحركات الثلاث : الفتحة أو الضمة أو الكسرة ، فيفترضون بالقسمة العقلية تسعة وجوه يرفضون منها ثلاثة ، لأنها لم ترد عن العرب وهى :

ـ فعل يفعل ، بضم العين فى المــاضى وفتحها فى المضارع •

ـ فعل يفعل ، بضم العين فى المــاضى وكسرها فى المضارع •

ـ فعل يفعل ، بكسر العين فى الماضى وضمها فى المضارع[١٨] •

والأوزان الستة التى قبلوها لورودها عن العرب هى :

ـ فعل يفعل ، بفتح العين فى المــاضى وكسرها فى المضارع •

ـ فعل يفعل ، بفتح العين فى المــاضى وضمها فى المضارع •

ـ فعل يفعل ، بفتح العين فى الماضى وفتحها كذلك فى المضارع •

ـ فعل يفعل ، بكسر العين فى المــاضى وفتحها فى المضارع •

ـ فعل يفعل ، بكسر العين فيهما •

ـ فل يفعل ، بضم العين فيهما •

---

(١٨) من أسرار اللغــة ط ٣ ص ٣٠ .

وقد نصوا على أن (فعـل يفعـل) بفتح العـين فى المـاضى والمضارع يكون فيما عينه أو لامه حرف حلق مثل : فتح يفتح ، وقرأ يقـرأ[١٩] كما عدوا باب (فعل يفعل) بكسر العـين فيهما موقوفا على السماع .

وعلى هذا الأساس فكل ما خالف هذه الوجوه التى اعتمدوها يعد شاذا عندهم « ألا تراهم كيف ذكروا ما جاء على فعل يفعـل بكسر العين فى المـاضى وضمها فى المضارع نحو نعم ينعم ، ودمت تدوم ، ومت تموت ، وقالوا أيضا فيما جاء من فعل يفعل بفتح العين فيهما وليس عينه ولا لامه حرفا حلقيا نحو قلى يقلى وسـلا يسلى وجبى يجبى وركن يركن وقنط يقنط[٢٠] .

كما أن المعروف عندهم فى بنـاء الوصف من الفعل الثـلاثى أن المفتوح العين يكون الوصف منه على فاعل ، مثل كتب فهو كاتب ، والمضموم العين يكون منه على فعيل مثل كرم فهو كريم ، وتلك قاعدة مشهورة عندهم فكل ما خالفها عد شاذا .

ومما عدوه شاذا ما ذكروه من فعل بضم العين فهو فاعل نحو حمض فهو حامض وعقرت المرأة فهى عاقر ، ولذلك نظائر كثيرة .

وهكذا شأن كل ما خالف القواعد عندهم ، فانه يوصم بالشذوذ ،

---

(١٩) هذا ما تؤكده التجارب الصوتية الحديثة ، فأصوات الحـلق تحتاج بعد صدورها من مخرجها االحلقى الى اتسـاع فى مخرجها بالفم ، فليس هناك ما يعوق هذا المجرى فى زوايا الفم ولهذا ناسبها من أصوات اللين اكثرها اتساعا وتلك هى الفتحة — انظر فى اللهجات العربية ط ٢ ص ١٢٨ ومن أسرار اللغة ط ٣ ص ٢٤ .

(٢٠) الخصائص ١/٣٧٥ .

ولكن الأجـدى فى ذلك هو الحمل عـلى تركب اللغات ، فهو لغات تداخلت فتركبت وهكذا ينبغى أن يعتقد وهو أشبه بحكمة العرب[٢١] .

وتفسير التداخل فى الأبنية يدعونا الى تقسيمها الى نوعيها :

(أ) أبنية الأفعـال . (ب) أبنية الأسماء

(أ) تفسير التداخل فى أبنية الأفعال :

« دلت الدلالة على وجوب مخالفة صيغة الماضى لصيغة المضارع ، اذ الغرض فى صيغ هذه المثل انما هو لافادة الأزمنة ، فجعل لكل زمان مثال مخالف لصاحبه ، وكلما ازداد الخلاف كانت فى ذلك قوة الدلالة على الزمان ، فمن ذلك أن جعل العرب بازاء حركة فاء المـاضى سكون فاء المضارع ، وخالفوا بين عينيهما فقالوا : ضرب يضرب وقتل يقتل وعلم يعلم » [٢٢] .

والقياس فيما ماضيه (فعل) بكسر العين أن يكون مضارعه على (يفعل) بفتحها نحو : ركب يركب وشرب يشرب ، والقياس — كذلك — فيما ماضيه (فعل) بفتح العين أن يكون مضارعه على (يفعـل) بكسرها نحو ضرب يضرب وسرق يسرق ففى الأول كسرت عين الماضى ففتحت عين المضارع وفى الثانى بالعكس لتحقيق المخـالفة والتناظر بينهما « فكما فتح المضارع لكسر المـاضى فكذلك — أيضا — ينبغى أن يكسر المضارع لفتح المـاضى » .

وانما جاءت المخالفة — أيضا — فيما ماضيه (فعل) بفتح العين مع كسر عين المضارع وضمها فقيل (يفعل) نحو قتل يقتل ودخـل

---

(٢١) المصدر السابق ٣٧٥/١ وانظر المغنى فى تصريف الأفعال للشيخ عضيمة ص ٤٠ وما بعدها .

(٢٢) المصدر السابق ٣٧٥/١ .

يدخل خروجا على القاعدة السابقة التى تناظر بين (فعـل) بكسر العين و (فعل) بفتحها فى عينى مضارعيهما ، من حيث كانت كل واحدة من الضمة والكسرة مخالفة للفتحة ، وا آثروا خلاف حركة عين المضارع لحركة عين الماضى ، ووجدوا الضمة مخالفة للفتحة خلاف الكسرة لها ، عدلوا فى ذلك اليها فقالوا : قتل يقتل ودخل يدخل وخرج يخرج بفتح العين فى المـاضى وضمها فى المضارع[٢٣] .

أما ما نجده من الثلاثى مما تكون فيه حركة عينه فى المـاضى والمضارع سواء وهو باب (فعل) نحو كرم يكرم فعـلى كل حـال فاؤه فى المضارع ساكنة وموافقة حركة عينه ، لأنه ضرب قائم برأسه ، ألا تراه غير متعد بخلاف (فعـل) بفتح العين و (فعـل) بكسرها فأكثره متعد ، فلما خالفهما خولف بينهما وبينه[٢٤] .

وفى الرباعى وما فوقه لم ينظروا الى هذا اللون من المخالفـة « فقالوا دحـرج يدحـرج فحركوا فاء المضـارع والمـاضى جميعا وسكنوا عينيهما ، وكذلك قالوا : تقطـع يتقطـع وتقـاعس يتقاعس وتدهور يتدهور ونحو ذلك لأنهم أحكموا الأصل الأول الذى هو الثلاثى فقل حفلهم بما وراءه[٢٥] .

وهذا كله كان شرحا لقانون المغايرة الذى اعترف به المحدثـون

---

(٢٣) المصدر السابق ٣٧٩/١ وهذا القول تؤيده القوانين الصوتية الحديثة التى تجعل الضمة والكسرة أصواتا ضيقة يقابلها الفتحة التى هى الصوت المتسع ، فـاذا اردنا ان تخالف بين المـاضى والمضارع اخذنا للأول الضمة أو الكسرة واخذنا للمضارع الفتحـة او العكس بالعكس . انظر من أسرار اللغة ط ٧ ص ٣٣ .

(٢٤) المصدر السابق ٣٧٦/١ .

(٢٥) الخصائص ٣٧٥/١ .

وأشــاروا الى أهميته فى الاشــتقاق وعد فيه ابن جنى موفقاً كل التوفيق •

ولو لاحظنا ما وضعه ابن جنى والقدماء من قواعد لاشــتقاق الأفعال — على الوصف السابق — لوجدنا أنها تتفق تماما مع رأى المحدثين فهم حين يعالجون اشتقاق صيغة من أخرى يبحثون عــلى ضوء أسس ثلاثــة :

١ — المغايــرة Polarity التى فطن اليها ابن جنى •

٢ — وظيفة الفعل فى الكلام وتبعا لها يأخذ الفعل حركته بمجرد المصادفة ملتزمة فى اللهجــة الواحدة وتختلف اللهجــات فى ايثــار حركة عــلى أخــرى •

٣ — ايثار الحروف المجاورة[٢٦] فى اللغات السامية لحركات خاصة ومن بينها حروف الحلق •

وبذلك نستطيع أن نقف على أن الأبنية المقبولة للفعل الثــلاثى والتى علل لصحتها ابن جنى « لا يعقل نسبتها للغة موحدة كاللغــة النموذجية الأدبية » بل انها « تنتمى الى عدة لهجات كل منها التزام بابا أو بابين، ويؤيد ذلك ما ورد فىمعاجم اللغة من نحو : فقه بضم العين صار فقيها والكسر لهجة كلاب — سخن مثلثة العين والكسر لبنى عامر —

---

(٢٦) اى لغيرها كامالة حركة ما قبل تاء التانيث مع الحروف المستفلة والنطق بها فتحة مع حروف الاستعلاء فى قراءة الكسائى ، وفى اللهجــة القاهرية نلحظ الارتباط بين الحروف والحــركات فى صيغة (استفعل) فما فيه حروف التفخيم تؤثر عينه الفتحة غالبا حين تكون هذه الحــروف فى الآخر ، او قبل الآخر ، فى حين تؤثر الحروف الأخرى الكسرة مثــل : يستلبخ — يستغطع — يستأمن — يستغفل — يستبشر • (من أسرار اللغة ط ٣ ص ٣٤ ، ٣٥) •

حضر من باب نصر وعلم والأخير لأهل المدينة[٢٧] ، ويؤيد هذا ما نراه فى اللغات السامية شقيقات اللغة العربيــة ففى العبريــة نجد أن الماضى فى الكثرة الغالبة من الأفعال على وزن (فعل) بفتح العين وأحيانا على وزن (فعِل) بكسر العين ثم يندر أن يكون على (فعل) بضم العين ونرى أن مضــارع الأول هو (يفعل) بضم العين ومضارع الوزنــين الأخــيرين (يفعــل) بفتــح العــين ولا نــكاد نجــد فى اللغة العبرية ما يشذ عن هذا ســوى بضعة أفعــال[٢٨] ، واذا تحققنا أن هذه الأبنية هى فى الأصل لهجات للقبائل العربية وأنها قد اتجهت هذه الاتجاهات وتركت ما عداها فلا غرابة فى تفسير ما عد شاذا وخارجا عليها بأنه لهجات تداخلت .

أولا : ما خالف الأوزان المقبولة مثل ما جاء على فعِل يفعُل بكسر العين فى المــاضى وضمها فى المضارع كنعِم ينعُم وفضِل يفضُل فنعم بكسر العين فى الأصل ماضى ينعَم بفتحها وينعُم بضم العين فى الأصل مضارع نعُم بضم العين ثم تداخلت اللغتان فاستضاف من يقول نعِم بكسر العين لغة من يقول ينعُم بضمها فحدثت هناك لغة ثالثة ، فــان قلت : فكان يجب عــلى هذا أن يستضيف من يقــول (نعُم) بضم العين مضارع من يقول (نعِم) بكسر العين فتركب من هذا أيضا لغة ثالثة وهى (نعُم ينعَم) بضم العين فى المــاضى وفتحها فى المضارع ؟

قيل : منع من هذا أن (فعُل) بضم العين لا يختلف مضارعه أبدا وليس كذلك (نعِم) بكسر العين لأن (نعِم) بكسر العين قد يأتى فيه (ينعَم وينعِم) بكسر العين وفتحها جميعا فاحتمل خلاف مضارعه دون الأول[٢٩] .

---

(٢٧) اللسان ٢٧٢/٥ ، ٦٦/١٧ ، ٤١٨ .
(٢٨) من أسرار اللغة ط ٣ ص ٣٢ وما بعدها .
(٢٩) الخصــائص ٣٧٨/١ .

وكذلك (فضل يفضل) : فيقدر أنه جـاء على بابين بكسر العين فى المـاضى وفتحها فى المضـارع ويفتح العين فى المـاضى وضمها المضارع فأخذ المـاضى من اللغة الأولى والمضارع من اللغة الثانية فنشأت لغة ثالثة مركبة منهما(٣٠) •

ثانيا : ما جاء بفتح عينى المـاضى والمضارع وليست العين أو اللام حرفا حلقيا وله أمثلة منها :

قنط يقنط : فيهما لغتـان تداخلتا وذلك أن (قنط يقنط) بفتح العين فى المـاضى وكسرها فى المضـارع لغة ، و (قنط يقنط) بكسر العين فى المـاضى وفتحها فى المضارع لغة أخرى ثم تداخلتا فتركبت لغة ثالثـة فقال من قال : قنط يقنط بفتح العين فيهما ولم يقولوا : قنط يقنط بكسر العـين فيهما لأن آخـذا الى لغته لغة غـيره قـد يجوز أن يقتصر على بعض اللغة التى أضافها الى لغته دون بعض •

وكذلك : ركن يركن : فيـه لغتـان : ركن يركن كعـلم يعلم وركن يركن كقتل يقتل وحـكى عنهم : ركن يركن (فعل يفعـل) بفتح العين فيهما وهذا عند أبى بكر من اللغات المتداخلة كأن الذى يقول (ركن) بفتح الكاف سمع مضارع الذى يقول (ركن) بكسرها وهو (يركن) فتركبت له لغة بين اللغتين وهى : ركن يركن بفتح العين فيهما(٣١) • فأما الأفعال التى جاءت عينا المـاضى والمضـارع فيها متوافقتين بالكسر مثل نعم ينعم وحسب يحسب ويئس ييئس فقـد علل ابن جنى لها باحتمال التداخل وغيره تبعا لأنه لم يعرف لها ماض آخر مع (فعل) بكسر العين يكون مفتوح العين يمكن به القطع بأنها من تداخل اللغات — على ما يرى — فقد أتى ماضى هذه الأفعال على (فعل) بكسر العين أو (فعُل) بضمها وكل منهما لا يأتى مضارعه

---

(٣٠) المصدر السابق ٣٨٠/١ ، ٣٨١ والمحتسب ٥/٢ .
(٣١) المحتسب ٣٢٩/١ ، ٥/٢ .

عـلى (يفعل) بكسر العـين لأن قـانون المخـالفة يقتضى أن يكون مضارع (فعل) بكسر العين (يفعل) بفتحها ومضارع (فعل) بضم العين (يفعل) بضمها وقد جاءت كلها بالكسر فى المـاضى والمضارع فيحتمـل :

١ ــ أنها من باب التداخل الا أن المـاضى من اللغة الأخـرى مفقود وهو : « حسب ــ نعم ــ بأس ــ يبس بفتح العين » واستغنى عنه بالمـاضى الموجـود : « حسب ــ نعم ــ بئس ــ يبس بكسر العين » كما استغنوا بترك عن وذر وودع ونحـو ذلك(٣٢) ويؤيده ما حكاه السيوطى عن الكسائى(٣٣) .

٢ ــ أنها ليست من باب التداخل بل قيل (ينعم) بكسر العين فى المضارع موافقة لمـاضيه (نعم) على (فعل يفعل) بكسر العين فيهما تشبيها له بباب (فعل يفعل) مما يوافق فيه المضارع المـاضى بالضم « فكما أن فعل بضم العين بابه يفعل بضمها كذلك شبهوا بعض (فعل) بكسر العين به فكسروا عين مضارعه كما ضموا فى ظرف عين ماضيه ومضارعه فنعم ينعم بكسر العـين فيهما محمول عـلى كرم يكرم (٣٤) وحسب يحسب ويئس ييئس وييس ييبس بكسر العـين فيها جميعا مشبه بباب كرم يكرم على ما قلنا فى نعم ينعم كسر العين فيهما(٣٥) .

(ب) تفسير التداخل فى أبنية الأسماء :

عرفنا أن للعرب قواعد خاصة فى أشتقاق الأوصاف من الأفعال ،

---

(٣٢) الخصائص ٣٧٨/١ ، ٣٨٨ واللسان ٣٥٥/١ ، ١٤٦/٨ ، ١٤٨ والبصريون وسيبويه يردون هذا الرأى ، انظر اللسان ١٤٧/٨ والكتاب ٢٢٧/٢ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

(٣٣) المزهر ١٩٤/١ .

(٣٤) الخصـائص ٣٧٩/١ .

(٣٥) المصدر السابق ٣٨٠/١ .

فمن الثلاثى المفتوح العين تأتى على فاعل ، ومن المضموم العين تأتى على فعيل ، وما جاء مخالفا لذلك عده الصرفيون شاذا ، ولكن ابن جنى يخرج بعضه على أنه من باب تداخل اللغات فقولهم : « شعر فهو شاعر وحمض فهو حامض وخثر فهو خاثر وطهر فهو طاهر بضم العين فى جميع الأفعال على نحو من هذا وذلك أنه يقال : شعر وحمض وخثر وطهر بضم العين وفتحها فى جميع الأفعال فجاء شاعر وحامض وخاثر وطاهر على شعر وحمض وخثر وطهر بفتح العين فى جميع الأفعال ثم استغنى بفاعل عن فعيل وهو فى أنفسهم وعلى بال من تصورهم ، يدل على ذلك تكسيرهم لشاعر على شعراء لما كان فاعل واقعا موقع فعيل كسر تكسيره ليكون ذلك أمارة ودليلا على ارادته وأنه مغن عنه وبدل منه »[٣٦].

وقد عد ابن جنى من التداخل قراءة « والسماء ذات الحبك » يقول : لعل الذى قرأ به تداخلت عليه القراءتان بالكسر والضم فكأنه كسر الحاء يريد الحبك بكسر الحاء والباء وأدركه ضم الباء على صورة الحبك بضمهما فجمع بين أول اللفظة على هذه القراءة وبين آخرها على القراءة الأخرى[٣٧] ، ولا يأتى اعتراض الرضى على ابن جنى فى هذا الرأى بأن : « الحبك بضمتين جمع الحباك وهو الطريقة فى الجبل ونحوه والحبك بكسرتين مفرد وأنه يبعد تركيب اسم من مفرد وجمع[٣٨] ، وذلك كما يقول

---

(٣٦) المصدر السابق ٣٨١/١ .

(٣٧) المحتسب ٢٨٧/٢ .

(٣٨) شرح الشافية ١٠ ، ١١ ط ١٣٤٥ وفى الصبان اعترض بان التداخل فى جزءى الكلمة الواحدة غير معهود انما المعهود التداخل فى الكلمتين نحو كدت بضم الكاف تكاد فان كدت بالضم على لغة من قال كاد يكود واكاد على لغة من قال : كاد يكاد ٢٣٨/٤ ، ٢٣٩ وقال أبو حيان : كسرت الحاء اتباعا لكسرة ذات وال حاجز غير حصين واعترض عليه أيضا بأن (ال) كلمة برأسها فهى حاجز قوى يمنع من الاتباع انظر المصدر السابق ٢٣٩/٤ .

محققو المحتسب : « مسلم فى التركيب من لغتين لأنه — حينئذ — أخذ من مفرد وجمع أما التركيب من قراءتين — ان صح الأخذ به — فلا يبدو بعيدا لأن قراءتى الجمع والمفرد مرويتان والقارىء بالتركيب منهما يريد أن يروى ما يؤثر لا التعبير عما يريد التعبير عنه ، وهذا فيما يبدو لى أصوب من اعتبارها خارجة على القواعد وقد حاول ابن جنى وصفها بذلك أولا ثم بدا له تخريجها على هذا الوجه المقبول ، ويكن ادراك الوصف الأول من قوله : « وأما الحبك بكسر الحاء وضم الباء فأحسبه سهوا وذلك أنه ليس فى كلامهم فعل أصلا بكسر الفاء وضم العين وهو المثال الثانى عشر من تركيب الثلاثى فانه ليس فى اسم ولا فعل أصلا »(٣٩) .

وقد اعتبر الدكتور أنيس القول بالتداخل فى الصيغ « ناحية صناعية بحتة لا تسوغها تلك الأمثلة التى رواها ابن جنى فضلا عن أنه لم يبين كيف تتداخل اللغات ولا الدوافع التى قد تدعو لمثل هذا التداخل فافتراض أن لهجة من اللهجات تستعير طريقة النطق بالماضى فقط دون مضارعه أو المضارع فقط دون ماضيه أمر بعيد الاحتمال وذلك لأن الأوزان لا تستعار وانما الذى يستعار هو الكلمات وليس هناك من مسوغ يمكن معه أن تنتقل القبيلة أو الرجل فيها من قوله نعم ينعم بكسر العين فى المضى وفتحها فى المضارع الى نعم ينعم بكسر العين فى الماضى وضمها فى المضارع(٤٠) ، وقد ساق أدلة لرأيه هذا :

(أ) من كلام ابن جنى نفسه من بعض القصص التى تقوم حجة عليه لا له فمن ذلك ما روى عن أبى حاتم قال : قرأ على أعرابى

---

(٣٩) المحتسب وتعليق المحققين ٢/٢٨٧ .

(٤٠) فى اللهجات العربية ط ٢ ص ١٥٣ ، ١٥٤ بتصرف يسير ومن أسرار اللغة ط ٣ ص ٣٠ .

حجة عليه لا له فمن ذلك ما روى عن أبى حاتم قال : قرأ على أعرابى بالحرم (طيبى لهم وحسن مآب) فقلت : طوبى فقال : طيبى قلت طوبى قال طيبى فلما اشتد على قلت : طوطو فقال طى‌طى(٤١) .

(ب) نلحظ فى اللهجات الحديثة أن الرجلين من أبناء لهجتين مختلفتين قد يلتقيان ويصادق أحدهما الآخر زمانا طويلا وكل منهما يلتزم لهجته وما نشأ عليه فاذا تأثر أحدهما بالآخر وأخذ يقلده فى لهجته لسبب من الأسباب تكلم كل منهما بعد مران طويل ومخالطة مستمرة لهجة واحدة أما أن تمتزج اللهجتان وينشأ منهما لهجة ثالثة فليس مما يقره المحدثون من الباحثين فى اللغات .

وقد اقترح الدكتور أنيس حلا لتلك المشكلة التى أعيت القدماء أن تجمع كل الأفعال الثلاثية ماضيها ومضارعها ثم تبوب وتنسق وينظر اليها على أنها تنتمى الى لهجات متعددة ، .. ، وقد قام هو بنفسه بعملية الجمع والتبويب هذه متخذا القرآن الكريم ومعاجم اللغة مصادر لبحثه وقد خرج من ذلك بنتائج يمكن حصر أهمها فيما يأتى :

١ — الماضى المفتوح العين يكون مضارعه مضموم العين أو مكسورها الا حين تكون لامه أو عينه من حروف الحلق فتفتح مع استثناء الأفعال القرآنية : نزع — قعد — رجع — بلغ — زعم — نفخ — نكح .

٢ — الماضى المكسور العين لا يكون مضارعه الا مفتوح العين .

٣ — جعل باب (فعل يفعل) بضم العين فيهما (الذى لم يعثر

---

(٤١) الخصائص ١/٣٨٤ .

فى القرآن الكريم لــه الا على فعلين كبر وبصر) فرعا لصيغة (فعل) وأنه لا يلجأ اليها الا حين يراد المبالغة فى معنى الحدث .

٤ ــ لا يوجد فى القرآن الكريم باب (فعل يفعل) بكسر العين فى المــاضى والمضارع[٤٢] .

٥ ــ الأفعال المشــتركة التى ورد لكل منها أكثر من باب ولم يختلف معناها قسم الاشتراك بينها الى : الاشتراك بــين بابى نصر وضرب ــ بين بابى ضرب وفرح ــ بين بابى نصر وفرح ــ بين بابى فرح وكرم ــ بين باب كرم وبابى ضرب ونصر ، وقــد جعــل لكل من هذه الأقســـام بابا أصليا واحــدا يطرح ما عداه الا فى القليــل النادر الذى يأخذ وضــعا خاصا ، وبنى هذا الحــكم عــلى تقسيم المحدثين للأفعال الى اختيارية واضطرارية والاختيارية فى عرفهم هى التى لنا اختيار فى حدوثها ولو كانت مما يعده القدماء لازما كجلس وقعد ، والاضطرارية عندهم بعكس ذلك وهى ما ليس لنا اختيار فى حدوثها مثل كبر وضعف وقد لاحظ المحدثون أن كلا من هذين النوعين يختلف عن الآخر فى صيغته فبينما يؤثر أحدهما حركة من الحــركات يؤثر الآخر حركة أخرى[٤٣] ، وبناء على ذلك حكم بأن الاشتراك فى بابى نصر وضرب يجب أن ينسب الى لهجتــين مختلفتــين ؛ وربما كانت تلك الأفعـــال من هذا النـــوع تستعمل فى لهجة واحــدة ، أما

---

(٤٢) من أسرار اللغة ط ٣ ص ٤١ وفى اللهجات العربية ط ٢ ص ١٥٧ .

(٤٣) يفهم من تفسيره للأفعال ان الحركة للفعل الاختيارى تكون عادة الفتحة فى المتعدى وبذلك يكون هو الأصل وفى الاضطرارى الكسرة والضمة فى اللازم ويفاضل بينهما عند الاجتماع فتقدم الكسرة على الضــمة فتعد صاحبة الباب .

الاشتراك فى بابى ضرب وفرح أو فى بابى نصر وفرح فاذا كان الفعل من الأفعال الاختيارية حددنا له باب نصر أو ضرب وضربنا صفحا بباب فرح الذى نسبته له المعاجم أما اذا كان من الأفعال الاجبارية حددنا له باب فرح وضربنا صفحا عن باب نصر أو ضرب ، والاشتراك فى بابى فرح وكرم يجعلنا نحكم بأنها من الباب الأول وحده ، فاذا كانت الأفعال المشتركة من باب كرم وبابى ضرب ونصر فسرناها على أن معناها من باب كرم قد قصد فيه المبالغة وأن الفعل من بابى نصر وضرب قد حول الى كرم للرغبة فى جعل المعنى من الصفات الغرزية الثابتة[٤٤] ، ونحن نجيب :

١ — بأن تداخل اللغات ليس عملية صناعية بحتة بل استمدها ابن جنى من واقع اللغة وأتى بأمثلة مستعملة فى العربية الفصحى والقراءات القرآنية وقد أبان ابن جنى عن الأغراض التى دعت العربى الى الاقتباس من لغة أخيه وهى كثرة الخلاط معه لما يحتاجه فى حياته بجوانبها المتعددة وقد بينا ذلك بوضوح فى أسباب نشأة اللهجات فى اللغة بما يبرهن على أن ابن جنى تكلم عن دوافع الانقسام والأخذ عن الآخرين عربا وغير عرب •

٢ — القصة التى أوردها الدكتور أنيس رواية عن ابن جنى ان دلت[٤٥] على امتناع تحول العربى عن لهجته الى لهجة غيره فهناك — فيما روى عن ابن جنى أيضا — قصصا كثيرة تدل على تحول اللسان من لهجة الى أخرى ويمكن أن ننقل القصة التى ذكرت عقب تلك القصة

---

(٤٤) من أسرار اللغة ط ١٩٥١ ص ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ وانظر مؤتمر المجمع اللغوى الدورة (١٦) ١٩٤٩ — ١٩٥٠ .

السابقة التى رواهـا الدكتور أنيس ونجتـزىء بها عن غـيرها :
« فقد روى أن أبا عمرو سأل أبا خيرة عن قولهم استأصل الله عرقاتهم فنصب أبو خيرة التاء من عرقاتهم فقال له أبو عمرو : هيهات أبا خيرة لان جلدك » والأعرابى قد ينطق بالكلمة يعتقد أن غـيرها أقوى فى نفسه منها ، ألا ترى أن أبا العباس حكى عن عمارة أنـه كان يقرأ « ولا الليل سابق النهار » بالنصب دون تنوين سابق قال أبو العباس : فقلت لـه : ما أردت ؟ قال : سابق النهار بتنوين سابق فقلت لـه فهلا قلته ؟ فقال : لو قلته لكان أوزن أى أقوى ....(٦٤) ، فكما أن العربى يتمسك أحيانا بلغته ويعتصم بها قد ينتقل هو أو غـيره الى لغة أخرى فصيحة أو غيرها أو يتأثر بتلك اللغة بما يظهر فى لهجتـه التى يستعملها كما أوضح ذلك أبو الفتح ابن جنى .

٣ ـ تصور الدكتور أنيس لاثنين يعيشان معا ثم لا تتأثر لهجة أحدهما بلهجة الآخر تصور بعيد ، فالانسـان منا فى حياته العادية اذا عاشر انسانا دون أن يسكن معه فقد تتسرب على مر الزمن بعض خصائص لهجته اليه وقد ينطق بها أحيانا بلا شعور منـه أو ارادة وذلك واضح ملموس فما بالنا باثنين يعيشـان معا فى بيت واحد ؟ أن ذلك ولا شك سيترك أثـرا يعـد خليطا من لهجتيهما ، ولم تنشأ اللهجات العربية الا من هذه المخالطة بين العرب وغيرهم بما تعد بـه خليطا من مواد وطرائق عربية ممزوجة بغيرها من سـمات اللغات الأخرى التى اتصلت بها وعاشرتها مع أهلها .

---

(٤٥) لأن الواضح منها تعنت هذا العربى فى معارضة أبى حاتم .

(٤٦) الخصائص ٣٧٣/١ ، ٣٨٤ ، ١٣/٢ فى قصة أبى خيرة .

على أن الدكتور أنيس نفسه يميل الى قبول معنى التداخل ويظهر ذلك من عبارات له تفيد توقعه لصحة هذا الرأى ، فقد دافع عن ابن جنى بقوله « لعل ابن جنى أراد بتداخل اللغات أنه قد يتصادف أن نجد فى لهجة من اللهجات فعلا أو فعلين لا يتبعان طريقة الاشتقاق فى الأفعال الأخرى مثل نعم ينعم بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع وحينئذ نعلل مثل هذه الأفعال بأن الماضى أو المضارع غريب على هذه اللهجة أو أنه على هذه الصورة مستعار من لهجة أخرى تحت تأثير ظروف خاصة به ، وعندما وقف أمام الأفعال (نكح — نزع — رجع — بلغ — قعد — زعم — نفخ) ليفسرها أطلق لقلمه أن يقول : « يظهر أنها تنتمى فى صيغتها للهجة أخرى غير اللهجة القرشية ••• وليس معنى هذا استعارة الصيغة أو طريقة الاشتقاق وانما معناه استعارة هذه الأفعال بصيغتها الشائعة فى مصدرها الأصلى » •

وأنا أفهم من مجرد أنها مستعارة معنى التداخل والا فكيف يمكن تصور ذلك دون هذا المعنى ولا فرق أن تكون مستعارة بلفظها أو بصيغتها فمجرد الاستعارة يعطيها هذا المفهوم الواضح الواقعى ، على أن كلام الدكتور أنيس يدل على نظرة ليست قاطعة فعباراته تمتلىء بأسلوب : يظهر — وربما — ولعل — فاذا صح(٤٧) وفى تعليقه على تقسيم الأفعال الذى اقترحه لم يكن جازما أيضا •

ولذلك يقول :

« ولعل من القبائل من كانوا يؤثرون صيغة (فعل يفعل) بكسر العين فى الماضى وضمها فى المضارع ولعل منها من كانوا يقولون (فعل يفعل) بضم العين فى الماضى وفتحها فى المضارع الى غير

---

(٤٧) ن أسرار اللغة ط ٣ ص ٣٠ ، ٣١ ، وفى اللهجات العربية ط ٢ ص ١٥٩ •

ذلك من الاحتمالات التى ستكشف عنها بحوث المستقبل »[٤٨] .

(جـ) التداخل فى الألفاظ :

وذلك بأن تضع قبيلة لفظا من الألفاظ لمعنى وتضع له قبيلة أخرى لفظا آخر فينتقل لفظ احدى القبيلتين الى الأخرى وتستعمله استعمالها للفظها[٤٩] ، ومن ذلك ما يلاحظ من اجتماع لهجتين عند رجل واحد يورد لفظتين أو أكثر لمعنى واحد فى لغته واذا كثرت على المعنى الواحد ألفاظ مختلفة فسمعت فى لغة انسان واحد فان أحرى ذلك أن يكون قد أفاد أكثرها أو طرفا منها ، من حيث كانت القبيلة الواحدة لا تتواطأ فى المعنى الواحد على ذك كله ، هذا فى غالب الأمر[٥٠] ومعنى ذلك أن الترادف ينشأ من اختلاف اللهجات واجتماعها ويمكن ادخاله تحت (تداخل اللغات)[٥١] .

وقد يكون اللفظ واحدا مختلف الصورة من ناحية البنية وأحكامها الصرفية أو الصوتية فتستعمل احدى القبائل الصورة المستعملة للفظ عند غيرها من شقيقاتها ، فما يتعلق بالبنية والصرف كاستعمال فعلَ وأفعل بمعنى واحد فى قول الشاعر :

سقى قومى بنى مجد وأسقى نميرا والقبائل من هلالْ

---

(٤٨) وقد كان رأيه محل نظر من أعضاء المجمع اللغوى . انظر مؤتمر المجمع الدورة (١٦) .

(٤٩) فقه اللغة د. نجا ٢٦/٤ .

(٥٠) اذ من الجائز أن تكون قبيلته قد وضعت الألفاظ جميعا لهذا المعنى وذلك احتمال ضئيل . الخصائص ٣٧٠/١ — ٣٧٣ .

(٥١) هناك المشترك والمتضاد وفيه تجتمع عدة معان للفظ واحد وبعضها ينشأ من اجتماع اللهجات ايضا فيمكن أن يسمى ذلك تداخلا .

واستعمال صلة الضمير مرة وعدم استعمالها مرة أخرى فى قول الشاعر:

فظلت لدى البيت العتيق أخيلهو   ومطواى مشتاقان له أرقان

واستعمال الصلة رأى الجمهور وحذفها لغة لأزد السراة .

ومما يتعلق بالناحية الصوتية : الابدال فى مثل سكر طبرزل وطبرزن ، وأيم وأين للحية ، فتلك لهجات مختلفة كما يصرح ابن جنى[٥٢] .

وقد اعترض الدكتور أنيس — كذلك — على تداخل اللغات فى الألفاظ بمعنى أن العربى قد يستعمل خصائص من لهجة غيره مع لهجته ، فلكل لهجة صفات خاصة بها ، وليس من المرجح أن يجتمع فى اللهجة الواحدة صفتان مختلفتان فى أمر واحد[٥٣] .

والواقع أن ذلك ليس بممنوع ، فالفرد منا ينتقل من بلدته ويذهب الى غيرها فتتغير على لسانه بعض النواحى الصوتية ويميل الى استخدام ألوان جديدة من البيئة التى انتقل اليها اما للحاجة أو للتظاهر ومجاراة الأوضاع الجديدة وقد تصبح مع مرور الزمن طبيعية عنده[٥٤] .

وتعترف جمهرة الباحثين بالتداخل ، فأستاذنا الدكتور نجا يعترف بالتداخل ، ويعده من نظرات ابن جنى الثاقبة فى دراسته اللغوية ، ومن الأمور الهامة التى عرض لها ، لأنه أبان عن توليد أبواب جديدة لا تتفق والقواعد المعروفة نتيجة لاختلاط الاستعمالات

---

(٥٢) الخصائص ٧٠/١ وما بعدها .

(٥٣) فى اللهجات العربية ص ١٥٢ .

(٥٤) مثل : عليه بفتح اللام وكسرها ، عملت بفتح العين والميم وكسرهما ونحو ذلك مما نجده فى بيئاتنا .

العربية الناجمة عن كثرة ارتحال العــرب من مواطنهم طلبا للعيش الذى ينشدونه[٥٥] ، وعقد فصلا خاصا من كتابه بعنوان « تداخــل اللغات وتوافقها » بين فيــه كيف تتداخــل اللغات وأســباب ذلك ونتائجــه[٥٦] .

والأستاذ العلايلى يعترف أيضا بتداخل اللغات وعقد له فصلا فى كتابه « مقدمة لدرس لغة العرب » وعده ذا أثر فى توليد عدد من المواد والمشتقات الا أنه يقول :

أظن أن من الخطــأ الشك فى تأثيره وعمله ، كذلك أظن أن من الخطأ المبالغــة فى عمله الى الحــد الذى يصطنعه دارسو اللغــة اليــوم .

ويفسر ما حكاه ابن جنى من باب التداخل فى أبنية الأسماء مثل طهر فهو طاهر وشعر فهو شاعر على أنه ليس من تداخــل اللغات ، بل من تداخل الأوضاع بنسيان الخصوصية أو بتقاربها (قالوا أحب الرجل ومفعوله محبوب وحب وفاعله محب) واستغنوا بهذه المداخلة غير المقصودة عن حاب ومحب لتقارب الخصوصية بين المزيد والأصل ، وأكثر ما يأتى من ذلك يعد فى نظره أثريات مضمحلة أو تنويعات لم تتعمم[٥٧] .

ويتخذ الأستاذ العلايلى من التداخل طريقا الى الاستفادة من النظام الجديد الذى يحاول تطبيقه فى اللغة العربية « ففى العمــل اللغوى الجديد يمكن أن نداخل مثلاً فى هلك يهلك بــين بابى ضرب وطرب ، وباب ضرب هو الأصل ، وباب طرب يدل عــلى المفاجأة ، فنداخل بينهما لافادة شىء يجىء تارة مفاجئا وتارة على الطبيعة ،

---

(٥٥) فقه اللغــة ط الجديدة ٤/١٦ ، ١٧ بتصرف .

(٥٦) المصدر السابق ٢٥ — ٢٧ .

(٥٧) مقدمة لدرس لغة العرب ٢٢٧ .

فاذا حللنا عليه (هلك) مثــلا دلت من باب (ضرب) عــلى الهلاك الطبيعى ومن باب (طرب) على الهلاك الفجائى •

وفى التداخل على الهلاك مما لا ينتظر كالموت من الجرح اليسير بالتسمم ، ويسمى هذا العامل بعد تقريره على هذا الوجه بتداخــل الأوضـــاع(٥٨) •

ويفسر اختــلاف أبنية الأفعال عــلى أنها تمثل مراحل التطور التى مرت بها لغتنا العربية ، وأن العربى فى طور الاستقرار حــاول تصحيح المــاضى عــلى الفتح والمضــارع عــلى الكسر ، وأمــات باب نصر والباب السادس ، وقرر الباب الثالث فيما كان حلقى العين أو اللام وبقيــة الأبواب يلجأ اليها لحاجات معنويــة ، وما وقــع حلقيا وليس من هذا الباب فأثرى(٥٩) •

والحق أن رأيه فى أبنية الأفعال وتطورها واستخدام التداخل فى الوضع اللغوى الجديد اقتراح لا نعلم أن علماء اللغة المحدثين قد وافقوه عليه •

---

(٥٨) المصدر السابق : ٢٢٩ .
(٥٩) المصدر السابق : ١٦٨ ، ١٦٩ .

البَابُ الثالثُ

التوحد اللغوى والعربية الباقية

التوحد اللغوى بين اللهجات :

يحتاج الناس الى اتصال بعضهم ببعض أفرادا وجماعات وأمما ، ولهذا الاتصال آثاره اللغوية ، فلهجات ولغات تلك الجماعات والأمم تتلاقى ويستفيد بعضها من بعض ، والتأثر الذى يعترى لهجات اللغة الواحدة قد يبدو عاديا حين لا يكون الاختلاط بين الطبقات كبيرا كلهجات القرى والمدن فى أية دولة ، فلكل منها سمات تمتاز بها من الأخرى ، وبينها اشتراك فى مظاهر كثيرة تستخدمها من اللغة العامة ولذا لا تستعصى احداها على الفهم خارج حدودها ، اللهم الا فى حالات العزلة التى تعيش فيها بعض القرى والأماكن النائية أو الأقاليم التى تفصل بعضها عن بعض أمور جغرافية واجتماعية شانها تؤدى الى ظهور سمات تنفرد بها لهجاتها ، وقد تستعصى على فهم غيرها من البلاد النائية عنها قرية كانت أو مدينة ، وحين تتجاور اللهجات الخاصة فى المدن الكبرى والقرى المجاورة لها تزيد درجات التأثر ، ففى داخل المدن يكثر الاختلاط بين الطبقات ويحاول الأدنى تقليد الأرقى ، ومع ذلك تبقى لكل لهجة خصائصها المميزة ، وسكان القرى المجاورة للمدن يحاولون التخلى عن خصائص لهجاتهم وتقليد المدينة ، لأن حضارة أهل المدن وثقافتهم تجعل الرغبة فى تقليدهم ملحة لدى الريفيين .

وقد أجريت بحوث فى هذا الحقل أوضحت عوامل تفوق لهجة على أخرى ، وهى تعود فى معظمها الى الثقافة والحضارة والنفوذ والسلطان وعدد الناطقين ونحو ذلك فاذا انفردت احداها بمزية بأن كانت أكثر ثقافة أو حضارة أو ذات نفوذ سياسى أو تجارى أو دينى واسع أو كثر عدد الناطقين بها فان ذلك يدعو الى تغلبها على

أختها أو أخواتها من اللهجات الأخرى ، وقد حــدث هذا كثيرا فى التاريخ اللغوى فاللاتينية التى صــارت لغة ايطاليا المشتركة وأخيرا لغة العالم بأسره كانت لغة روما أولا وقبل كل شىء ، أى لغة المدينة فى مقابلة الريف المجاور واللهجات القاصية على السواء[1] .

واللهجة الباريسية أصبحت لغــة فرنسا بتغلبها عــلى اللهجات الأخرى (فالفرنسية انما خرجت من العاصمة ومن طبقــة اجتماعية بعينها من طبقات العاصمة وهى البرجوازية ، وقد استقرت فى القرن التاسع عشر وسلم بها القصر ثم الأقاليم والكتاب الكبار باستعمالهم اياها زودوها بالقدرة على فرض نفسها نهائيا وعلى استمرارها لذلك لا نكاد نحس فيها أثرا للهجات)[2] .

ولهجة فلورنسا كانت مزاياها الذاتيــة ترشحها أكثر من غيرها للقيام بدور اللغة المشتركة اذ كانت أقرب من غيرها الى اللاتينية[3] . ولهجــة فلورنسا (فى ايطاليا) لهجــة المجتمع الراقى بهذه المدينة هى التى صارت لغة ايطاليا .

ولهجة قريش تغلبت على سائر لهجــات الجزيرة العربية قبــل الاسلام لتحقق النفوذ السياسى والاقتصادى والدينى لها .

ويمكن أن تنشأ على أثر ذلك لغة مشتركة تحمل خصائص اللهجة المتغلبة وما بقى من خصائص اللهجات الأخرى المنحدرة .

وهذا التوحد اللغوى — الذى أشرنا اليه — يخضع لعوامل كثيرة أهمهــا :

---

(١) اللغــة لفندريس : ٢٢٩ .

(٢) المصدر السابق : ٣٣٠ .

(٣) اللغة : ٣٣٥ .

١ ـ العامل السياسى :

فخضوع عدة مناطق لنظام سياسى واحد يؤدى الى تقارب لهجاتها ثم توحدها فى لغة عامة ، فالساسة والحكام يجردون أحاديثهم العامة فى مختلف المناطق من المظاهر الصوتية والصرفية والمعجمية وغيرها مما يختص بلهجة قرية أو مدينة معينة أو طائفة حرفية ولو كان الحاكم من أبنائها ليكون ما يوجه الى الشعب مفهوما لدى كل الطبقات الاجتماعية ونلاحظ أن عاصمة الدولة تكون محط أنظار قاطنى المناطق الأخرى فيحاولون تقليد لهجاتها والتخلى عما تنفرد به لهجاتهم الأصلية ومن هنا تنشأ لغة عامة خالية الى حد كبير من خصائص اللهجات المحلية ، ويمكن أن نمثل لذلك بامتداد نفوذ الفرنسية التى كانت لهجة باريس ثم انتشرت فى جميع البلاد الداخلة فى المجال السياسى الفرنسى .

واللاتينية صارت لغة ايطاليا المشتركة ، وأخيرا لغة المجتمع الغربى بأسره[٤] تبعا للنظام السياسى وذلك فى الامبراطورية الرومانية[٥] القديمة وعدم خضوع الدولة لنظام سياسى واحد يضع الصعوبات فى طريق التوحد اللغوى ، فألمانيا التى ظلت قرونا ولايات مستقلة سياسيا وبدون عاصمة مثل على عرقلة الحالة السياسية لظهور لغة عامة[٦] .

وكانت تبدو آثار اللهجات المحلية فى عامية متعلمى الألمان حتى فى أيامنا هذه أكثر من غيرها من البلاد الأوربية[٧] ، ولذا قام انتشار الألمانية المشتركة فيها على أسباب مستقلة عن كل وحدة

---

(٤) اللغة : ٣٢٩ .
(٥) اللغة والمجتمع د. محمود السعران ص ١٧٤ .
(٦) المصدر السابق : ١٧٤ .
(٧) اللغة : ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

سياسية ، فالألمانية المشتركة أولا وقبل كل شيء لغة كتابة تدين بنجاحها الى أسباب دينية كما تدين بأصلها الى الرغبة فى الاستعمار ، وكانت هناك حركة مارتن لوثر وترجمته للكتاب المقدس ، وهناك لغة المستشاريات فى المدن والامارات الألمانية ، والألمانية كانت تحتل الأراضى السلافية قدما بقدم وتحل محل اللغات السلافية فتكونت الألمانية المشتركة فى مدن الاستعمار فى ألمانيا الشرقية ، تلك اللغة التى وصلت بفضل الاصلاح الدينى الى أهميتها الأدبية واستقرت بفضل اكتشاف المطبعة وصارت لغة الكتابة فى ألمانيا المثقفة بأسرها(٨) .

٢ ــ العامل الاجتماعي والاقتصادى :

تقوم بين جماعات الشعب روابط النسب والمصاهرة ، ويلتقون للتجارة وتبادل المنافع فى شتى المجالات ، وقد تنشب بينهم المنازعات ، وهذا يؤدى الى اختلاطهم وقوة الاتصال بينهم ولذلك أثره فى التقريب بين اللهجات وظهور لغة عامة تتلخص من السمات التى تنفرد بها كل لهجة .

ومن الأمثلة التى توضح أثر هذا العامل ما حدث للهجات الجزيرة العربية من توحد ــ فى لغة عامة ــ قبل الاسلام بحوالى قرن ونصف أو قرنين من الزمان ، لما كان بين أهلها العرب من ارتباط فى النسب وعلاقات المصاهرة الوثيقة والجوار والتعامل التجارى وغيره من الصلات الاجتماعية .

٣ ــ العامل الأدبى :

الأدب وسيلة مهمة من وسائل التوحد اللغوى ، فالأدباء من قصاص وشعراء يكتبون أدبهم بلغة يفهمها جميع الشعب بمختلف

---

(٨) المصدر السابق .

طبقاته ، ليروج ويذيع ، وتلك اللغـة التى يكتبون بها تتخلص من الخصائص المتعلقة باللهجات المحلية لأى اقليم من أقاليم الدولـة ، وهذا يهيىء سبيل التوحد للهجات الجماعات المتعددة .

وقد سادت عند العرب لغة عامة صيغ بها النثر والشعر اللذين عنيت بهما الأسواق الأدبية كعكاظ وذى المجاز والمجنة ، وكم جرى التنافس والمبارزة بين الشعراء فى هذه الأسواق ليحكم لهذا بالتفوق على ذاك وكانت تلك الأشعار مصدر امتاع للجماهير العربية ، وساعد ذلك على ظهور لغة مشتركة بين العرب جميعا قامت على أساس اللهجة القرشية وما استفادته من محاسن اللهجات الأخرى .

وفى أوربا توحدت لهجات مشتركة من أصل أدبى محض مثل الايطالية التى استقرت لغة مشتركة ابتداء من القرن الرابع عشر بفضل هيبة الكتاب العظام وتأثيرهم مثل دانتى وبترارك ولوكاشيو وذلك فى وقت لم يكن لايطاليا فيه أية وحدة سياسية ، وأغلب الظن أن هؤلاء الكتاب استعملوا اللغة التى كانت تتكلم حولهم ... واللغة التى رفعها (دانتى) الى مرتبة اللغة الأدبية والتى صارت لغة ايطاليا المشتركة كانت أولا وقبل كل شىء لغة مدينة هى فلورنسا ولغة المجتمع الراقى فى هذه المدينة[٩] .

٤ — **وسائل الاعلام :**

لوسائل الاعلام كالاذاعة المسموعة والمرئية ودور الخيالة (السينما) والمسارح والصحافة وغيرها أثرها فى التوحد اللغوى فهى لسان حال الأمة والمعبر عن أغراضها السياسية والاجتماعية ، وهى تستخدم لغة أشبه بأن تكون عامة فيما يسمع أو يكتب على سواء ففى الأقطار العربية — مثلا — تستخدم الفصحى وبعض

(٩) اللغـة : ص ٣٣٥ .

الأساليب العامية التى يفهمها الجميع ، وتلك الوسائل — بلا شك — لها خطرها فى التأثير على الناس وتكوين لغة عامة .

٥ — المدن الكبرى :

للمدن الكبرى أثرها فى نشوء لغة مشتركة اذ تتطلع اليها أنظار سكان الأماكن المجـاورة لها والبعيدة عنها فيكثر الغادون اليها من كل صوب ، وهم حين يلتقون داخل تلك المدن يحاولون — عادة — التخلى عن سمات لهجاتهم الأصلية ، ويميلون الى استخدام لغة عامة يفهمونها جميعا ، فاذا أضفنا الى ذلك أنهم يلتقون بالسكان الأصليين لهـذه المدن أدركنا الى أى حد يمكن أن تبرز لغـة عامة يستعملها الشعب كـله .

فالدور الأساسى الذى آل الى أثينا بعد سقوط الامبراطوريـة الفارسية أدى الى ظهور لغة مشتركة مستمدة من اللهجة الأتيكية ولكن زاد من قوة الأتيكية واشعاعها شهرة شعرائها وفنانيها فكان لأثينـا — بوصفها مركزا سياسيا وأدبيا وفنيا على السواء — شرف تأسيس اللغة المشتركة التى ظلت منذ القرن الرابع قبل الميلاد حتى التاسـع بعد الميلاد أداة للتفكير عند جميع الاغريقيين[١٠] .

وقد تكونت الانجليزية المشتركة فى مدينة لندن التى ساعد موقعها على أن تكون ملتقى لمختلف اللهجات (هذا الى أن تكون اللغة المشتركة صادف وقوعه فترة نمو لندن المفاجىء حيث أخذت تلتقى بين أحضانها طوائف المهاجرين على اختلافهم ، يفدون عليها من الأقاليم ، ويمتزجون بالسكان السابقين ، هذه الهجرات أدت الى شحن اللغة المشتركة بآثار اللهجات حتى لتجد نطق الانجليزية فى القرن السابع عشر لم يثبت بعد ، وأنه يشتمل على عدد كثير من وجوه الخلاف ، ولا تزال بقايا

---

(١٠) اللغـة : ٢٨ ، ٣٢٩ .

منه موجودة حتى اليوم ، ولكن هذه الهجرة الاقليميـــة أنعشت تبادل السكان بين العاصمة والأقاليم ، ذلك التبادل المفيد الذى أدى أجل خدمة لانتشار اللغة المشتركة واذا فانجلترا تدين ــ أيضا ــ بتوحيد لغتها توحيدا نسبيا الى أهمية عاصمتها)[١١] •

وفى مدينة القاهرة تتزاحم اللهجات من مختلف أقاليم الجمهورية بلقاءات أصحابها ولذا تميل الى التوحد فيما يشبه أن يكون لغـــة عامة يفهمها الجميـــع •

٦ ــ الدين والعلم والثقافة والخدمة العسكرية :

فالدين يجمع الناس حول كتاب واحد يقرءونه ويتعبدون بـــه ويطبقون أحكامه ويدعوهم الى الاجتمـــاعات العامـــة فى الصـــلوات والأعياد والحج وغيرها ولذلك أثره الكبير فى التوحد اللغوى •

ولا شك أن العلم والثقافة والخدمة العسكرية تؤدى دورها فى اتخاذ لغة عامة فدور العلم والثقافة وطلابها الذين يفدون من مختلف الأقاليم ويلتقون فى المدارس والجامعات وقصور الثقافة والمكتبات وما شاكلها ولقاءات الثكنات العسكرية كذلك له أثره فى تخلى هذه الطوائف عما لا يفهم من لهجاتها ويتجهون بذلك الى لغة عامة •

وقد حاول تيمورلنك أن يضع لغة لجيشه تسهل مهمة قواده ، ومع فشل تلك المحاولة فانها تدل على احتياج الجيوش الى نظام لغوى مفهوم لدى أوساطها المتباينة[١٢] •

وفى اطار هذه الأسباب الداعية الى توحد النظام اللغوى فـــان العالم العربى قد توافرت له علاقات كثيرة اجتماعية ودينية وسياسية

---

(١١) المصدر السابق : ٣٣١ ، ٣٣٢ •

(١٢) اللهجات العربية للدكتور ابراهيم نجا ص ٢٤ ، ٢٦ واللغـــة والمجتمع للدكتور السعران ص ١٧٢ ، ١٧٥ •

وأدبيـــة وثقافية وربطت بين أرجـــائه الاذاعة المسموعـــة والمرئيـــة والصحافة وسبل المواصلات فبرزت فيه لغة مشتركة تتمثل فى العربية الفصحى التى تضيق هوة الخلاف بين اللهجات الدراجة المنتشرة فيه •

ولا ننسى أن نشير الى أن اللغة المشتركة التى تنشأ عن الأسباب السابقة ونحوها لا تتخلص نهائيا من خصائص اللهجات المحلية ، بل تبدو آثارها فيها وتنعكس عليها •

ويتجـــلى هذا الأثـــر واضحا فى العربيـــة الفصحى المعاصرة واللهجات العامية المتفرعة منها ، وقد أشرنا — من قبل — الى ماتحويه اللغات المشتركة فى ألمـــانيا وانجلترا وفرنسا من آثار اللهجات المحلية التى شاركت فيها(١٣) •

---

(١٣) انظـــر كتابنا : علم اللغة بـــين القديم والحـــديث ط ٢ من ص ١٦٥ — ١٧٣ .

العربيــة الباقيــة

يقتضينا الحديث عن عوامل الانقسام والتوحد فى اللغة ، أن نبين موقف لغتنا العربيــة التى ورثناها عن أســلافنا من التوحد والانقســام •

فلغتنا العربية بدأت على ألسنة العرب الأولين وقبائلهم القديمة من أمثال (عاد) التى كانت تعيش فى جنوبى الجزيرة ، وثمود التى كانت تجاور الآراميين فى شماليها •

وهذا التفرق للقبائل دعا الى ظهور لهجات عربية هنا وهناك ، الا أن قبائل الشمال تأثرت لهجاتها ـ فيما يبدو ـ بالآرامية التى هى احدى اللغات السامية ـ أخوات العربية ـ وقد وصلتنا نقوش تحمل بعض هذه اللهجات وتبين بعض معالمها الصوتية ، وخصــائص القواعد والمفردات فيها •

ولمــا اندثرت القبائل القديمة المتحدثة بهذه اللهجات كانت بقايا منهم لا تزال تحمل لغة الآباء ، وتتحدث بها ، وعن طريقها نقلت الينا العربية الباقية •

واذا صح أن نطلق على اللهجات التى تحدثت بها قدامى القبائل العربية اسم (العربية البائدة) ـ لأنها قد بادت مع أهلها ـ فاننا نسمى اللغة التى وصلتنا بـ (العربيــة الباقية) لبقائها فينا حتى اليــوم •

وقد عاشت العربية فى شمالى الجزيرة (نجد والحجاز وتهامة) واستطاعت فى القرن السادس الميلادى أن تبسط نفوذها فى الجزيرة

كلها وتدخل اليمن مرة أخرى ، وتسيطر عليها وتمحو ما بقى فيها من لهجات ، وتحل محلها ، وهذا لأن أهلها العدنانيين استطاعوا أن يسيطروا على جنوبى الجزيرة بعد أن ضعف نتيجة الغزوات المتتالية من الفرس والأحباش ، وتبعهم الزحف اللغوى ، فتوحدت حينئذ لهجات الشمال والجنوب فى لغة عامة واحدة قبل الاسلام بحوالى مائة وخمسين عاما تقريبا[1] .

واذا بحثنا عن أولية العربية الباقية فلن نستطيع الوقوف عليها لأن التاريخ اللغوى مجهول ولم تصلنا آثار ترشد اليه ، وكل ما نعرفه أنه توافرت لدينا نصوص أدبية — شعرا ونثرا — متكاملة القواعد والنظام اللغوى وهذا يعبر عن لغة بلغت شأوها من النضج والقوة لكنه لا يرشد الى فترة طفولة اللغة أيام كانت ساذجة ضعيفة غير مهذبة القواعد والتراكيب .

وهذه اللغة التى بلغت غايتها من النضج والتكوين هيىء لها أن تنتشر فى الجزيرة العربية الواسعة حيث تختلف البيئات والعادات والتقاليد بين الشمال والجنوب ، والأحوال التى يعيش فيها أبناء العرب فى مواطنهم المتعددة ولذا لم تلبث أن انقسمت الى لهجات عديدة فى أنحاء الجزيرة .

ولم يعش العرب فى جزيرتهم منعزلين بعضهم عن بعض وانما كانوا يلتقون فى التجارة وفى الأسواق الأدبية التى يتبارى فيها

---

(١) قبل القرن الخامس الميلادى أخذت خصائص اللهجات العربية الشمالية القديمة واللهجات العربية الجنوبية القديمة تنصهر وتخضع لحسن العربية الفتية ولذوقها ومما لا جدال فيه أن ذلك الانتقال والتطور التدريجى للعربية قد حدث فى الحقبة التاريخية الواقعة بين القرنين الرابع والخامس الميلاديين ومن الجائز أن يكون ذلك قد حدث قبل القرن الثالث الميلادى ، انظر دراسات فى اللغة العربية د / خليل نامى ص ١٧ ، ١٨ .

الشـــعراء والأدبـــاء ويقدمون نتاج قرائحهم ، وقــد أدت لقاءاتهم المتعددة ، وسماع كل عربى للهجات اخوانه من المناطق الأخرى الى أن يستفيد كل منهم من صاحبه من الناحية اللغوية كما يستفيد منه من النواحى التجارية والثقافية وغيرها .

وكان القرشـــيون يلتقون — كغيرهم من القبـــائل — باخوانهم العرب من كل مكان ، وقد ساعدت عوامل كثيرة على تهذيب لهجتهم ، وتهيئة الفرصة لها لتحتل الصدارة بين اللهجات العربية الأخـــرى ، وأهم هذه العوامل :

١ — نفوذهم الدينى :

كان القرشيون يحظون بتقدير العـــرب لهم ، لأنهم هم الذين يتولون سدانة البيت الحرام والقيام على شئونه ، وكانوا يستضيفون الحجاج ويقومون على سقايتهم[٢] ، وتعليمهم مناســـكهم[٣] ، وبعد حادث أبرهة الأشرم توطد مركز قريش حتى قـــالت العرب عنهم : « أهل الله قاتل عنهم فكفاهم مؤونة عدوهم »[٤] ، وهذا كله جعـــل لقريش سلطانا دينيا يعترف به العـــرب جميعا[٥] حتى قيـــل عنهم « قريش أئمة الناس وهداتهم وأهـــل البيت وصريح ولد اسماعيل وقادة العـــرب »[٦] .

٢ — نفوذهم التجـــارى :

انطلق القرشيون فى أنحاء الجزيرة وما حولها من الأقطـــار فى

---

(٢) السيرة النبويـــة ١/١٢ ، ١٢٥ ، ١٣١ وتاريخ الأمم والملوك ٢ / ٢٦٠ .

(٣) الخصائص ١/٣٣ .

(٤) السيرة النبوية ١/٥٠ وتاريخ الأمم والملوك ٢/١٣٩ .

(٥) تاريخ العرب العام ص ٥١ .

(٦) الطبقات الكبرى ٢/٣٨ ، ٨٦ والسيرة النبوية ٤/١٥٢ .

الشام وفارس والعراق ومصر والحبشة وكلهم ثقة واطمئنان لما لهم من مكانة بين العرب أساسها النفوذ الدينى(٧) .

وكانت أنشطتهم التجارية كبيرة وواسعة ففى رواية للطبرى أن احدى قوافلهم التجارية بلغت خمسمائة وألف بعير ومائة رجل ، ولا ريب أن هذه القافلة التجارية الكبيرة كانت تحتاج الى أدلاء معرفة وخبرة بالصحراء وطرق التجارة وحراس يحمونها من السلب والنهب وكانت قريش تستخدم فى ذلك رجالا من قبائل العرب المختلفة فى الجزيرة ولا سيما البدو(٨) .

وقد ازدهرت تجارة قريش ولا سيما بعد انهيار سد مأرب سنة ٤٥٠ م وطرد قبيلة خزاعة من مكة .

وكانت لهم سفن تنقل التجارة من الحبشة وافريقية الشرقية عبر البحر الأحمر وكانت تنقل تجارتها وتجارة اليمن الى أسواق فلسطين وتنقل تجارة الشام وحوض البحر المتوسط الى الحجاز ونجد واليمن(٩) ؛ وهكذا تجارة الأقطار الأخرى .

ولا ريب أن ذلك كله جعل لقريش مركزا تجاريا أثروا من ورائه ثروات طائلة ووطد صلاتهم بالقبائل العربية المختلفة .

وقد نزل القرآن الكريم مشيرا الى رحلاتهم التجارية صيفا وشتاء قائلا : « لا يلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف » .

---

(٧) تاريخ الأمم والملوك ٢٥٢/٢ ، ٢٧٧ ، ٣٢٧ ، ٦٣/٣ ، ٥٦/٤ ، والطبقات الكبرى ٤٥/١ ، ٤٨ والسيرة النبوية ١٢٥/١ ، ٦٩/٢ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ٢٨٨ ، وفتوح البلدان للبلاذرى ٦٧/١ ومغازى الواقدى ١٦/١ ، ٢٧ .

(٨) السيرة ١٨٢/٢ .

(٩) الطبقات الكبرى ٤٣/١ وموسوعة التاريخ الاسلامى د. أحمد شلبى ص ١٢٦ .

٣ — نفوذهم السياسى :

لا ريب أن القرشيين فى مكة حظوا باستقرار ونظام[١٠] فى حياتهم الاجتماعية نتيجة لما تمتعوا به من نفوذ دينى واقتصادى واسع وقد تهيأ لهم طائفة من الزعماء الذين كانوا يتدخلون لفض النزاعات سواء بين بطون القبيلة المتعددة أو بين المتنازعين من غيرهم وكانت مكة حرما آمنا من ورد اليه لا يظلم ولا يعتدى عليه ، الى جانب ما كان لقريش من علاقات ودية طيبة مع القبائل المختلفة فى داخل الجزيرة وعلى أطرافها فى الطريق الى الشام أو العراق ولعل للنفوذ التجارى واستخدام بعض هذه القبائل فى شئون التجارة أثرا بينا فى تحقيق السيادة القرشية الى جانب ما تمتعوا به من نفوذ دينى أشرنا اليه من قبل ، وكانت لهم أحلاف كثيرة مع القبائل ، كل هذا جعل لهم سيادة سياسية بين العرب جميعا حتى قال أبو بكر الصديق عقب وفاة النبى ﷺ والبحث فيمن يخلفه : « لا تدين العرب الا لهذا الحى من قريش » .

٤ — نفوذهم اللغوى :

ونتيجة لكل ما سبق اتسع نفوذ القرشيين اللغوى فنمت لهجتهم وازدهرت وسادت اللهجات الأخرى فأصبحت لغة عامة للعرب جميعا واستعملتها القبائل المختلفة فى نتاجها الأدبى الرفيع ، يقول الدكتور ابراهيم أنيس :

« فبيئة مكة قد هيئت لها ظروف وفرص بعضها دينى وبعضها اقتصادى واجتماعى مما ساعد على أن تصبح المركز الذى تطلعت اليه القبائل وشدت اليه الرحال قرونا قبل الاسلام وكان أن نشأت بها

---

(١٠) تاريخ الأمم والملوك ٢/٢٦ والسيرة ١/١١٥ ، ١٢٢ والطبقات الكبرى ١/٤١ ، ٤٢ ، ٨٢ وغيرها .

لغة مشتركة أسستفي كثير من صفاتها على لهجة مكة ولكنها استمدت أيضا الكثير من صفات اللهجات »[١١] ومما سهل سبيل الغلب أن أهلها يعدوا عن التعصب لها ففتحوا أمامها لتستفيد من اللهجات الأخرى ما حسن وعذب ، وبهذا استطاعت أن تعبر عن كل حاجات الحياة وفنون الكلام وغنيت بكل الوسائل التى جعلتها مرنة تصلح لكل الأغراض[١٢] .

وسواء أكانت لغة قريش وحدها هى اللغة الفصحى أم أضيف اليها بعض اللهجات الأخرى لتكوين اللغة المشتركة فقد أصبحت لغة العرب جميعا قبل نزول القرآن الكريم لغة يحتذونها فى خطبهم وأشعارهم ونزل بها القرآن الكريم فقوى من شأنها ودعم من سلطانها .

وقد اعتبرت تلك اللغة أفصح اللهجات وأنضجها لما بعدت عن الأمور التى تخل بالفصاحة ولنستمع الى هذا الحوار الذى دار بين معاوية بن أبى سفيان ورجل من السماط حول أفصح الناس قال معاوية للرجل : أى الناس أفصح ؟ قال : قوم ارتفعوا عن رتة العراق وتياسروا عن كشكشة بكر وتيامنوا عن شنشنة تغلب ليس فيهم غمغمة قضاعة ولا طمطمانية حمير قال معاوية : من هم ؟ قال : قومك يا أمير المؤمنين قريش قال : صدقت فممن أنت ؟ قال : من جرم ، قال الأصمعى : وجرم من فصحاء العرب[١٣] .

وقد اعتبر ابن خلدون لغة قريش أفصح وأصرح من غيرها من اللهجات العربية « لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ثم

---

(١١) مستقبل اللغة العربية المشتركة ص ٨ .

(١٢) فقه اللغة د. وافى ص ١٤٠ .

(١٣) العقد الفريد ٢٠٧/١ ، وانظر : درة الغواص . ص ٢٤٩ — ٢٥١ .

من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبنى كنانة وغطفان وبنى أسد وبنى تميم(١٤) .

ويوضح ذلك أن ابن جنى يعتبر مقياس الفصاحة قائما على صحة السليقة والبعد عن الأعاجم وعدم التأثر بهم ويتبين هذا من الفصل الذى عقده فى خصائصه بعنوان : (باب فى ترك الأخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر) يقول :

« ولو علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم ولم يعترض شىء من الفساد للغتهم لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر وكذلك أيضا لو فشا فى أهل الوبر ما شاع فى لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وخبالها وانتقاض عادة الفصاحة وانتشارها لوجب رفض لغتها وترك تلقى ما يرد عنها »(١٥) .

وعلى هذا فليس اعتبار لهجة معينة أفصح من غيرها الا بمقدار بعدها عن مظاهر الفساد واللحن وقد تحقق هذا فى اللغة المشتركة التى كانت لسان العرب جميعا ولا مجال للقول بأن العصبية هى التى جعلتها أفصح من غيرها .

وأما تغلب اللغة العربية على لغات الأمم التى دخلت الاسلام فكان لعوامل دينية ولسماحة الاسلام وارادة المسلمين من هذه الأمم أن يؤدوا فرائضه بلغته وأن يحظوا بالمكانة فى الدولة الاسلامية الجديدة ولعوامل داخلية فى جوهرها الذى جعل الأجانب يعجبون بها وبطرائقها اللغوية .

يقول ابن جنى وقد بهرته العربية بسحرها وجمالها : « لو أحست العجم بلطف صناعة العرب فى هذه اللغة وما فيها من الرقة

---

(١٤) مقدمة ابن خلدون ص ٥٢٣ .
(١٥) الخصائص ٢٤٢/١ .

والدقة لاعتذرت من اعترافها بلغتها فضلاً عن التقديم لها والتنويه منها »[١٦] .

ويقول أيضا :

« انا نسأل علماء العربية ممن أصله أعجمى وقد تدرب بلغته قبل استعرابه عن حال اللغتين فلا يجمع بينهما بل لا يكاد يقبل السؤال عن ذلك لبعده فى نفسه وتقدم لطف العربية فى رأيه وحسه »[١٧] .

وهذه شهادة عالم ثقة أدلى بها ليبين الدوافع التى جعلت المسلمين يتركون لغاتهم الأصلية ويتجهون الى العربية يتكلمونها ويتحدثون بها وهذا هو الذى جعل العربية تصرع لغات البلاد المفتوحة وتقضى عليها .

فالحق أحق أن يتبع وهو أن تفوق العربية كان لعوامل ذاتية من داخلها لا من خارجها .

وحقا ما قال الأستاذ العقاد :

« ان للأمم فى تنافسها بالمناقب والمزايا ألوان من المفاخرة بلغاتها يضيق بها نطاق البحث ومعظم هذه المفاخر دعوى لا دليل عليها وحجتها الكبرى أنانية قومية تشبه أنانية الفرد فى حبه لنفسه وايثاره لصفاته بغير حاجة الى دليل أو مع القناعة بأيسر دليل ، ولكن الفصاحة العربية فى دعوى أهلها مفخرة لا تشبه هذه المفاخر فى جملتها لأن دليلها العلمى حاضر لا يتعسر العلم به والتثبت منه على ناطق بلسان من الألسنة ، ولا حاجة له فى هذا الدليل الى غير النطق وحسن الاستماع[١٨] .

---

(١٦) المصدر السابق ٢/٥ . (١٧) المصدر السابق ١/٢٤٣ .

(١٨) اللغة الشاعرة ص ٥٤ ، ٥٥ .

ولكن بعض الباحثين المحدثين يعارضون هذا الرأى فيرى بعضهم أن الذى جعل القدماء يقولون بسيادة القرشـــية سبب واحد هو أن النبى ﷺ من قريش أما ان قريشا لهم نحائزهم وســـلائقهم التى طبعوا عليها فتلك مسألة يرفضها الدرس اللغوى الصحيح ، اذ أنـــه لا معنى لأن نقول : ان هناك لغة ــ مهما تكن ــ أكثر فصاحة من لغة أخـــرى[19] .

ويقول الدكتور جواد على منكرا أيضا :

« وأما قولهم ان هذه اللغة الفصحى هى لغة قريش ، لاجمـــاع العرب كافة على أن لغة القرآن هى لغة قريش ، وعدم ظهور أحد أنكر هذا الاجماع أو جادل فيه رغم ما كان من الخصومات السياسية بين قريش وغيرها من قبائل مضر ، فقول لا يستند الى حجج تاريخية ، بل هو يصطدم مع واقع النصوص الجاهلية الواصلة الينا ، وبعضها نصوص لا تبتعد عن الاسلام بكثير ، وقد كتبت كلها بلهجات تختلف عن هذه اللغة الفصحى التى نزل بها القرآن ، وفى اختلافها عنها دلالة على أن الشـــعوب التى كتبت تلك النصوص لم تكن تكتب بعربيـــة القرآن ، وفى هذه الدلالة تفنيد لقول من قـــال ان لهجة قريش هى الفصحى التى عمت وســـادت فى الجاهلية ، لا فى الحجـــاز ونجد فحسب بل فى كل القبائل »[20] .

ويرى الدكتور تمام حسان أن الفصحى المشتركة هى لغة العرب جميعا ، وليست القرشية وحدها لأدلة :

١ ــ أن القرآن نزل بلسان عربى مبين ولم ينزل بلسان قريش ، ولو كانت الفصحى أصلها لهجة قريش لأشاد النبى ﷺ بفصاحـــة

---

(١٩) اللهجات العربية فى القراءات القرانية : ٤٢ .

(٢٠) المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ٨/ ٦٤٠ .

لهجته ، مع أنه أشاد بفصاحة نفسه ، وأشار الى أنـــه نشأ فى سعد ابن بـــكر — من عليا هوازن — وليست أولى بالفصاحة من قريش ، وقد قال تعالى : (وما أرسلنا من رســـول الا بلسان قومه) فـــاذا كانت احدى الآيتين تفسر الأخرى فان (قومه) هنا هم العرب جميعا لا قريش فقط •

٢ — كانت للهجـــة قريش خصـــائص لم تشع فى الاستعمال العربى كتسهيل الهمزة وقد شاع تحقيقها فى النص القرآنى مما يدل على أن بالنص القرآنى ما ليس بلهجة قريش من الخصائص ويتحقق فى اللهجات الأخرى •

٣ — أن القرآن نزل على سبعة أحرف ، وتعددت قراءاته ، وفى القراءات ظواهر لغوية لم تشتمل عليها لهجة قريش •

٤ — خلو النصوص الأدبية الجاهلية من أثر لقريش ولم يسمع عن شاعر جاهلى قرشى فحل ، على حين نجد الشعر فى قبائل عربية شمالية وجنوبية حجازية ونجدية •

٥ — مخاطبة الرسول ﷺ للقبائل بلغاتهـــا مشيرا الى أن هـــذه اللهجات لها من الفصاحة ما للهجـــة قريش ، ومن ثم لم يكن بها من افتقار الى الأخذ عن لهجـــة قريش ، ولم يكن بأهلها من احســـاس بالصنعة يدعوهم الى ذلك •

٦ — أن النحاة حين حددوا قبائل الفصاحة ، وجعلوا لهجاتهم مصادر فى النحو العربى ، لم يقصروا الأخذ على قريش ، بـــل لم يقبلوا الأخذ عن قريش وانما سمعوا ممن عداها من قبـــائل الحجاز ونجد ذاهبين الى سكان البرارى ممن كانوا أشد توحشا وجفاء وأبعد اذعانا وانقيادا وهم : قيس وتميم وأسد وطىء ثم هذيل •

٧ — فقدان السند التاريخى الذى يفيد أن لهجة قريش هى الفصحى المشتركة فدعوى جعل القرشية هى الفصحى افتراض يتعارض مع الحقائق المسلمة التى تقدمت[٢١] .

وهذه بذور لآراء استشراقية ، اذ يذهب بعض المستشرقين الى أن ما يسميه العلماء لهجة قريش يغلب على الظن أنه غير صحيح ، اذ من الصعب أن نتصور لقريش لهجة خاصة مع ما نعرفه من عدم بقائها فى بيئة منعزلة عن القبائل الأخرى فقد كانت بيئتها موردا للقبائل العربية يأتون اليها للتجارة والحج والمفاخرة والمنافرة فى الأسواق ، وكانت قريش بحكم زعامتها الدينية والاقتصادية دائمة الاتصال تقريبا بهذه القبائل ، وعلى هذا فان لهجة قريش يمكن أن يقال انه لا وجود لها وما هى فى حقيقة الأمر الا خليط أو مزيج من لهجات القبائل الأخرى تكون على مر الزمن وانتهى به الأمر الى أن يكون لهجة البيئة الحجازية التى تسكنها قريش[٢٢] .

والحقيقة أن وقوع بعض الدخيل فى القرشية لا يؤدى الى محو أصلها وتأصل الدخيل فيها ، وهذا زعم استشراقى لهؤلاء المستشرقين الذين يحاولون بكل الوسائل ادعاء أن الفصحى غير لهجة قريش .

والقرشية ليست بدعا من اللهجات التى سادت لعوامل حضارية ، ففى كل اللغات حدث مثل ذلك كأن صارت الباريسية لغة فرنسا ولغة روما لغة ايطاليا بل لغة الامبراطورية الرومانية كلها .

وقد سادت القرشية الجزيرة قبل الاسلام حين عظم شأن قريش وتحقق نفوذها الواسع فى مكة وما حولها بل فى الجزيرة كلها .

---

(٢١) الأصول — الطبعة الأولى : ٧٨ — ٨١ بتصرف .

(٢٢) اللغة والنحو : ٤٢ ، ٤٣ .

ويقول الدكتور شوقي ضيف :

« فنحن لا نعدو الواقع اذا قلنا ان لهجة قريش هى الفصحى التى عمت وسادت فى الجاهلية لا فى الحجاز ونجد فحسب بل فى كل القبائل العربية شمالا وغربا وشرقا وفى اليمامة والبحرين وسقطت الى الجنوب وأخذت تقتحم الأبواب على لغة حمير واليمن وخاصة فى أطرافها الشمالية » وفى رأيه أن المستشرقين جانبهم التوفيق فى الحدس والفرض حين رفضوا نظرية العرب فى أن الفصحى هى عين اللهجة القرشية(٢٣) .

ويرى الرافعى أن نزول القرآن بلغة قريش يؤكد حقيقة السيادة القرشية يقول :

« الأصل أن القرآن نزل بلغة قريش لأن الرسول ﷺ قرشى ، وليكون هذا الكلام زعيم اللغات كلها كما استمازت قريش من العرب بجوار البيت وسقاية الحجاج وعمارة المسجد الحرام وغيرها من خصائصها » .

بيد أن الرافعى يبالغ فى نسبة السيادة للهجة قريش الى حد زعم فيه أن القرآن لو نزل بغير ما ألفه النبى ﷺ من اللغة القرشية وما اتصل بها كان ذلك مغمزا فيه ، لأن العرب لا تستقيم لهم المقابلة حينئذ بين القرآن وأساليبه وبين ما يأثرونه من كلام النبى ﷺ فيهون ذلك على قريش ثم على العرب فتنشق الكلمة ثم يصير الأمر من العصبية والمشاحنة والبغضاء الى حال لا يلتئم عليه أبدا(٢٤) .

ويضطرب الرافعى فى عرضه لفكرته عن نزول القرآن بلغة

---

(٢٣) تاريخ الأدب العربى — العصر الجاهلى د. ضيف ١٣٣/٩ ، ١٣٤ .

(٢٤) تاريخ آداب العرب ٦٢/٢ ، ٦٣ .

قريش ، فيقرر — مرة أخرى — أن هناك لغات أخرى نزل بها القرآن — الى جانب لهجة قريش — يقــول :

« اللغات التى نزل بها القرآن غير لغة قريش هى لغة بنى سعد ابن بكر الذين كان النبى ﷺ مسترضعا فيهم ، وهى احــدى لغات العجز من هوازن ثم لغات جشم بن بكر ونصر بن معاوية وثقيف ، وأولئك هم أفصح العرب جملة ثم خزاعة وهذيل وكنانة وأسد وضبة وكانوا على قرب من مكة يكثرون التردد اليها ومن بعدهم قيس ومن جاورهم فى وسط الجزيرة »[٢٥] •

ونحن حين نثبت الفصاحة لقريش لا ننفيها عن غيرها ، ومــع ذلك بقيت آثار هذه اللهجات بارزة فى القراءات القرآنية التى جاءت تيسيرا على الناطقين المسلمين فى جميع الأمكنة والأزمنة كما نقله ابن الجزرى فى النشر ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها كاف شاف » •

فالعرب كانوا يقرأون بلحونهم على تنوعها واختلافها من تحقيق الهمز وتخفيفه والمد والقصر والفتح والامالة والاظهار والادغام وضم الهاء وكسرها من عليهم واليهم واستعمال الكلمات على أوجه مختلفة كبرىء وبراء وسرى وأسرى فى قوله تعالى : (والليل اذا يسر)[٢٥] وقوله سبحانه (فأسر بأهلك)[٢٦] ، الى غير ذلك مما ذكرتــه كتب اللغة كالكامل للمبرد •

وفى كتب اللغة والنحو وردت شواهد وأمثلة لبعض هذه اللهجات التى مثلت بعض القواعد النحوية والظواهر اللغوية الصوتية والدلالية

---

(٢٥) الفجــر الآية ٤ .

(٢٦) هــود الآيــة ٨١ •

وغيرها مما يشهد أن بعضها له شهرة وذيوع وقوة فصاحة يمكن أن يحتج بها ويؤنس بنطقها كما قال ابن جنى : ان اللهجات كلها حجة .

فمن اللهجات البارزة : اللهجة التميمية والقيسية والأسدية وغيرها من هذه القبائل التى اشتهرت بالفصاحة وورد ذكر أصحابها فى كتب اللغة كالصاحبى والمزهر وغيرهما[٢٧] ويعد الهمز صفة مستحسنة من صفات اللهجة التميمية بحيث أخذ به القرآن فى صورته المشهورة التى نزل بها وان كان التسهيل احدى القراءات المعتد بها كذلك لكن الهمز أشهر .

ومن آثار اللهجات المختلفة التى لا تزال باقية وتشهد بواقعها اللغوى الظواهر اللغوية المشهورة كالاشتراك والتضاد والترادف وتعدد الأوجه الاعرابية لبعض الألفاظ فى التراكيب اللغوية والقلب والابدال وغيرها .

بل ان بعض الألفاظ تختلف من قبيلة الى أخرى ، وبعض هذه الألفاظ المنسوبة للهجات أخرى غير القرشية قد وقعت فى القرآن الكريم .

ويذكر بعض العلماء أن نحو أربعين لغة وقعت فى القرآن : قريش وهذيل وكنانة وخثعم وحمير ومدين ولخم وسعد العشيرة وحضرموت والعمالقة وانمار وغسان ومذحج وخزاعة وسبأ وعمان وبنو حنيفة وطىء وعامر بن صعصعة وأوس ومزينة وثقيف وجذام وبلى وعذرة وهوازن واليمامة[٢٨] مما تضمنته لهجة قريش وما لم تتضمن .

وقد حاول الدكتور لويس عوض أن يرسم العصبية المتمثلة فى

---

(٢٧) تاريخ آداب العرب للرافعى ١٣٢/١ .
(٢٨) المصدر السابق ٦٤/٢ .

لهجة قريش لأنهم آل النبى ﷺ ومنهم نشأ فنشأ الشرف معهم لهذه القبيلة ، وتمشى الشرف ، وتسرب الى لهجتهم فجعلت أفصح اللهجات جميعا وجعلت أساسا للغة التى نزل بها القـرآن وتنوسيت جميـع اللهجات الأخـرى(٢٩) .

وقد توسع فقهاء اللغة العربية الأوائل وكثير من المتأخرين فى اثبات ما جاء فى الصاحبى لابن فارس من أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها وكان عليهم أن يواجهوا مشـكلة تعدد لهجات العـرب التى كانوا يسمونها لغات فى الموازنة مع لغة قريش التى نزل بها القرآن فاتفقت كلمتهم على أن لغة قريش كانت أرقى لغات العرب وجعلوا من لغة قريش معيار الصحة والفصاحة لا شك بسبب نزول القرآن بلغة قريش ، وبسبب سيادة بنى قريش ولهجتهم بعد انتصار الاسلام على بقية القبائل العربية ولهجاتها(٣٠) .

وهذا الحديث الطويل قصد به الدكتور لويس الغض من شـأن اللهجة القرشية — بخاصة — واللغة العربية — بعامة — والغض من شأن أصحاب تلك اللهجة التى نزل بها القرآن الكريم والتقليل من أثرها فى تكوين اللغة العربية ومحاولة ارجاع هذا الأثر الى العصبية للنبى ﷺ والى قبيلة قريش لا الى العوامل الحقيقية فى تفوق هذه اللهجة وهى عوامل كثيرة : اجتماعية وسياسية ولغوية وكأن اللهجات المنزوية المقهورة انما قبرت — فى زعم الدكتور — بحـد السيف والجبروت والتسلط وغلبة قريش على بقية القبائل ونقول :

ان وجود النبى ﷺ فى الأمة العربية أمر جعلهم — بلا شك — أصحاب شرف وفخر وامتد هـذا الشرف الى الأمة الاسـلامية كلها

---

(٢٩) مقدمة فى فقه اللغة العربية : ٦٠ وما بعدها .

(٣٠) المصدر السابق ص ٦٧ .

بحمل رسالة الاسلام التى صححت مسار الحياة الانسانية وليس هذا تعصبا بل بيان لحقيقة الأمة التى تنشر دين الله وشريعة الحق والعدل فهى — من هذا الجانب — مفضلة على الأمم الضالة الملحدة التى لا تعرف الله وحقوق الناس ولا تقيم العدل ، ولذا امتدح القرآن الكريم الأمة الاسلامية فى اطارها العام ولم يخص العرب وحدهم حين قال :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »(٣١) .

أما أن العنصرية امتدت الى سيادة قريش على غيرها وسيادة لهجتها على سائر اللهجات واللغات الأخرى فهو غير وارد لا عن العرب ولا عن علماء العربية وما قاله الدكتور لويس محض افتراء .

فسيادة قريش ولهجتها لم تكن بعد الاسلام — كما تصور — بل من قبله وحقائق التاريخ ترشد الى ذلك ، وقد جاء الاسلام فوجد اللغة العامة — متمثلة فى معظم المادة اللغوية القرشية — فنزل بها وكان هذا مسايرة للواقع اللغوى الشائع فى البيئة العربية آنذاك .

وعلماء العربية تكلموا عن واقع موجود ولم يكونوا متحاملين أو قائلين بشىء لا تؤيده الحقائق العلمية والآثار .

واذا كان الدكتور لويس قد اتهم أحمد بن فارس بالتعصب — ومن بعده ومن قبله علماء العربية الآخرين — حين عقد بابا فى كتابه (الصاحبى) بعنوان : « باب القول فى أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها »(٣٢) فان الباحث المنصف يرى أن أحمد بن فارس لم

---

(٣١) آل عمران . الآية ١١٠ .

(٣٢) ص ٦ وما بعدها .

يكن متعصبا فى هذا الباب الذى عقده بل كان بصـــدد بيان بعض ما امتازت به العربية من غيرها من اللغات الأخرى ، ولم يرد تفضيلا عصبيا ممقوتا ٠

والرجل لأنه فارسى الأصل يوازن بين العربية والفارسية التى يعرفها فيقرر امتياز العربية بوقوع الألفاظ المترادفة فيها ذلك لأنها تهيىء للمتكلم كثيرا من نواحى الابانة والايضاح بما لا يتيسر فى اللغات التى تخلو من الترادف فللســيف والأســد والفـرس ألفاظ مترادفة فى العربية على حين أن الفارسية لا تعبر عن ذلك الا باسم واحد ، يقول ابن فارس :

لو احتجنا الى أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارســية لـمـا أمكننا ذلك الا باسم واحد ، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة ، ومعلوم أن العجم لا تعرف للأسد اسما غير واحد ، وفى لغة العرب أكثر من خمسمائة اسم ، وهكذا غيرها من الأشياء المســماة بالأسماء المترادفة فأين هذا من ذاك ؟ كما يقرر امتياز العربية ببعض مظاهر البلاغــة ووجوهها كالاســتعارة والكناية والتمثيـل والقـلب والتقديم والتأخير وغيرها من السنن الذى يقع فى القرآن وكلام العرب شعرا ونثرا وذكر لذلك أمثلة ٠

كما يقرر أن العربية لا تجمع بين الساكنين وقد تجتمع فى لغــة العجم وعندما قال ابن فارس : (ان القرآن نزل بلهجة قريش) لم يكن ذلك تعصبا لأنهم أتباع النبى وذووه وبسبب نزول القرآن بها بل لأن القريشية من قبل نزول القرآن الكريم كانت قد انتشرت بين العرب وأصبحت لغة عامة لأسباب أخرى كثيرة : اجتماعية ودينيــة وسياسية وتجارية لخصها ابن فارس حين قال :

« أجمع علماؤنا بكلام العــرب والرواة لأشــعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالهم أن قريشا أفصح العرب ألسنة وأصفاهم

لغة فقريش قطان الحرم وجيران البيت الحرام وولاته فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون الى مكة للحج ويتحاكمون الى قريش فى أمورهم وكانت قريش تعلمهم مناسكهم وتحكم بينهم ولم تزل العرب تعرف لقريش فضلها عليهم وتسميها أهل الله لأنهم الصريح من ولد اسماعيل عليه السلام لم تشبهم شائبة[٣٣] ، ولم تنقلهم عن مناسكهم ناقلة ، فضيلة من الله جل ثناؤه لهم وتشريفا اذ جعلهم رهط نبيه الأدنين وعترته الصالحين .

وهذا دون شك بيان لبعض المزايا التى اختصت بها لغة العرب ولا عيب فى ذلك ولا تعصب على الاطلاق .

ولهذه المزايا قرر ابن فارس أن ترجمة القرآن أمر جد عسير اذ لا يمكن أن تحمل ألفاظ اللغات الأخرى المعانى التى تتضمنها التعبيرات القرآنية ذات المعانى الجامعة ، فيقرر أنه لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقل القرآن الى شىء من الألسنة كما نقل الانجيل عن السريانية الى الحبشية والرومية وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله — عز وجل — بالعربية لأن العجم لم تتسع فى المجاز اتساع العرب[٣٤] .

و « لا وجه لمن يجيز قراءة القرآن فى صلاته بالفارسية ، لأن الفارسية ترجمة غير معجزة ، انما أمر الله — جل ثناؤه — بقراءة القرآن العربى المعجز »[٣٥] وهذه شهادة من أحمد بن فارس الذى لم يكن شعوبيا فى دعوته بل جهر بالحقيقة التى تقول :

ان مزايا العربية تجعل ترجمة نص القرآن غير صحيحة لأنها تفوت كثيرا من المعانى التى لا يمكن أن يعبر عنها اللفظ غير العربى .

---

(٣٣) انظر الصاحبى ص ١٦ — ٢٥ .
(٣٤) المصدر السابق ص ١٧ .
(٣٥) المصدر السابق ص ٤٧ .

وهذا يدحض فرية الدكتور لويس فى نقله اجازة ترجمة القرآن فهو بهذا يفتح مجالا فاسدا من مجالات دعاواه الباطلة •

ومن نص ابن فارس السابق نفهم أن قبيلة قريش سادت العرب لعدة أمـــور :

١ ــ أنهم قطان الحرم وسدنة البيت ويلجأ اليهم سائر العرب لتعلم المناسك وهذه السمة الدينية أكسبتهم تقدير العرب واحترامهم وحققت لهم الزعامة الدينية وهذا قبل الاسلام بكثير •

٢ ــ ونتيجة الزعامة الدينيـــة وعوامل أخـــرى ــ كالتجـــارة والأسواق ــ أصبح لقريش زعامة سياسية على العرب ولا شك أن ذلك جعل غيرهم من القبـــائل يقلدهم فى لغتهم فمن عادة المعجب أن يقلد من يعجب به ومن عادة الطبقات الاجتماعية أن تخضـــع لصاحب السلطان الأقوى فى كل شىء وتحاول تقليده[٣٦] مما جعل كثيرا من القبائل تترك كثيرا من مظاهر لهجاتها وتلجأ الى محاكاة القبيلة ذات السيادة الطبيعية •

٣ ــ ثم أضاف ابن فارس الى ذلك أن القرشيين أنفسهم مـــع مالهم من زعامتين دينيـــة وسياسية كانوا غـــير متعصـــبين للهجتهم فجعلوها تستفيذ من لهجات اخوانهم العرب وتلك عادة لغوية تحقق الوفاء الكامل بحاجات المجتمع المتحضر الذى اتسع ليشمل قبـــائل العرب بأسرها فى مناطق الجزيرة الواسعة •

وكان للقرشيين اختيار وذوق رفيـــع فبعـــدوا عن كل شوائب اللهجات التى تحول بينها وبين الفصاحة مما يعكر صفوها أو يشينها يقـــول :

---

(٣٦) انظر كتابنا (علم اللغة بـــين القديم والحـــديث) ص ١٧٦ وما بعدها .

وكانت قريش — مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها — اذا أتت الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى نحائزهم وسلائقهم التى طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب[٣٧] .

وهذا دون ريب جعل للقرشية سيادة على غيرها من اللهجات أفادها بالحسن الجيد وزحزح عنها القبيح الردىء حتى استوت فى صورة عامة سيطرت على اللهجات الأخرى وجعلتها تنزوى ، ويقتصر تداولها على المجتمعات والبيئات الخاصة أما فى المجتمع العام فقد سيطرت لغة مشتركة معظم مادتها قرشى وبعضها من اللهجات الأخرى ، ولما جاء الاسلام وجد العربية مستوية على سوقها فى اطار لغوى عام فنزل بها كتابه القرآن الكريم ، ولم يكن ذلك تعصبا للهجة قريش على الاطلاق ، وقد تهيأت لها فوق الأسباب المشار اليها قوة وسعة وهيبة وسلطان حينما حالفها الحظ بنزول القرآن الكريم بها حيث اختار الله نبيه من رهط قريش ، وهذا هو ما ذهب اليه ابن فارس وسائر علماء اللغة .

والذى يدل على أن القرشية ضمت اليها بعض مظاهر اللهجات الأخرى ولم نثر عليها ثورة تحكم واستبداد أن القرآن اشتمل على عناصر أخرى غير القرشية ، وقد أشار ابن فارس الى ذلك فذكر أن القرآن جاء بلهجات اليمن كالأرائك فى قوله سبحانه : (متكئين فيها على الأرائك)[٣٨] فالأريكة — بلغة أهل اليمن — الحجلة فيها سرير « الحجلة مثل القبة وحجلة العروس معروفة وهى بيت يزين بالثياب والأسرة والستور »[٣٩] وكذلك المعاذير فى قوله تعالى (ولو ألقى

---

(٣٧) الصاحبى ص ٣٣ ، ٣٤ .

(٣٨) سورة الانسان الآية ١٣ .

(٣٩) الصاحبى ص ٤٢ الأصل والتعليق .

معاذيره)[٤٠] هى الستور وأهل اليمن يسمون الستر المعذار[٤١] .

وبعد هذا البيـــان نرى أن علماء العربيـــة لم يقصـــدوا بمدح القرشية أنها أشرف لغات الأرض قاطبة عـــلى سبيل التعصب ضد غيرها ، وانما كان من باب بيان فضائل العربية ومزاياها ، ومن هنا يفسد حكم الدكتور لويس بأن كثرة التفاعلات بـــين العربية وغـــيرها من اللغات الأجنبية عنها هى التى أنضجت اللغة العربيـــة انضاجا عظيما واكسبتها مرونة كافية ، وخصوبـــة أفرغتها فى لهجة قريش وأمكنها ذلك وأهلها أن تكون وعـــاء لوحى عظيم فى عصر الرســـول وأداة صالحة للتعبير الفـــكرى العميق حتى عصر ابن خلدون مما أهلها أن تقهر بعض ما جاورها من اللغات تماما كما قهرت اللغة اللاتينية عديدا من لغات أوربا التى فتحها الرومان حتى نهاية العصور الوسطى وظهور القوميات الحديثة فى بداية نحو (١٤٠٠) م .

فهذا الحكم — فى رأينا — أصبح غير ذى موضوع ، وأن ما بنى عليه يعد غير صحيح على الاطـــلاق بعد ما أوضحنا من صلات بـــين العربية وسواها من اللغات وأنها فرع اللغة السامية ذات الخصائص المســـتقلة .

ونضيف فى تفنيد هذا الزعم أن القرشية لم تكتسب الزعامـــة بين لهجات العربية نتيجة لمـــا دخلها من ألفـــاظ هندية أوروبيـــة أو مصرية قديمة بل ان الثابت تاريخيا ولغويا أن زعامتها كانت نتيجـــة عوامل كثيرة هيأت لها سبيل الغلب كما ذكرنا .

وبهذا يثبت ما قرره علماؤنا من أن للعربية خصائصها واستقلالها واذا كانت قد انتفعت باتصالها بغيرها من اللغـــات فهذا فى حدود

---

(٤٠) سورة القيامة الآية ١٥ .

(٤١) الصاحبى ص ٤٢ .

القليل الذى لا يخل بشخصيتها على حد ما ذكر الجواليقى فى كتابه (المعرب) والشهاب الخفاجى فى كتابه (شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل) وأضرابهما من العلماء الذين أشاروا الى بعض الألفاظ التى نقلت الى العربية من اللغات الأخرى ، بل ربما أفـــادت العربية أكثر مما اســـتفادت ، ويكفى أن نعلم أن نحو نصف اللغـــة الفارسية مستعار من اللغة العربية ، وأن نصف ألفاظ اللغة التركيـــة مأخوذ اما من الفارسية أو من العربية[٤٢] .

---

(٤٢) دلالة الألفاظ د. أنيس ص : ١٥١ .

الباب الرابع

اختلاف اللهجات العربية ومظاهره

آثار اللهجات العربية ودراستها :

بدا الاختلاف اللهجى واضحا فى الجزيرة العربية نتيجة لاتصال أهلها ولقاء بعضهم ببعض فى التجارة والأسواق التى كانت تعقد للأدب والشعر وهم وان كانوا يلجأون فى هذه الأسواق الى الفصحى فان لهم لهجاتهم التى كانت تتسرب الى منطقهم فى بعض الأحيان وكانوا يتكلمون بها فى شئونهم الخاصة .

وكان الحجازى يلاقى التميمى وكلاهما من عرب الشمال وكان يلتقى بأهل اليمن وقد علمنا أن اليمن كان المصدر الأساسى لكثير من الهجرات التى كانت تتم من الجنوب الى الشمال وكانت رحلات أخرى تتم الى اليمن من الشمال ، وهنا وهناك اختلطت لهجات المهاجرين من كل صوب ولابد أن جزيرة العرب باتساعها ورحابتها كانت مدعاة الى اختلاف البيئات مما هيأ للهجات أن تنشأ وأن تتصارع فيما بينها حتى أدى ذلك الى سيادة لغة عامة بين العرب جميعا .

ولم يكن الخلاف جوهريا بين اللهجات العربية للصلة القائمة بين العرب ، وقد أورد ابن جنى ما يدل على أن الخلاف بين اللهجات فى الفروع لا الأصول ، قال :

« فان قلت : زعمت أن العرب تجتمع على لغتها فلا تختلف فيها ، وقد نراها ظاهرة الخلاف ، أفلا ترى الى الخلاف فى (ما) الحجازية والتميمية والى الحكاية فى الاستفهام عن الأعلام فى الحجازية وترك ذلك فى التميمية الى غير ذلك ؟ قيل : هذا القدر من الخلاف لقلته ونزارته مختصر غير محتفل به ، ولا معيج عليه ،

وانما هو فى شىء من الفروع يسير ، فأما الأصول وما عليه العامة والجمهور فلا خلاف فيه ، ولا مذهب للطاعن به»[١] وهذا فى اللهجات العربية الشمالية والجنوبية بعد التوحد .

ومع توحد هذه اللهجات تحت لغة عامة فان بقايا اللهجات كانت تجرى على الألسنة فى نطاق بيئاتها المتعددة وظهر أثرها فيما كان النبى ﷺ يفعله من مخاطبة كل الوفود والقبائل التى ترد عليه بلغاتها وحديثه ﷺ : (ليس من امبر امصيام فى امسفر)[٢] مما قاله الرسول لبعض اليمنيين وفيه استعمل المصطفى ﷺ (ام) للتعريف مكان (ال) على طريقة اليمنيين وذلك يعرف فى اللهجات العربية باسم : (طمطمانية حمير) وقد قال على — رضى الله عنه — : يا رسول الله : نحن بنو أب واحد وأم واحدة ونراك تكلم العرب بما لا نفهم أكثره ، فقال : (أدبنى ربى فأحسن تأديبى) .

وقد ظهر أثر هذه اللهجات فى قراءة القرآن الكريم فيما أوضحته بعض الأحاديث من صحة القراءة باللهجات العربية المتعددة والحديث الذى رواه البخارى ومسلم والنسائى عن أبى بن كعب واضح فى هذا الصدد وفى نهايته :

« أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف » .

---

(١) يستثنى من ذلك بعض المظاهر اللهجية فى اليمن قبل الاسلام بزمن طويل حين كان للهجة اليمن خصائصها التى جعلت بعض اللغويين يكاد يرى انها ليست من العربية فى شىء كما نقل ذلك عن أبى عمرو بن العلاء الذى يقول : (ما لسان حمير وأقاصى اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا) وابن جنى الذى يقول : (لسنا نشك فى بعد لغة حمير ونحوها عن لغة (بنى نزار) وابن خلدون الذى يقول : (وتغيرت عند مضر كثير من موضوعات اللسان الحميرى وتصريف كلماته الخ) . انظر كتابنا : اللغة العربية خصائصها وسماتها ط ٣ ص ١٤٠ ، ١٤١ .

(٢) شرح المفصل ٣٤/١٠ .

وقد أخـذ العلماء يشرحون هـذا الحديث ويبينون وجوهـه وما أريد بالسبعة فيه حتى جعل السيوطى من ذلك بابا لعرض هـذه الآراء واستيفائها وهى تربو على الثلاثين[٣] .

ولما أخذ العلماء فى كتابة اللغة وجمعها وتدوينها نظروا الى اللهجات على أنها شىء لا ينبغى الاهتمام به لأن المهم هو الفصحى التى نزل بها القرآن الكريم ويمكن فهمه على أساس دراستها وكذلك فهم سنة النبى الكريم وهنا توافروا على الاهتمام بالفصحى ونبذ اللهجات كما خشوا أن يؤدى جمعهم للهجات الى عدم جمع الكلمة الاسلامية ونقض الوحدة بين الأمة وأخذ العلماء ينظرون الى اللهجات على أنها انحراف عن اللغة المثلى ونسبوها الى العامة والسوقة ورموا بعضها بالرداءة أو المذمة كما فعل ابن فارس فى كتابه (الصاحبى) : (باب الردىء والمذموم من اللغات) واقتبس السيوطى كثيرا مما ذكر فيه من اللهجات وقد اقتصر رواة اللغة فى الأخذ عن قبائل معينة بحجة أنها فصيحة دون غيرها مثل قيس وتميم وأسد وهذيل وكنانة وبعض الطائيين[٤] .

وحين وضعت قواعد النحو واللغة لم ينظروا الى اللهجات الا على أنها تنضوى تحت اطار اللغة العامة : فحاول النحاة صهرها فى بوتقتها ، واخضاعها للقوانين اللغوية العامة ان طوعا وان كرها ، فاذا تأبت عليهم رموها بالقبح أو الشذوذ أو الرداءة .

وقد روى ابن نوفل قال : سمعت أبى يقول لأبى عمرو بن العلاء : أخبرنى عما وضعت مما سميته عربية ، أيدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقال : لا ، فقال : كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ قال : أعمل على الأكثر وأسمى ما خالفنى لغات[٥] .

---

(٣) انظر بحثنا عن القراءات وصلتها باللهجات فى مجلة كلية اللغة العربية بالرياض العدد الثانى عشر .

(٤) المزهر ١/٢١١ ، ٢١٢ .

(٥) المصدر السابق ١/١٨٤ ، ١٨٥ .

وقد ألفت فى اللهجات بعض الكتب الخاصة التى تحددها وتبين بعض ألفاظها ، وكانت تسمى كتب (اللغات) وهى كثير منها كتاب (اللغات) للأصمعى ، وكتاب (اللغات) لأبى زيد الأنصارى وكتاب (اللغات) للفراء وكتاب (اللغات) لابن دريد وغيرها مما لم يصلنا ومما وصلنا منها كتاب (اللغات فى القرآن) لاسماعيل بن عمر المقرىء[٦] ، وكتاب (ما ورد فى القرآن الكريم من لغات القبائل) لأبى عبيد القاسم بن سلام[٧] ، ويتصل هذان الكتابان بالنواحى الدلالية أكثر من غيرها ، ففيهما كثير من اللهجات المنسوبة لقريش وتميم وهذيل وقيس وغطفان وثقيف وحمير والأزد وطيء وهمدان وخزاعة وحضرموت وخثعم ومذحج وسبأ الى غير ذلك ، وفى القرآن بعض الألفاظ غير العربية فارسية ورومية ونبطية وسامية .. الخ كذلك كتب التفسير وعلوم القرآن تحوى كثيرا من اللهجات[٨] .

والى جانب ذلك المعاجم اللغوية فهى تشتمل على ثروة عظيمة من لهجات العرب كالجمهرة لابن دريد والتهذيب للأزهرى ولسان العرب لابن منظور الذى جمع مواد اللغة العربية التى تبلغ ثمانين ألف مادة ، كذلك كتب النوادر كنوادر أبى زيد فيها بعض الجوانب اللهجية وكتب النحو كذلك وان كانت لا تهتم كثيرا باللهجات لأنها (تتناول اللغة بالتقنين والتنظيم ولو أعطى النحاة اللهجات حقها من الدرس لأراحونا من كثير من تأويلاتهم النحوية التى تبعد عن الفهم الصحيح للظاهرة اللغوية)[٩] ، وفى كتاب سيبويه اشارات واضحة الى هذه اللهجات

---

(٦) حققه ونشره د. صلاح الدين المنجد ط الرسالة ١٩٤٦ م .

(٧) طبع مع تفسير الجلالين دار القلم ١٩٦٦ ونقل عنه السيوطى فى النوع السابع والثلاثين بالاتقان ١/١٧٥ وما بعدها .

(٨) انظر البرهان فى علوم القرآن للزركشى والاتقان للسيوطى وغيرهما .

(٩) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ٥٧ ، ٥٨ .

كأن يقول « قوم من العرب يقولون »[١٠] أو نـــاس من العرب[١١] أو بعض العرب الموثوق بهم[١٢] الى غير ذلك ، وسيبويه يصف اللهجة أحيانا بأنها جيدة[١٣] وأحيانا أخـــرى بأنها رديئة[١٤] أو رديئة جدا أو ضعيفة أو قليلة خبيثة[١٥] .

وقد اهتم النحاة المتأخرون باللهجات اهتماما كبـــيرا كابن مالك والرضى والسيوطى « ولابد لنا من التنبيه عـــلى أن الرواة والعلماء لم يدونوا اللهجات على مناطق العرب قبل تهذيب قريش للغة ولكنهم تناقلوا من ذلك أشياء كانت لعهد الاسلام وأشياء أصابوها فى أشعار العرب مما صحت روايته قبيل ذلك »[١٦] .

وفى القرن الرابع بدت نظرية ابن جنى فى العناية باللهجات ، وعدها حجة اذا كانت موافقة للقياس أو مخالفة له ، فما وافقه قيس عليه ، وما لم يوافقه حفظ ولم يقس عليه ، وقد وضع تفصيل ذلك فى « باب فى اختلاف اللغات وكلها حجة »[١٧] وهو يعنى بذلك جواز استعمال اللهجـــات جميعا .

وقد وضـــع ابن جنى فى هذا الباب قواعد لقبـــول اللهجة أو ردهـــا .

١ — فتقبل اللهجتان أو اللهجات اذا كانت على قـــدر واحد من

---

(١٠) الكتاب ١/١٦٤ .
(١١) المصدر السابق ١/٢٥٤ .
(١٢) المصدر السابق ١/٣٢٤ .
(١٣) المصدر الســـابق بتحقيق الأستـــاذ هارون ١/٨٢ ، ٢٠٥ ، ٢/٤٠٧ .
(١٤) المصدر السابق ط بولاق ٢/٢٩٤ .
(١٥) المصدر السابق ٢/٣٥٨ .
(١٦) تاريخ آداب العرب ١/١٢٠ ، ١٢١ .
(١٧) الخصائص ٢/١٠ والمزهر ١/٢٥٧ .

الاســتعمال والقياس وهذا معنى قوله بقبول اللهجتين اذا كانتا فى الاستعمال والقياس متدانيتين متراسلتين أو كالمتراسلتين •

وطبق ذلك على لغتى الحجــازيين والتميميين فى (ما) فلغــة التميميين فى ترك اعمالها يقبلها القياس ، ولغة الحجازيين فى اعمالها — كذلك — يقبلها القياس لأن لكل واحد من القولين ضربا من القياس يؤخذ به ، ويخلد الى مثله[١٨] •

لكن لك أن ترجح احداهما على الأخرى اذا كانت أقوى قياسا أو أكثر استعمالا فقال : لكن غاية مالك فى ذلك أن تتخــير احداهما فتقويها عــلى أختها وتعتقد أن أقوى القياســين أقبــل لها وأشد أنسابها » •

ويصرح فى موضع آخر بأن التميمية أقوى قياسا من حيث كانت عندهم كهل[١٩] •

ومع ذلك يفضل ابن جنى الأكثر استعمالا فى القــرآن يقول : (الا أنك اذا استعملت شيئا من ذلك فالوجه أن تحمله عــلى ما كثر استعماله وهو اللغة الحجازية ألا ترى أن القرآن بها نزل) •

---

(١٨) قياسها عند بنى تميم انها حرف مشترك بين الأسماء والأفعال ومن حق الحرف المشترك أن يكون مهملا فهى كهل ، قال سيبويه : (واما بنو تميم فيجرونها مجرى أما وهل ، وهى القياس لأنها ليست بفعل وليس ما كليس ولا يكون فيها اضمار) . الكتاب ٢٨/١ .

وقياسها عند الحجازيين شبهها بليس فى ثلاثة أمور : الدلالة على النفى فى الحال ، ودخول كل منهما على المبتدأ والخبر ، واقتــران الخبر بعد كل منهما بالباء مثل : اليس الله بكاف عبده ، — ما انت بنعمة ربك بمجنون .

(١٩) الخصائص ١٢٥/١ .

وليس معنى ذلك أنه يناقض نفسه لأنه جعل القضية دائـرة على أساس الاختيار بين قوة القياس وكثرة الاستعمال وهو يفضل ما كثر استعاله على ما قوى قياسه •

أما ما تساويا فيه قياسا واستعمالا فأنت بالخيار فيه ، ومـع ذلك وردت اللهجة التميمية فى بعض القراءات كما فى قراءة(ما هذا بشر) و (ما هن أمهاتهم) — بالرفع — ولذا قدم فى كلامه الاستعمال على القياس •

٢ — اذا كانت احدى اللهجتين أكثر استعمالا ، وأقوى قياسا من الأخرى فالمختار الأكثر استعمالا الأقوى قياسا ، قال : فأما أن تقل احداهما جدا ، وتكثر الأخرى جدا فانك تاخذ بأوسعهما رواية . وأقواهما قياسا ، ألا تراك لا تقـول : مررت بك — بفتح الباء — ولا المـال لك — بكسر اللام — قياسا على قول قضاعة : المـال له — بكسر اللام — ومررت به — بفتح الباء — ولا تقول : أكرمتكش قياسا على لغة من قال : مررت بكش وعجبت منكش[٢٠] •

والأساس هو كثرة الاستعمال — على ما يبدو — وان اعتمد معه قوة القياس — ليزيد الأمر وضوحا — فالقياس على قول قضاعة قياس لا يعضده كثرة الاستعمال ، مع أن كسر اللام يمكن أن يكون لـه وجه من القياس على المفرد الظاهر مثل (له) و (لزيد) والكشكشة ربما كانت موضحة للمؤنث وفارقة بينه وبـين المذكر قياسا حـال الوقف •

٣ — جواز استعمال اللهجة القليلة الاسـتعمال ، الضعيفة فى القياس فى الشعر والسجع ، وهو فى نظر ابن جنى مقبول عند الاحتياج

---

(٢٠) المصدر السابق ٢/١٠ •

اليه وغير منعى عليه فهو فى ذلك جرى على لهجات العرب وسننها ، فلو استعملها انسان لم يكن مخطئا لكلام العرب ، لكنه يكون مخطئا لأجود اللغتين ، والناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطى •

والجودة تأتى بكثرة الاستعمال ، وقوة القيـاس ، وهذا فيما وضع فى عصور الاحتجاج ، أما كلام المولدين فلا يحتج به[٢١] •

وهذا هو الأزهرى ينقل الروايات المتعددة عن قول العرب : ماء ملح ومالح وأن المسموع كثيرا هو ملح لا مالح الذى لم يجىء الا فى بيت العزاز :

بصرية تزوجت بصريا   يطعمها المالح والطريا

ونقل عن يونس أنه لم يسمع أحدا من العرب يقول (ماؤها مالح) وأنه يقال : سمك مالح وأحسن منه سمك مليح ثم قال الأزهرى :

هذا وان وجد فى كلام العرب قليلا فهى لغة لا تنكر[٢٢] •

وهذا مما أعطى اللهجات أهمية لغوية يمكن أن يفاد منها فى اللغة والقراءات وبيعد بها عن الذم والتجريح ، وكانت منطلقا لرد نقد النحاة لبعض القراءات وادعاء مخالفتها للفصاحة[٢٣] •

ولكننا لو ألقينا نظرات فاحصة على دراسة ابن جنى للهجات

---

(٢١) المصدر السابق ١٢/٢ •

(٢٢) التهذيب ٩٨/٥ ، ٩٩ •

(٢٣) انظر بحثنا عن القراءات وصلتها باللهجات •

وهو من هو فى اللغة والنحو لوجدناه يسلك الطريق السديد فى معرفة اللهجات واحتجاجه بها ولها فلم يكن نحويا عاديا يجمع ثم يكتب بطريقة تقليدية بل اعتمد على مصادر موثوق بها فى الوصول الى هدفه وهى مشافهة الأعراب[٢٤] .

وقد لاحظ الدكتور الراجحى ذلك صفة واضحة عند ابن جنى فقرر « أن أبا الفتح يدرك ما للمصدر البشرى من قيمة كبيرة فى استقاء اللغة ، هذا المصدر الذى يعتمد عليه دارسو اللهجة فى المقام الأول والذى يسمونه the informer وفرق بين المشافهة لصاحب اللهجة وبين روايتها بطريق السماع عنه[٢٥] وقد نقل قوله فى ذلك :

« فليت شعرى اذا شاهد أبو عمرو وابن أبى اسحاق ويونس وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه وأبو الحسن وأبو زيد وخلف الأحمر والأصمعى ومن فى الطبقة والوقت من علماء البلدين وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها وتقصد له من أغراضها ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات ولا تضبطه الروايات فتضطر الى قصود العرب وغوامض ما فى أنفسها حتى لو حلف منهم حالف على غرض دلته عليه اشارة لا عبارة لكان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله صادقا فيه غير متهم الرأى والنحيزة والعقل[٢٦] فلا غرو — اذا — أن يكون للهجات نصيب كبير فيما وصلنا له من آثار علمية .

وكان ظهور اللهجات فى كتب ابن جنى ثمرة من ثمرات فكره وعلمه الغزير فقد درس اللغة وأبرز سماتها الخاصة وملامح جمالها

---

(٢٤) انظر ص ٢٩٤ من رسالتنا للدكتوراه عن (ابن جنى اللغوى) .
(٢٥) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص ٦١ .
(٢٦) الخصائص ١/٢٤٨ .

وحيـوتها وتوليدها واتسـاعها بمظـاهرها المتعددة من الأصـوات والاشتقاق والقياس والدلالـة بما تشمله من معان متطورة ومتقابلة أو متلاقية وكل ذلك له صلة باللهجات التى هى المصدر الوثيق لكل ما وضع من مبادىء وما أرسى من دعائم وقد حرص دائما على بيـان هذه الصلة فى دراسته لها ، والباحث يرى فى كتبه لهجات للقبـائل الآتية : قيس — بنى سليم — هذيل — عقيل — الحجـاز وتميم — الأنصار — أزد السراة — بنى كلاب — بنى أسد — ربيعة — هذيل ، وهذه اللهجات لها ما يسوغها من البيئة التى نشأ بها أصحابها فهنـاك بيئة البادية وبيئة الحـاضرة ولكل منهما آثـار على أهلها جسـميا واجتمـاعيا وفكريا كما أن لها أثرا ملحوظـا فى كلامها واتجاهاتها الصوتية والمعنوية ولا ريب أن عالمنا ابن جنى قد أورد هذه اللهجات ليوضح خصائص العربية وسماتها المميزة أو ليحتج بها لقراءة وصفت بالشذوذ عند غيره .

وقد أبرزت كتب لغويـة متعددة ألوانا ومظـاهر من اللهجات العربية ككتاب فقه اللغة لابن فارس وفقه اللغة للثعالبى والأمـالى للقـالى ، وأدب الكاتب لابن قتيبـة وشرح الفصيح للبطليوسى ولابن درستويه ولابن خالويه ومعجمات اللغة وغيرها .

وكان أصحاب هذه المؤلفات يعبرون عنها (باللغات) ولم يظهر مصطلح اللهجـات واضحا الا فى العصر الحديث الذى برزت فيـه دراسة اللهجات واعتنى بها كثـيرا وظهرت فيها البحوث العلميـة الجـادة .

وقد وردت الينا بعض الشواهد القليلة من الأبيـات الشعريـة وبعض الآثار الأدبية الأخرى التى تحمل طـابع اللهجات المنزويـة المقهـورة ، ويتمثـل ذلك فى بعض ما ورد من الآثـار التى صحت روايتها فى العصر الجاهلى والاسلامى أو ما سمعه الرواة من أفواه العرب المعاصرين لهم فى البدو والحضر .

ولم يكن هم رواة اللغة حصر أنواع اللهجات وجمع كل نصوصها وشواهدها والعناية بحفظها من عوادى الزمن لتؤكد الجوانب اللغوية المتنوعة بين القبائل وتجعل لها تاريخا يوضح آثارها وملامحها وصفاتها وما عرض لها من تغير مع مرور الزمن على لسان القبائل الناطقة بها وما بينها من صلات القرب أو البعد •

ولو أنهم فعلوا ذلك لأفادوا العربية افادة كبيرة لتفسير أمورها والغامض من أسرارها •

مظاهر اختلاف اللهجات

ان الناظر فيما وصل الينا من آثار هذه اللهجات يجدها تتنوع بين ما يتصل بالجانب الصوتى وما يتصل بالجانب الدلالى .

فما يتصل بالجانب الصوتى يتجلى فى الاختلافات التى تبدو فى تغير بعض الحروف والحركات من قبيلة الى أخرى أحيانا ، وهذا مايطلق عليه اللغويون اسم (الابدال)[1] وعلى ذلك تختلف بنيتها وصيغتها ، كما يمكن أن تختلف الحركات الاعرابية وغيرها من وجوه النحو بين القبائل ، ويمكن أن يتقدم حرف على آخر فيما يسمى ظاهرة (القلب المكانى) ، وقد يلاحظ الاختلاف بين القبائل فى حذف بعض الحركات أو الحروف أو زيادتها ، وهذا كله يتعلق بالجانب الصوتى .

أما ما يتصل بالجانب الدلالى فيبدو فى اختلاف القبائل العربية فى معانى الألفاظ وتنوع دلالتها وقد نشأ عن تنوع الدلالة ظهور المشترك والمتضاد والمترادف فى ألفاظ العربية .

ومن ذلك ما روى أن أبا هريرة — وهو دوسى —[2] قال له النبى ﷺ يوما : ناولنى السكين — وكانت قد وقعت من يده — فالتفت أبو هريرة يمنة ويسرة ولم يفهم المراد بلفظ السكين ، فكرر له القول ثانية وثالثة ، فلم يفهم ، ثم قال أبو هريرة : آلمدية تريد ؟ فقيل له : نعم ، فقال : أو تسمى عندكم سكينا ؟ ثم قال : والله لم أكن سمعتها الا يومئذ .

---

(١) سنتحدث — ان شاء الله — عنه تفصيلا بعد قليل ونتحدث أيضا عن أهم المظاهر الأخرى .

(٢) دوس بطن من الأزد .

وقد ينفرد عربى ببعض ما تقدم دون أن نعرف القبيلة التى سمع منها ذلك بأن تجمع العرب على نطق معين أو معنى خاص ، ثم يسمع من أحدهم ما يخالف ذلك مما لم يسمع من غيره .

وقد ذكر ابن جنى بعض ذلك فى خصائصه فى أبواب منها : (باب فيما يرد عن العربى مخالفا لما عليه الجمهور)[٣] و (باب فى الشىء يسمع من العربى الفصيح لا يسمع من غيره)[٤] ، وقد ذكر ابن جنى تفسير هذا الوارد بأنه اذا كان العربى فصيحا فى غير ذلك وكان ما جاء به مما يقبله القياس الا أنه لم يرد به استعمال الا من جهة ذلك الانسان فان الأولى فى ذلك أن يحسن الظن به وألا يحمل على فساده ... ويمكن أن يكون ذلك قد وقع اليه من لغة قديمة قد طال عهدها ، وعفا رسمها ، وتأبدت معالمها[٥] .

واما أن يكون شيئا ارتجله كابن أحمر الذى تبتت الشهادة بفصاحته ، والأعرابى اذا قويت فصاحته وسمت طبيعته تصرف وارتجل ما لم يسبقه أحد قبله به ، وقد حكى عن رؤبة وأبيه أنهما كانا يرتجلان ألفاظا لم يسمعاها ولا سبقا اليها ، وما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم ، فيحمل الأمر على ما يبدو وان كان يحتمل غير ذلك ، فمن شهرت فصاحته يقبل منه ما يورده ، ويحمل أمره على ما عرف من حاله ، لا على ما عسى أن يكون من غيره ، وذلك كقبول القاضى شهادة من ظهرت عدالته ، وان كان يجوز أن يكون الأمر عند الله بخلاف ما شهد به ، فالقاضى مأمور بحمل الأمور على ما تبدو لا على العمل بما عند الله لأنه لم يقع له به العلم[٦] .

---

(٣) الخصائص ١/٣٨٥ — ٣٩١ .

(٤) المصدر السابق ٢/٢١ — ٢٨ وانظر ما نقله السيوطى فى المزهر ١/٢٥٥ .

(٥) المصدر السابق ١/٣٨٦ .

(٦) المصدر السابق ٢/٢٣ — ٢٧ .

أما اذا كان ما سمع منه يخالف القياس كرفع المفعول ، وجـر الفاعل ، ورفع المضاف اليه ، فينبغى أن يرد ذلك لأنـه جاء مخالفا للقياس والسماع جميعا .

واذا كان العربى الذى سمع منه ذلك مضعوفا فى قوله مألوفا منه لحنه وفساد كلامه فالصواب أن يرد ذلك عليه ولا يقبل منه[٧] .

واذا سمع ما هو ضعيف فى القياس من عدد كثير فالمحتمل أحد أمـور :

١ — أن يكون من نطق به لم يحكم قياسه على لغة آبائهم .

٢ — أن يكون السامع قصر فى استدراك وجه الصحة .

٣ — أن يكون هذا الضعيف الوجه قد تسرب الى لسـان هذا الفصيح من لغة غير فصيحة فاسدة الأصل ترددت على سمعه كثـيرا فسرت فى كلامه ، مع صحة لغته فى غيرها ، فكأنه جمع بين لغتين ، الأولى فصيحة هى لغته ، والأخرى فاسدة انتقل لسانه اليها فى هذا الأمر الفاسد فقد يتوهم من يسـمع فصاحته أن يقبل منه الفاسد ويدخل عليه ظنا أنه فصيح كلغته السائدة .

وهذا جائز اذا سلمنا بأن العربى ينتقل لسانه ، وقد ينتقل الى لغة فصيحة أحيانا ، والى لغة فاسدة أحيانا أخرى .

ويستبعد ابن جنى الاحتمال الثالث باعتبار أن العربى الفصيح ينفر من الخطأ فى اللغة ، فلا يطاوعه لسانه عليـه (فالفصيح اذا عدل به عن لغة فصيحة الى أخرى سقيمة عافها ، ولم يبهأ بهـا) وقد جرب ذلك ابن جنى بأن سـأل أبا عبد الله الشجـرى — وهو أعرابى فصيح — ومعه ابن عم له دونه فى الفصاحة يسمى غصنا ،

---

(٧) المصدر السابق ٣٨٧/١ ، ٣٩١ .

فقال لهما : كيف تحقران حمراء ؟ فقالا : حميراء ، قال لهما : فسوداء ؟ قالا : سويداء ، ووالى ابن جنى من ذلك أحرفا أخرى ، وهما يجيئان بالصواب قال ابن جنى : فدسست فى ذلك (علباء) فقال غصن — الضعيف فى الفصاحة — : (علبياء) ، وتبعه الشجرى ، فلما هم بفتح الياء تراجع كالمذعور ، ثم قال : آه : عليبى ، ورام الضمة فى الياء •

ودلل ابن جنى بذلك على أن العرب — ولا سيما أهل الجفاء وقوة الفصاحة — يستنكرون خلاف اللغة استنكارهم زيغ الاعراب ، ويتنبهون الى زيغ الاعراب أكثر من خلاف اللغة لاعتمادهم على سماع لهجات كثيرة غير ما ينطقون به من ألسنة اخوانهم المجاورين لهم أو البعيدين عنهم[٨] •

(٨) الخصائص ٢/٢٥ ، ٢٦ •

الفصل الأول

الابدال وأثره في اللهجات

تعريفه : فى اللغة مصدر أبدلت كذا من كذا اذا أقمته مقامه(1) والأصل فيه : جعل شيء مكان شيء آخر(2) .

وفى الاصطلاح : جعل حرف مكان آخر مع الابقاء على سائر أحرف الكلمة(3) . وينظر اليه اللغويون على أنه جعل حرف مكان آخر أو حركة مكان أخرى .

والابدال نوعان :

1 – مطرد عند جميع العرب وهذا اذا استوفى شرطه وجب

---

(1) شرح التصريح ٣٦٦/٢ ولسان العرب ٥٠/١٣ ، ٥١ .

(2) اللسان ٥٠/١٣ .

(3) فى كتب التصريف تفريق بين الابدال والتعويض والقلب وبيان للنسبة بينها فهى تعرف الابدال بأنه : جعل حرف مكان آخر مطلقا والتعويض بأنه جعل حرف خلفا عن حرف آخر أو أكثر سواء كان المعوض فى غير مكان المعوض عنه مثل عدة وابن أو فى مكانه نحو اصطبر ومخيريج فى تصغير مستخرج ، فكل ابدال تعويض ولا عكس ، والقلب هو : جعل حرف من حروف العلة والهمزة مكان حرف منها مثل قام وقائم فكل قلب ابدال ولا عكس ، وقد خرج التعويض عن تعريف الابدال بقيد المكان . وخرج القلب بقيد الاطلاق اذ هو يختص يكون المبدل فى مكان المبدل منه ولا يختص بحروف العلة ، ومن راعى الاختصاص جعل بينها التباين . انظر الأشمونى مع الصبان ٢٧٩/٤ ، ٢٨٠ والتصريح ٣٦٦/٢ والخصائص ٢٦٥/١ ، ٢٦٦ والأشباه والنظائر ١٢٣/١ – ١٢٥ ومقدمة الابدال لأبى الطيب اللغوى ٩/١ .

تنفيذه وهو الخاص بحروف (هدأت موطيا) وقد تكفل علم الصرف بدراســـته .

٢ ــ الابدال غير المطرد ، وهو الذى لا يخضع لشرائط خاصة بحيث اذا لم ينفذ عد مخالفه مرتكبا ســـبيل الشذوذ وهذا لا يكون عند العرب جميعا ولكن يتنوع بين القبائل[٤] فقبيلة تقول أن وأخرى عن وهذا هو الذى تتنوع عن طريقه اللهجات العربية ويمكن الانتفاع به فى دراستها كما يمكن الربط بين الألفـــاظ المتشابهة فى اللغـــات السامية[٥] فالعربية والسريانية والعبرية وغيرها من أخواتها ترجـــع الى لغة واحدة هى السامية الأم الا أنها اختلفت لاختـــلاف البيئات والأحوال وأحيانا يكون هذا الابدال قياسيا ، فالثاء فى العربية تقابلها الشين فى العبرية والتـــاء فى السريانيـــة فـــ (يثب) العربية يقابلها (Yashav) العبريـــة و (Yateb) السريانية وأمثلة هذا التبـــادل كثيرة فى الأخوات الساميات[٦] .

كما يمكن الربط عن طريق الابدال بين اللغات الانسانية بعضها وبعض بكشف أوجـــه التشابه والاختـــلاف فى الأصـــوات كما فى (Cable) الانجليزية و (كبل) و (حبل) فى العربية ويترتب عليه انتقال الكلمات من لغة الى أخـــرى وهـــذا يكشف عن تفرع اللغات الانسانية من أصل واحد ويمكن اجراء مثل هذا النوع من البحوث الابدالية بين العربية واللغات الأخرى وتحديد الأصل فى هذه اللغات والمنقول وهى عملية مطروحة للبحث والدراسة لكنها تحتـــاج الى حيدة علمية ودلائل موضوعية لاثبات الأصالة والفرعية فى اللغات ولعلنا نستطيع

---

(٤) فقه اللغة د. نجا ص ٢٦ ، ٢٧ واللهجات العربية ص ٥٥ .

(٥) فقه اللغة للدكتور محمد المبارك ص ٥٠ .

(٦) الفلسفة اللغوية لجـــورجى زيدان ص ٣٦ ، ٣٧ وفيـــه امثلة للابدال فى العبرية والاشورية .

— ان شاء الله — أن نقوم بنوع من هذه البحوث فى دراسة مقارنـــة بين العربية وغيرها لنضـــع الحقيقـــة الناصعة أمام العيون بســـبق العربية لسواها من اللغات الأخرى واثبات قدمها الراسخة فى وضع الألفاظ والدلالات اللغوية .

لهذا وغيره من المزايا كانت تلك الظاهرة مثار البحث بـــين علماء اللغـــة .

آراء العلماء في الابدال

لما كانت ظاهرة الابدال تمثل قدرا كبيرا فى تفسير ما قيل انه من اللهجات العربية أرى من الضرورة العلمية ذكر آراء العلماء فى قضية الابدال ، وما حكموا فيه بتطور الألفاظ بعضها عن بعض أو ما نشأ منها عن طريق اختلاف اللهجات ، وأسباب هذا الحكم أو ذاك •

وقد أولى ابن جنى هذه الظاهرة عناية فائقة فى بعض كتبه ، ونسب اليه رأى أصبح شائعا فى أوساط اللغويين ممثلا للرأى القديم عند علماء اللغة العرب ، ولذا كان علينا أن نورد رأيه مدعما بأدلته ، ونبين من تابعه عليه من القدامى والمحدثين ، ثم نذكر علاجا حديثا لهذه المشكلة اللغوية ليتضح تفرع الألفاظ العربية المختلفة فى بعض الحروف وطرق نشأتها ، هل حدثت بطريق الابدال والتطور الصوتى أو المعنوى أو نشأت عن لهجات متعددة لا صلة لاحداها بالأخرى ، وبهذا نكشف نوع الصلة بين بعضها وبعض • ونضع أساسا صالحا للتفسير اللغوى الذى نرتضيه فيما حدث من اختلاف لفظى أو معنوى بين القبائل فيما يمكن تفسيره على أنه من الابدال أو اختلاف اللهجات •

رأى ابن جنى :

ان ابن جنى قد عرض للأبدال كظاهرة لغوية لها أهميتها فخصص لها قدرا كبيرا من مؤلفاته — كما ذكرنا — ويكفينا دلالة على هذا الاهتمام قوله فى اعتزامه أن يشرح كتاب يعقوب بن السكيت فى القلب والابدال « ونحن نعتقد ان أصبنا فسحة أن نشرح كتاب يعقوب بن السكيت فى القلب والابدال فان معرفة هذه الحال فيه

أمثل من معرفة عشرة أمثال لغته وذلك أن مسألة واحدة من القياس أنبل وأنبه من كتاب لغة عند عيون الناس(٧) .

ورأى ابن جنى يتلخص فى أنه نظر الى كل كلمتين اتحدتا فى جميع الحروف الا حرفا واحدا واتحدتا فى المعنى على أنهما تارة يكونان من الابدال وأخرى من اختلاف اللغات (اللهجات) وقد وضع مقياسا للحكم على الكلمتين متى تكونان من قبيل الابدال ومتى تكونان من اختلاف اللهجات ؟

« فمتى أمكن أن يكون الحرفان جميعا أصلين كل واحد منهما قائم برأسه لم يسغ العدول عن الحكم بذلك فان دل دال أودعت ضرورة الى القول بابدال أحدهما من صاحبه عمل بموجب الدلالة وصير الى مقتضى الصنعة(٨) ، وقد تبين من كلامه العديد فى سر الصناعة والخصائص أن مقياسه هو أن اللفظين اذا تساويا فى الاستعمال والتصرف « فلست بأن تجعل أحدهما أصلا لصاحبه أولى منه بحمله على ضده » وعلى هذا فكل لفظة لغة لقوم بأعيانهم يقول فى سر الصناعة : علث الطعام — وغلثه والنشوع والنشوغ لغات كلها لاستوائها فى الاطراد والاستعمال(٩) ويقول فى الخصائص « هتلت السماء وهتنت هما أصلان ألا تراهما متساويين فى التصرف يقولون

---

(٧) الخصائص ٨٨/٢ .

(٨) المصدر السابق ٨٢/٢ .

(٩) المصدر السابق ٢٤٧/١ ، ٢٤٨ ، علث وغلث الطعام : خلطه ، والمادتان مذكورتان فى المعاجم (اللسان ٤٧٤/٢ ، ٤٧٨) ولعل احداهما ناشئة عن الأخرى بطريق التصحيف ، ومادة (نشع) — بالعين — فى المعاجم دون الغين ، والنشوع هو السعوط والوجور الذى يوجره المريض أو الصبى والسعوط فى الأنف والوجور فى الفم ، ويقال : نشع الطيب : شمه (اللسان ٢٣٢/١٠) .

هتنت السماء تهتن تهتانا وهتلت تهتل تهتالا وهي سحائب هتن وهتل[١٠]
ويقول في موضع آخر : « فأما قولهم اناء قربان وكربان اذا دنا أن يمتلىء فينبغي أن يكونا أصلين لأنك تجد لكل واحدة منهما متصرفا أي قارب أن يمتلىء وكرب أن يمتلىء[١١] فمن النصوص السابقة نفهم وجهة نظره فيما اذا تساوت الكلمتان في التصرف والاستعمال وهي أن تكون كل منها لغة (لهجة) ، أما اذا لم تتساو الكلمتان تصرفا واستعمالا بأن كانت احداهما أكثر تصرفا أو أدور استعمالا فانهما حينئذ من قبيل الابدال وتكون الكلمة الكثيرة التصرف أو الاستعمال هي الأصل[١٢] والقليلة هي الفرع[١٣] وهذا يتضح لنا أيضا من كلام ابن جني نفسه يقول في الخصائص « رجل خامل وخامن النون فيه بدل من اللام ألا ترى أنه أكثر وأن الفعل عليه تصرف وذلك قولهم خمل يخمل خمولا وكذلك قولهم قام زيد فم عمرو الفاء بدل من الثاء في ثم ألا ترى أنه أكثر استعمالا »[١٤] ويقول في سر الصناعة « وأما

---

(١٠) ٨٢/٢ بتشديد التاء المفتوحة في هتن وهتل وتتفق اللام والنون في المخرج وهو طرف اللسان مع اللثة العليا وبينهما الراء وتتفقان في جميع الصفات وهذا يسوغ التبادل بينهما وقد جزم ابن جني بأنهما أصلان يعني أنهما في لهجتين مختلفتين وليسا من الابدال وقد ورد في كتب اللغة ما يؤيد أنهما لهجتان ونسبت الكلمات التي باللام الى أهل الحجاز وتميم وقيس وكثير من أهل نجد ، ونسبت الكلمات التي بالنون الى بني سعد من مضر وبعض كلب (البحر ٣١٨/١ والتهذيب ٣٩٤/١٥ والقلب والابدال ٢٨٧) .

(١١) ٨٦/٢ ولا مانع من التبادل بين القاف والكاف لانهما من مخرج واحد وهو أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى ويتفقان في الانفتاح والأصمات والهمس — على رأى المحدثين في القاف ، ويمكن نسبتهما الى اللهجات أيضا ، ولعل القاف مناسبة للقبائل البدوية لأنها من الأصوات المستعلية والكاف للقبائل الحضرية لاستثقال الكاف ورقتها .

(١٢) المبدل منه . (١٣) المبدل .

(١٤) ٨٤/٢ ولا مانع من التبادل بينهما لتوافر العلاقة الصوتية فهما شفويان ومتفقان في جميع الصفات ما عدا الذلاقة للفاء والاصمات للثاء ، ويجوز أن تكون كل منهما أصلا دون النظر الى حكم لابن جني بأصالة الثاء لكثرة التصرف ، ومن الجائز نسبتهما الى اللهجات على أن تكون الفاء للحجاز والثاء لتميم .

قولهم فى الدرع نثرة ونثلة فينبغى أن يكون الراء بدلا من اللام لقولهم نثل عليه درعه ولم يقولوا نثرها فاللام أعم تصرفا فهى الأصل »(١٥) ويقول فى موضع آخر « يقال تركته وقيذا أو وقيظا والوجه عندى والقياس أن تكن الظاء بدلا من الذال لقوله عز اسمه والموقوذة بالذال ولقولهم وقذة يقذه ولم أسمع وقظه ولا موقوظة فالذال اذا أعم تصرفا فلذلك قضينا بأنها هى الأصل »(١٦) .

ويمكن بعد هذا أن نقول ان رأى ابن جنى هو : الكلمتان المتحدتان فى جميع الحروف ما عدا حرفا واحدا يكونان .

١ — **من الابدال** : اذا أمكن الحكم بأصالة احدى الكلمتين وفرعية الأخرى وذلك — كما نقلنا عنه — اذا كانت احدى الكلمتين أكثر تصرفا أو استعمالا من صاحبتها ، وهذا يمكن حدوثه عند قبيلة واحدة أو عند العرب جميعا .

٢ — **من اختلاف اللهجات** : اذا لم يمكن الحكم بأصالة احدى

---

(١٥) ٢٠٦/١ ومعانى المادتين متقاربة ، فهما تدوران حول التفريق ونقل الشىء من مكان الى غيره ، ونثر معروفة فى التفريق ونثل : منها نثل الركية أخرج ترابها ، ونثل كنانته : أخرج ما فيها من النبل ، ونثل اللحم فى القدر وضعه فيه مقطعا ، ومقياس التصرف ليس هو الأساس لمعرفة الأصل فيجوز أن يكون كل من الراء أو اللام اصلا أو أن اللام نشأت لثغة عن الراء أو كل منهما أصل فى لهجتين مختلفتين والراء لتميم واللام للحجاز (التهذيب ٣٨٢/٢ ، ٩١/٨ ، ٣٥٥/١٢ ، ١٥٨/١٣ ، ٢٥٧) .

(١٦) ٢٣٣/١ والتبادل سائغ بينهما لاتفاقهما فى المخرج والصفات ما عدا الاستعلاء والاطباق فى الظاء والاستفال والانفتاح فى الذال ، وحكم ابن جنى بكثرة تصرف الكلمة بالذال غير سديد لكثرة تصرف الكلمة بالظاء أيضا كما ورد فى المعاجم (القاموس ٤٠٠/٢) واللائق بالأمر أن تكون الظاء فى بيئة بدوية تميل الى التفخيم والأصوات المستعلية المطبقة ، وأن تكون الذال من خصائص بيئة حضرية تميل الى الترقيق والأصوات المستفلة المنفتحة .

الكلمتين وفرعيـة الأخـرى ، وذلك بأن تتسـاوى الكلمتان تصرفا واستعمالا ويكون عنده قبائل متعددة .

وهذا الحكم المبنى على الشيوع وكثرة التصرف قد تعرض لنقد علماء اللغة فوجهته غير صـالحة لأن تكون مقياسا علميا سديدا وقد ناقش هذه الفكرة أستاذنا الدكتور نجا وأثبت عدم صلاحيتها وحـدد وجوه الضعف فى نقاط نجملها فيما يلى :

١ ــ مقياس التصرف لا ينبغى أن يعول عليه لجواز الاستغناء عن تصرفات الكلمـة القليلة التصرف بتصرفات كلمة أخـرى أو أن الكلمة متصرفة ولم يصل اليها الرواة ويعقب أستاذنا على ذلك بقوله « وعلى هذا فعدم الاشتقاق فى الظاهر لا يصح أن يكون مقياسا معولا عليه فى الحكم بالفرعية لمـا سبق » .

٢ ــ كثرة الاستعمال الذى يعتبره أصحاب هذا الرأى مقياسا للأصالة والفرعية لا يسير وفق أمر مطـرد حتى نتخذه مقياسا لهذا الأمر فالكلمة قد تنتشر فى عصر وتهمل فى غـيره مما يجعـل الكلمة معرضة للأصالة والفرعية ثم يقول معقبا « وهذا ما يجعل ذلك الأساس غير مستساغ »[١٧] .

على أننا نلاحظ أن ابن جنى نفسه قد أحس بضعف هذا المقياس فى قرارة نفسه وظهر فى تطبيقه له بما يؤكد لنا تشككه فى صلاحيته : يقول فى سر الصناعة : وقالوا خطر بيده يخطر وغطر يغطر فالغين كأنها بدل من الخاء لكثرة الخاء وقلة الغين وقد يجوز أن يكونا أصلين الا أن أحدهما أقل من صاحبه[١٨] ، ويقول فى الخصائص « فأما قولهم

---

(١٧) اللهجات العربية ٥٧ وفقه اللغة ٢٩/٤ .

(١٨) ٢٤٧/١ ، ظاهر أن العلاقة الصوتية تسوغ التبادل بين الخاء والغـين فكلاهما من حروف الحـلق من أدنـاه وتتفقان فى الرخـاوة والاستعلاء ، ويبدو أن الاختلاف ــ هنا ــ ناشىء عن اختلاف اللهجات ، والغين للبدو لميلهم الى الحـروف المجهورة والخـاء للحضر لميلهم الى المهموس وهو المشهور فى كتب اللغـة .

ما قام زيد بل عمرو وبن عمرو فالنون بدل من اللام ألا ترى الى كثرة استعمال (بل) وقلة استعمال (بن) والحكم على الأكثر لا على الأقل هذا هو الظاهر من أمره ولست مع هذا أدفع أن يكون (بن) لغة قائمة براسها[١٩] ، ففى النصين السابقين دليل واضح على عدم اعتداد ابن جنى بهذا المبدأ وتشككه فيه .

وقد أوضح أستاذنا الدكتور نجا أن ابن جنى ومن تابعه قد تخلوا عن التزام هذا المقياس فيما ورد عنهم مما يجعلنا لا نوقن بالتزامه وحكى عن ابن جنى قوله فى سر الصناعة : « وقد قلبت تاء افتعل دالا مع الجيم فى بعض اللغات فقد قالوا اجدمعوا فى اجتمعوا واجدز فى اجتز ومنه قول الشاعر :

فقلت لصاحبى لا تحبسانا　　　بنزع أصوله واجدز شيحا

« وهذا يعطينا صورة صادقة عن ضعفه » على حد تعبير أستاذنا[٢٠] ولكننا عندما ننظر فيما كتبه ابن جنى عن الابدال نجده يستعمل مقياسه فى بيان الأصل والفرع فلعله قد رجع عن رأيه السابق بعد ما دون نظريته وأجراها تطبيقا على كثير من الألفاظ التى تصدق عليها .

ويشترط ابن جنى لتطبيق رأيه السابق تطبيقا صحيحا أن يكون الحرفان المختلفان فى الكلمتين متقاربى المخارج ويقوى ذلك بالتماثل أو التقارب فى بعض الصفات أيضا .

ويمكن ادراك هذه الحقيقة فى مواضع كثيرة من أهم مؤلفاته

---

(١٩) ٨٤/٢ .

(٢٠) اللهجات العربية ٥٨ وفقه اللغة العربية ٢٩ وسر الصناعة (باب الدال) ٢٠١/١ .

التى أشرنا اليها ومن ذلك قوله « القلب فى الحروف انما هو فيما تقارب منها وذلك الدال والطاء والتاء والذال والظاء والثاء والهاء والهمزة والميم والنون وغير ذلك مما تدانت مخارجه[٣١] وقوله فى موضع آخر : ونحو من هذا التقريب فى الصوت قولهم فى سبقت صبقت وفى سقت صقت وفى سلق صلق وفى سويق صويق وذلك أن القاف حرف مستعل والسين غير مستعل الا أنها أخت الصاد المستعلية فقربوا السين من القاف بأن قلبوها الى أقرب الحروف الى القاف من مخرج السين وهو الصاد[٣٢] ، وكثيرا ما عبر ابن جنى فى الابدال بأن هذا الحرف أخ لهذا الحرف فالراء أخت اللام والياء أخت الميم والزاى اخت الصاد وهكذا[٣٣] ، وهذا الشرط أساسى لتحقق الابدال ولذلك رأيناه لا يذكر فى كتبه شيئا مما لم يتحقق فيه هذا الشرط مما تباعدت مخارجه مثل خلع وجلع : ذهب حياؤه[٣٤] والزحاليف

---

(٢١) سر الصناعة ١/١٩٧ .

(٢٢) المصدر السابق ٢٠١ ولا مانع من التبادل بين السين والصاد لأنهما من مخرج واحد هو طرف اللسان مع أصول الثنايا السفلى بجانب اشتراكهما فى الهمس ومع ذلك فاحتمال اللهجات أمر قائم ، وتتأثر السين بأصوات الاطباق فتقلب اليها وتسميت هذه الظاهرة الى قريش ، ويقول أبو حيان : انه اللغة الجيدة (البحر ١/٢٥) ولعل هذه الظاهرة أن تنسب الى أهل البادية أجدر فصوت الاطباق فيه من الوضوح ما يتناسب مع البيئة الصحراوية (اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص ١٥٠) وقد نسب ذلك الى قوم من تميم هم بلعنبر أو الى قوم من اليمن (الجمهرة ٢/١٥٤ ، ١٦٣) وربما كانت الصاد متطورة عن السين فى لهجة البدو (الكتاب : باب ما تقلب فيه السين صادا فى بعض اللغات ٤/٤٧٩ ، وسر الصناعة ١/٢٢٠) .

(٢٣) الخصائص من ص ١٤٧ الى ص ١٥٣ ج ٢ .

(٢٤) اللسان ٩/٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٣٠ والعلاقة الصوتية بعيدة مع الربط بينهما الملابسة ما وربما دخل ذلك التصحيف (من اسرار اللغة ص ٥٢) .

والزحاليق وفى صدره على حسيفة وحسيكة(٢٥) ولم يتنازل ابن جنى عن هذا الشرط فى أى مثال من أمثلته على هذه الظاهرة اللغوية(٢٦) ، وربما أضاف اليها مقويا لها اشتراكها فى بعض الصفات كما قال عن ابدال التاء من السين فى النات وأكيات يريد الناس وأكياس « فأبدلت السين تاء لموافقتها اياها فى الهمس والزيادة وتجاور المخارج »(٢٧) ويقول فى موضع آخر : معللا لقلب الثاء تاء فى افتعل من الثريد « وانما قلبت تاء لأن الثاء أخت التاء فى الهمس فلما تجاورتا فى المخارج أرادوا أن يكون العمل من وجه واحد فقلبوها تاء وأدغموها فى التاء بعدها ليكون الصوت نوعا واحدا(٢٨) ويبدو من ذلك أن ابن جنى يقصد بتقارب المخارج اتحادها أو تجاورها .

---

(٢٥) المزهر ٢٦٨/١ والزحاليف او الزحاليق آثار تزلج الصبيان من اعلى الى اسفل ، وفى اللسان ٣٩٢/١٠ : الحسيفة والحسيكة : الغيظ والعداوة والعلاقة متباعدة بين الفاء والكاف ولذا فهما من اللهجات ، فالصوت الشديد للقبائل البدوية والرخو للحجازية .

(٢٦) لم يتنازل ابن جنى عن هذا الشرط بمعنى البعد البعيد كالأمثلة المذكورة والا فانه قال بابدال السين من الشين فى مثل سده وشده وهما متباعدان مخرجا ، ويظهر ان ابن جنى يلاحظ هذا التباعد بين السين والشين فيشك فى الابدال بينهما ، ولذلك لم يصرح فى باب السين بانها تبدل من غيرها ، وقال : ينبغى ان تكون السين بدلا منها بأسلوب التضعيف كما ترى ، ولم يلتزم ذلك كثير ممن رووا الفاظ هذه الظاهرة من القدماء كأبى الطيب اللغوى انظر كتابه الابدال ج ١ صحائف ٢٠٥ — ٢٥٢ ومقدمة محققه ص ١٠ ، ١١ .

(٢٧) سر الصناعة ١٧٢/١ .

(٢٨) المصدر السابق ١٨٩ ، وذلك مثل قولهم : اترد وهو مترد وجاء عكس ذلك بقلب التاء ثاء : اثرد ومثرد واثار واثنى .

ونرى ان ابدالهما امر مستقيم لقرب مخرجيهما اذ الثاء من طرف اللسان مع اصول الثنايا العليا والثاء من طرفه الا انه يحتك ويتصل بأطراف الثنايا العليا نفسها فالفرق طفيف جدا والحرفان يتفقان فى صفات كثيرة وهى الهمس والاستفال والانفتاح والاصمات والثاء حرف يحتاج الى مجهود عضلى فى نطقه مما دعا الى تسهيله والنطق بالتاء سهل سريع مما جعله يتناسب مع اهل البادية الذين يميلون الى الأصوات

=

ويتصل بتمام رأى ابن جنى فى هذا الموضوع أن تكون الكلمتان متحدتى المعنى والاشتقاق والا فاذا كان المعنى مختلفا أو كان الاشتقاق مختلفا ولكنه أدى الى تركيب اشتبه فيه ظاهر اللفظين فلا يعتبر هذا من الابدال كما صرح ابن جنى فى مواضع كثيرة فمن الأول ما ذكره عن كلمتى (ثوم وفوم) قال « وذهب بعض أهل التفسير فى قوله عز اسمه وفومها الى أنه أراد الثوم فالفاء على هذا بدل عنده من الثاء والصواب عندنا أن الفوم الحنطة وما يختبز من الحبوب يقال فومت الخبز أى خبزته وليست الفاء على هذا بدلا من الثاء »(٢٩) ، ومن الثانى ما ذكره عن كلمتى (حثحثوا وحثثوا) فى التعليق على قول الشاعر :

كأنما حثحثوا حصا قوادمه　　　أو أم خشف بذى شث وطباق

قال « فأما الحاء فبعيدة من الثاء وبينهما تفاوت يمنع من قلب احداهما الى أختها وينقل عن أبى على أستاذه قوله : وانما حثحث أصل رباعى وحثث أصل ثلاثى وليس واحد منهما من لفظ صاحبه الا أن حثحث من مضاعف الأربعة وحثث من مضاعف الثلاثة فلما تضارعا

=

الشديدة ، على حين يميل الحضر الى الأصوات الرخوة (فى اللهجات العربية د. انيس ص ١٠٠ — ١٠٧) وربما وقع التصحيف بينهما مثل فى لسانه رثة والصواب بالتاء ولث السويق والصواب بالتاء ، ويحيى ابن اكثم وهى بالثاء (تثقيف اللسان ٤٨ — ٥٣ باب التصحيف الى ص ٧٣) .

(٢٩) المصدر السابق ٢٥٢/١ ، ولا مانع — كما ذكرنا — من وقوع التبادل بين الثاء والفاء للتقارب فى المخارج والاتفاق فى بعض الصفات ، ولكن اختلاف معنى اللفظين يؤكد عدم الابدال كما ذهب اليه ابن جنى ووجد فى معاجم اللغة فيها : الفوم : الزرع او الحنطة وأزد السراة يسمون السنبل فوما وقال بعضهم : الفوم الحمص لغة شامية والفوم الخبز أيضا يقال : فوموا لنا اى اختبزوا وينقل ابن منظور عن الفراء أن الفوم لغة قديمة وهى الحنطة والخبز معا . (اللسان ٣٥٧/١٥) .

بالتضعيف الذى فيهما اشتبه على بعض الناس أمرهما ، ثم يقول : وهذا هو حقيقة مذهبنا — واذا قامت الدلالة على أن حثحث ليس من لفظ حثث فالقول فى هذا وفى جميع ما جاء منه واحد وذلك نحو تململ وتملل ورقرق ورقق وصرصر وصرر[٣٠] .

موقف العلماء من هذا الرأى :

ونحن اذا استعرضنا آراء العلماء من قدامى ومحدثين فى حل هذه المشكلة اللغوية فاننا نجد من سار على درب ابن جنى كما نجد فى الوقت نفسه من خالفه وربما كانت الموافقة له أو المخالفة فى جانب من الموضوع وهذا يقتضينا أن نناقش أهم هذه الآراء لنقف على مدى الموافقة أو المخالفة فقد وافق ابن جنى فى رأيه السابق بجوانبه المختلفة ابن سيدة وابن يعيش[٣١] وان كان يبدو لنا من حديث ابن سيدة عن الابدال نوع من عدم الدقة ، ومما يؤيد وجهة نظر ابن جنى قول ابن سيدة : وأذكر الآن شيئا من المعاقبة وأرى كيف تدخل الياء على الواو والواو على الياء دن غير علة (عند القبيلة الواحدة من العرب) واما لافتراق القبيلتين فى لغتين فأما ما دخلت فيه الواو على الياء والياء على الواو لعلة فلا حاجة الى ذكره فى هذا الكتاب لأنه قانون من قوانين التصريف[٣٢] ويشترط ابن سيدة توافر التقارب بين الحروف حتى يصح الابدال فهو يقول : فأما ما لم يتقارب مخرجا ألبتة فقيل على حرفين غير مقاربين فلا يسمى بدلا[٣٣] .

---

(٣٠) المصدر السابق ١٩٧/١ ، ١٩٨ ، وواضح أن ابن جنى لم يقل بالابدال لبعد المخارج وان اتفقت الثاء والحاء فى الصفات ، وهى الهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح والاصمات ونحن مع ابن جنى فيما ذهب اليه اذ لابد أن تكون المخارج متقاربة للحكم بالأبدال ولابد كذلك أن تكون الكلمتان متحدتين معنى واشتقاقا .

(٣١) اللهجات العربية د. نجا ص ٥٦ وفقه اللغة العربية ٢٧/٤ .

(٣٢) المخصص ١٩/١٤ .

(٣٣) المصدر السابق ٢٧٤/١٣ .

وابن سيدة كابن جنى يرى أنه لابد من اتحاد المعنى فى اللفظين حتى يمكن عدهما من باب الابدال ولابـد أن يـكون المعنى حقيقيا لا تجوز فيه فبعض العرب يقول جمس الودك وجمد المـاء ولا يقال جمس المـاء ولا جمد الودك وكان الأصمعى يخطىء ذا الرمة فى قوله :

ونقـرى سديف الشحم والمـاء جـامس[٣٤]

وعلى هذا فاذا قال بعضهم جمس الودك وجمد فليس هذا بدلا اذ مع تباعد مخرج السين والدال فى اللفظين لا يمكن الجمـع بين معنييهما الا على ضرب من المجـاز[٣٥] ، وفكرة الأصالة والفرعية غير واضحة عنده ولهذا رأيناه يعقد فى الفصل الواحد أبوابا مختلفة فمنه البدل ومنه ما يجرى مجرى البدل وباب الحرف الذى يضارع بـه حرف من موضعه والحرف الذى يضارع به ذلك الحـرف وليس من موضعه وباب ما يجىء مقولا بحرفين وليس بدلا وباب المحول من المضاعف[٣٦] وابن يعيش ينقـل فى شرح المفصـل كلام ابن جنى وأمثلته وينبه على تقارب المخارج والصـفات بين المتبادلين ويحـكم بالأصالة والفرعية تبعا لكثرة التصرف والاستعمال حسب ما عرفناه عن ابن جنى[٣٧] ومن ذلك ما قاله فى ابدال الطـاء من التـاء فى نحو اصطبر وفحصت برجلى قال : فأبدلوا من التاء طاء لأنهما من مخرج

---

(٣٤) السديف : السنام المقطع وقيل شحمه . الودك : الدسم وجمس وجمد بمعنى واحد وقيل الجموس للودك والجمود للمـاء والجامس من النبات ما ذهبت غضوضته ورطوبته فولى وجسا . اللسـان ٧/٣٤١ ، ٣٤٢، ١١/٤٧ ، ٤٨ ، ١٢/٤٠٠ ، ٤٠١ .

(٣٥) المخصص ١٣/٢٨٧ .

(٣٦) المصدر السابق ١٣/٢٦٧ — ٢٩٠ .

(٣٧) انظر شرح المفصل ١٠/٧ وما بعدها.

واحد[٣٨] وقال عن ابدال الهاء من الهمزة انهم « أبدلوها منها ابدالا صالحا على سبيل التخفيف اذ الهمزة حرف شديد مستفل والهاء حرف مهموس خفيف فمخرجاهما متقاربان الا أن الهمزة أدخل منها فى الحلق قالوا هرقت الماء أى أرقته ... الخ[٣٩] وقال « قالوا مازلت راتما على هذا الأمر أى راتبا حكى ذلك عن أبى عمرو بن العلاء فالميم بدل من الباء لكثرة الباء وتصرفها الا تراك تقول رتب يرتب فهو راتب أى ثابت ولا تقول رتم يرتم فى هذا المعنى فكانت الباء هى الأصل وقالوا رأيته من كثم وكثب أى من قرب حكى ذلك يعقوب فالباء ينبغى أن تكون أصلا والميم بدلا منها لعموم تصرف الكثب وأنه يقال قد أكثب لك الأمر ورماه من كثب أى من قرب[٤٠] .

---

(٣٨) المصدر السابق ٤٦ ، ٤٧ . للتاء والطاء والدال علاقة صوتية تسوغ التبادل بينها فالمخرج واحد وقد يقتضى تجاور التاء مع حروف الاطباق ابدال التاء طاء لمناسبتها فى الاستعلاء والاطباق مع انها اخت التاء فى المخرج وفحصط — بالطاء — تنسب الى تميم الذين يفضلون الصوت المستعلى المطبق ، فى حين تنسب التاء الى الحجازيين الذين يفضلون الصوت المستفل المهموس .

(٣٩) المصدر السابق ٤٢ ، لا مانع من حدوث التبادل بين الهمزة والهاء لتدانى المخارج فهما من حروف الحلق ويتفقان فى صفات الاستفال والانفتاح والاصمات ويمكن أن تكون بعض العرب نطقت باحداهما والآخرون بالثانية ونسبت بعض الكلمات بالهاء الى طيىء (اللهجات العربية ٦٥ ، ٦٦) .

(٤٠) المصدر السابق ١٠/٣٥ ، وانظر سر الصناعة (مخطوطة الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ٨١ فقد نقل كلام ابن جنى مع تغيير قليل ، والرأى الذى قاله ابن يعيش هو رأى ابن جنى وهو اجازة الابدال بين الباء والميم والباء هى الأصل لكثرة تصرفها فى المثالين ، وأجاز ابن جنى كون كل منهما أصلا مستقلا عن الآخر قال : (ويحتمل الميم فى هذا عندى أن يكون أصلا غير بدل) لتصرفات أخرى ذكرها هناك ، والباحث فى المعاجم يرى لكل من (رتب ورتم) معانى خاصة بها مع اتفاقهما فى الدلالة على معنى الاقامة والثبوت حقيقة أو مجازا ، وكذلك (اكثب واكثم) تشتركان فى معنى القرب الذى يجمع بينهما وليست الباء أكثر تصرفا من الميم كما ذكر ابن جنى ، وعلى هذا يجوز أن تكون كل من الباء والميم بدلا من الاخرى أو أن كلا منهما مستقل عن الآخر خاص بقوم دون قوم لاختلاف مادة الاشتقاق .

وكثير من المحدثين لم يزيدوا على ما قاله ابن جنى شيئا وان اختلفوا معه عرضا وأسلوبا فيرى بعضهم — كما يرى ابن جنى — تقسيم الألفاظ التى تحمل اسم هذه الظاهرة قسمين :

١ — فبعضها من الابدال : اذا كانت هناك علاقة صوتية ٠

٢ — وبعضهامن غيره اذا لم توجد هذه العلاقة « وأغلب الظن حينئذ أن الصورتين تنتميان الى منبعين مختلفين وأن كلا منهما أصيل فى ذاته وليس مثل هذه الكلمات الا مثل كل المترادفات(٤١) ٠

يقول الدكتور أنيس « حين نستعرض تلك الكلمات التى فسرت على أنها من الابدال حينا أو من تباين اللهجات حينا آخر لا نشك لحظة فى أنها جميعا نتيجة التطور الصوتى أى أن الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروى لها المعاجم صورتين أو نطقين ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يجاوز حرفا من حروفها نستطيع أن نفسرها على أن احدى الصورتين هى الأصل والأخرى فرع لها أو تطور عنها غير أنه فى كل حالة يشترط أن نلحظ العلاقة الصوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه(٤١) والعلاقة الصوتية التى أرادها الدكتور أنيس هى القرب فى المخرج أو الصفة اذ انه « شرط أساسى فى كل تطور صوتى(٤٢) ، ويقول الدكتور الصالح عقب نقله رأى الدكتور أنيس السابق « ورأى المحدثين — على جراءته — أسلم اتجاها وأصح نتيجة من رأى تلك الطائفة من المتقدمين الذين ذهبوا الى اكثار العرب من الابدال كأنه سنة أو عادة وكأن النطقين المختلفين عندهم متساويان بوضع أحدهما مكان الآخر وكأنهم يعتمدون هذا الابدال اعجابا به وتفننا فيه(٤٣) ، ولكن الدكتور الصالح يعتمد فى العلاقة الصوتية

---

(٤١) من اسرار اللغة ط ٣ ص ٥٩ ٠

(٤٢) المصدر السابق ط ٣ ص ٥٩ ٠

(٤٣) دراسات فى فقه اللغة ٢٣٩ ٠

المخرج لا الصفة فهو يقول « فقد لوحظ فيها الأمر الأهم وهو اتفاق المخرج أما اختلاف الصفة فليس بذى بال لأن المعول فى معرفة نوع الصوت ودرجة ايقاعه على العضو الذى خرج منه من بين أعضاء جهاز النطق وليس على الطريقة أو الكيفية التى تم بها انطلاق هذا الصوت. فالدال والتاء حرفان نطعيان كلاهما يخـــرج من سقف غـــار الحنك الأعلى المسمى بـــ « النطع » فهما اذا متجانسان وعلى هذا المعول فلا ضير بعد هذا أن توصف الطاء بالاطبـــاق والاستعلاء وهما صفتان قويتان على حين توصف الدال بالصفتين المضادتين الضعيفتين الانفتاح والاستفال[٤٤] وقد صرح الدكتور شاهين بأنه (لا يكون الابـــدال ابدالا حقا الا اذا كان بين البدل والمبدل منه علاقة صـــوتية كقرب المخرج أو الاشتراك فى بعض الصفات الصوتيـــة كالجهـــر والهمس والشدة والرخاوة)[٤٥] .

وقـــد قسم الدكتـــور أنيس الكلمات التى توجد بينها علاقـــة صوتية أقساما ثلاثة :

١ ــ كلمـــات روى كل منها بنطقين ونســـب كل نطق الى بيئـــة معينة : فمتى أمكن معرفة الأصل والفرع حكمنا بذلك وبحثنا عن سر التطور الصوتى[٤٦] وان لم يمـــكن « نستعين بالقوانين الصوتيـــة وتطورها للحكم على أى الصورتين هو الأصل وأيهما هو الفرع ويكون حكمنا حينئذ مرجحا لا مؤكدا »[٤٧] .

٢ ــ كلمـــات روى لكل منها نطقـــان ونســـب أحد النطقـــين لبيئة معينة ولم ينسب النطق الآخر : نعتمد لمعرفة الأصل والفرع منها على كثرة التصرف والاستعمال وورود النص القديم مشتملا على

---

(٤٤) المصدر السابق ٢٤٥ .
(٤٥) القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ٧٣ .
(٤٦) من اسرار اللغة ط ٣ ص ٦٥ .
(٤٧) المصدر السابق ص ٦١ .

الصورة الشائعة يؤكد لنا الأصالة بين النطقين أما حين نفتقد النص فالأصالة عن طريق الشيوع مرجحة رجحانا كبيرا ولا يصح الرجوع عن هذا الا اذا أبت قوانين تطور الأصوات مثل هذا الاعتبار(٤٨) •

٣ ـ كلمات روت المعاجم لكل منها نطقين متساويين فى الفصاحة والشيوع ولا ينسب أحد النطقين لبيئة معينة : اذا أمكن معرفة الأصل من الفرع حكمنا بذلك والا اعتمد الكثير التصرف والاستعمال أصلا لصاحبه « فاذا ورد لأحد النطقين نص قديم اعتبرناه الأصل •• أما حين يرد كل من النطقين فى نصوص قديمة فكثرة الشواهد الخاصة بأحد النطقين ترجح فى الغالب أصالته(٤٩) •

فالدكتور أنيس يضع لمعرفة الأصل والفرع ــ بعد تحقق العلاقة الصوتية ــ مقياسا له جانبان :

١ ــ معرفة المتقدم فى وجوده على الآخر فاذا وجد ما يدل على سبق أحدهما زمنا كان هو الأصل والثانى هو الفرع •

٢ ــ اذا لم يعرف المتقدم من المتأخر فيحدد الأصل بكثرة شيوعه وتصرفه والفرع بضد ذلك •

وهذا لم يزد على رأى ابن جنى شيئا فقد جعل ــ مثله ــ معرفة الأصل من الفرع مرهونة بورود الدليل الذى يبين أسبقهما(٥٠) معتمدا على الشيوع وكثرة التصرف •

وقد تابعه أيضا فى اعتماد المقياس السابق الدكتور الصالح فهو يقول « ومقياسنا فيما ورد بوجهين لتمييز الأصل من الفرع هو كثرة

---

(٤٨) من أسرار اللغة ط ٣ ص ٦٢ .
(٤٩) المصدر السابق ٦٣ .
(٥٠) سر الصناعة ٢٢١/١ .

الشواهد المتعلقة بأحد الوجهين فما أكثر الأمثلة على كثب والأقطار واللثام وما أقلها فى كثم والأقتار واللفام[٥١] .

فهذا كلـه يؤكد أن الرأى الحـديث لا يختـلف عن القديم الا أسلوبا فقط وهو يروى الحقيقة التالية :

اللفظان على الصورة المعروفة يكونان :

١ ــ من الابدال اذا وجد مسوغه وهو التقارب الصوتى وهذا عند قبيلة واحدة أو عند العـرب جميعا أو أحد اللفظـين فى قبيلة والآخر فى غيرها .

٢ ــ من اختلاف اللهجات : اذا لم يتحقق هذا التقارب وشأنها شأن كل المترادفات على أن الحكم الفيصل ــ كما قرروا ــ لمعرفة الأصل من الفرع هو الشيوع وكثرة التصرف .

وأعتقد بعد هذا الافصـاح التام ــ أن ذلك هو رأى ابن جنى نفسه مع اختلاف طفيف .

وكأن الدكتور أنيسا قد أحس بذلك حين قـال معبرا عن رأى ابن جنى « وأخيرا تعرض ابن جنى فى الفصل الرابع الى أن بعض الكلمات قد تختلف بنيتهما وذلك بأن يستعمل أحد الحرفين المتقاربين مكان صاحبه ثم ضرب أمثلة لذلك مثل طبرزن وطبرزل ودهمج ودهنج وخامل وخامن وبنات مخر وبناب بخر ، ومثل هذه الكلمات يمكن أن تنتمى الى لهجات متعددة أو الى لهجة واحدة ولكن فى جيلين مختلفين من أبنائها على أن ابن جنى لم يحدثنا فى هذا الفصل عن معنى تقارب الصوتين ووجه الشبه بينهما من الناحية الصوتية [٥٢] .

---

(٥١) دراسات فى فقه اللغـة ص ٢٧١ .

(٥٢) فى اللهجات العربية ط ٢ ص ١٥٥ .

ونقد الدكتور أنيس لابن جنى بأنه لم يوضح معنى تقــارب الصوتين فى الفصل الذى ذكره غير مسلم فقد أوضح أنه هو تقارب المخارج والصفات فى مواضع كثيرة ذكرت بعضها عند بيان رأيــه وتفصيلاتــه(٥٣) ٠

ويرى فريق آخر من العلماء قدامى ومحدثــين أن ألفاظ هذه الظاهرة نشأت من اختلاف اللهجات ٠

وعلى رأس القدماء الذين قالوا بذلك أبو الطيب اللغوى فقــد قال : ليس المراد بالابدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف وانما هى لغات مختلفة لمعان متفقة تتقارب اللفظتان فى لغتين والمعنى واحد حتى لا يختلفا الا فى حرف واحد ، قال والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورا مهموزة وطورا غير مهموزة ولا بالصاد مرة وبالسين أخرى وكذلك ابدال لام التعريف ميما والهمزة المصدرة عينا كقولهم فى نحو أن عن لا تشترك العرب فى شىء من ذلك انما يقول هذا قوم وذاك آخرون(٥٤) ٠

وقد أوضح لنا هذا الرأى أســتاذنا الدكتور نجــا فى كتابيه اللهجات العربية وفقــه اللغة وقــال بعد عرضــه لرأى أبى الطيب ومناصريه : وهذا الرأى يفهمنا أن الابدال لا يكون الا من قبــائل متعددة(٥٥) ٠

ويوافق أبا الطيب فى هذا الرأى من القــدامى ابن السكيت وأبو محمد البطليوسى وابن خالويــه وأبو على القــالى : فقد نقــل السيوطى عن هؤلاء ما يؤكد ميلهم الى هذا الرأى وأخذهم به ٠

فنقل من كتاب ابن السكيت أمثلة من بينها ما اتضح فيها رأيــه

---

(٥٣) انظر ص ١٢٣ وما بعدها من هذا الكتاب ٠
(٥٤) المزهر ٢٢٢/١ ٠
(٥٥) اللهجات العربية ص ٥٦ وفقه اللغة العربية ص ٢٧ ٠

وهو أن الابدال ينشأ من اختلاف اللهجات يقول فى ابدال الهمزة من العين والأسن قديد اللحم وبعضهم يقول العسن[٥٦] ويقول بعد ذلك بقليل : وذأى البقل يذأى بلغة أهل الحجاز ولغة نجد ذوى يذوى[٥٧] وكذلك قوله : الأثافى ولغة بنى تميم الأثاثى[٥٨] ونقل عنه السيوطى فى خاتمة هذا الباب (الابدال) وقال ابن السكيت : حضرنى أعرابيان من بنى كلاب فقال أحدهما انفحة وقال الآخر منفحة ثم افترقا على أن يسألا جماعة أشياخ من بنى كلاب فاتفق جماعة على قول ذا وجماعة على قول ذا وهما لغتان[٥٩] .

وأما أبو محمد البطليوسى فيقول فى شرح الفصيح : ليس الألف

---

(٥٦) المزهر ١/٢٢٢ وعبارة القاموس الأسن بقية الشحم ، والواقع أن الابدال يكون من الهمزة الى العين كثيرا لأن العين أسهل من الهمزة ، والابدال عادة يتجه نحو السهولة لا العكس ، وان كانت الشعوب تختلف فى احساسها بالثقيل والخفيف من الحروف فالهمزة أخف فى النطق الانجليزى من العين وعند العربى بالعكس ، وربما أبدلت الهمزة من العين فى بعض اللهجات مثل يا ابد الله — فى عبد الله — فى لهجة مكة وهو قليل (سر الصناعة ١/١٢١) .

(٥٧) المصدر السابق ١/٢٢٣ ، لا توجد علاقة صوتية تسوغ التبادل والمسألة ترجع الى اختلاف اللهجات بين الحجاز وتميم وكان الأصل أن الهمز للتميميين وأحرف العلة للحجازيين واشباه كل من البدو والحضر ولكن النسبة هنا وردت بعكس ذلك وهذا مما يوضح عدم الاطراد فى الظواهر اللغوية (انظر ابدال الهمزة من حروف العلة والعكس فى هذا الكتاب) .

(٥٨) المصدر السابق ١/٢٢٤ ، الأثافى والأثاثى : الحجارة التى تنصب ويوضع عليها القدر ، وقد رجح ابن جنى أن تكون الثاء بدلا من الفاء لكثرة تصرف الفاء ولو مع بعد الاشتقاق اذ ورد أثفية ولم يرد أثية ، ولكن ذكرت المعاجم تصرفات للكلمتين فيمكن أن تكون أثافى من (ثفا يثفو) تبع أو من (أثف الرجل) تبعه أو من (أثف القدر) وتشترك معها (أثاثى) فى ذلك الاشتقاق ، ويمكن أن تكون (أثاثى) من (أث يئث ويؤث) اذا كثر والتف وفى هذا المعنى ثبات الشىء فى موضعه ويقال : تأثث الرجل المكان اذا لم يبرحه ، وبهذا تختلف المادتان معنى واشتقاقا فلا ابدال بين الكلمتين ، وربما افاد هذا أن كلا منهما لهجة لطائفة من العرب فالفاء للحجاز والثاء لتميم .

(٥٩) المزهر ١/٢٢١ اذ لا علاقة بين الهمزة والميم فلا ابدال .

فى الأرقان ونحوه مبدلة من الياء ولكنهما لغتان ومما يدل على أن هذه الأحرف لغات ما رواه اللحيانى قال : قلت لأعرابى أتقول مثل حنك الغراب أو مثل حلكه فقال لا أقول مثل حلكه[٦٠] ، وقال أبو بكر بن دريد قال أبو حاتم قلت لأم الهيثم كيف تقولين أشد سوادا من ماذا ؟ قالت من حلك الغراب قلت أفتقولينها من حنك الغراب قالت لا أقولها أبدا[٦٠] وقد ذكر ابن خالويه فى شرح الفصيح ما يقرب من هذا قال : أخبرنا ابن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعى قال : اختلف رجلان فى الصقر فقال أحدهما بالسين وقال الآخر بالصاد فتحاكما الى أعرابى ثالث فقال أما أنا فأقول الزقر بالزاى قال ابن خالويه : فدل على أنها ثلاث لغات[٦١] • ويؤكد لنا رأى القالى قوله فى أماليه : يقال : هرت الثوب وهرده وهرطه ثلاث لغات[٦١] •

وقد أيد هذا الرأى من المحدثين فريق من العلماء على رأسهم أستاذنا الدكتور ابراهيم نجا فهو يقول — بعد أن أفصح لنا عن آراء العلماء فى هذا الشأن وناقشها مناقشة علمية دقيقة « فالحق أحق أن يتبع وهو أن الابدال ينشأ من اختلاف اللغات كما ذهب الى ذلك أبو الطيب اللغوى[٦٢] ، وممن ذهب الى

---

(٦٠) المصدر السابق ١/٢٢٩ •

(٦١) المصدر السابق ١/٢٢٩ ، ولا مانع من التبادل بين الزاى والسين والصاد لاتحاد المخرج وهو طرف اللسان مع أصول الثنايا السفلى وتشترك فيما بينها فى الرخاوة والصفير والاصمات ، ويجوز ارجاع هذا التبادل الى اختلاف اللهجات وينسب اللغويون النطق بالزاى والصاد الى القبائل البدوية كقبائل عذرة وكعب وبنى القين (البحر ١/٢٥) وازد عمان وبنى العنبر ، كما تنسب السين الى الحجاز وهذا لأن الأصوات المجهورة والمستعلية تناسب البدو والمهموسة والمستفلة تناسب الحضر .
وبين الدال والتاء والطاء علاقة صوتية تسوغ التبادل ويمكن أن تعود الى اللهجات على أن التاء للحضر والدال للبدو لمناسبة المهموس للحضر والمجهور للبدو والطاء تناسب البدو كذلك لاستعلائها واطباقها .

(٦٢) اللهجات العربية ٥٨ وفقه اللغة العربية ٤/٣٠ .

هذا الرأى من المحدثين الدكتور السامرائى يقول بعد أن عرض آراء العلماء فى الابدال وأريد أن أخلص من هذا العرض لأقوال الأقدمين والمحدثين فى هذه المشكلة الى أن العربية قد اشتملت على لغات عدة هى لغات القبائل المختلفة وطبيعى أن يحصل الخلاف بين هذه اللغات لاختلاف البيئة وعلى هذا فـان كثيرا مما حمل على الابدال داخل ضمن هذه اللغات وعـلى هذا فليس هناك ابدال بل هناك اختـلاف بين المعربين فالذى يقول (صراط) لا يقولها بالسين سراط والعكس حاصل أيضا(٦٣) .

ويقول قبل ذلك بقليل : أريد أن أقول ان اللغة فطرة وبداهـة فالذى يقول مدحه لا يمكن أن ينسرح لسانه فيقول مدهه والعـكس صحيح أيضا(٦٤) ، وهذا يشرح رأيه بوضوح وهو أن الابدال ينشـأ من اختلاف اللهجات ، ويعتبر هـذه النظرة هى النظـرة الصحيحة فيقول : وعلى هذا فلم نعدم أن نجد بين الأقدمين من نظر الى هـذه المشكلة النظر الصحيح فقد قال أبو الطيب اللغوى الـحلبى : ليس المراد من الابدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف وانما هى لغات مختلفة(٦٤) ... الخ ويضيف الدكتور السامرائى « الى رأيـه العلاقة الصوتية فلابد من التقارب بين الحروف المختلفة فى لهجات الناطقين من قبائل متعددة وان لم تكن على طريق الابدال ، فقد نقل قول ابن السيد البطليوسى — مع شرحه — « ان الحـرف الأضعف يقلب الى الأقوى ولا يقلب الأقوى الى الأضعف » .

ثم عقب علية بقوله : وما ذكره ابن السيد صحيح فى كون تقارب المخرج هو الذى يؤدى الى هذه المعاقبة(٦٥) .

---

(٦٣) التطور اللغوى التاريخى ص ١١١ .

(٦٤) المصدر السابق ص ١٠٨ .

(٦٥) المصدر السابق ص ١١٣ .

ويرى هذا الرأى أيضا الدكتور على عبد الواحد وافى ويشترط أن يتقارب الصوتان فى المخرج أو يتحدا فى جميع الصفات ما عدا الاطباق مثل أسود حالك وحانك وخامل الذكر وخامن الذكر[٦٦] ، ويذكر من أمثلة الاتفاق فى الصفات ما عدا الاطباق تناوب الصاد والسين بمثل ساطع وصاطع والسراط والصراط[٦٧] ، ثم يقول : « ويرجع السبب فى كثير من ظواهر هذا التناوب الى اختلاف القبائل فى النطق بأصوات الكلمة فمادة كشط مثلا كانت تنطقها قريش بالكاف على حين أن أسدا وتميما كانت تنطقها بالقاف »[٦٨] وقد وافقه أستاذنا الدكتور العزازى فى كل ما ذهب اليه[٦٩] الا أنه أفرد له بابا خاصا عنونه بالابدال أو الاشتقاق الأكبر ولعل ذلك جمع بين موقفين وهناك غير هؤلاء كثير لا يتسع المقام للاشارة الى أقوالهم[٧٠] .

ويلاحظ أن هذا الرأى على الرغم من أنه يجعل ألفاظ هذه الظاهرة من اختلاف اللهجات لا ينسى أن التقارب بين الحروف ملحوظ فيها وهذا يشير الى تطور صوتى وان كان بين لهجات متعددة .

وبعد استعراضنا لكل هذه الآراء ومناقشتنا لها نحس أنه لابد لنا من نظرة واعية وعميقة ومن تحليل علمى دقيق نتتبع به الظواهر المختلفة والدواعى الكثيرة التى أحاطت وتحيط باللغة ونشأة مفرداتها والأحوال التى عاشت فيها ومرت بها فى مراحلها التاريخية المتعددة حتى نصل الى الحقيقة ونستنتج القانون الذى ينظم حوادثها ان

---

(٦٦) فقه اللغة د. وافى ص ١٧٨ .

(٦٧) المصدر السابق ١٧٩ .

(٦٨) المصدر السابق ص ١٧٩ .

(٦٩) فقه اللغة للدكتور العزازى ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٧٠) انظر مثلا فقه اللغة للمبارك ص ٥٠ وغيره .

كان لها قانون مطرد وهذا يعتبر المفتاح لعلم الاشتقاق الذى يكشف الصلة بين كلمات تباعدت أصولها[٧١] .

أسباب الابدال :

هناك عوامل متعددة ساعدت على وجود هذه الظاهرة وقد أشار العلماء الى كثير منها وان مال كل منهم الى واحد أو أكثر وسنحاول تتبع معظمها حتى نستطيع تفسير ما ورد من ألفاظ هذه الظاهرة فربما رجع اللفظان الى واحد أو أكثر من تلك العوامل ولا مانع من ذلك اذ هذه الأسباب غير متعارضة ، والذى جعلنا — كغيرنا من الباحثين — نفكر فى هذا التفسير هو وجود بعض تلك الألفاظ فى لغتنا العربية غير منسوبة الى قائليها بل تضطرب المراجع فى نسبتها فهى أحيانا من لسان قريش وأخرى من لسان تميم وثالثة من لسان غيرهم من قبائل العرب[٧٢] .

وبعد عرضنا للأسباب وتحليلها تحليلاً علميا نحاول تطبيقها على الكلمات التى يمكن تطبيقها عليها فى اطار دراستنا للهجات العربية .

أولا : اختلاف اللهجات :

المعروف أن العرب سكنوا الجزيرة العربية وتفرقوا فى أنحائها وبيئاتها الطبيعية والاجتماعية مختلفة بين بداوة وحضارة ولذلك — بلا ريب — أثر كبير فى تعدد اللهجات واللغة عادة اجتماعية وخروج الفرد عليها يلقى مقاومة من المجتمع تأخذه بعقاب[٧٣] ومن هنا صرح العلماء « بأن الذى يقول مدحه لا يمكن أن ينسرح لسانه فيقول مدهه والعكس صحيح أيضا[٧٤] وقد مر بنا من الروايات

---

(٧١) المصدر السابق ص ٣٩ .

(٧٢) القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ص ٤٠١ وانظر ما يقرب من هذا فى الأصوات اللغوية ص ١٥١ .

(٧٣) اللغة والمجتمع د. وافى ص ٤٢٣ .

(٧٤) التطور اللغوى التاريخى ٢٠٨ .

اللغوية ما يؤكد تمسك الجماعات الانسانية بالنطق المتعارف بينها كرواية أبى حاتم عن أم الهيثم من حلك الغراب أو حنكه فقالت لا أقول من حنكه أبدا[٧٥] وكذلك رواية أبى حاتم عن الأصمعى : اختلف رجلان فى الصقر ... الخ ، واختلاف اللهجات فى الواقع يعد عاملا مهما فى تفسير هذه الظاهرة فالقبائل البدوية مثلا تميل الى الأصوات الشديدة فى نطقها وهو أمر طبيعى يلتئم مع ما عرف عن البدوى من غلظة وجفاء فى الطبع وبهذا يتميز نطقهم بسلسلة من الأصوات القوية السريعة التى تطرق الآذان كأنما هى فرقعات متعددة فى حين أن أهل المدن المتحضرة يميلون الى رخاوة تلك الأصوات الشديدة بوجه عام .... فالباء والتاء والدال والكاف وغيرها من الأصوات الشديدة تستعمل فى أفواه المتحضرين على الترتيب فاء . سينا . زايا . شينا [٧٦] ويمكن — بناء على ذلك — تفسير عدد غير قليل من الألفاظ التى عدت من الابدال ، ولو أن اللغويين نسبوا كل لفظ الى قائله لقلل ذلك من خطر تلك الظاهرة ووجودها .

ثانيا : التطور الصوتى :

يرجع كثير من علماء اللغة — ومنهم ابن جنى — قدرا كبيرا من أمثلة الابدال الى التغيرات الصوتية وذلك لعلاقة بين الحروف المتبادلة فى المخرج أو الصفات وان اختلفوا فى تحديد هذه العلاقة فكلمات اللغة تتألف من أصوات ينسجم بعضها مع بعض يقول الأستاذ فندريس « فى كل لغة ترتبط الأصوات بعضها ببعض ارتباطا وثيقا فهى تكون نظاما متجانسا مغلقا تنسجم أجزاؤها كلها فيما بينها هذه هى أول قاعدة من قواعد الصوتيات وهى ذات أهمية قصوى لأنها تثبت أن اللغة لا تتكون من أصوات منعزلة بل من نظام من

---

(٧٦) فى اللهجات العربية ط ٣ ص ١٠٠ ومن امثلة ذلك عكوب الطير وعكوف الطير ، والنات والناس والدغدغة والزغزغة . انظر المصدر السابق ص ١٠١ ، ١٠٥ ، ١٨٦ وهذا مجرد فرض امكان حصول ذلك .

الأصوات[٧٧] وان الانسجام والتآلف يقتضى بعض التبدلات الصوتية باختلاف الناطقين وبيئاتهم وتبعا لنواح (طبيعية فسيولوجية ونفسية معا)[٧٨] ، بل ان هذا الاختلاف فى النظام الصوتى « يتغير ان قليلا وان كثيرا من سن الى أخرى »[٧٩] وقد أكد لنا المحدثون أنه ليس بين أبناء اللغة الواحدة اثنان ينطقان نطقا متماثلا فى كل الصفات[٨٠] وهذا التطور يؤدى الى وجود صيغ جديدة وفى البيئة الواحدة قد تستعمل هذه الصيغ بجانب القديمة فى فترة معينة ثم بعدها تبقى الجديدة وحدها فى عالم الاستعمال وقد توجد صيغتان فى بيئة واحدة اذا استعملت الأخرى غير الشائعة على طريق المحاكاة أو اتجاها الى اللغة المثالية أما فى البيئات المتعددة فلا مانع من وجود كل فى موضعه ولهذا التطور الصوتى عوامل كثيرة ساعدت عليه نتحدث عنها بالتفصيل فيما يلى :

(أ) **أعضاء النطق** : ان جهاز أعضاء النطق هو الذى يختص باخراج عدد لا يحصى من الأصوات[٨١] ، وقد حاول بعض العلماء أن يعزو التبدلات الصوتية الى هذا الجهاز من نواح متعددة وسنقف منها جميعا الموقف العلمى الصحيح .

١ — **اختلاف أعضاء النطق باختلاف الشعوب** : ينسب بعض العلماء التطور الصوتى الى اختلاف أعضاء النطق فهى « تختلف فى تكوينها واستعدادها ومنهج تطورها تبعا لاختلاف الشعوب وتنوع الخواص الطبيعية المزود بها كل شعب والتى تنتقل عن طريق الوراثة من السلف الى الخلف[٨٢] وهذا يعنى أن لكل شعب جهازا مكونا على

---

(٧٧) اللغة ٦٢ .   (٧٨) المصدر السابق ص ٩١ .

(٧٩) المصدر السابق ص ٦٦ واللغة بين الفرد والمجتمع (جسبرسن) ٣٥ ، ٣٦ .

(٨٠) الأصوات اللغوية ص ١٧٠ .

(٨١) التجويد والأصوات ص ٨ .

(٨٢) علم اللغة د. وافى ص ٢٧٤ .

نمط خاص يجعله قادرا على اصدار الأصوات بطريقة معينة تختلف عن الشعوب الأخرى ، ولكن هذه النظرية لم يثبتها علم التشريح بـل لقد برهن معظم علماء التشريح على أن أعضاء النطق عند الانسـان تتحد فى جميع تفاصيلها من وجهة نظر علم التشريح وعجـز بعض الشعوب عن نطق بعض الحروف ليس دليلا على اختلاف أعضـاء النطق فعجز الانجليزى عن نطق العين أو الضاد أو القاف لا يعنى أن جهاز النطق عندهم قد خلق على طبيعة لا تمكنه من النطق بهذه الحروف بل ان العادات الصوتية التى نشأ عليها والبيئة الاجتماعية من حوله هى التى جعلته لا ينطق بها فالجهاز الصوتى مستعد لاصدار جميع الأصوات بلا استثناء كل ما هنالك أنه يحتاج الى المران عليها فلو أن طفلا انجليزيا نشأ فى بيئة عربية لنطق بهذه الأصوات كاملة المخارج والصفات كما ينطقها العربى تماما « وقد ثبت بالتجربة أن مدرس (الفوناتيك) يستطيع أن يعلم تلاميذه أى صوت من الأصوات فى أى لغة من لغات العالم مع شىء من المران والشرح العلمى دون أن يصحب عضلات نطق التلاميذ أى تغير فى تكوينها التشريحى »[٨٣] . وعلى كل حال فلابد أن يكون هناك تأثير ما — وان لم يوجد اختلاف واضح — لأننا قررنا أن النطق يختلف من انسـان لآخر والطفـل يختلف عن أبويه اللذين يقلدهما تقليدا ناقصـا كما يقـول الدكتور المبارك وقد وصف الأستاذ (فندريس) هذا التغير بأنه « خطـير النتائج لأنه لا يبشر بشىء أقـل من انقطـاع التوازن فى النظـام الصوتى[٨٤] ، واذا كان هذا فى بيئة واحدة وشعب واحد فلا ريب أن الخلاف بين الشعوب يكون أكثر وضوحا تبعا لـما يحيط بالفرد فيها من مؤثرات واستعداد لأعضاء الجهاز الصوتى .

٢ — **تطور أعضاء النطق :** حاول بعض العلماء أن يطبق عـلى

---

(٨٣) الأصوات اللغويـة ص ١٧٢ .

(٨٤) اللغـة ص ٦٥ .

الجهاز الصوتى نظرية النشوء والارتقاء فلا بد أن يتطور كما يتطور كل ما فى الكون ولذلك تأثيره فى الأصـــوات وقد ذكرنا أن النظـــام الصوتى يتغير من سن الى أخرى[٨٥] ويقول الدكتور وافى ان هذا أمر مقرر فسائر أعضـــاء نطقنا تختلف عما كانت عليـــه عند آبائنا الأولين ان لم يكن فى تكوينها الطبيعى فعلى الأقل فى استعداداتها وذلك تبعه تطور فى أصوات الكلمات وقـــد كشف ذلك جمـــاعة من العلماء على رأسهم هرمان بول ورسلو الذى تجـــرى حقائقه بالوسائل القديمة وبوسيلة الأجهزة الحديثة[٨٦] ، ولكن الدكتور المبارك ينقض ذلك بقولـــه « ان ما ادعاه بعضهم من تطور الجهـــاز الصوتى تطورا مطردا مردود اذ لا برهان له عليه »[٨٧] ويبدو لنا أن التغير الذى يعترى كل ما فى الكون يشمل أعضـــاء النطق أيضـــا وان كان هذا التغير بنسبة ضئيلة غير ملحوظة الا أنها تترك أثرا ما .

٣ — **عيوب أعضاء النطق** : قد يولد الانسان مصابا بعلة تمنع أعضاء الكلام عن تأدية وظيفتها وقد يعرض للانسان فى أثناء حياته مرض يتسبب فى احداث عيب فى أعضاء النطق وهذا يؤثر فى حديثه والمعروف أن الرواة كانوا يتحرون جمع اللغة عن القبائل الفصيحة ولم يكن لهم اتجاه الى النظر فى أعضاء النطق للتحقق من سلامتها وكانوا يكتفون بالأخذ عن العربى الواحد كما قـــرر ابن جنى[٨٨] وربما كان هذا العربى الذى شهد له بالفصاحة مصابا بلكنة تسببت فى تغـــير بعض الأصـــوات وربما انتقلت الكلمة عـــلى هذا النحو الى التراث اللغوى فاللثغة اللسانيـــة تتسبـــب — ولا ريب — فى ابدال بعض الحروف فالراء تتحول عند الألثغ الى غين أو همـــزة أو لام فكلمة

---

(٨٥) المصدر السابق ص ٦٦ .

(٨٦) الفونيتيك التجريبى علم اللغة د. وافى ص ٢٧٠ ، ٢٧١ وفقه اللغة له ص ١٣٠ .

(٨٧) فقـــه اللغـــة ص ٤٠ .

(٨٨) الخصائص ٢/٢١ .

ياربى قد تنطق ياغبى ويأبى ويالبى[٨٩] وقد عزا الأستاذ جورجى زيدان الى عيب أعضاء النطق معظم ما عرف من ألفاظ هذه الظاهرة وقال « وهى فى الغالب نتيجة علة طبيعية فى أعضـــاء النطق »[٩٠] وجعل ذلك عاماً فى جميع الأمم ولكننا نرى فى هذا القول مبالغة وان كنا نوافقه موافقة عامة على أن لهذه العلل أثرا ما قـد يتسبب فى ابدال بعض الكلمات على أن الأستاذ فندريس يقول ان التغير الذى يعتبره اللغوى هو التغير الذى يظهر فى كلام مجموعة من الأفراد ثم يقول ولكن لابد من تفرقة بين التغـيرات الفرديـة والتغـيرات المشتركة بين جميع الأطفال فى نفس الجيـل فقد يحـدث أن أحد الأطفال لا يستطيع النطق ببعض الأصوات نتيجة لاستعداد خبيث موروث أى أن يكون عنده بعبارة أخرى نقص فى النطق هذه الحالات من النقص الفردى فى غالب الأحيان لا تعنى غـير الطبيب وغـاية ما يعنى العالم اللغوى من أمرها أنه قد يسـتدل بها عـلى اتجاهات اللغـة[٩١] .

(ب) **المكان والزمان** : تؤثر الطبيعة التى تحيط بالانسـان فى سماته الخلقية وسائر تصرفاته ومنها اللغة اذ هى لون من التصرف ولا ريب أن اللغة فى بلد زراعية تختـلف فى اتجاهها عنها فى بلد صناعية أو صحراوية أو جبلية أو ساحلية ويمكن أن نرى ذلك واضحا فى البيئة العربية اذ كان البدو يعيشون حيـاة لا تعرف الاستقرار على حين كانت طائفة منهم تسكن المدن التى تتصل بما يجاورها عن طريق التجارة والثقافة فاختلفت فى اتجـاهها اللغوى عـلى ما نـرى فى اختلاف لهجات البدو والحضر فى الجهد العضلى والأناة والسرعـة فى النطـق والفـروق النطقيـة بينهم مثبوثـة فى كتب اللغـة

---

(٨٩) ومن أنواع اللثغات الرتـة والبأباة والتمتمة والفأفأة . المزهر ٢٦٥/٢ وتاريخ آداب العرب ١٥٤/١ .

(٩٠) الفلسفة اللغوية ٣٩ ، ٤٠ .

(٩١) اللغـة ص ٦٩ ، ٧٠ .

كما أن انتقال اللغة من جيل الى آخر يصاحبه شيء من التغير في النظام الصوتي فالطفل منذ نشأته يحاول ان يقلد أباه أو يتعلم منه « وأغلب الظن أن استعدادات الطفل الموروثة تلعب دورها في هذا التعلم ولكن يمكننا أن نقدر دون عناء العوارض التي يمكن أن تتعرض لسلامة النطق في كل جيل[٩٢] وعلى مر الزمن يحدث تقليد الأبناء للآباء تبدلات في الحروف مهما بالغ السلف في تلقينهم وتعليمهم وهذا لا تسلم منه لغة في العالم ولكن هناك عوامل أخرى قد تقلل من هذا التأثير كالكتابة والتلقين في المدارس[٩٣] وقد حظيت اللغة العربية الفصحى بما لم تحظ به لغة على الاطلاق فقد بذل أهلها وعلماؤها جهدا كبيرا في الحفاظ عليها ووصف أصواتها وصفا دقيقا وكان ذلك اهتماما بالقرآن الكريم الذي نقل الينا أصوات العربية حتى فيما قبل القرآن من آماد بعيدة[٩٤] أما اتجاه المحادثة الدارجة فقد سار على النمط العام التطوري وبهذا ندرك أن البيئة الطبيعية ومرور الزمن يؤثران على الجماعة البشرية بما يحدث بعض التغيرات في لغتها ومن بينها تبدلات تعتري الأصوات مما يسبب ظهور ألفاظ تحمل اسم ظاهرة الابدال •

(جـ) الحياة الاجتماعية :

١ ـ **العزلة والاختلاط الاجتماعي :** تتأثر اللغة ـ كغيرها من وسائل الحياة ـ بلقاء الانسان بالآخر وانعزاله عنه فاذا قدر لطائفة من البشر أن تعيش في مكان لا صلة له بالآخرين ـ لأن طبيعة البيئة الجغرافية كالجبال والآكام أو صعوبة المواصلات والبعد عن العمران أو غير ذلك قد عزلتهم عن غيرهم ـ فان هذا يؤثر على سلوك هذه الطائفة ومنه الاتجاه اللغوي الذي يأخذ شكلا يخالف الاتجاهات الأخرى عند بقية الشعوب وربما عزل فريق من أهل اللغة الواحدة عن

---

(٩٢) اللغة ص ٦٤ •

(٩٣) فقه اللغة للمبارك ص ٤٠ •

بقية بنى جلدتهم فتحدث بعض اختلافات وتطورات صوتيـــة بينهم وبين اخوانهم من أبناء لغتهم(٩٤) وقد يكون لذلك أثر فى الابدال .

كما أن الاختلاط بصوره التى تحدثنا عنها — فى لقاء أصحاب اللهجات — يؤثر فى اختلاف الأداء الصوتى وانقسام اللغة الى لهجات وعن طريق هذا الاتصال بين الشعوب وأبناء اللغة الواحدة ، « كانت الانقلابات السريعة فى تطور بعض اللغـــات لأن الشعب الذى يتخذ لغة جديـــدة يطبق عليهـــا — أحيانا — عوائد النطق فى اللغــــة التى تركها(٩٥) فيمـــكن قراءة صفحة من الفرنســـية وقد بدا عليها طابع النطق الانجليزى أو الألمـــانى(٩٦) واذا تكلم الانسان لهجة أجنبيـــة تعرض للأخطـــاء بسبب التردد فى صـــيغة الكلمات(٩٧) وهذا حدث للعربية فى تفرعها الى لهجات وتأثرها باللغات التى اتصلت بها وبخاصة بعد الفتوحات الواسعة وان التأثر الواقع من تلك اللغات واللهجات بعضه — ولا شك — صوتى وان الحـــروف التى تكون بين الحروف العربية لخير شاهد على ذلك(٩٩) .

٢ — **الثقافة والحضارة** : هذا العامل له اتصال بسابقه اذ ينشأ عن قطيعة شعب لجيرانه ألا يعـــرف تطور الحياة ونوازعها الجديدة وثقافاتها المتعددة التى تنشأ بين الحين والآخر كما أن اتصال الشعوب وتبادل الثقافات عن طريق المعاملات الودية أو الغزو يؤدى الى رقى الشعوب وتقدمها وحضارتها وهذا — بنوعيه — له أثر فى النواحى اللغوية وبعضه يتصل بالأصوات وقد حـــدث ما يشبه ذلك للعربيـــة

---

(٩٤) المصدر السابق ص ٤٩ .
(٩٥) فى اللهجات العربية ط ٢ ص ١٨ .
(٩٦) اللغة ٨١ ، ٨٢ .
(٩٧) المصدر السابق ص ٦٣ .   (٩٨) المصدر السابق ص ٨١ .
(٩٩) انظر كتاب سيبويه باب الادغام وكتابنا « أصـــوات اللغـــة العربيـــة » .

الفصحى وقت نشأتها ونموها تأثرا بالثقافة والحضارة ونجم عن ذلك بعض أمثلة الابـــدل ٠

٣ ــ **الحالة النفسية** : ان الجو النفسى للفرد والمجتمـــع تظهر بعض آثاره على النطق فقد يكون اللفظ رقيقا ضعيفا وقد يكون قويا ذا جرس وبقدر سرور الانسان أو حزنـــه واستقراره وعدمـــه تكون ألفاظه معبرة فمن وضوح أو غموض ومن تفخيم أو ترقيق الى غير ذلك من وسائل التعبير اللغوى ومظاهره ويعزو بعض العلماء تطور الأصوات من شدة الى رخاوة أو العكس الى الحالة النفســـية التى يكون عليها الشعب « فالشعب حين يميل الى الدعة والاستقرار تميل أصوات لغته الى الانتقال من الشدة الى الرخاوة فاذا اعتز الشعب بقوته وجبروته مال الى العكس[١٠٠] وكما يحدث ذلك للجماعة يحدث للأفراد فيختلف نطقهم عن ذويهم من أبناء لغتهم وهذا ذو أثر أيضا فى ظاهرة الابدال ٠

٤ ــ **عوامل اجتماعية أخرى** : وهى كثيرة قومية ودينية وعصبية وغيرها وقد يتسبب ذلك أو بعضه فى احياء صـــوت مهجور واماتـــة صوت مولد أو هجر صوت قديم وتوليد آخر وهذا يترك اثرا على ما يعيش من أصوات اللغة « فالرغبـــة فى العودة الى الفصحى فى بلاد العربية فى العصر الحاضر هى التى عـــادت ببعض الحروف من الشكل الذى آلت اليه كالهمزة بدل القاف فى كثير من المدن العربيـــة والثاء والذال والظاء فى لفظها العامى الى نطقها القديم الفصيح[١٠١] وقد كان القرآن الكريم عاملا دينيا دعا الى الحفاظ على اللغة العربية وأصـــواتها بطابعها القديم ــ كما ذكرنا ــ وقـــد تعصبت القبـــائل العربية للهجاتها المتعددة ونحن نعـــرف الصراع الطويل الذى حدث

---

(١٠٠) الأصوات اللغوية ١٧٤ ٠

(١٠١) فقه اللغة للمبارك ص ٤١ ٠

بينها حتى استطاعت القرشية التغلب عليها بعد أن أثرت فيها اللهجات الأخرى[١٠٢] وكم تصارعت أيضا مع اللغات التى اتصلت بها بعد الفتوح الاسلامية ولا شك أن هذا وغيره له آثار يتعلق بعضها بظاهرة الابـدال .

ثالثا : دواع لغويـة :

هناك عوامل لغويـة متعددة ذات أثر فى الابـدال نتحدث عن أهمهـا :

١ ـ **تفاعل الأصوات :** هو تأثر الصوت اللغوى بما يجاوره قبله أو بعده من الحروف وهذا يشمل ما يسمى بالمماثلة والمخالفة والتناوب بين الأصوات وهاك بيانها :

(أ) **المماثلة :** حروف الهجاء منها ما يأتلف ومنهـا ما يختلف ولابد من تحقيق التآلف بين الحروف عند تركيب الكلام حتى يتحقق الانسجام الصوتى فتتمكن أعضاء النطق من التفوه بـه فاذا تجاور حرفان متنافران غير أحدهما ليقترب من الآخر أو يتحد معه مخرجا أو صفة « وهذه ظاهرة شائعة فى كل اللغـات بصفة عامة غـير أن اللغات تختلف فى نسبة التأثر وفى نوعه[١٠٣] وهذا التأثر واقع فى اللغـة العربية قديمها وحديثها كما يقول أستاذنا الدكتور نجـا[١٠٤] كانقلاب النون الساكنة ميما اذا وليها باء وتحول تاء الافتعال طاء مما أوله صوت مطبق كما فى عمبر وشمباء واصطبر واطلع واظطلم ونحو ذلك مما أدنى فيه الصوتان أحدهما من الآخر[١٠٥] وهذا التأثر متفاوت الدرجة فقد لا يعدو أن يكون مجرد انقلاب الصوت من الجهـر الى الهمس أو العكس وأقصى ما يصل اليه الصوت فى تأثره بما يجاوره

---

(١٠٢) اللهجات العربية د. نجا ص ٥١ ، ٥٢ .
(١٠٣) الأصوات اللغوية ١٢٦ .
(١٠٤) التجويد والأصوات ٢٩ .
(١٠٥) الخصائص ٢/١٤٠ ، ١٤٥ ، ٢٢٧ ـ ٢٣٠ وغيرها .

أن يفنى فى الصوت المجاور فلا يترك له أثرا »[١٠٦] ، وقد قسم علماء اللغة المحدثون هذا التأثر الى رجعى وتقدمى وذلك حسب الصوت المتأثر بالآخر .

(ب) **المخالفة** : الأحوال اللغوية مختلفة فقد يكون الصوتان مقبولين فى موضع غير مقبولين فى موضع آخر لاعتبارات خاصة ومن ذلك أن الحرفين المتماثلين قد تبقى صورتاهما فى اللفظ اذا كان ذلك لا يحتاج الى مجهود عضلى كبير وقد يقلب أحدهما الى حرف آخر اذا احتاجا الى هذا المجهود توفيرا للجهد وتحقيقا للسهولة فالأول مثل قطع وعلم بتشديد العين والثانى مثل أملى وتظنى فالأول مقبول لأن ادغام الحرف فى الحرف أخف عليهم من اظهار الحرفين ألا ترى أن اللسان ينبو عنهما معا نبوة واحدة[١٠٧] ، والمثلان فى غير الادغام ثقيلان لما فى النطق بهما من تحرك اللسان ورجوعه الى مكانه الأول فهو شبيه بمشى المقيد كلما تحرك خطوة رجع أخرى[١٠٨] فلا انكار للتخفيف بابدال أحد المتماثلين ياء[١٠٩] ولأن الصوت مع نقيضه أظهر منه مع قرينه ولصيقه ولذلك كانت الكتابة بالسواد فى السواد خفية وكذلك سائر الألوان[١٠٧] ، واذا كان ذلك فى المثلين فالثلاثة أولى وهذا هو معنى المخالفة التى أوضحها المحدثون وقد أشار اليها سيبويه فى (باب ماشذ فأبدل مكان اللام ياء لكراهية التضعيف وليس بمطرد) ومثل لها بقولهم تسريت وتظنيت وتقصيت .. وأصلها تسررت وتقصصت[١١٠] ونبه ابن جنى أيضا على استثقالهم المثلين حتى قلبوا أحدهما فى نحو أمليت — وأصلها أمللت — وقولهم لا وربيك لا أفعل يريدون لا وربك لا أفعل[١١١] ويرى الدكتور أنيس أن هذه الظاهرة

---

(١٠٦) الأصوات اللغوية ص ١٣٠ .
(١٠٧) الخصائص ٢/٢٢٧ .
(١٠٨) فقه اللغة د. العزازى ١٦٦ — ١٧١ .
(١٠٩) الخصائص ٢/٢٣٢ .
(١١٠) الكتاب ٢/٣٠١ . (١١١) الخصائص ٢/٢٣١ .

قد شاعت فى كثير من اللغات السامية وليست الا تطورا تاريخيا للأصوات[١١٢] ويذكر أن كثيرا من الكلمات التى تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة يتغير فيها أحد الصوتين الى صوت لين طويل — وهو الغالب — أو الى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين فى بعض الأحيان ولا سيما اللام والنون وهو يرى — كذلك — أن المخالفة « لا تكاد تتم الا حين يتجاور صوتان متماثلان من أصوات الاطباق أو الأصوات الرخوة على أن المخالفة قد تكون فى النادر من الأحيان بين الأصوات الشديدة مثل (اجار) التى روى فيها (انجار)[١١٣] وكذلك (اجاص) روى فيها — أيضا — انجاص[١١٤] فالمخالفة تجرى بين الحروف التى تحتاج الى جهد عضلى وفى غير ذلك يبقى المثلان دون تغيير كاللامين والنونين فلا تتناولهما عملية المخالفة الا فى النادر من الأحيان[١١٤] .

(جـ) **التناوب بين الأصوات** : تبين من ملاحظة ظواهر التطور فى مختلف اللغات الانسانية ان الأصوات المتحدة النوع القريبة المخرج تميل بطبعها الى التناوب وحلول بعضها محل بعض فكل صوت عرضة بطبعه لأن ينحرف الى صوت لين آخر وكل صوت ساكن عرضة بطبعه لأن ينحرف الى صوت ساكن متحد معه فى مخرجه أو قريب منه[١١٥] ففى العربية تناوبت أصوات اللين القصيرة (الفتحة — الكسرة — الضمة) فمثل (يعوم — يسمع — يلطم — يضرب — محمد — تعبان) تغيرت حركاتها الفصحى بأخرى فى العامية المصرية وحدث كذلك تناسخ فى أصوات اللين الطويلة نفسها وبخاصة فى الألف اللينة اذا أميلت فى لغات بعض القبائل العربية القديمة

---

(١١٢) الأصوات اللغوية ١٥٢ .

(١١٣) بمعنى سطح المنزل وفى حديث الهجرة واستقبل الناس النبى ﷺ على الأناجير .

(١١٤) المصدر السابق ص ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ .

(١١٥) فقه اللغة للدكتور وافى ١٣٦ .

(ومنها قريش) وتمال الآن فى لهجات القبائل العربية النازحة الى مصر وفى بعض اللهجات فى بلاد الشرقيـة والأصوات الساكنة كذلك ففى عاميتنا حلت الدال فى (دبور) محل الزاى فى (زنبور) الفصحى ، والسين فى (يسدأ) محل الصاد فى (يصدق) الفصحى وهكذا ، ومثل ذلك حدث فى اللغات الأوربية[١١٦] .

٢ ـ **الاشـتقاق** : قد تتفق كلمتان فى ظاهر أمرهما فى جميع الحروف الا حرفا واحدا وأصلهما ـ فى الحقيقة ـ مختلف لأخـذ كل منهما من أصل معين وقد ضرب ابن جنى لذلك أمثلة متعددة كما فى حثثوا وحثحثوا وآديته وأعديته فاذا أدركنا أصول الألفاظ على هذا النحو أمكننا تفسير ألفاظ كثيرة ظن أنها من الابدال .

٣ ـ **تغير المعنى** : تتغير معانى الألفـاظ من آن لآخـر تبعا للأحوال التى تمر بها اللغة ويتطور المعنى باحدى الصور الثلاث التى لا رابع لها (توسيع المعنى ـ تضييقه ـ انتقاله)[١١٧] « وينحرف الناس ـ عادة ـ باللفظ من مجاله المـألوف الى آخر غير مألوف حين تعوزهم الحاجة فى التعبير وتتزاحم المعانى فى أذهانهم أو التجارب فى حياتهم ثم لا يسعفهم ما ادخـروه من الألفـاظ وما تعلموه من كلمات[١١٨] ثم يشيع ذلك المجاز حتى يصبح مألوفا ويعد حينئذ من الحقيقة وتظـل تلك الدلالة القديمة ملازمـة للفظ فى حدود ضيقة ويكون للفظ دلالتان أو استعمالان ـ وكلاهما من الحقيقة ـ غير أن احدى الدلالتين تكون أكثر شيوعا من الأخرى بل قد يصل الأمر الى أن تصبح الدلالة القديمة من الندرة وقلة الاستعمال بحيث تستدعى الانتباه وتكاد تعد بمثابة المجاز حين تقارن بالدلالة الجديدة الشائعة المألوفة[١١٨] ، وفى هذه اللغة الشاعرة توجد كلمات كثيرة بقى معناها

---

(١١٦) علم اللغة د. وافى ص ٢٩٠ ـ ٢٩٣ .
(١١٧) دور الكلمة فى اللغة ١٦٥ .
(١١٨) دلالة الألفاظ د. انيس ص ١٢٦ واللغة والمجتمع د. وافى ص ١٧ ، ١٨ .

الحقيقى مع شيوع معناها المجازى على الألسنة حتى ليقع اللبس فى أيهما السابق وأيهما اللاحق فى الاستعمال[١١٩] ، فالعزة يوصف بها المكان المنيع والرجل المنيع فالعزيز فى الحالين غير السهل المباح[١٢٠]، وكلمة رأس التى تطلق علـى رأس الانسـان ورأس الجبل ورأس النخلة ثم أخيرا رأس الحكمة[١٢١] ، وهـكذا نرى أن المعانى تتجدد وتتطور وبخاصة فى لغتنا المبنية على المجاز وهذا التطور المعنوى قد يتسبب فى مساواة لفظ بآخر فيتفق معه فى المعنى وقد يتصـادف أن تتفق — حيئذ — الكلمتان فى جميع الحروف الا حرفا واحدا وقد يكون أحد المعنيين مجـازا الا أنـه عرف واشتهر فكأنه حقيقة بكثرة الاستعمال على ما سبق وقد يكون من ذلك ما جزم به ابن جنى من اختلاف المعنى بين كلمتى ثوم وفوم وان الفاء ليست بدلا من الثاء لاختلاف المعنى وتؤيده المعاجم فيما ذهب اليه[١٢٢] ولو أن اللغويين حاولوا الفصل بين المعانى وبيان حقيقيها ومجازيها وصلة هذه المعانى بعضها ببعض لأدى ذلك الى تفسير قدر كبير من الألفاظ التى تدخل فى ظاهرة الابدال •

٤ — **التصحيف والتحريف** : هذا العامل يرجع الى عصر تدوين اللغة وكتابتها[١٢٣] فان الحروف العربية تنقسم الى مجموعات متشابهة والتصحيف خاص بنقط الحروف المتشابهة فى الشكل مثل (ب ت ث — ج ح خ — د ذ — ر ز — س ش — ص ض — ط ظ — ع غ — ف ق)[١٢٤] فان صور تلك الحروف واحدة ولا يفرق بعضها عن بعض فى الكتابة الحديثـة الا النقط ومقدارها والتحـريف خـاص برسم

---

(١١٩) اللغـة الشاعرة ص ٣٩ •

(١٢٠) المصدر السابق ص ٤١ •

(١٢١) فى اللهجات العربية ص ١٩٣ •

(١٢٢) سر الصناعة ٢٥٢/١ والقاموس ١٠١/٤ ، ١٨٧ •

(١٢٣) التصحيف والتحريف (للعسكرى) ص ٩ •

(١٢٤) المزهر ٢٥٥/١ — ٢٦٧ واللغة العربية كائن حى ص ٥٧ •

الحروف المتشابهة وشكلها مثل (د ر — د ل — ذ ز — ز ن) فى الحروف المتقاربة الصورة و (ل ع — م ق) فى الحــروف المتباعدة الصورة[١٢٥] .

والتصحيف قسمان تصحيف الخط وتصحيف السمع فالأول ينشأ عن اختلاط نقط الحروف المتشابهة — كما سبق — ومن صور الابدال التى يمكن فيها ذلك « رجل صلب وصــلت » والدبر والدثر والكرت والكرب ورغاث ورغاب وجاص وجاض والنافجــة والنافحة »[١٢٤] وقد وقع أصحاب المعاجم فى كثير من هذا اللون من التصحيف[١٢٦] ، والثانى ينشأ من نطق الأحرف المتقاربة مخرجا أو صفة وهى — غالبا — لا تتشــابه رسما عند اهمال نطقها مثل (ء هـ — ب م — ت ط — ث س ف — ج ش — د ض — ذ ز ظ — س ص — ق ك) ومن صور الابدال التى يتوهم فيها ذلك اتمأل واتمهل ومن كتب ومن كثم والأقتار والأقطار والوطث والوطس واللثام واللفام والوقيذ والوقيظ[١٢٧] وقد وقع التصحيف والتحريف من علماء ورواة أفذاذ أمثال الخليل والأصمعى وأبى عمرو بن العلاء وأبى زيد وأبى عبيد وغيرهم كثــير[١٢٨] وصرح ابن جنى بوقوع التصحيف والتحــريف فى بعض أمثلة الابدال فى فصل التحريف[١٢٩] ومن كلامه فيه « قــالوا لا بل ولا بن وقالوا : قام زيد فم عمرو كقولك ثم عمرو وهذا وان كان بدلا فانه ضرب من

---

(١٢٥) تحقيق النصوص ونشرها ٥٠ — ٥٢ .

(١٢٦) مما يمثل ظاهرة الابدال فى المعاجم ويحتمل شبــه التصحيف ما ورد فى باب الهمزة من القاموس مثل (جفأه وحفأه صرعه ، خفــأه اقتلعه فضرب بــه الأرض ، جــلأ بالرجــل : صرعه وبثوبه رمــاه ، حلأه بالأرض صرعه وبالسيف ضربه ، سأسأ وشأشأ دعا الحمار ليشرب . رأرأت الظبــاء : بصبصت بأذنابها ، زازأ الظليم : مشى مسرعا رافعا رأسه ونفنبه الخ .

(١٢٧) انظر المخصص باب البدل ٣٦٧/١٣ وما بعدها .

(١٢٨) المزهر ١٨١/٢ وما بعدها .

(١٢٩) الخصائص ٤٣٦/٢ .

التحريف[١٣٠] واعترف المحدثون بأن بعض ما وقع فيــه الإبدال من ذلك كالدكتور الصالح[١٣١] والأستاذ جورجى زيدان[١٣٢] والدكتــور أنيس[١٣٢] فليس من التجنى اذا أن نرجح أن بعض الكلمات التى قيل لنا ان بينها ابدالا لا تمت للابدال بأية صلة بل هى وليدة التصحيف[١٣٣] والتحريف .

٥ ــ **صنع الألفاظ واختلاقها** : لقد حدث هذا الخلق والابتداع فى اللغة ولا سيما تراثها الأدبى وعلى رأسه الشعر فقــد كانت قبــائل العرب ذات عصبيات كثيرة ومفاخر وأمجاد فحاولت كل منها أن تظهر بشرف ومجد أعظم من الأخرى ولذلك اخترع بعضها القصائد ونسبتها الى أجدادها الأوائل تحقيقا لمــا تهدف اليه ، يقول ابن سلام « لمــا راجعت العرب فى الاسلام رواية الشــعر بعد أن اشتغلت بالجهــاد والغزو واستقل بعض العشــائر شعر شعــرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم وكان قوم قد قلت وقائعهم وأشعارهم فأرادوا أن يلحقوا بمن لــه الوقائع والأشعار فقالوا على ألسن شعرائهم ثم كانت الروايــة بعد فزادوا فى الأشعار التى قيلت وليس يشكل على أهل العلم زيادة ذلك ولا ما وضعوا ولا ما وضع المولدون وانما عضــل بهم أن يقول الرجل من ولد الشعراء أو الرجل ليس من ولدهم فيشــكل ذلك بعض الاشكال[١٣٤] ويفهم من نص ابن سلام السابق أن الرواة زادوا فى الآثار الأدبية .واتهم بذلك خلف الأحمر وحماد الراوية[١٣٥] ولا ريب

---

(١٣٠) المصدر السابق ٢/٤٤٠ .

(١٣١) دراسات فى فقه اللغة ٢٦٨ ــ ٢٧١ .

(١٣٢) اللغة العربية كائن حى ٥٦ ، ٥٧ .

(١٣٣) من أسرار اللغة ٥٣ ــ ٧٠ .

(١٣٤) طبقات فحول الشعراء ٣٩ ــ ٤١ والمزهــر ٨٦/١ ، ٨٧ ويقول ابن سلام أيضا ــ وفى الشعر المسموع مفتعل موضوع كثير لا خير فيــه . الطبقات ٥ ، ٦ والمزهر ٨٥/١ .

(١٣٥) طبقات فحول الشعراء ٣٩ ــ ٤١ .

أن اللغة بألفاظها تعتمد على التراث الأدبى وبخاصة الشعر الذى كان يحتل الصدارة فى البيئة العربية ويسرى على الألسنة فىجميع الأصقاع فتنتشر لذلك الألفاظ ولو كانت فى أبيات مصنوعة وقد قال الخليل « ان النحارير ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب ارادة اللبس والتعنيت[١٣٦] وقد أورد السيوطى أمثلة كثيرة لكلمات مصنوعة فى أبواب متعددة من مزهره[١٣٧] ومن ذلك عنشج : ثقيل وخم وضهيد : الرجل الصلب والألظ : نبت[١٣٨] وغير ذلك كثير .

وقد ذكر الأستاذ السامرائى أن السعة التى أضيفت للمعجم العربى بطريقة الابدال قد توسع فيها وربما دخلها شيء من التجوز والتوسع والكذب وذلك أنك تجد الكثير مما عرض له الابدال كما نص عليه الأقدمون يفتقر الى الشاهد الصحيح وضرب لذلك أمثلة — من المعاجم — منها بعير مبلند ، ومكلند : اذا كان شديدا وقد ابلندى يبلندى ابلندادا واكلندى يكلندى اكلنداء اذا اشتد[١٣٩] ثم قال وما أظن آن العربية تفيد من هذه السعة غير المقتضاة[١٤٠] ويبو لنا أن هذا حكم مطلق يجب تخصيصه بما روى عمن ليس من أهل الضبط والاتقان[١٤١] وبعد هذا نقول لا يبعد أن تكون بعض الألفاظ المخترعة قد اضيفت الى اللغة وكان لها أثرها فى ظاهرة الابدال .

وهذه الأسباب التى عرضناها تعد أساسا صحيحا لتفسير ظاهرة الابدال وبيان صلتها باللهجات العربية نشأة وظهورا وسنحاول تطبيقها على بعض ألفاظ هذه الظاهرة مما له مصطلح لهجى أو لغوى

---

(١٣٦) العين ١/٥٩ والمزهر ١/٨٥ .
(١٣٧) انظر مثلا ١/٥٢ — ٥٦ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٨٥ — ٩١ ، ١٠٦ — ١١١ ، ١٢٠ — ١٢٤ .
(١٣٨) المزهر ١/٦٣ — ٦٧ ، ١٢٠ — ١٢٤ .
(١٣٩) لسان العرب ٤/٦٥ ، ٣٨٥ .
(١٤٠) التطور اللغوى التاريخى ١١٥ .

معروف ، وفى بحث آخر نحاول — ان شاء الله — تطبيقها على ما ورد من ألفاظ قيل فيها بالابدال مما لم يضع له العلماء مصطلحا لهجيا أو لغويـا •

ويتسع الابدال ليشمل مظاهر كثيرة لاختـلاف اللهجات فبعض القبائل تفضل حرفا معينا ، فى حـين أن قبائل أخـرى تفضل حرفا آخـر •

وبعض القبائل تفضل حركة معينة فى حين أن غيرها يفضل حركة أخـرى •

ولذا سنتكلم عن أهم مظاهر هذين النوعـين فيما له مصطلح لهجى أو لغـوى ونفسر قـدرا صـالحا ممـا ورد فى كتب اللغة من أمثلة لهما نراها جديرة بالدرس والبحث . ونحللها تحليلا علميا مبنيا على ما صح من المقاييس التى وضعها القدامى والمحدثون من علماء اللغة ونبين بالحجة والدليل الرأى الجدير بالاتباع •

أولا : الابدال في الحروف

وقع الابدال فى بعض الحروف عند القبائل المختلفة ، وبعضه وضع له اللغويون مصطلحا لهجيا ، أو مصطلحا لغويا .

وقد وصفت بعض هذه الظواهر الابدالية بأنها من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ وذلك بعد أن هذبت اللغة ، وأطبقت العرب على على النطق الحر والأسلوب المصفى[1] .

ومن ذلك : الكشكشة والكسكسة والفحفحة والعنعنة والاستنطاء ونحو ذلك مما ذكره ابن فارس تحت عنوان (باب اللغات المذمومة)[2] وذكره السيوطى — نقلا عنه — تحت عنوان : (معرفة الردىء والمذموم من اللغات)[3] .

الكشكشة :

يجعل بعض العرب بعد كاف الخطاب فى المؤنث شينا فيقولون فى : رأيتك : رأيتكش ، وفى بك : بكش ، وفى عليك : عليكش[4] وهؤلاء الناطقون — كذلك — طوائف ، فمنهم من يثبت الشين حالة الوقف فقط حرصا على البيان فاذا وصلوا حذفوا وهو الأشهر ، ومنهم من يثبتها فى الوصل أيضا ، ومنهم من يجعل الشين مكان الكاف ، ويكسرها فى الوصل ويسكنها فى الوقف فيقولون فى مررت بك اليوم : مررت بكش اليوم ، وفى مررت بك فى الوقف : مررت بش ، قال الشاعر :

---

(١) تاريخ آداب العرب ١/١٤٠ .
(٢) الصاحبى : ٣٥ .
(٣) المزهر : ١/٢٢١ .
(٤) الجمهرة ١/١٥٣ .

فعيناش عيناها وجيدش جيدها ولكن عظم الساق منش دقيق

وأنشد ابن الأعرابى :

على فيما أبتغى أبغيش بيضاء ترضينى ولا ترضيش
وتطبى ود بنى أبيش اذا دنوت جعلت تنبيش
وان نأيت جعلت تدنيش وان تكلمت حنت فى فيش
حتى تنقى كنقيق الديش

وجاء قلب الكاف شينا فى غير كاف الضمير[٥] فى (الديك) لضرورة القافية قال ابن جنى بعد ذكره الأبيات : فشبه كاف الديك لكسرتها بكاف ضمير المؤنث[٦] .

وقال الراجز :

أى غلام لش علود العنق ليس بكياس ولا جد همق

لش : لك ، وهى لغة لبعض العرب[٧] .

وعليها قرأ بعضهم (قد جعل ربش تحتش سريا)[٨] .

وتنسب الكشكشة لأسد وهوازن ، وقال ابن فارس : هى فى أسد ، ونسبها بعضهم الى تميم وبعضهم الى ربيعة ومضر[٩] .

ويعد سيبويه من أوائل من ذكر هذه اللهجة ، يقول : واعلم أن ناسا من العرب يلحقون الشين ليبينوا بها الكسرة فى الوقف ، وذلك قولهم : أعطيتكش وأكرمتكش ، فاذا وصلوا تركوها ، وانما يلحقون

---

(٥) مجالس ثعلب ١/١١٦ . (٦) سر الصناعة ١/٢١٧ .
(٧) التهذيب ٢/٢١٦ . (٨) مريم ٢٣ .
(٩) الكامل ١/٣٧١ قال المبرد : انهم التميميون الذين منهم عمرو ابن تميم ، والصاحبى ٢٤ والأساس ٨٢٢ ، والمحكم ٦/٣٩٧ ، ٣٩٨ وشرح المفصل ٩/٤٨ والمزهر ١/٢٢١ وانظر سر صناعة الاعراب ١/٢١٦ ، ٢٣٥ وفقه اللغة للثعالبى ١٢٩ .

الشين فى التأنيث ، لأنهم جعلوا تركها لبيان التذكير[١٠] .

واضافة الشين عند الوقف عـلى المؤنث ، لأن الكسرة تخفى عند الوقف فأرادوا بيانها بابدالها شينا أو بزيادة شين بعد الكاف .

ويروى سيبويه ـ كذلك ـ قلب الكاف شينا فى الوصل مثل : أنش ذاهبة ومالش ذاهبة ، يريد : أنك وما لك[١١] وقد نسبها الى تميم وناس من أسد[١١] .

والحاق الشـين بعد الكاف أو ابدالها منها لتوافقهما فى كثير من الصفات كالهمس والاستفال والانفتاح والاصمات مع تقارب المخارج فالكاف من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى والشين من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى[١٢] .

وبعض المحدثين يرى أنه لابد فى الكشكشة أو الكسكسة أن تحل الشين أو السين محل الكاف ليمكن أن تعد هذه الظاهرة من ظواهر اللهجات ، اذ ليس هناك ما يسوغ أن تتصل الكاف بصوت آخر فى حالة الوقف ، بل الأقرب الى القوانين الصوتية وطبيعة اللهجات أن يحل صوت محل آخر[١٣] .

ونرى أنه لا يتحتم ذلك مطلقا ، اذ بعض اللهجات تزيد حرفا وبعضها تنقص ، ولا شىء فى ذلك .

الكسـكسة :

يجعلون بعد الكاف أو مكانها فى خطاب المؤنث سينا كالكشكشة فيقولون أعطيتكس وأكرمتكس وأبوس وأمس فى (أعطيتك وأكرمتك

---

(١٠) الكتاب ١٩٩/٤ ، ٢٠٠ .

(١١) الكتاب ١٩١/٤ وانظر مجالس ثعلب ١١٧/١ وسر الصناعة ٢١٤/١ .

(١٢) انظر كتابنا : أصوات اللغة العربية .

(١٣) فى اللهجات العربية د. أنيس : ١٢٢ .

وأبوك وأمك) وورد عن معاويــة حين ســئل : من أفصح الناس ؟ قال : قوم تياسروا عن كسكسة بــكر أى ابدالهم الســين من كاف الخطاب حين يقولون : أبوس وأمس يريدون : أبوك وأمك وبعضهم يزيد السين بعد الكاف فى الوقف مثــل : مررت بكس أى بك[١٤] والكسكسة لبكر وأسد وربيعة ومضر[١٥] ومنع الحريرى نسبتها الى ربيعة ومضر[١٦] ، وصاحب القاموس يذكر أنها لتميم[١٧] ، وقيــل نسبت لهوازن[١٨] ونرى أنها تنسب لهؤلاء جميعا .

ويحاول بعض المحدثين أن يفسر الكشكشة والكسكسة على أنها صوت مركب (ch) ثم قلبت الشــين سينا فى الكســكسة يقول : فالأصل فى هذه الظاهرة أن تكون الكاف للمؤنث حتى تجتذب الكسرة الكاف الى الأمام ، فتنقلب الى نظائرها من أصول الثنايا فتصير (ch) أى شجرية ، وبعد ذلك صارت (تس) وقلب الشين سينا مطــرد فى اللغات السامية ، فضمير الغائب « شون » فى الأكادية و « سون » فى بعض اللغات العربية الجنوبية[١٩] .

وادعى بعضهم أن قلب الكاف سينا أو شــينا أو صوتا مركبا (تس — تش) يتمشى مع قانون الأصوات الحنكية الذى يقرر أن الأصوات تنتقل من أقصى الحنك (الطبق) الى الشفتين ، فالكاف على هذا التفسير تصير سينا[٢٠] .

---

(١٤) النهاية فى غريب الحديث والاثر ١٧٤/٤ .

(١٥) الكامل ٣٧١/١ وقد نسبها المبرد فيما يختص بقلب كاف الخطاب للمؤنث سينا الى بعض بكر ومثله فى فقه اللغة للثعالبى ١٢٩ وسر الصناعة ٢١٤/١ والصاحبى ٢٤ فيما يختص بزيادة سين بعد كاف المؤنث فى الوقف والمفصل ٩/٧ وشرح شافية ابن الحاجب ٣٨١/٢ وفى التهذيب : الكسكسة لغة من لغات العرب تقارب الكشكشة ٤٣٠/٩ .

(١٦) درة الغواص فى أوهام الخواص : ٣٥ .

(١٧) ٦٢٥/٢ وانظر الاقتراح للسيوطى ٨٣ والمزهر ٢٢١/١ .

(١٨) الخصائص ١٢/١ ومجالس ثعلب ٨١/١ .

(١٩) اللهجات العربية فى التراث ٣٦٤/١ .

(٢٠) الأصوات اللغويــة ص ٧٩ .

ونرى أن هذا غير صحيح ، لأننا لم نسمع به مطلقا على طريقة النطق والكتابة ، ولم يرد فى كتب القدماء ، وان شاع ذلك فى بعض النطق الحديث بالجزيرة العربية[٢١] ولا يفسر القديم بالحديث للخلل الواقع فى النطق الحديث بما أبعده عن الفصيح ، ولا يحتج به فقد تغير نطق بعض الأصوات وشـوه تشويها خطيرا ، فقد تحـول ـ ـ ـ فى نطق أهل الرياض ـ صوت الكاف ـ أول الكلمة الى (تس) مثل : كيف حالك (تسيف حالك) وفى وسط الكلمة كذلك ، فكلمة (باكر) تنطق هناك (باتسر) فلا يعول على هذا النطق المحرف لتفسير الفصيح من كلام العرب •

ويرى بعضهم أن الكسكسة والكشكشة حدثتا نتيجة للتطور فى مرحلتين :

الأولى : انتقـال الكاف الى الصوتين المزدوجين : تس وتش •

والثانية : تطور الصوتين المزدوجين الى السـين الخالصة تارة والشين الخالصة تارة أخـرى[٢٢] وهذا كلام لا يسنده الدليل العلمى أو التاريخى •

الشنشـنة :

ورد هذا اللفظ فى كتب اللغة ولكن ليس بالمعنى الاصطلاحى المعروف ففى المعجمات أن الشنشنة : الطبيعة والخلق والسجية وفى المثـل :

شنشـنة أعـرفها من أخـزم   من يلق آساد الرجـال يكلم[٢٣]

---

(٢١) فى منطقة الخليج والسعودية .
(٢٢) اللهجات العربية فى التراث ص ١٢٣ .
(٢٣) مجمع الأمثال ١٥٥ واللسان ١١٠/١٧ والعين ٢٢٠/٦ .

وفى الاصطلاح : جعل الكاف شينا مطلقا سواء كانت لمذكر أو لمؤنث[٢٤] وسواء كانت أصلية أو زائدة مثل : لبيش اللهم لبيش فى لبيك[٢٥] والديش فى الديك[٢٦] وقد سمع بعض أهل اليمن فى الحج يقول (لبيش اللهم لبيش) • ويرى بعض المحدثين أن ما يسمى بالشنشنة هو صوت بين الجيم والشين أو هو الصوت المركب (تش) Ch المعروف فى الانجليزية ، ولأن العرب لا يعرفون طريقة كتابة هذا الصوت فانهم كتبوه تارة بالكاف وثانية بالشين وقيل — أيضا — ان الكاف فى أى موضع من الكلمة حينما يأتى بعدها صوت لين أمامى فانها تقلب الى نظيرها من الأصوات الحنكية (أصوات وسط الحنك) •

ونحن لا نرتضى هذين التفسيرين لمخالفتهما لطبيعة نطق الأصوات العربية وخصائصها لأن العربية لا تعرف الحروف المتداخلة أو المركبة بين حروفها وقد ماتت الأصوات التى بين بين منها •

ونسبت فى العقد الفريد لتغلب ففيه فى خبر الرجل — من السماط — الذى كلم معاوية عن أفصح العرب قوم تيامنوا عن شنشنة تغلب[٢٧] ، وتنسب أيضا الى بكر بن وائل ، وقد نسبها ابن دريد والقلقشندى الى حمير[٢٨] ولكنها شائعة فى القبائل اليمنية وهى تنسب الى أهل البداوة منهم ، وما زالت حتى الآن فى اللهجة الشحرية والمهرية والقطرية وحضرموت •

---

(٢٤) لهجات العرب لاحمد تيمور ص ١٢٣ •

(٢٥) المزهر ٢٢٢/١ وتاريخ آداب العرب ١٤١/١ ومميزات لغات العرب ١٣ •

(٢٦) الجاسوس ١٨٣ •

(٢٧) ٤٧٥/٢ ، ٣٢٠/٣ •

(٢٨) الجمهرة ٢٣٨/١ ، ٧٧/٣ وصبح الأعشى ١٦٠/١ •

العنعنـة :

ورد فى بعض كتب القدماء أن العنعنة قلب الهمزة عينا[٢٩] ، ويقول ابن دريد : العنعنة حكاية كلام نحو قولهم : عنعنـة تميم ، لأنهم يجعلون الهمزة عينا[٣٠] ويقول السيوطى : انهم يجعلون الهمزة المبدوء بها عينا[٣١] ومن ذلك قول الشاعر :

أعن ترسمت من خـرقاء منزلـة   ماء الصبابة من عينيـك مسجوم

وقال جران العود :

فما أبن حتى قـلن يا ليت عننا   تراب وعن الأرض بالناس تخسف

وقـال الآخر :

تعرضـت لى بمـكان حـل   تعرضا لم تأل عن قتـلا لى[٣٢]

وقـال :

فنحن منعنا يوم حـرس نساءكم   غداة دعانا عـامر غج معتلى[٣٣]

ومن ذلك : الأسف والمعسف .

ومما ورد من ذلك مما وقعت فيه الهمزة عينا : كعص أى كأص بمعنى أكل يقال : كعصنا عند فلان وكأصنا أى أكلنا ، قال أبو حاتم :

---

(٢٩) العين ١٢١/١ وفقـه اللغـة للثعـالبى ١٢٩ والأمـالى للقـالى ٨١/٢ .

(٣٠) الجمهرة ١٦٠/١ .   (٣١) المزهر ٢٢٢/١ .

(٣٢) قال ابن جنى : يجوز ان يكون اراد (أن قتلالى) فأبدل الهمزة عينا (سر الصناعة ٢٣٧/١) ويجوز أن يكون أراد الحكاية كأنه حـكى النصب الذى معتادا من قولها فى بابه أى كانت تقول : قتلا قتلا ثم حكى ما كانت تلفظ به ، سر الصناعة ٢٣٦/١ ، ٢٣٧ ، واللسان ١٧٨/١٦ .

(٣٣) الجمهرة ٢٣٨/١ ، ٧٧/٣ وسر الصناعة ٧٥/١ والخصائص ٤١١/١ والمزهر ٢٢٣/١ .

هى همزة قلبت عينا لأن بنى تميم ومن يليهم يحققون الهمزة حتى تصير عينا[٣٤] .

ومما ذكره الخليل فى العين : الخبع : الخبء فى لغة تميم يجعلون بدل الهمزة غينا[٣٥] .

وحكى عن بنى تميم : هذه خباعنا ، يريد خباؤنا ، ويقال : خبع الرجل فى المكان اذا دخل فيه ، وأحسب أن هذه العين همزة[٣٦] .

ولا تزال هذه الظاهرة قائمة فى بعض اللهجات الدارجة فى صورها المشار اليها أولا ووسطا وآخرا .

ففى مدن تهامة يقولون : (عالة) فى (آلة) و (العمام) فى (الامام)[٣٧] ومن ذلك فى لهجات صعيد مصر (اسعل وسعال) بدل (اسأل وسؤال) و (لع) مكان : (لا) .

ويرى بعض الباحثين أن العنعنة تكون فى (أن وأن) لكثرة استعمالهما وطولهما بالصلة[٣٨] وبعضهم كالفراء وابن فارس يخصها بالهمزة المفتوحة فى (أن) المشددة النون ، ففى لسان العرب « لغة قريش ومن جاورهم (أن) وتميم وقيس وأسد ومن جاورهم يجعلون ألف (أن) اذا كانت مفتوحة عينا يقولون : أشهد عنك رسول الله ، فاذا كسروا رجعوا الى الألف[٣٩] وابن جنى يرى ذلك — أيضا —

---

(٣٤) الجمهرة ٧٦/٣ .
(٣٥) العين ١٤١/١ .
(٣٦) الجمهرة ٢٣٧/١ ، ٢٣٨ .
(٣٧) فى اللهجات العربية : ١١١ .
(٣٨) سر الصناعة ٢٣٤/١ وشرح المفصل ١٤٩/٨ .
(٣٩) اللسان ٣١٤٣/٤ (عن) والتهذيب ١٢٢/١ وشرح المفصل ١٤٩/٨ ، ١٩٨/١ وانظر الصاحبى ٢٤ والمغنى ١٣٠/١ .

فيذكر أن بنى تميم يقولون فى موضع (أن) : (عن) فيقولون : ظننت عن عبد الله قائم ، وقال : ان مجىء النون فى العنعنة يدل على أن ابدالهم اياها هو فى همزة (أن) دون غيرها .

وقولهم : عنعنة مشتق من قولهم : عن عن فى كثير من المواضع[٤٠] الا أن عالمنا ابن جنى يذكر أنهم أبدلوا الهمزة فى غير (عن)[٤١] سواء كانت أولا أو وسطا .

ويرى الدكتور ابراهيم أنيس أن اشتراط البدء بالهمزة أو أن تكون مفتوحة ليس له ما يبرره[٤٢] من الناحية الصوتية ، وانما الذى يبدو أن يكون أقرب الى الاحتمال هو أن هذه القبائل كلها من البدو ، وكانت تميل الى الجهر بالأصوات لتجعلها واضحة فى السمع أيا كان موضعها من الكلمة وبأى حركة تحركت[٤٣] .

ويتهم القدماء الذين قصروا العنعنة على الهمزة المبدوء بها بأن مبنى رأيهم على الرواة الذين استقرأوا أمثلة هذه الظاهرة استقراء ناقصا ؛ والأمر فى كل رواية لا يعدو أن يكون حكما خاصا مبنيا على مثل خاص سمعه الراوى دون استقراء لباقى الحالات[٤٤] .

ويبدو لنا أنه اتهم الرواة دون دليل ، والقدماء لا ينكرون ابدال العين من الهمزة فى الأول والوسط والآخر ، ونصوص القدماء السابقة تشهد لذلك وان خصها بعضهم بالابتداء .

---

(٤٠) سر الصناعة ٢٣٧/١ .

(٤١) المصدر السابق ٣٤٠/١ .

(٤٢) كذا بالأصل والصواب (يسوغه) مكان (يبرره) .

(٤٣) فى اللهجات العربية : ١١ .

(٤٤) المصدر السابق : ١١ .

وقد نسب بعض العلماء العنعنة الى تميم خاصة ، ومنهم الخليل ابن أحمد والأصعمى[٤٥] وابن فارس [٤٦] وابن جنى [٤٧] وجعلها ابن دريد فى تميم ومن يليهم[٤٨] وينسبها بعضهم الى تمبم وقيس وأسد[٤٩] •

ولكن كثرة النصوص الواردة بالعنعنة ونسبتها الى قبائل متعددة يؤدى بنا الى القول بكثرة القبائل البدوية التى شاركت تميما فى قلب الهمزة عينا والاشارة الى تميم ، لأنها أكبر القبائل فى شرقى الجزيرة •

والانتقال من الهمزة الى العين ممكن لأنهما أختان تخرجان من الحلق فالهمزة من أقصاه والعين من وسطه[٥٠] •

وهى مناسبة لطبيعة البدو الذين يحتاجون الى نبرة عالية ، لاتساع الصحراء والعين مجهورة ، أما الهمزة فهى — فى أدق الآراء — لا مجهورة ولا مهموسة أو هى مهموسة على رأى بعض المحدثين[٥١] •

الفحفحة :

هى قلب الحاء عينا مطلقا[٥٢] سواء كانت حاء حتى أو غيرها ، فى لغة هذيل يجعلون الحاء عينا فيقولون فى مثل : حلت الحياة لكل حى :

---

(٤٥) سر صناعة الاعراب ١/٢٣٤ .
(٤٦) الصاحبى : ٣٥ .
(٤٧) سر الصناعة : ١/٢٣٤ .
(٤٨) الجمهرة ١/١٦٠ .
(٤٩) تهذيب اللغة ١/١١١ وتاج العروس ٩/٢٨٢ .
(٥٠) الكتاب ٤/٤٣٣ وسر الصناعة ١/٥٢ .
(٥١) الوجيز فى فقه اللغة للأنطاكى : ٢٠٠ وانظر كتابنا : اصوات اللغة العربية .
(٥٢) سر الصناعة ١/٢٤٦ والمزهر ١/٢٢٢ والأمالى ٢/٧٠ .

علت العياة لكل عى ، وعلى لغتهم قرأ ابن مسعود (عتى حين) فى قوله تعالى (حتى حين) ، ونقل صاحب النهاية أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه — بلغه أن ابن مسعود يقرىء الناس بلغة هذيل « عتى حين » فقال : ان القرآن لم ينزل بلغة هذيل فأقرىء الناس بلغة قريش [٥٣] وقال الزمخشرى : وفى قراءة ابن مسعود « ليسجننه عتى حين » وهى لغة هذيل ، وعن عمر رضى الله عنه أنه سمع رجلا يقرأ (عتى حين) فقال : من أقرأك ؟ قال : ابن مسعود ، فكتب اليه : ان الله أنزل هذا القرآن بلغة قريش فلا تقرئهم بلغة هذيل والسلام [٥٤] وورد عنهم أيضا : وجلست عنده عتى الليل .

وبعض الباحثين يرى أن الفحفحة خاصة بحاء (حتى) .

يقول أستاذنا الدكتور ابراهيم نجا : المشهور فيها ابدال الحاء من حتى عينا ، وذكر القراءة (عتى حين) ونقل عن فريق من الباحثين أن الابدال ليس مقصورا على حاء حتى مثل : اللعم الأعمر الخ ثم يقول : وهذا النقل ضعيف لأنه لم يرد لنا من نصوص العرب وشواهدهم ما يجعلنا نقبل وجهتهم ، ومع هذا فقد رأينا ابن مسعود قد اقتصر على ابدال الحاء من (حتى) ولم يبدلها من (حين) فلو كان الابدال عاما لقرأ بالعين فى كلتا الكلمتين فدل ذلك على أن الفحفحة خاصة بحاء حتى [٥٥] .

ولكن يبدو لنا أن ظاهرة قلب الحاء عينا مطلقا ثابتة لورود ذلك فى أمثلة لغوية ضمنتها المعاجم اللغوية مثل بحثر وبعثر وروى اللحيانى قولهم : عصد الرجل اذا مات وحكى عن أبى ضبة قال :

---

(٥٣) النهاية ٣/١٨١ .

(٥٤) الكشاف ٢/٣١٩ .

(٥٥) اللهجات العربية د. نجا ٨٢ .

لغتنا حصد ولغة الأكثر عصد[٥٦] . وهذا التبادل كثير مثل ، الحبكة والعبكة وهى الحبة من السويق[٥٧] وضبحت الخيل وضبعت الى غير ذلك .

ويرى بعض المستشرقين أن (عتى) — فى لغة هذيل — لها صلة بكلمة (عدى) الموجودة فى بعض اللغات السامية وفى العربية الجنوبية القديمة ، وكذلك الكلمة العبرية (عد) بمعنى حتى فالحاء تقابل العين والتاء تقابل الدال أى أننا أمام صورتين لكلمة واحدة احداهما تشتمل على صوتين مهموسين والأخرى تشتمل على نظيريهما من المجهورات وحينئذ يمكن تفسير هذا على أن الصورة المشتملة على المهموسات صورة حضرية وأن الأخرى صورة بدوية ولا تكون هناك فى هذه الحالة ظاهرة عامة تدعى الفحفحة[٥٨] وقد روى عن العرب قلب الحاء عينا فى غير (حتى) مثل : علت العياة لكل عى وقولهم : (اللعم الأعمر أعسن من اللعم الأبيض) فى اللحم الأحمر أحسن من اللحم الأبيض)[٥٩] وتنسب هذه الظاهرة لهذيل أو بعض بطونها ولثقيف[٦٠] وقد وجد هذا القلب فى الآية فى مصحف ابن مسعود ومصحف الربيع بن خثعم .

والحاء والعين من مخرج الحلق ويتفقان فى صفات الاستفال والانفتاح والاصمات الا أن العين مجهورة ، والحاء مهموسة والحاء رخوة والعين صوت متوسط بين الشدة والرخاوة فأمكن تبادلهما ،

---

(٥٦) الابدال لأبى الطيب ٢٤٦/١ .

(٥٧) المزهر ٤٦٦/١ .

(٥٨) فى اللهجات العربية د. أنيس ١٠٩ .

(٥٩) مميزات لغات العرب : ١٣ وفى اللهجات العربية : ١٠٨ .

(٦٠) انظر المصادر فى هذا الموطن وابن عقيل ١٢/٣ ط دار الفكر ولسان العرب ٣٢٨/٢ . حيث يقول : فى (عتى) هذلية ثقفية .

ولذا قال ابن جنى « لولا بحة فى الحاء لكانت عينا »[٦١] ويقول فى المحتسب مشيرا لظاهرة الفحفحة :

« العرب تبدل أحد هذين الحرفين من صاحبه لتقاربهما فى المخرج كقولهم بحثر ما فى القبور أى بعثر »[٦٢] وضبعت الخيل أى ضبحت وهو يحنظى ويعنظى اذا جاء بالكلام الفاحش فعلى هذا يكون (عتى وحتى) لكن الأخذ بالأكثر استعمالا وهذا الآخر جائز وغير خطأ .

والمعروف أن فى قبيلة هذيل ميلا الى البداوة ، اذ كانت مجاورة لبعض البدو على حين أن ثقيف من القبائل الحضرية ، وربما نسبت لها لتأثرها بمن ينطقها لكن بعض المحدثين ينفى وجود هذه الظاهرة وبنى هذا النفى على أمور :

١ — أن قصة قراءة ابن مسعود للآية (عتى حين) مشكوك فى صحتها فكيف ينهى عمر ابن مسعود عن القراءة بالعين مكان الحاء فى هذه الآية مع ما نقله عمر نفسه من استحسان الرسول ﷺ قراءة ابن مسعود حينما كان يسمر عند أبى بكر وكان عنده عمر فخرج رسول الله ﷺ وعمر وأبو بكر معه فاذا رجل قائم يصلى فى المسجد فقام رسول لله ﷺ يسمع قراءته فقال عمر : فلما كدنا أن نعرف الرجل قال : « من سره أن يقرأ القرآن رطبا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم معبد » (يعنى ابن مسعود) .

٢ — لم يسمع قلب الحاء عينا عن هذيل فى غير هذه القراءة

---

(٦١) سر الصناعة ٢٤٦/١ وتكلم عن هذه القراءة فى (حتى) فيقول : ابدلت العين من الحاء فى بعض المواضع قرا بعضهم (عتى حين) يريد : حتى حين .

(٦٢) المحتسب ٣٤٣/١ .

المروية والمثال واحد لا يكى لاثبات اللهجـة ، وهناك آيات أخـرى كثيرة لم تبدل فيها الحاء عينا •

٣ — نقل عن ابن مسعود القراءة بابدال العين حاء فى بعض الآيات فى مثل قوله تعالى : « أفـلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور » قرأها (بحثر) بالحـاء وهذا نقيض القراءة السـابقة فى (حتى حـين) •

٤ — وقوع القراءة بابدال الحـاء عينا فى (حتى حين) فى مصحف الربيع بن خثعم مما يدل على أن هذه الظاهرة ليست مختصة بهذيل •

٥ — نسبة هذه الظاهرة الى هذيل تبعا لابن مسعود لأنه قرأ بها نسبة غير مقبولة لأن قراءة القارىء قـد لا تعتبر لغة قومـه فابن محيصن وابن كثير يقرآن (ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا) بيـاء واحدة وهى لغة تميم مع أنهما مكيان فقد خالفا بذلك لهجـة قومهما وبذلك فانه لا يتعـين أن تكون قـراءة ابن مسعود ممثلة للغة قومـه الهذليين[٦٣] عـلى أن قبيلة هذيل متصلة بالحجاز ومساكنها قريبـة منها والفحفحة ظاهرة بدويـة مما يبعد نسبة هذه اللهجـة الى تلك القبيـلة •

٦ — التسمية نفسها تحمل على الشك فى وصف القدماء لهذه الظاهرة فكلمة الفحفحة اذا نظر اليها فى ضوء مصطلحات الكشكشة والعجعجة نرى أن الحرف الثـانى فى كل من هذين المصطلحين هو

---

(٦٣) اللهجات العربية د. انيس ١٠٨، ١٠٩ واللهجات العربيـة فى التراث ٣٧٢ ، ٣٧٣ •

الحرف المقلوب اليه وكان مقتضى هذا أن يكون معنى الفحفحة قلب العين الى الحاء لا العكس(٦٤) .

ولكننا نرى أن هذا النفى غير صحيح فالشك فى قراءة لا يؤدى الى اسقاطها الا اذا كان معتمدا على أوجه عدم صحة النقل وطرق الرواية وذلك لم يتوافر لصاحب النفى .

كما أن اعتداد الرسول بقراءة ابن مسعود يؤكد صحة الروايـــة وليس دليلا على نفيها وهو توجيه للقارىء للاتجاه الى الصفة العامة الغالبة وان صحت القراءة بغيرها أو يقرأ القرآن عـــلى وجوه كثيرة تبعا لتعدد القبائل وتيسيرا على النطاقين من المسلمين حسب لهجاتهم ، لكن فى مقام التعليم يلجأ الى الأقوى .

ولم يقتصر أمر هذه اللهجة على مثال واحد بل ورد غيره كما أن ما نقل عن ابن مسعود من القراءة بقلب العـــين حاء يؤكد صحة هذا النوع من التبادل ولا ينفى عكسه بل يؤيده من لجوء القبيلة الى كل منهما لمـــا بين الصوتين من تقـــارب يدعو الى جذب أحـــدهما الى صاحبه .

كما أن نسبة هذه الظاهرة الى غير هذيل دليل على صحتها وعلى انتشارها فى مواطن عدة وهذا يثبتها ولا ينفيها .

ولذا نرى أن النفى دليل لا يعتد بـــه .

العجعجـــة :

هى جعل الياء المشددة جيما فيقولون فى تميمى تميمج ، وكذلك الياء المخففة الواقعة بعد العين مثل : الراعج خرج معج فى قولهم :

---

(٦٤) فى اللهجات العربية ١٠٨ .

الراعى خرج معى[٦٥] وقال ابن فارس : وكذلك الياء المشددة تحول جيما فى النسب ، يقولون : بصرج وكوفج[٦٦] .

ويقول السيوطى : ومن ذلك العجعجة فى لغة قضاعة يجعلون الياء المشددة جيما يقولون فى تميمى : تميمج[٦٧] . وقال أبو عمرو ابن العلاء : قلت لرجل من بنى حنظلة : ممن أنت ؟ فقال : فقيمج قال : قلت : من أيهم ؟ قال مرج يريد : فقيمى ومرى ، وقال يعقوب : بعض العرب اذا شددت الياء جعلتها جيما[٦٨] ، وفى حديث ابن مسعود : فلما وضعت رجلى على مذمر أبى جهل قال : أعل عنج أى تنح عنى[٦٩] .

ومن ذلك قول الراجز : قال الأصمعى : حدثنى خلف قال : أنشدنى رجل من أهل البادية :

خالى عويف وأبو علج
المطعمان اللحم بالعشج
وبالغداة كسر البرنج
تقلع بالود وبالصيصج

أراد : على — العشى — البرنى — الصيصى[٧٠] .

---

(٦٥) يقول الرضى : ويبدل ناس من بنى تميم الجيم مكان الياء فى الوقف شديدة ، كانت الياء أو خفيفة . شرح الشافية ٢٨٧/٣ .

(٦٦) الصاحبى ٣٧ وشرح المفصل ٢٠/١٠ .

(٦٧) المزهر ٢٢٢/١ والتهذيب ٦٨/١ .

(٦٨) سر الصناعة ٩٢/١ والابدال لأبى الطيب ٢٥٧/١ .

(٦٩) انظر النهاية ٢٩٤/٣ ولسان العرب ٦١/٦ ومذمر كمعظم القفا . القاموس (ذمر) .

(٧٠) الأشمونى ٢٨١/٤ وابدال ابن السكيت ٩٥ ورواه ابن جنى عمى بدل خالى وروى غيره فلق وكتل وقطع مكان كسر وكلها بمعنى أجزاء الشىء والبرنج بفتح الياء وسكون الراء : من انواع التمر الجيد والود : الوتد ، والصيصى : جمع صيصة وهى القرن والفعل تقلع مبنى للمفعول . انظر سر الصناعة ١٩٢/١ .

ومن ذلك ما أنشده ابن الأعرابى :

كـــأن فى أذنابهن الشـــول من عبس الصـــيف قرون الاجـــل

يريد : الأيـــل .

وأنشـــد الفراء :

بـــكيت والمحتـــرز البـــكج وانمـــا يـــأتى الصـــبا الصـــبج

يريد : البكى والصبى[٧١] .

وفى الأمالى : ويمكن أن يكون (جار) لغة فى (يار) كمـــا قالوا : الصـــهاريج والصـــواب الصـــهارى وصهريج وصهرى لغـــة تميم[٧٢] .

وقد تقلب الياء المخففة جيما فى مثل قول الشاعر :

يـــارب ان كنت قبـــلت حجتج فـــلا يـــزال شـــاحج يأتيك بج

أقمـــر نهات ينـــزى وفـــرتج

فالأصل : حجتى — بى — وفرتى[٧٣]

وكذلك قول هميان بن قحافة السعدى :

يطير عنها الوبـــر الصهابجا

يريد الصهابى — من الصهبة —[٧٤] فحذف احدى الياءين وقلب

---

(٧١) سر الصناعة ٩٣/١ ولهجات العرب لأحمد تيمور ١٨ .

(٧٢) الأمـــالى ٢١٧/٢ .

(٧٣) سر الصناعة ١٩٣/١ وشرح شافية ابن الحاجب ٥١٦/٤ .

(٧٤) الوبر أو الشعر الصهابى : ما فيه شقرة .

الأخرى جيما للقافية [٧٥] ، وبعضهم اشترط أن تجتمع الياء مع العين[٧٦] ولكن الظاهر فيما ورد من أمثلة عدم اشتراط ذلك .

كما أن الياء المشددة التى تبدل جيما يطلق عليها مصطلح (العجعجة) اذا وقعت آخرا لا وسطا ، وقد خصها بعضهم بحالة الوقف دون الوصل وبعضهم جعلها فيهما معا فمن الأولين سيبويه والسيرافى وابن يعيش والرضى ومن الآخرين ابن جني والقالى والزمخشرى[٧٧] .

والمشهور نسبة هذه الظاهرة الى قضاعة[٧٨] وناس من تميم أو ناس من بنى سعد من تميم ونسبها صاحب الأمالى وابن السكيت الى فقيم وحنظلة[٧٩] ونسبها الفراء فى الياء المخففة الى بنى دبير من بنى أسد ونسبها أبو زيد لأهل اليمن ، والأصعمى الى طىء فى الياء المشددة ، والى بعض بنى أسد فى الياء المخففة[٨٠] ونسبت كذلك الى هذيل ، كما نقل عن ابن مسعود[٨١] .

---

(٧٥) سر الصناعة ١٩٣/١ والابدال لأبن السكيت ٩٥ وشرح الشافية ٢١٦/٤ .

(٧٦) الصحاح ٣٢٨/١ والابدال لابن السكيت ٩٥ ومعجم الشعراء للمرزبانى ١٩٧ .

(٧٧) فى لسان العرب : والعجعجة فى قضاعة كالعنعنة فى تميم يجعلون الياء جيما مع العين ٣٨/٨ (عجج) وفى مادة (شجر) روى نسبتها لناس من بنى سعد فى الوقف خاصة فاذا وصلوا لم يبدلوا كذلك فى كتاب سيبويه ١٨٢/٣ .

(٧٨) الكتاب ١٨٢/٤ وشرح الشافية ٢٨٧/٢ واللسان (عجج) .

(٧٩) الأمالى ٨٩/٢ والابدال لأبى الطيب ونوادر أبى زيد ١٦٤ .

(٨٠) الابدال لأبى الطيب ٢٥٧/١ ، ٢٥٨ .

(٨١) لسان العرب ٦١/٦ .

وهكذا نرى اختلاف القبائل فى طريقة قلب الياء جيما ومواطنه ويعلل سيبويه لهذه الظاهرة بأن الياء خفية فأبدلوا من موضعها أبين الحروف[٨٢] .

ويعد ذلك القدامى من الابدال النادر أو القليل[٨٣] أو الشائع[٨٤] وقد ذكروا أن بين الياء والجيم علاقة صوتية ، لأنهما من مخرج واحد هو وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى أو أنهما قريبا المخرج وتشتركان فى بعض الصفات كالجهر والاستفال والانفتاح والاصمات والجيم أدخل من الياء ولذا كان الانتقال من الياء الى الجيم سائغا وفى الجيم بعض الشدة التى تتناسب مع البدو[٨٥] ويجرى الوصل مجرى الوقف[٨٦] .

وبهذا يتضح أن هذا الابدال من خصائص بعض اللهجات البدوية ، فطيىء تسكن أواسط نجد وحنظلة من أكبر القبائل التميمية تنسب الى حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم وفقيم بطن من دارم من تميم العدنانية ، وبنو سعد من تميم وبنو أسد من القبائل البدوية .

---

(٨٢) يقول سيبويه : انهم يبدلون الجيم مكان الياء لانها خفية فأبدلوا من موضعها أبين الحروف . الكتاب ١٨٢/٤ .

(٨٣) شرح التصريح ٣٦٧ والأشمونى ٢٨١/٤ .

(٨٤) الأشمونى ٢٨٢/١ .

(٨٥) انظر الكتاب لسيبويه باب الادغام .

(٨٦) شرح الشافية ٢٨٧/٢ .

الوتم :

قلب السين تاء عند أهل اليمن فيقولون فى الناس « النات »[٨٧]
قال الشاعر :

يا قاتل اللـه بنى السعلاة عمرو بن يربوع شرار النات
ليسوا أعفاء ولا أكيات

ويقال : ان ابدال السين تاء من قبيح البدل أو من قبيح الضرورة[٨٨] وبعضهم يقول انه نادر[٨٩] أو على البدل الشاذ .

ولكن حكى عن أبى عمرو أن قلب السين تاء لغة وذلك قد ورد فى قراءة الناس : النات فى قوله تعالى « قل أعوذ برب الناس » وقال انها لغة قضاعة[٩٠] .

ويقول الرجل لعدوه : لا بأس عليك : تأمينا له وهذا فى اللغة العامة وعند حمير يقال (لبات) وعليه قول الشاعر :

شربنا اليوم اذ غضبت غلاب بتسهيد وعقد غير مين
تنادوا عند غدرهم لبات وقد بردت معاذر ذى رعين[٩١]

ولبات بلغتهم : لا بأس ، قاله الأزهرى[٩٢] .

---

(٨٧) المزهر ٢٢٢/١ .

(٨٨) النوادر فى اللغة لأبى زيد : ٣٤٥ ، ٤٢٣ .

(٨٩) شرح الشافية ٢٢١/٣ .

(٩٠) مختصر فى شواذ القراءات لابن خالوية : ١٨٣ .

(٩١) غلاب : قبيلة . ذى رعين : حميرى ذكره صاحب الأمالى فى الحديث عن غزو تبع الحميرى بلاد العجم .

(٩٢) التهذيب ١٠٩/١٣ ، ١١٠ .

ويقال : الكرم من توسه وسوسه أى من خليقته ، ورجل حفيتأ وحفيسأ : ضخم البطن قصير[٩٣] .

وأورد ابن جنى (ست) فى سدس والنات وأكيات فى الناس وأكياس وطست فى طس وختيت فى معنى خسيس ، وبذلك يتبين أن السين أبدلت تاء فى أول الكلمة ووسطها وآخرها .

وأوضح ابن جنى رأيه فى أن السين قلبت تاء فيما ذكر ففى المثال الأول قلبوها تاء لتقرب من الدال التى قبلها والتاء مع ذلك حرف مهموس كما أن السين مهموسة فصار التقدير : سدت فلما اجتمعت الدال والتاء وتقاربتا فى المخرج أبدلوا الدال تاء لتوافقها فى الهمس ثم أدغمت التاء فى التاء فصارت (ست) كما ترى[٩٤] ، وكذلك تحدث عن البواقى ، ففى الناس وأكياس أبدلت السين تاء لموافقتها اياها فى الهمس والزيادة وتجاور المخرج ، وفى ختيت أبدلوا السين تاء ، وقد أكد الدكتور أنيس هذا التقارب الصوتى وقال : انهما يكادان يكونان متماثلين فى المخرج كما أن كلاً منهما صوت مهموس ولم يبق اذا الا أن يلتقى طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاء محكما فاذا افترقا سمعنا التاء واذا لم يكن الالتقاء محكما فهى السين[٩٥] .

ونحن نلمح بعدا بين الحرفين فبينهما فى المخرج الصاد والزاى ولكن اشتراكهما فى طرف اللسان ربما كان سببا لهذا التبادل ، واذا رجعنا الى ما قاله علماء اللغة نجد أن هذا من قبيل اللغات المختلفة فبعض العلماء يجعل ذلك الذى هو ابدال السين تاء لهجة تسمى بالوتم

---

(٩٣) الأمالى ٢/٦٨ .

(٩٤) سر الصناعة ١/١٧١ — ١٧٣ .

(٩٥) فى اللهجات العربية ١٠٥ .

وتنسب الى أهل اليمن[٩٥] ، ونسبها بعضهم الى خثعم وزبيد من قبائل اليمن البدوية[٩٦] ، وهذا يؤكد أن ما ورد من هذه الأمثلة من اختلاف الناطقين اذ ليست العلاقة بين التاء والسين قوية تسوغ التبادل وبالرجوع الى المعاجم فى كلمتى ختيت وخسيس نجد أنهما من مادتين مختلفتين — اشتقاقا ومعنى — ففى مادة (خت) : الخت الطعن مداركة وموضع والختت محركة الفتور فى البدن والختيت الخسيس والناقص وأخت استحيا وفلانا أخس حظه[٩٨] ، وفى مادة (خس) : وخس نصيبه جعله خسيسا دنيئا حقيرا وخسست — بالكسر — خسة وخساسة اذا كان فى نفسه خسيسا والخساسة بالضم علالة الفرس والقليل من المال وتخاسوه تداولوه وتبادلوه[٩٩] — فدلالة المادة الثانية على النقص والخسة والحقارة واضحة وحقيقية ودلالة المادة الأولى عليها من قبيل المجاز والتوسع المعنوى ونظرا لاختلاف المعانى — كما ترى — لم يكن هناك ابدال وانما هو اتفاق معنوى تطورى .

وقد ورد فى لسان العرب أن الطس والطسة بفتح الطاء وكسرها لغة فى الطست وقال : ومن العرب من يثقل الطسة ويظهر الهاء ، وأورد صاحبه رأيا ثالثا نقله عن أبى عبيد فقال : قال أبو عبيد : ومما دخل فى كلام العرب الطست والثور والطاجن وهى فارسية كلها[١٠٠] .

وعلى هذا فالواضح أن كلمة الطست كلمة أجنبية معربة هذبت على هذا الوضع ونطقها قوم طس وآخرون طست فلا ابدال فى الحقيقة بل اختلاف فى طريقة التعريب .

---

(٩٦) انظر ما سبق ص ١٨١ .
(٩٧) فى اللهجات العربية ١٠٥ .
(٩٨) القاموس المحيط ١/١٤٧ .
(٩٩) المصدر السابق ٢/٢١٠ .
(١٠٠) لسان العرب ٧/٤٢٨ ، ٤٢٩ .

وفى موضع آخر أوضح ابن جنى أن التاء تقلب سينا عكس الأول — فى قول العرب :

استخذ فلان أرضا بمعنى اتخذ[١٠١] ، وقد فسر ابن جنى هذا المثال على وجهين فقال :

وفى ذلك عندنا قولان :

أحدهما : أنه يجوز أن يكون أصله اتخذ بوزن افتعل من قوله عز وجل (لو شئت لتخذت عليه أجرا) ثم انهم أبدلوا التاء الأولى التى هى فاء افتعل سينا كما أبدلوا التاء من السين فى ست لأن أصلها سدس فلما كانت التاء والسين مهموستين جاز ابدال كل واحدة منهما من أختها .

والقول الآخر : أنه يجوز أن يكون أراد استتخذ أى استفعل فحذفت التاء الثانية التى هى فاء الفعل كما حذفت التاء الأولى من قولهم : تقى يتقى وأصله اتقى يتقى فحذفت التاء الأولى التى هى فاء .

ورأينا أن الابدال غير مستساغ هنا لأن مخرجى التاء والسين مختلفان — كما عرفنا — وهما مختلفتان فى الشدة والرخاوة والصفير ، وان كان الدكتور أنيس أجاز وقوع الابدال بينهما .

وعلى ما نرى فاما أن يكون استخذ لغة فى اتخذ ، وتكون السين من خصائص البادية وتلحق بما يسمى (الوتم) أو نرجح القول الثانى لابن جنى .

---

(١٠١) سر الصناعة ٢٠٩/١ .

الاستنطـــاء :

جعل العين الساكنة نونا اذا جاورت الطاء ، فأعطى يقال فيها : أنطى[١٠٢] ومنه فى قراءة شاذة قرأ بها الحسن وطلحة وابن محيصن وغـــيرهم وهى قراءة مرويـــة عن رســـول الله ﷺ : (انا أعطيناك الكوثر) ومنه قوله صـــلى الله عليه وســـلم — فى حديث الدعاء — « لا مـــانع لمـــا أنطيت ولا منطى لمـــا منعت » ومن كلامـــه ﷺ : « اليد العليا المنطية واليد الســـفلى المنطاة »[١٠٣] وقولـــه ﷺ : « اليد المنطية خير من اليد السفلى » وكتب ﷺ الى وائل بن حجر : « وأنطوا الثبجة » وقال عليه السلام لرجل : « أنطه كذا » يريـــد أعطـــه[١٠٤] وقـــال الأعشى :[١٠٥]

جيـــادك خـــير جيـــاد الملوك تصان الحلال وتنطى الشعيرا[١٠٦]

وواضـــح أن هـــذه الظـــاهرة جـــاءت فيما وليت فيـــه الطاء العين ، ولكن الدكتور أنيس يرى أن هذه الظاهرة وهى قلب العـــين

---

(١٠٢) المزهر ٢٢٢/١ والاقتراح ٥٠٤ واللسان (نطا) .

(١٠٣) البحر المحيط ٥١٩/٨ .

(١٠٤) النهاية ٧٦/٥ والبحر المحيط ٥٠٩/٨ والفائق ٧٦/٥ (نطا) والانطاء : الاعطاء . اللسان ٤٦٥/٦ .

(١٠٥) من بنى قيس بن عامر .

(١٠٦) البحر المحيـــط ٥١٩/٨ والأمـــالى ٧٥/١ قـــال أبو عـــلى القالى : وقرأت على أبى بكر بن دريد فى شعر الأعشى : جيـــادك فى الصيف فى نعمة انظر الديوان ص ١٤٩ .

الساكنة نونا ليست خاصة بذلك ولم يكن الأمر مقصورا على الفعل (أعطى) بل يتعلق بنطق كل عين سواء وليها (طاء) أو صوت آخر ، فلعل من القبائل من كانوا ينطقون بهذا الصوت بصفة خاصة نطقا أنفميا ، وذلك بأن يجعلوا مجرى النفس معه من الفم والأنف معا فتسمع العين ممتزجة بصوت النون وليست فى الحقيقة نونا بل هى (عين)

وفى زعمه أن الرواة قد سمعوا هذه الصفة ممثلة فى الفعل (أعطى) فأشكلت عليهم ولم يصفوها لنا على حقيقتها[١٠٧] .

ولكننا نرى أن هذا اتهام للقدماء من الرواة الموثوق بهم دون دليل ، فهم وصفوا ما سمعوه ، وما ادعاه الدكتور أنيس من حدوث الاستنطاء فى غير المروى دعوى بلا دليل ويكفى ما ورد من أمثلة ليكون هو الأساس الذى ينبنى عليه تحقق هذه الظاهرة .

واذا كان القلب فى الحروف انما هو فيما تتقارب منها مخرجا أو صفة[١٠٨] فان العين والنون متباعدان مخرجا ، ولكن بينهما تقارب فى بعض الصفات وهى الجهر والتوسط والاستفال والانفتاح وعلى ضوء هذا يسوغ التبادل بينهما ، لكننا لا ننظر الى العلاقة الصوتية لاختلاف اللهجات وربما كانت بقايا لهجية متخلفة بعد تهذيب اللغة .

ويرى الدكتور السامرائى أن « ملاك الأمر فى هذه النون أنها لم تكن مقابلة للعين فى أعطى وانما جاءت من أن الفعل هو (آتى) بمعنى (أعطى) ثم ضعف فصار (أتى) بتشديد التاء ومعلوم أن فك الادغام فى العربية وفى غيرها من اللغات السامية يقتضى ابدال

---

(١٠٧) فى اللهجات العربية : ١٤٢ .

(١٠٨) سر الصناعة ١٩٧/١ .

النون بأحد الحرفين المتجانسين كما تقول فى العربيــة (جندل) من (جدلّ) بتشديد الدال وهذا معروف(١٠٩) .

ويرى أحد المستشرقين أن أنطى مقابل للفعل (نطا) العبرى بمعنى مد يده الى فلان فقد صار الفعل على وزن (أفعل) فى العربية بزيادة الهمزة(١١٠) .

ويرى الدكتور عبد الرحمن أيوب أن فى العربية الفعل (ناط) بمعنى أسند الأمر لانسان ما ليقوم به والفعــل فى العبرية (ناتا) وهو فى الأمهرية مزيد عليه الهمزة كالفعل العربى (أعطى) ووجود النون فى العبريــة فاء للفعل والميم فى الأثيوبية دليل على أن المادة الأصلية للفعل العربى (ن ط ى)(١١١) .

وهى آراء لا يسندها واقع الكلمة العربيــة التى قرىء بها فى القرآن الكريم ناشئة عن الفعل (أعطى) فى البيئة العربية .

وقد نسب الاستنطاء الى سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس(١١٢) والأنصار وفى اللسان أنها لغة أهل اليمن ، وفى البحــر المحيط عن التبريزى(١١٣) أنها لهجة العرب العاربة(١١٤) قال : ان (عنى) بالنون

---

(١٠٩) دراسات فى اللغة د. السامرائى ٢١٧ .

(١١٠) فى اللهجات العربية د. أنيس ١٤٢ والمستشرق هو : رابين .

(١١١) العربية ولهجاتها ٥١ .

(١١٢) لعلها بنو قيس بن عامر من التحطانية . معجم القبائل العربية لكحالــة ١٧٢/٣ .

(١١٣) المزهر ٢٢٢/١ وتاج العروس ٢٥٨ ، ٢٥٩ ومميزات لغــات العرب : ١٥ .

(١١٤) البحر المحيط ٥١٩/٨ عند شرح قوله تعالى : (انا أعطيناك الكوثر) .

فى (أنطيناك) هذه اللغة مكان العين فحسن وان (عنى) البدل الصناعى فليس كذلك بل كل واحد من اللغتين أصل بنفسه للتصرف فلا يقال الأصل العين ثم أبدلت النون منها .

وهى لهجة لا يزال بعض البدو ينطق بها فى الصحراء(١١٥) كأعراب الفيوم الذين يرجعهم بعض الباحثين الى أصل عربى وأنهم من بنى سعد(١١٦) ولعلها تناسب بيئة البدو .

الطمطمانيـــة :

يذكر بعض اللغويين أن الطمطمانيـــة معناها العجمة(١١٧) أو أن يكون الكلام مشبها لكلام العجم قال الشاعر :

تبرى له حـــول النعـــام كأنها حزق يمانية لأعجم طمطم(١١٨)

وهى ابدال لام التعريف ميما .

يقول الثعالبى : الطمطمانية تعرض فى لغة حمير كقولهم : طاب امهواء يريدون : طاب الهواء(١١٩) .

وفى حديث أبى هريرة : أنه دخل على عثمـــان وهو محصور فقال : الآن طاب امضرب أى حل القتال أراد طاب الضرب فأبدل لام التعريف ميما وهى لغة عربية يمانية(١٢٠) .

---

(١١٥) مميزات لغات العرب ١٥ .
(١١٦) لغة هذيل ١١٥ .
(١١٧) الفائق ٤٥٩/٢ .
(١١٨) الكامل ٢٣٥/١ .
(١١٩) فقه اللغة وسر العربية ١٢٩ ومجالس ثعلب ٧٣/١ .
(١٢٠) النهاية ١٥٠/٣ .

ويفرق ابن الأثير بين قلب النون الساكنة ميما مع الباء فى مثل عنبر وشنباء وأنبئهم وهو ما يسمى بالاقلاب — عند علماء الأداء — وبين قلب لام التعريف ميما فى مثل طاب الهواء وهى الطمطمانيــة ويجعل النون لأهل اليمن فيقول : وفى كتابه ﷺ لوائل بن حجر : من زنى مم بكر فاصعقوه مــائة أى اضربوه وأصل الصقع الضرب على الرأس وقيل : الضرب بباطن الكف ومم بكر لغة لأهــل اليمن ومثله مم ثيب الخ ...

فقلب النون ميما أما مع بكر فلأن النون اذا سكنت قبل الباء فانها تقلب ميمًا فى النطق نحو عنبر وشنباء وأما مع غير الباء فانها لغة عربية يمانية كما يبدلون الميم مع لام التعريف[١٢١] وأهل اليمن على هذا يبدلون النون ميما فى مثل مم بكر .

وروى عن شمر أنه سأل امرأة حميرية عن بلادها فقالت : النخل قال ولكن عيشتنا امقمح — امفرسك — امعنب[١٢٢] امحماط طوب أى طيب ...

ويقول الحريرى :

« وقد روى عن حمير أنهم يجعلون آلة التعريف (أم) فيقولون : طاب امضرب يريدون : طاب الضرب ، وجاء فى الآثــار فيما رواه النمر بن تولب أنه ﷺ نطق بهذه اللغة فى قوله : ليس من امــبر امصيام فى امسفر[١٢٣] .

وأنشد أبو عبيد : ونسب :الى بجير بن عنيمة الطائى :

ذاك خليـــلى وذو يواصــلنى يرمى ورائى بامسهم وامســلمة

---

(١٢١) النهاية ٣/٤٢ ، ٤/٣٦٣ .

(١٢٢) المزهر ١/٢٣٩ . وانظر التهذيب ١/٤٢٤ ولسان العــرب ١٢/٣٦٣ .

(١٢٣) درة الغواص ص ٢٤٩ والنهاية ٣/٣٠٣ والخصائص ١/٤١١ .

أراد : بالسهم والسلمة وهى من لغات حمير[١٢٤] .

فأم هى أداة التعــريف بلغة أهــل اليمن بمعنى الألف واللام والألف فيها ألف وصل تكتب ولا تظهر اذا وصلت ولا تقطع كما تقطع ألف أم ، وفى البيت السابق وصل الميم باللام ويقول الأزهرى : والوجه ألا تثبت الألف فى الكتابة لأنها ميم جعلت بدل الألف وللام للتعــريف[١٢٥] .

ويروى ثعلب عن الأخفش أنه سمع قائلا يقول : قام امرجل ، يريد : قام الرجــل قال ثعلب : هذه لغة للأزد مشهورة[١٢٦] .

ويقول الأشمونى : مثل (ال) (أم) فى لغة طىء[١٢٧] وتبدل اللام فى أداة التعريف ميما ــ سواء كانت (أل) شمسية أم قمرية كما ذكرنا فى الحديث السابق ليس من امبر امصيام فى امسفر وقام امرجل فهذا الابدال حادث فى كلام اليمنيين فيما فيه (أل) مطلقا[١٢٨] . ولكن ابن هشام فى المغنى يذكر أن بعض طلبة اليمن حدثــه بأن اليمنيين لا يبدلون اللام ميما فى (أل) الشمسية ويخصون ذلك بأل القمرية قال (حكى لنا بعض طلبة اليمن أنه سمع فى بلادهم من يقول : خذ الرمح واركب امفرس ولعل ذلك لغة لبعضهم لروايتها فى امسهم وامســلمة وفى الحديث ليس من امبر امصيام فى امسفر دخلت على النوعين)[١٢٩] .

والثابت ابدالها فى الشمسية والقمرية على سواء ورواية الطلبة ليست حجة لأنها تعبر عن طريقة اليمنيين المحدثين وربما حدث تغير لغوى وتأثر بعرب الشمال ولا سيما فى هذه العصور المتأخرة .

---

(١٢٤) التهذيب ٤٤٧/١٢ واللسان (سلم) .
(١٢٥) التهذيب ٦٢٥/١٥ .
(١٢٦) مجــالس ثعلب ٥٨/١ .
(١٢٧) شرح الأشمونى ٥٩/١ .
(١٢٨) وانظر الهمع للسيوطى ٢٧٣/١ .
(١٢٩) مغنى اللبيب مع حاشية الأمير ٤٧/١ .

وقد جعل ابن جنى ابدال اللام ميما شاذا لا يسوغ القياس عليه(١٣٠) لأنه لم يسمع غير الحديث : (ليس من امبر امصيام فى امسفر) وراوى الحديث هو النمر بن تولب الذى يقال : انه لم يرو عن رسول الله ﷺ غير هذا الحديث(١٣١) .

ونحن نرى تقاربا بين اللام والميم يسمح بالتبادل بينهما ، ولكن لأنهما لهجة مخالفة للشائع عدت شاذة تحفظ ولا يقاس عليها لكن ما سمع منها يحكى على ما هو عليه ، وقد نسبها الى حمير(١٣٢) غير واحد من الباحثين القدامى والمحدثين ، وبعضهم نسبها الى أهل اليمن أو طىء أو الأزد وكلها قبائل يمنية جنوبية(١٣٣) لأن الأزد من قحطان وطىء كذلك وهى قبائل كانت تسكن جنوب اليمن ، ونسبتها الى اليمن مشهورة .

---

(١٣٠) الخصائص ١/١١٤ .

(١٣١) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ٨١ الوجهان ، وربما بنى ابن جنى رأيه على بعد مخرجيهما ولكن شيئا آخر يسوغ هذا التبادل وقد ورد الحديث فى مسند الامام احمد بلهجة حمير وهو حديث كعب بن عاصم الأشعرى : حدثنا عبد الله عن أم الدرداء عن كعب بن عاصم الأشعرى وكان من أصحاب السقيفة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ليس من امبر الحديث .. مسند أحمد ٥/٤٣٤ وورد الحديث بلام التعريف فى فتح البارى ٧/٩ ، ١١ فى كتاب الجهاد والسير والمغازى والصيغة الأولى ربما كانت فى التحدث الى يمنيين ولعل اختلاف الرواية لاختلاف المقام الذى قيلت فيه .

(١٣٢) انظر المغنى لابن هشام ٤٧/١ والهمع ١٧٩/١ .

(١٣٣) النهاية ١٣٩/٣ والبيان والتبيين ٢١٣/٣ ومغنى اللبيب ٤٧/١ ، ٤٨ والهمع ٧٩/١ ودرة الغواص ٤٩ والأشمونى ٩٦/١ ، ٩٧ وشرح الشافية ٢١٥/٣ واللهجات العربية د. نجا ٤٨ وفى اللهجات العربية د. انيس : ١٤٢ عزاها هؤلاء الى طىء وعزاها ثعلب فى المجالس الى الأزد ونسبها ابن يعيش فى المفصل ٢٠٠/٩ وابن منظور فى اللسان ٨٣/١٠ الى اليمن .

وبعض المحدثين ينكر أن ينسب ابدال اللام ميما فى أداة التعريف الى حمير لأن الحميريين لا يستعطون ذلك فى التعريف ، وانما أداة التعريف عندهم (ن) أو (ان) ويزعم أن الحديث المروى فى ذلك ضعيف أو مكذوب وضعه اللغويون شاهدا على الطمطمانية وأن الرسول تكلم بلسان حمير ، ويرى أن تنسب هذه الظاهرة الى بعض عشائر طيىء[١٣٤] ولكن ما رآه هذا المحدث غير صحيح ، لأنه رمى الحديث بالضعف والكذب دون دليل من علم الحديث وبتجرؤ غير مقبول ، مع أن الحديث صحيح روته الكتب المعتمدة ، فقد ورد فى مسند الامام أحمد بن حنبل[١٣٥] وفى موطأ الامام مالك[١٣٦] وفى منتخب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال للمتقى[١٣٧] وللفقهاء استدلال بهذا الحديث فى شأن المسافر .

وقد نسبت الطمطمانية الى حمير والى اليمن[١٣٨] .

وزعم بعض الباحثين أن علماء العربية خلطوا بين اليمن وحمير وربما أنهم فعلوا ذلك لعدم معرفتهم باللغة الحميرية فظنوا أنها هى اليمنية والحق أن الحميرية شىء واليمنية شىء آخر[١٣٩] .

والواقع أن هذا المدعى من التفريق بين حمير واليمن غير صحيح ، فاليمنية تشمل الحميرية ، وحمير كبرى الدول اليمنية وتنسب

---

(١٣٤) المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ٥٧٦/٨ .

(١٣٥) ٤٣٤/٥ .

(١٣٦) ٩٨/٢ .

(١٣٧) هامش مسند أحمد ٣٤٤/٣ .

(١٣٨) شواهد العينى على الأشمونى ٩٦/١ وشرح المفصل ٢٠/٩ .

(١٣٩) اللهجات العربية فى التراث ٣٩٩/١ ودراسات فى اللغة العربية د. خليل نامى : ٤٥ .

اليها اللهجات اليمنية فيقال اللهجات الحميرية أحيانا والسبئية أحيانا أخـــرى[١٤٠] .

وبين اللام والميم نســـب قريب اذ هما من الأصوات الذلقية والمخارج متقاربة وبينهما اشتراك فى بعض الصفات كالجهر والتوسط بين الشدة والرخاوة ـــ خلافا لسيبويه فى اللام فانها شديدة عنده ـــ والاستفال والانفتاح[١٤١] .

---

(١٤٠) انظر كتابنا : اللغة العربية خصائصها وسماتها .

(١٤١) انظر كتابنا : أصوات اللغة العربية .

الامـالة والفتح[1]

الامالة : أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة ، فتميل الألف ان كان بعدها ألف نحو الياء والا فالممال الفتحة وحدها مثل : نعمة وبسحر ورأيت خبط رياح ومن عمرو والفتى ، والهدى ، وملهى ، وأرطى[2] ، وباع ، وعالم ، وكاتب ، والضحى ، وشملال[3] وسربال (وانا اليه راجعون)[4] ونحو ذلك[5] .

هذا هو النوع المشهور بين القراء حتى ليكاد يفهم عند اطلاق اسم الامالة لدى الباحثين فى القراءات واللغة .

وقد أضاف ابن جنى الى ذلك ألوانا أخرى من الامالة :

١ ـ الفتحة الممالة نحو الضمة :

وهى التى تكون قبل ألف التفخيم نحو الصـلاة والزكاة ودعا وغزا ، وقام وصاغ وقال : كما أن الحركة أيضا هنا ، قبـل الألف ، ليست فتحة محضة ، بل هى مشوبة بشىء من الضمة ، فكذلك الألف التى بعدها ليست ألفا محضة ، لأنها تابعة لحركة هذه صفتها ، فجرى عليها حكمها .

---

(١) قد يسمون الامالة الكسر والبطح والاضجاع ، ويسمون الفتح النصـب .

(٢) الأرطى : شجر من شجر الرمل اللسان ط بيروت ١/٣٢٥ .

(٣) الشملال والشمال واحد بمعنى اليد الشمال ، والشملال : الناقة الخفيفة السريعة . اللسان ١١/٣٧١ .

(٤) فاذا كانت الفتحة وحدها ـ بدون الف ـ امليت نحو الكسرة مثل نعمة وبسحر ، وان كانت مع الفتحة الف ـ اى بعدها ـ ذهبت الى جهة الياء كالفتى ونحوه ، وسياتى شرح الامـالة فى الأمثلة بعد .

(٥) سر الصناعة ١/٥٨ ، ٥٩ والأشمونى ٤/٢٢٠ ـ ٢٣٥ ، واوضح المسالك مع المنار ٢/٣٥٠ ـ ٣٥٩ ، والنشر ١/٣٠ .

وامالة الفتح الى الضم لم يشتهر بين القدماء ولكن ابن جنى أوضحه على الصورة السالفة وقال : ان لمح الامـالة فيه هو الذى تسبب فى أنهم كتبوا الصـلوة ، والزكوة والحيـوة ، بالواو ، لأن الألف مـالت نحـو الواو [٦] ويقصد بذلك كتابتها فى المصـحف العثمـانى[٧] .

٢ — الكسرة المشوبة بالضمة :

نحو : قيل ، وبيع ، وغيض ، وسيق ، فكما أن الحركة ، قبـل هذه الياء ، مشوبة بالضمة ، فالياء بعدها مشوبة بروائح الواو .

وهذا قـد تعرض له القدمـاء ، عند حديثهم عن بناء الفعـل للمجهول ، وسموه بالاشمام ، يقول الأشمونى شارحا كلام ابن مالك : (واكسر أو اشمم فا) فعـل (ثلاثى أعل .·. عينا) واويا أو يائيا ، فقد قرىء : « وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سـماء أقلعى وغيض المـاء » بهما ، والاشمام هو : الاتيان بحـركة بين الضم والكسر ، وقد يسمى روما .

ويقول الصبان : الحركات ست : الثلاث المشهورة ، وحركة بين الفتحة والكسرة ، وهى التى قبل الألف الممالـة ، وحركة بين الفتحة والضمة ، وهى التى قبل الألف المفخمـة ، فى قراءة ورش ، نحو : الصلاة والزكاة ، والحياة ، وحركة بين الكسرة والضمة ، وهى حركة الاشمام ، فى نحو : قيل ، وغيض ، على قراءة الكسائى[٨] .

---

(٦) غير أن ابن جنى يقول بامالة نحو دعا وغزا (الى الياء) لأنها تئول اليها عند البناء للمجهول نحو دعى وغـزى — بضم الفاء وكسر العين — وهو عند سيبويه مطرد ، وقال المبرد : انه قبيح . اما الاسم ذو الواو مثل الصـلاة والزكاة فلا يمـال عندهم . انظر : الأشـمونى ٢٢٢/٤ ، ٢٢٣ ، ٢٣١ .

(٧) سر الصناعة ٥٦/١ ، ٥٩ ، ٦٠ .

(٨) الأشمونى مع الصبان ٦٢/٣ ، ٦٣ .

والاشمام فصيح وان كان قليلا[٩] وقد قرىء به فى القــرآن الكريم : « ولمــا أن جــاءت رسلنا لوطا سىء بهم » قرأ الجمهور (سىء) بكسر السين ، وأشمها نافع وابن عامر والكسائى ، وهكذا : « سيئت وجوه الذين كفروا » أشــمها الضم أبو جعفر والحسن ، وأبو رجاء ، وشيبة ، وابن وثاب ، وطلحة ، وابن عامر ، ونافــع ، والكسائى [١٠] .

وعلى الرغم من حديث القدمــاء عن ذلك فانهم لم يفصحوا عن الامالة الموجودة فى هذا المسلك اللغوى ، ولكن ابن جنى أوضحها .

٣ ـ الضمة المشوبة بالكسرة :

مثل : مررت بمذعور ، وابن بور ، نحوت بضمة العين ، والباء نحو كسرة الراء ، فأشممتها شيئا من الكسرة ، وكما أن هذه الحركة قبل هذه الواو ليست ضمة محضة ، ولا كسرة مرسلة فكذلك الواو ، أيضا ، بعدها ، هى مشوبة بروائح الياء .

ومثل ذلك : الفعل المبنى للمجهول الأجــوف فان بنى فقعس ، ودبير ، يضمون أوله ، فتنقلب ألفه واوا ، فيقــال فى باع : بوع ، وفى حاك : حوك كقول الشاعر :

ليت وهــل ينفــع شــيئا ليت   ليت شــبابا بــوع فاشــتريت

وكقول الآخر :

حوكت عــلى نيريــن اذ تحــاك   تختبــط الشــوك ولا تشــاك

وبعض القبــائل يميل الضــمة فى الفعلين ـ وأمثالهما ـ نحو الكسرة ، وليس ذلك من الشيوع والكثرة ، كغيرها من اللهجات[١١] .

---

(٩) المغنى فى تصريف الأفعال ٢٠٢ .
(١٠) المصدر السابق ٢٠٣ .
(١١) الأشمونى ٦٣/٢ واللهجات العربية د. نجا ٧٧ .

وقد شرح ابن جنى الأسرار اللغوية الباعثة على حدوث الامالة من الفتحة الى غيرها من أخواتها ، وهى الكسرة والضمة ، دون العكس ، بأن نحى بالكسرة والضمة نحو الفتحة .

وقد اعتمد حديثه ، على أن الفتحة هى أول الحركات ، وأدخلها فى الحلق ، والكسرة بعدها ، والضمة بعد الكسرة ، فعند النطق بالفتحة تمر بمخرج الياء ، والواو ، لأنهما فى طريقها ، فجاز أن تشمها شيئا من الكسرة ، أو الضمة ، ولو تكلفت أن تشم الكسرة ، أو الضمة ، رائحة من الفتحة ، لاحتجت الى الرجوع الى أول الحلق ، فكان فى ذلك انتقاض عادة الصوت ، بتراجعه الى ورائه ، وتركه التقدم الى صدر الفم ، والنفوذ بين الشفتين فلما كان فى اشمام الكسرة ، أو الضمة ، رائحة الفتحة ، هذا الانقلاب والنقض ، ترك ذلك فلم يتكلف ألبتة[١٢] .

وأما انتحاؤهم ، بالضمة نحو الكسرة ؛ وان كان فيه رجوع الى الوراء ، فلأن بين الضمة والكسرة ، من القرب ، والتناسب ما ليس بينها ، وبين الفتحة ، وهو — مع ذلك — قليل مستكره ، ألا ترى الى كثرة : قيل وبيع ، وغيض ، وقلة : نحو : مذعور وابن بور .

وهذا الدليل قوى ، لأن الرجوع الى الخلف ، صعب على اللسان ، وجواز ذلك بين الضمة ، والكسرة ، راجع الى اشتراكهما فى معنى الثقل ، وطبيعة التكوين المخرجى ، الأمر الذى يجعل كلا منهما ، يشبه الآخر من هذا الاتجاه ، فيصير الجو مهيئا ، لاستقبال واسطة بينهما عن طريق الامالة ، فأما الفتحة ، فهى حركة مستعذبة ، وهى

---

(١٢) سر الصناعة ١/ ٦٠ ، ٦١ وقد بنى ابن جنى هذا التحليل الصوتى على ما لاحظه من ان الحلق ، والفم ينفتحان مع الالف وأن الاضراس وجنبتى اللسان ، وظهره مع الحنك الأعلى تكون لها صورة خاصة ، حال النطق بالياء ، وأن الشفتين تستديران عند بروز صوت الواو ، فلأجل ذلك جعلها مرتبة على الوضع المذكور ، وعليه بنى احساسه بالانتقاض لصعوبة تحقيق خصائص كل منها ، حال الرجوع الى الخلف .

طريق آخر غيرهما ، فامتنع الرجوع منهما اليها ، للبعد الصوتى ، وعدم القدرة على مباشرة النطق ، على الهيئة المطلوبة ، ومع جواز امالة الضمة الى الكسرة ، فانه أمر مستكره ، على ما بينا .

وقد وصف القدماء ظاهرة الامالة ، وأوضحوا أسبابها ، على نحو فتح الطريق أمام المحدثين ، ليقولوا كلمتهم حسب نظريات علم الأصوات الحديث[١٣] .

فقد ذكروا لها أسبابا عدة ، وجعلوا السبب الرئيسى ، منها : هو التناسب ، يقول الأشمونى : (اعلم أن الغرض الأصلى منها هو التناسب ، وقد ترد للتنبيه على أصل أو غيره ، كما سيأتى[١٤] وذلك أن النطق بالفتحة ، والألف ، تصعد واستعلاء ، وبالكسرة والياء ، انحدار وتسفل ، فاذا أملت الألف قربت من الياء ، وامتزج بالفتحة طرف من الكسرة ، فتصير الأصوات من نمط واحد ، فى التسفل والانحدار[١٥] وعبر عن ذلك ابن جنى بقوله « لضرب من تجانس الصوت)[١٦] وجعل سيبويه هذا التقريب التماسا للخفة[١٧] .

كما عللوا لذلك بسببين آخرين ، أحدهما لفظى وهو : الياء ، والكسرة ، وثانيهما ، معنوى وهو : الدلالة على ياء أو كسرة ، وبينوا — من خلال ذلك — أن أسباب امالة الألف ثمانية :

١ — انقلابها عن الياء مثل : الفتى ، والهدى وهدى ، واشترى .

---

(١٣) انظر فى اللهجات العربية د. انيس ٤ — ٥٩ وغيرها ورسالة الدكتور عبد الفتاح شلبى للماجستير عن الامالة فى القراءات واللهجات العربية .

(١٤) الأشمونى ٤/٢٢٠ ، ٢٢١ .

(١٥) المصدر السابق ٤/٢٢٠ ومنار السالك ٢/٣٥٠ والنشر ١/٣٥ .

(١٦) سر الصناعة ١/٥٨ وشرح المفصل ٩/٥٤ .

(١٧) الكتاب ٤/١١٧ وانظر المفصل — نقلا عنه — ٩/٥٤ ، ٥٥ .

٢ — مآلها الى الياء ، فى بعض التصاريف كألف ملهى وأرطى وغزا ، لقولهم : ملهيان ، وأرطيان ، وغزى بالبناء للمفعول[١٨] .

٣ — كون الألف مبدلة من عين فعل يئول عند اسناده الى التاء الى قولك (فلت) بكسر الفاء ، ســواء كانت تلك الألف ، منقلبة عن عن ياء ، نحو : باع ، وكال ، وهاب ، أم عن واو مكسورة ، كخـاف وكـاد .

٤ — وقوع الألف بعد الياء ، متصلة كبيان ، أو منفصلة بحرف ، كشيبان ، وجادت يداه ، أو بحرفين ، أحدهما الهاء ، نحو : دخلت بيتهـا .

٥ — وقوع الألف قبل الياء كبايعته ، وسايرته .

٦ — وقوع الألف بعد الكسرة ، منفصلة اما بحـرف ، نحو : كتاب وسلاح ، أو بحرفين ، أحدهما هاء نحو : يريد أن يضربها ؛ أو ســاكن نحـو : شـملال وسرداح[١٩] أو بهذين وبالهـاء نحو : درهمـاك .

٧ — وقوع الألف قبل الكسرة ، نحو : عالم ، وكاتب .

٨ — ارادة التناســب ، وذلك اذا وقعت الألف ، بعد ألف فى كلمتها ، أو كلمة قارنتها ، قد أميلتا لسبب ، فالأول كرأيت عمادا ، وقرأت كتابا ، والثـانى كقراءة أبى عمرو والأخـوين (والضحى) بلامالة ، مع أن ألفها عن واو الضحوة لمناسبة (سجى) وما بعدهما .

---

(١٨) لذلك مستثنيات معروفة فى فن الصرف .

(١٩) السرداح : الناقة الطويلة ، وقيل : الكثيرة اللحم ، والسرداح المكان اللين وأرض سرداح : بعيدة والسرداح : الضخم او القوى الشديد التام . اللســان ٢/٤٨٢ .

كما أن الفتحة تمال لوقوعها قبل حرف من ثلاثة :

١ ــ الألف : وقد مضت ، وشرطها : ألا تكون فى حرف ، ولا فى اسم يشبهه ، « وذلك لأن الامالة نوع من التصرف وهو لا يدخل الحرف ولا ما يشبهه » .

٢ ــ الراء : بشرط كونها مكسورة ، وكون الفتحة فى غير ياء ، وكونهما ، متصلتين ، نحو : من الكبر ، أو منفصلتين بساكن غير ياء ، نحو : من عمرو ، ورأيت خبط رياح .

٣ ــ هاء التأنيث : وانما يكون هذا فى الوقف ، خاصة ، كرحمة ، ونعمة ، لأنهم شبهوا هاء التأنيث بألفه[٢٠] ، لاتفاقهما فى المخرج ، والمعنى ، والزيادة ، والتطرف والاختصاص بالأسماء ، وعن الكسائى امالة هاء السكت ــ أيضا ــ نحو : (كتابيه) والصحيح المنع ، خلافا لثعلب ، وابن الأنبارى[٢١] .

وقد نظر المحدثون الى هذه الأسباب المختلفة ، وفسروها تفسيرا يتناسب مع طبيعة التطور ، الذى خضعت له اللغة العربية ، كسائر اللغات ، والكائنات فى تاريخها الطويل .

فالمعروف أن الامالة اشتهرت عند قبائل شرقى الجزيرة ووسطها مثل : أسد ، وعبد القيس ، وتميم ، وتغلب ، وطىء ، وبكر ابن وائل .

كما اشتهرت على ألسنة قراءة الكوفة ، بالعراق فى القرن الثانى الهجرى ، أمثال : حمزة ، والكسائى ، وخلف .

---

(٢٠) أى بألف التأنيث مثل ذكرى ونحوها .

(٢١) انظر فى كل هذه الأسباب : الأشمونى وأوضح المسالك ، واللفظ لابن هشام ، وانظر كتب القراءات مثل النشر واتحاف فضلاء البشر وغيرهما .

كما كان لها تأثير واضح — أيضا — على ألسنة علماء الكوفة ، وأهلها ، واستمر ذلك حتى عصر أبى عمرو الدانى ، فى القرن الخامس الهجرى ، فقد قيل للكسائى : انك تميل ما قبل هاء التأنيث فقال : هذا طباع أهل العربية قال الحافظ أبو عمرو الدانى : ان الكسائى يعنى بذلك[٢٢] ان الامالة لغة أهل الكوفة ، وهى باقية فيهم الى الآن ، وهم بقية أبناء العرب »[٢٣] .

وهؤلاء وأولئك متأثرون بالقبائل العربية التى هاجرت الى العراق من شرقى الجزيرة ، ووسطها ، وهم أرباب الامالة السابقون .

وهذه القبائل بدوية ، تميل الى عدم وضوح الأصوات ، والخلط بينها ، ولا ريب أن الامالة تخلط بين الصوتين ، فهى تجعل الفتحة قريبة من الكسرة ، والألف قريبة من الياء ، وهكذا تقرب الأصوات ، أو تتجانس ، ويحدث التناسب بينها .

وهذا يساعد على سرعة النطق ، وعدم بذل مجهود عضلى كبير ، وهو من خصائص البدو .

ويبدو أن الامالة ، كانت شديدة ، لدى قبائل وسط الجزيرة ، لتوغلهم فى البداوة وبعدهم عن الحضر ، على حين كانت خفيفة لدى قبائل شرقيها ، لمتاخمتهم لمدن العراق[٢٤] .

أما الفتح — كما يسمونه وهو عدم الامالة — فانه يؤدى الى فصل الأصوات ، واعطاء كل منها حقه من النطق ، وهذا يحتاج الى

---

(٢٢) الاشارة الى امالة ما قبل هاء التأنيث .

(٢٣) النشر ٨٢/٢ .

(٢٤) فى اللهجات العربية ٩٠ ، ٩١ .

جهد عضلى كبير ، وهو من صفات المتحضرين الذين يميلون الى الأناة ، وعدم السرعة فى النطق ، وحياتهم المستقرة تدعوهم الى بذل مجهود أكبر ، لابراز الأصوات فى صورة واضحة ، متناسقة •

ولذلك اشتهر الفتح عن قبائل غربى الجزيرة ، من سكان الحجاز كقريش ، وثقيف ، وسعد بن بكر ، والأنصار ، وكنانة ، وهوازن •

والامالة والفتح ، حركتان تدخلان ضمن أصوات اللين ، سواء كانت الحركة قصيرة كامالة الفتحة ، أو طويلة ، كامالة الألف ، والفرق بين القصيرة والطويلة ، فى الأصوات اللينة ، لا يعدو أن يكون فرقا فى المدة ، التى يستغرقها النطق بكل منهما •

واللسان ، مع الفتحة ، يستوى فى قاع الفم ، ومع الكسرة يرتفع الى أقصى درجة فى الارتفاع بحيث لا يصدر حفيفا •

فعند استواء اللسان ، فى قاع الفم توجد حالة الفتح ، وعندما يرتفع ينشأ وضع الامالة •

وتبعا لمقدار الارتفاع تكون الامالة شديدة أو خفيفة •

فالذى يلاحظ أن وضع اللسان عند الحضرى يختلف عنه عند البدوى ، فهو عند الأول مستو فى قاع الفم ، وهو عند الثانى مرتفع فى اتجاه الحنك الأعلى ، وهذا يحمل الاشارة بأن العرب كانت تتخير لنطقها ما يتفق مع طبيعتها الاجتماعية •

وقد قسم الدكتور ابراهيم أنيس الامالة الى نوعين مختلفين :

١ — صوت لين خالص ، تكون من صوت لين مركب •

٢ — تغير فى مقياس صوت من أصوات اللين •

وقال : اننا « نلحظ الحالة الأولى ، حين يكون صوت اللين طويلا ،

ومنقلبا عن أصل ، من أصول الكلمة ، يأثيا كان أو واويا ، ففى مثل الفعلين : باع ، وقال ، يظهر أنه قد أتى عليهما حين من الدهر كان ينطق بهما (بيع وقول) ثم تطور الصوت الأول (ai) الى (e) والصوت الثانى (au) الى (o) أى أن فتحة فاء الكلمة فى الفعل الأول ، قد أميلت الى الكسرة ، وأنها فى الفعل الثانى ، قد أميلت الى الضمة .

وعلى هذا اذا قيل لنا : ان من أسباب امالة ألف المد ، كون أصلها ياء ، كما فى (باع) وجب أن نفهم من هذا أن الأصل اليائى ، قد تطور أولا ، الى الامالة ، ثم تطورت الامالة الى الفتح ، أى أن المراحل التى مر فيها مثل هذا الفعل (باع) هى (بيع) ثم (امالة) ثم (فتح) فالصوت المركب (ai) قد تطور أولا الى (a) ثم الى (e) وهكذا يرجح الدكتور أنيس أن بعض الكلمات العربية التى اشتملت على ياء أصلية ، قد تطورت أولا الى الامالة ، ثم الى الفتح[٢٥] .

واستنبط من هذا أن قبائل الحجاز التى عرف عنها الفتح ، قد قطعت مرحلة أخرى ، فى تطور لهجاتها ، على حين أن بعض القبائل فى وسط الجزيرة ، وشرقها قد احتفظت بمرحلة الامالة ، التى هى أقدم حين تكون الياء ، أصلية فى الكلمات .

ويرجع السر فى احتفاظ البدو بهذه الظاهرة ، الى أنهم عرفوا بها ، فتعصبوا لها .

وقارن بين هذا النطق الفصيح ، وبين ما تطورت اليه بعض اللهجات الدارجة فى مصر فى مثل كلمات (ليه وايه) ففى الفيوم

---

(٢٥) للاقتصاد فى الجهد العضلى ، والميل الى السهولة التى يلجأ اليها الانسان فى معظم ظواهره الاجتماعية .

يقولان لاه ، وعشان آه و (شىء) (ai) تطورت الى (شىء) (e) بل يقولون : شاء عجيب[٢٦] .

أما حين تعرض الامالة ، لغير أصل من أصول الكلمة ، كامالة الفتحة أو امالة ألف المد غير المنقلبة عن أصل ، فليس هذا الا نوعا من الانسجام بين أصوات اللين ، لتقليل الجهد العضلى ، وهو منسوب الى القبائل البدوية أيضا ، لأن الحضريين يميلون الى وضوح الأصوات وفصلها[٢٧] .

وقد استنتج — بناء على هذا — أن كلمة (كتاب) — كما ينطق بها بغير امالة — أقدم فى نسجها منها مع الامالة .

ومن هنا انتهى الى أن امالة الفتح الى الكسر ، يجب فى الحقيقة أن يعزى الى أحد عاملين :

١ — الأصل اليائى .

٢ — الانسجام بين أصوات اللين .

وجعل من الثانى الانتقال من الكسر الى الفتح فى تلك الأفعال الثلاثية التى رويت لنا مرة ، مثل : فرح ، وأخرى مثل : فتح ، دون تغير فى معناها مثل : خطف ، خبط ، قنط ، وصورة فرح أقدم ، وقد تطورت الى صورة فتح ، ليتحقق الانسجام بين الحركات[٢٨] .

وتطور الأصوات ، وانتقالها من حال الى حال ، لا يؤمن بها بعض القدماء ، كابن جنى ، فهو لا يعترف بأن ما قرروه أصلا ، كان مستعملا فى زمن ما ، يقول : هذا الموضع كثير الايهام لأكثر من

---

(٢٦) فى اللهجات العربية ٥٤ — ٥٧ .
(٢٧) المصدر السابق : ٩١ .
(٢٨) المصدر السابق ص ٥٧ ، ٥٨ .

يســمعه ، لا حقيقــة تحتــه ، وذلك قولنا : الأصــل ، فى قــام ، قوم ، وفى باع : بيع ، وفى طال : طول ، وفى خاف ونام وهــاب : خوف ، ونوم وهيب ، وفى شد : شدد ، وفى استقام : استقوم ، وفى يستعين : يستعون ، وفى يستعد : يستعدد ، فهذا يوهم أن هذه الألفاظ ، وما كان نحوها ، مما يدعى أن له أصــلا ، يخــالف ظاهر لفظه ، قــد كان مرة يقــال ، حتى انهم كانوا يقولون فى موضع : قــام زيد : قوم زيد ، وكذلك : نوم جعفر ، وطول محمد ، وشــدد أخوك يده ، واستعدد الأمير لعدوه وليس الأمر كذلك ، بل بضده ، وذلك أنه لم يكن قط مع اللفظ به الا على ما تراه ، وتسمعه •

وانما معنى قولنا : انــه كان أصله كذا : أنه لو جــاء مجىء الصحيح ، ولم يعلل لوجب أن يكون مجيئه (على ما ذكرنا) فأما أن يكون استعمل وقتا من الزمان كذلك ثم انصرف عنه ، فيما بعد الى هذا اللفظ ، فخطأ ، لا يعتقده أحد من أهل النظر[٢٩] •

ولسنا مع ابن جنى فى كل ما قال ،

فهو يدعى أن الأصول المتروكة لم تستعمل مطلقا ، فى أى زمن مضى ، ولو أنه حدد ذلك بما بعد عصر تهذيب اللغة ، ونزول القرآن الكريم بها ، لكان حكمه مقبولا •

أما وقد أطلق القول بذلك فى كل الأزمان دون تحديد ، فانــه غير دقيق ، اذ يختلف أمر اللغــة ، ابان نشأتها ، عنه بعد اكتمالها ، ونزول القرآن الكريم بها •

فقد كانت ، الأصوات ، والمفردات ، والتراكيب ، — فيها أول أمرها — غير ناضجة ، ففيها الأصوات المتنافرة ، والكلمات الحوشية ،

---

(٢٩) الخصائص ١/٢٥٦ ، ٢٥٧ •

والتراكيب السقيمة ، وقد تخلصت من كل ذلك بعد صراع اللهجات . بنشأة لغة عامة مهذبة تكلم بها العــرب جميعا ، ونزل بها كتاب الله العزيز .

ولو قبلنا رأى ابن جنى من بعض جوانبه فسلمنا له بأن بعض هذه الأصول لم يستعمل يوما ما ، فاننا لا نستطيع أن نســلم له ، أن الأصول جميعها لم تستعمل مطلقا ، اذ ان بعض هذه الأصــول لم يزل يستعمل — بعد عصر تهذيب اللغــة — ، فهى بقايا تدل على أن أصولا أخرى كانت تســتعمل كذلك ثم تغــيرت واستقامت على منهج قويم .

ويعترف ابن جنى باستعمال بعض هذه الأصول القديمة قبــل التهذيب فيقول : « اعلم — مع هذا — أن بعض ما ندعى أصليته ، من هذا الفن ، قد ينطق به على ما ندعيــه من حــاله ، ومن ذلك : أطولت ، وضننوا ونحوهما فانها تخرج هكذا منبهة على أصل الباب ، وشــد وضن ، وفــر ، واستعد ، واطمأن ، الأصــل فيها : اشدد ، واضنن ، وافــرر ، واستعدد ، واطمأنن ، فهــذان الاستعمالان — بالادغام والفك — كما يقول — لغتان حجازية وتميمية[٣٠] .

فالذى نؤمن به أن التطور ، قد عمل عمله ، فى اللغة العربية ، حتى تهذبت ، واكتمل نموها ، فى لغة عامة ، نزل بها القرآن الكريم .

وقد اعتقد ذلك الرأى الأستاذ عبد الله العلايلى الذى قــال : « ان كل هذه التقديرات ليست الا حيلة المتحيل ، وأما هى من الوجه الحق ، فليست بأكثر من كونها أثرا من آثار التطور العام ، الذى تخضع له كل لغة ، فى ســيرها الارتقــائى ، وتبقى هذه البواقى ، والمتخلفات ، لأسباب مكانية وظرفية ، أو لأن التطور لم يتم دورته ،

---

(٣٠) الخصائص ١/٢٥٩ ، ٢٦٠ .

بما يكفى لأن يأتى على كل مواثل الوجود المهضوم »[٣١] •

ويقول أيضا : « ليس الاعلال من اصطناع النحاة ، بقدر ما هو من عمل العربى ، وعمل النحاة ، تصرف أسلوبى فقط ، لأن الاعلال حقيقة راهنة ، فى صميم اللغة ، وهذا يدل على رقى عقلية العرب »[٣٢] •

كما قرر التطور فى حركات الكلمة ، وقال : انه ليس افتراضا ، بل بقى فى العربية ، ما يدل عليه ، ولذلك قيل : ليس فى كلام العرب (فعل) بكسر الفاء وضم العين الا حبك ، وشرح هذا المثال عندنا : أن أصله (حبك) بكسر الحاء وضم الباء ولما قضت العربية ، باستثقال هذا البناء ، واماتته ، نقلوا كلماته ، بأحد وجهين ، أما اتباع الفاء للعين ، (حبك) بضمتين واما اتباع العين للفاء (حبك) بكسرتين ولما كان الاتباع فى الضم قليلا نظن بأن العربية قد قصدت أن تستقر عليها بالكسر ، ويقول العلايلى : لكن الجمع بين الكسر والضم ، لازما حيث كان ينبو الطبع عنه ، فاهمل[٣٣] •

وهذا يؤيد وجهة النظر السابقة فى القول بالتطور اللغوى ، بما فى ذلك تطور صيغ الامالة فيما رآه الدكتور أنيس •

وقد بنى الدكتور أنيس تفسيره للنوع الأول من تلك الصيغ على أساس سكون الياء ، أو الواو ، فى الأصل ، على حين يذكر القدماء أن الأصل فى مثل هذه الصيغ حركة العين •

قال ابن جنى : « كان الأصل فى قام : قوم ، وفى خاف : خوف ، وفى طال : طول ، وفى باع : بيع ، وفى هاب : هيب ، فلما

---

(٣١) مقدمة لدرس لغة العرب ١٧٩ ، ١٨٠ •
(٣٢) المصدر السابق ٢١٦ ، ٢١٧ •
(٣٣) المصدر السابق ص ١٨٢ •

اجتمعت ثلاثة أشياء متجانسة ، وهى الفتحـة ، والواو ، أو الياء ، وحركة الواو ، والياء ، كره اجتماع ثلاثة أشياء متقاربة ، فهربوا من الواو ، والياء ، الى لفظ تؤمن فيه الحـركة ، وهو الألف وسوغهـا — أيضا — انفتاح ما قبلها[٣٤] •

واذا جاز هذا الاحتمال ، فلعل العرب قد استثقلوا النطق ، مع توالى أشياء ، متجانسـة ، فبعضهم تخلص من ذلك بالقلب ألفا ، وبعضهم الآخر تخلص بالامالة •

أما تفسيره للنوع الثانى ، الذى قصد به التناسب ، فهو مبنى على أن الامالة مرحلة متأخرة فى بعض الكلمات •

ومع فقدان الدليل التاريخى ، فى مثـل هذه الأحوال ، فاننا لا نمنع أن يكون شىء من التطور — لاختلاف بعض القبائل عن بعض فى النشأة وعوامل الاجتمـاع — قد اعترى اللغـة ، وموادها فى نشأتها الأولى ، وقد صار ذلك اتجاها لهجيا فيما بعد ، وقد استقرت الأولى لدى البدو • وانتشرت الثانيـة فى الحضر ، ولجأت اليهـا اللغة النموذجية ، للوضوح ، والفصـل بين الأصوات ، ومخـارج الحروف ، والحركات ، التى هى من أخص خصائص الحضارة ورقى الاجتمـاع •

وأما تجويز المتأخرين من النحاة ، والقراء ، للأمرين ، — الامالة والفتح — فى الألفاظ التى يمـكن تحقيقها فيها ، فذلك ليس راجعا الى جوازه بين العرب ، الأولين ، بحيث كان الواحد ، أو الطائفـة

---

(٣٤) سر الصناعة ١/٢٥ •

منهم ، تنطق بالكلمة ، طورا ممالة ، وطورا آخـر مفتوحة ، لأنـه ممتنع عليهم ، كما بينا •

وانما الجواز الذى أرادوه بالنسبة للسان العرب بعد أن أصبح لغة عامة ، لا قبلية[٣٥] فمن الجائز لنا الآن أن ننطق بأى الصورتين ، فكل منهما لهجة عربية صحيحة منذ بدايتها ، ولذا لا يجوز أن نرمى المتأخرين بالخطأ فى قولهم بجواز الامالة[٣٥] •

---

(٣٥) الامالة فى القراءات واللهجات العربية ١٠١ وجمع الجوامـع ط ١٣٢٧ ج ٢ ص ٢٠٠ •

الهمز والتسهيل

الهمزة : صوت يخرج من أقصى الحلق كما يقول علماؤنا القدامى ومن الحنجرة ــ على ما توصل اليه علم الأصــوات ــ وهى صوت مجهور شديد عند القدماء ، ولا مجهور ولا مهموس ــ عــلى ارجح الآراء فى العصر الحاضر ــ وينطبق معها الوتران تماما ثم ينفرجان فيخرج صوت له دوى وانفجار وفرقعة شديدة ، ولذا كانت تحتــاج الى مجهود عضلى كبير حال نطقها ، ولذا وجدنا العرب يختلف بعضهم عن بعض فى نطقهــا والتمســك بها فى كلامهم ، فوجدنا منهم من يحققها ، ووجدنا منهم من يخففها بابدالها بحرف من جنس حركة ما قبلها أو جعلها بين بين أو حذفها[1] والهدف من ذلك التخفيف فى هذا الصوت القــوى بتحويله الى أصوات لينة ليمــكن نطقها بيسر وسهولة ، ولكن فريقا من العرب تعود نطق الأصوات الصلبة فتمسك بها ومع ما يبدو من هذا التبادل الشكلى لا توجد علاقة صوتية تسوغ ذلك :

١ ــ فالألف صوت انطلاقى مجهور أى حركة أو مصوت على نقيض الهمزة .

٢ ــ والهمزة من الحنجرة والواو من أقصى اللسان والياء من وسط اللسان مع ما يحاذى الموضعين من الحنك الاعلى .

٣ ــ والهمزة صوت انفجارى شديد وهما انطلاقيان (لينان) .

٤ ــ والهمزة صوت ذو وجود صــوتى وســياقى (فونوتيكى وفونولجى) أما هما فوجودهما انطلاقى سياقى (فونولوجى) فحسب مهما تكن أحوال وجودهما فى المــادة اللغوية .

---

(١) المقتضب : ٥٢/١ .

٥ ـ الهمزة صوت مجهور أو لا هو بالمجهور ولا بالمهموس وهما مجهوران الا فى حالة خاصة وهى حالة الوقف على مثل الصفو والسعى حيث يمكن أن يتعرضا للهمس فى هذا الموقع ، وهو ما يقع أحيانا لحركات أواخر الكلمات فى حالة ما سماه القدماء بالروم ، وهى حالة من حـــالات الوقف[٢] •

وتبعا لهذه الفروق كان للمحدثين من العلماء نظرات أخرى الى حوادث الابدال بين الهمزة والواو والياء والألف ومن هؤلاء (هنرى فليش) فقد ذكر ان سبب الابدال هو الاحداث الصوتية التى تلتزم بها اللغة العربية الفصحى وتفسر جانبا من علم الصرف وأهم مبادىء هذه الاحداث ما يلى :

(أ) من ناحية المقطع : كراهة الاحتفـــاظ بصوت طويل أو مذدوج فى المقطع المقفل مثل : احمأر ـ وقراءة (ولا الضألين) فهما فى الأصل : احمـــار ـ ولا الضـــالين ـ فتجنبت المقاطـــع المديدة بابدال الألف همزة ، وفى مثل وجوه ووســـادة (wo) — (we) يتمكن الصوت المزدوج فيكره ولذا تبدل الواو همزة فيقال : أجـــوه ، اســـاده •

(ب) من ناحية عدم التوافق بين الفونيمات : كراهـــة النطق بالصـــوامت الضـــعيفة مع مصوت من جنســـها أو بعض ما يغايرها والصوامت الضعيفة مع مصوت من جنسها تتمثل فى الواو مع الضمة والياء مع الكسرة ومع بعض ما يغايرهما كالواو مع الكسرة •

(ج) من ناحية طبيعة الأصوات الساكنة : ضعف الواو والياء بين المصوتات •

---

(٢) القراءات القرآنية : ص ٤٨ والأصوات اللغوية ص ٤٣ •

وقد طبق فليش قاعدته على حالات الابدال ونرى ضعف هذه القاعدة لما يلى :

١ — لم يفرق فليش — بمقياسه السابق — بين أنواع الابدال الواجب والجائز والشاذ ولم يفصح عن سبب الوجوب وغيره .

٢ — لم يستطع فليش تفسير ابدال الهمزة تفسيرا وافيا فهناك أمثلة كثيرة مثل : ووعد وووفى والظبى والدلو وناى وآى (جمع آية) توجد فيها التراكيب المكروهة التى ذكرها وهى wi - yi - wu ومع ذلك لم تقلب همزة .

٣ — اعتبر فليش ما سوى التراكيب الصوتية ayi - awi - awu يقاس عليها وفى ذلك يدخل التركيبان aya - awa وهما تركيبان خفيفان غير مكروهين لولا أن القياس قد وحد النموذج اللغوى وقد نص القدماء على كراهة العرب النطق بمثل هذه التراكيب أيضا وصرح بذلك ابن جنى فقال :

« وانما كان الأصل فى قام قوم وفى خاف خوف وفى طال طول وفى باع بيع وفى هاب هيب فلما اجتمعت ثلاثة أشياء متجانسة وهى الفتحة والواو أو الياء وحركة الواو والياء كره اجتماع ثلاثة أشياء متقاربة فهربوا من الواو والياء الى لفظ تؤمن فيه الحركة وهو الألف وسوغها انفتاح ما قبلها »[٣] .

وفى الأمثلة التى ذكرها ابن جنى يوجد التركيبان aya - awa وقد عدهما مكروهين ولم يقل بالقياس على النموذج اللغوى وبذلك تقل الحاجة الى منهج فليش بالقياس الموحد .

---

(٣) سر الصناعة ٢٥/١ .

وكان ممن خرج على الأقدمين وثار على رأيهم من المحدثين الدكتور شاهين فقد قال « القدماء أخطأوا فى تصور الابدال فيما سبق لسبب بسيط هو عدم وجود العلاقة الصوتية المشروطة لحدوث الابدال »[٤] ، وعلى أساس هذه التخطئة حاول أن يفسر المسألة برأى جديد يقول « واننا لنقرر ابتداء أن أساس الحل فى رأينا لن يتأتى الا من طريق التحليل الصوتى للعناصر المركبة أعنى تحليل المزدوج أولا الى عناصره البسيطة ومن طريق هذا التحليل نستطيع التعرف على ما تبقى من العناصر الصوتية وما حذف منها كما نستطيع تحديد وظيفة الهمزة فى السياق الصوتى »[٥] ، وقد أقام نظرية جديدة لتفسير ابدال الهمزة على أساس النبر وأوضح مبادىء تتعلق بالمشكلة وهى خصائص نطقية تكونت للسان العربى من أهمها ما يأتى :

١ — الأصل والأغلب فى الوقف السكون ولكنهم لم يطبقوا ذلك منهجيا بل اعتبروا حروف العلة وأشباهها سواكن لا حركات ولئن جاز ذلك بالنسبة لأشباه حروف العلة فانه لا يجوز بالنسبة لحروف العلة نفسها الا لضرورة نحوية أو دلالية •

٢ — قالوا لا يبتدأ بساكن بل بمتحرك ولكنهم لم يعتبروا الحركة الا اذا كانت تابعة لحرف وبدهى أنهم أخرجوا حروف العلة وأشباهها من جملة الحركات مع أننا نرى أن حروف العلة تكبير للحركات •

٣ — العرب كانوا يكرهون النطق بمقاطع مفتوحة متوالية وبذلك تفسر كراهيتهم لتوالى الحركات الذى يضعف النظام المقطعى[٦] •

---

(٤) القراءات القرآنية ص ٧٧ •

(٥) المصدر السابق ص ٧٨ •

(٦) المصدر السابق ص ٧٨ ، ٧٩ •

وعلى هذا يتضح رأى المؤلف فى ان الهمـز كان لدى العـرب ذا وظيفتين : الهروب من تتابع الحركات ، والمبالغة فى النبر فيتحول بذلك نبر الطول الى نبر توتر[٧] وعلى هذا الأساس قرر نظريتـه ، ولتقريرها نقول :

العهمزة اما بدل من واو أو ياء أو ألف ، فاذا كانت الواو أو الياء فى كلمة فاما أن تكون فى أولها أو وسطها أو آخـرها كما قررنا ، فاذا كانت فى آخـرها مثل كساء وبنـاء يقول الدكتور شاهين انـه لا ابدال فى هذا بل ان العربى يكره الوقف على مقطع مفتوح ويريد اقفاله فأحل الهمزة محل صوت اللين لا على سبيل الابدال بل من أجل تصحيح نهاية الكلمة[٨] ويقرر انه لا توجد واو ولا ياء وانما هو ضمة أو كسرة فبالتحـليل الصـوتى لكلمـة كسـاء ترى Kisaw ← Kisau ← Kisa ، ويتأكد ذلك بالنطق فنحن نقول كساو فننطق ضمة بعد الألف وبناى فننطق كسرة بعد الألف فالمقطع مفتوح وان بدا شكليا أو الواو والياء ساكنتان ، والحقيقة أن الملتقى فتحـة طويلة + ضمة أو كسرة وليست هناك واو أو ياء فالمقطع مفتوح فلما أريد اقفاله للوقف حولت الحركة الى همزة ، وقد فسر ألف التأنيث الممدودة بذلك فقـال انها تحولت الى همـزة لكراهية العرب الوقف على مقطع مفتوح[٩] ، وقد جعل الدكتور شاهين الوقف بالهمزة مثل حبلأ ورأيت رجلأ وهو يضربهأ والوقف بهاء السكت مثل قـه وارمه وغلامهوه وغلامكيه وواجعفراه هربا من المقطع المفتوح ، فالمقطع قد أقفـل بصوت لا وظيفة له سوى الاقفـال وهما متشـابهان الهمزة والهاء اذ هما من الأصوات الحنجرية ويود الدكتور شاهين لو أطلق

---

(٧) المصدر السابق ص ٨٠ .

(٨) المصدر السابق ص ٨٢ .

(٩) المصدر السابق ص ٨٤ .

على الهمزة اسم السكت مثل الهاء[١٠] ، واذا كانت الواو أو اليـــاء في وسط الكلمة مثل قاول وبــايع وقلايد وعجــاوز ونيايف وسياود فانه يفسر الابدال فى ذلك بأنه أتى بالهمزة هربا من تتابع الحــركات فقاول بالكتابة الصوتية qawil وبايع bayi ثم أصبحتا bau, qauil فيتبين من ذلك التقاء ثلاث حركات متتابعة ، ففى الأول (قاول) الفتحة الطويلة والضمة القصــيرة والكسرة القصيرة وفى الثانى (بايع) الفتحــة الطويلة والكسرتان القصــيرتان ولذلك نبر المقطع الثانى بالهمز فصار qa,il قائل ، ba,i بائع[١١]

ويفسر الدكتور توالى الحركات أيضا بأنواع أخرى من النبر .

١ ـــ قول وبيع ليس فيهما موقع نبر .

٢ ـــ قول وبيع بتشديد العين ـــ مزدوج اكتسب مناعة بالتشديد وهو توتر نبرى[١١] .

٣ ـــ خطايا تغــير النبــر الى طول الحــركة وهــذا عند من لا ينبرون[١١] .

٤ ـــ وقد وصف نوعا من النبر لا تحول معه الواو أو الياء وسط الكلمة همزة وانما يفصل بــين عنصرى المزدوج بالهمز بعد أن كانا متصلين وهذا من خصائص الناطق البدوى وقد لجأ الى ذلك نتيجــة شــعوره بأن الانزلاق بــين العنصر الأول من عنصرى المزدوج الى العنصر الثانى لا يحقق صورة النبر كما تعودها فكان الهمز وسيلة الى ذلك دون أن يسقط من المزدوج شيئا ، وهذا يتأتى فى مثل الكلمات الآتية ونوضحها بالكتابة الصوتية هكذا :

خطوات ← خطؤات	xutuat	←	xutuat
تفاوت ← تفاؤت	tafaut	←	tafa' ut

---

(١٠) المصدر السابق ٨٥ ، ٨٦ .

(١١) المصدر السابق ص ٨٨ ، ٨٩ .

اما تريني ← ترئني turianni ← turi' anni

انهم مايتون ← مائتون maitun ← ma'itun

درى ← درىء durriun ← durri' un

تيمموا ← تأمموا ta - i - ammamu → ta' ammamu

وسقط فى المثال الأخير من الحركة الثلاثية عنصرها الثانى (i) من (aia) وهذا من أجل النبر[١٢]، أما اذا وقعت الواو فى أول الكلمة مثل وواصل ووعاء ووقتت ووجوه فقد فسره على أنه قد نبر الى الهمز لعدم امكان النطق بحركة فى بدء الكلمة ولو كتبنا الكلمة الأولى وواصل كتابة صوتية نجد أنها تبدأ بحركات يصعب نطقها وهى WAW ASIL وتكتب عند التحليل الى Ua - Ua - Sil فنبر المقطع الأول فصارت كتابتها a - wasil [١٣] ومن هنا رد سبب الهمز فيما سبق ونحوه الى الاتجاه العام السابق وهو كراهة أن تبدأ الكلمة فى العربية بحركة[١٤] .

أما ابدالها من الألف فى مثل ولا الضالين وشابة ودابة ونحوها مما وقعت فيه حركة طويلة بعدها صوتان ساكنان فقد فسره على أساس النبر فيقول : ونفسرها نحن بما سبق أن قررناه من أن النبر فى لسان قبائل البادية يأخذ صورة التوتر على حين يأخذ صورة الطول فى لسان غيرهم من الحضريين[١٥]، وفى مثل ساق وباز ويوقنون ونحوها مما وقعت فيه حركة طويلة بعد صوت ساكن أو لين مزدوج عند همزها يقرر أيضا نفس المبدأ فيقول لا يمكن تفسيره بغير

(١٢) المصدر السابق ص ١٣٠ ، ١٣١ .
(١٣) المصدر السابق ص ٩١ .
(١٤) المصدر السابق ص ١٢٩ .
(١٥) المصدر السابق ص ١٢٨ .

النبر الذى تعودته ألسنة بعض بنى أسـد ، هذا هو اتجاهه العـام وان كان قد تعرض الى أن ما نحن بصدده من أمثلة الهمزة هو من الأحداث الصوتية اللهجية فذكر أن مثل ولا الضألين لغة كما قـال أبو حيان وأبو الفتح(١٦) ونسب بعض الهمز السابق الى بنى أسد وهم من قبائل وسط الجزيرة وشرقيها(١٧) .

نظراتنا حول رأى الدكتور شاهين :

لقد تناول الدكتور شاهين الموضوع وفسره عـلى أنه لا ابدال فيه ولكن النبر هو الذى تسبب فى هذا التغيير ، ولكن مقاييسه لم تف بالمطلوب من التفسيرات والتوجيهات :

١ ـ وفيـه ثلاث نقاط :

(أ) تحدث الدكتور شاهين عن الواو والياء فى آخـر الكلمة وقال ان السبب فى احلال الهمزة محلهما فى هذه الحال هو أن العربى يكره الوقف على مقطع مفتوح ويريد اقفاله والواقع أن الكلمات لم توضع فى الأصل لتستعمل مفردة بل لتستعمل فى تراكيب تؤدى معنى مقصودا وعلى هذا فالوصل هو طريق استعمال ألفاظ اللغة لا الوقف فاذا قيل كساو الصيف خفيف وبناى البيت ثابت الدعائم مثلا فليس هنا وقف على مقطع مفتوح وكذلك لو نطقنا كساو وبناى (بالتنوين) لم يوجد المقطع المفتوح أيضا .

---

(١٦) المصدر السابق ص ١٢٦ ، ١٢٧ وقراءة اشتروا الضلالة لغة عند الكسائى وهى عند البصريين لحن فالظاهرة لهجية وان لم تقبلهـا قواعد البصريين ويزيد أمـرها وضوحا نسبتها الى قبيلة غنى من قبـائل وسط الجزيرة (يهمزون ما لا يهمز) كما يقرره صاحب اللسـان ١٧/١ ورثاث زوجى ـ لبأت بالحج الخ .

(١٧) المصدر السابق ص ١٢٨ .

(ب) ثم لماذا لم تقلب كل من الواو والياء همزة فى مثل غاى وراى وطاو وراو مع تحقق ما قال فيها لو فرضنا حالة الوقف ؟ ولماذا لم يحدث ذلك فى مثل التراخى والفيافى والتسامى مع وقوع الياء طرفا ووجود المقطع المفتوح فى حال الوقف أيضا ؟ •

(ج) على مقياس الدكتور شاهين لا نجد تفسيرا لاختلاف حالات التثنية والجمع المتعددة من وجوب بقاء الهمزة فى مثل قراء وقلبها واوا فى مثل صحراء وترجيح أحدهما فى مثل كساء وبناء وعلباء ، ولو سلمنا له بأنه يعلل للألفاظ المفردة فانه قد علل لنحو حمراء بأنها نبرت لاقفال المقطع وكان يمكن أن يقفل بطريق آخر مثل حبلاً فيقال حمرأ مثلا ؟ فلم اختص كل بطريق ؟ على أنه قد تبع بروكلمان فى أن علامة التأنيث تطورت على النحو التالى à - a - ah - at ومعنى ذلك أن العربى كان ينطق بها حمرت — ثم حمرة — ثم حمرى ، ثم حمراء ، وهذا التطور لا دليل عليه ومع ذلك فلو تصورنا صحته لأمكن أن يقفل المقطع فيقال حمرت — أو حمرة بالرجوع الى أصل سابق وبهذا يتبين عدم دقة رأيه المذكور •

٢ — وقد تحدث أيضا عن الواو والياء فى وسط الكلمة وسبب تغييرهما الى همزة بأنه لتتابع الحركات ورأيه ذلك ينطبق على نحو قاول وبايع فعلى أمر وهما مثل قائل وبائع اسمى فاعل فلماذا فرق بينهما ؟ ، كذلك يماثل عجائز ونبائف جداول وقساور ومعاول ومقاول فما الفرق الذى سبب القلب أولا ومنعه ثانيا ؟ ، مع تحقق قانونه فيه وهو تتابع الحركات مما يستدعى الهرب منه الى النبر بالهمزة ولم يحدث •

٣ — على أنه لم يفرق بين ما يجب وما يجوز وما يمتنع من الهمز فى الألفاظ التى وجدت فيها واو أو ياء أولا فبعضها يجب همزه مثل

ووأصل — وواق — وولى وبعضها يجوز مثـل وسادة — وشاح — وجوه وبعضها يمتنع مثل واصل — يواقيت — وورى •

ولست مع المحدثين فى اعتبار الواو والياء غير المدتين حركتين فان التقسيم المقطعى يؤكد اعتبارهما صوتين ساكنين مثل : يقع ويذر ووزن ووعد فكل من الكلمات السابقة مكون من ثلاثـة مقـاطع كل منهما مكون من صوت ساكن + لين قصير وفى مثل : وجوه لا يمكن الاعتراف بأن الواو مجرد حركة لأنـه اذا كانت كذلك فقـد قلبت الضمة (u) على هذا الفرض همزة فى أجـوه ، ومن أين أتت ضمة الهمزة بعد القلب المذكور ؟

وبذلك نتأكد أن طريقة الأقدمين أشمل وأضبط •

ولسنا نشك لحظة فى أن ما تعوده اللسان العربى فى معاملته للواو والياء وللهمزة ناشىء عن بعض الكراهات التى لم يألفها غير أن أسباب هذه الكراهات تحتاج فى الحقيقـة الى شىء من التحليـل يكشف عن مدى ما تحتويه من ثقل أو تنافر يلجأ الناطق حياله الى المخالفة أو التصرف بصورة ما هربا من هذا الذى يكرهه[١٨] •

وتخفيف حرف العلة بالقلب همزة هو ما رآه الأقدمون وقالوا به وذلك متحقق أيضا فى تخفيف الهمزة وتحويلها الى واو أو ياء أو ألف وذكر ابن سيدة أن شيوع ابدال الهمزة لشبهها بحـروف العلة من جهات الحذف وجعلها بين بين وقلبها على حركة ما قبلها ومن أجل أنها من أقصى الحلق فاذا أبدلت أولا جرى اللسان الى جهة القدام فهذا يطرد عليه الابدال فلاجتماع الشيئين من مناسبة حروف العلة وأنها من أقصى الحلق يستمر بها اللسان لاخـراج الحـرف جاز أن تبدل من غيرها[١٩] •

---

(١٨) المصدر السابق ٧٨ •
(١٩) المخصص ٥٦٨/١٣ •

وقال أيضا أن حروف العلة تقلب لطلب الخفة والكثرة والمناسبة ، وقد تحدث علماء الصرف عن هذا النقل حتى انهم قالوا فى تعريف الاعلال :

تغيير حرف العلة بالقلب أو التسكين أو الحذف للتخفيف[٢٠] .

وعدوا الهمزة من حروف الاعلال وقالوا : انها حرف شديد مستثقل يخرج من أقصى الحلق فلذلك الاستثقال شاع فيها التخفيف لنوع من الاستحسان[٢١] ومن هنا منع وقوع الهمزة فى كلمة فاء وعينا معا أو عينا ولاما معا وعلل ذلك ابن جنى بثقل الهمزة فكيف بالهمزتين معا ، قال فى سر الصناعة : « وانما لم تجتمع الفاء والعين ولا العين واللام همزتين لثقل الهمزة الواحدة لأنها حرف سفل فى الحلق وبعد عن الحروف وحصل طرفا فكان النطق به متكلفا فاذا كرهت الهمزة الواحدة فهم باستكراه الثنتين ورفضهما — لا سيما اذا كانتا مصطحبتين غير مفترقتين فاء وعينا أو عينا ولاما — أحرى فلهذا لم تأت فى الكلام لفظة توالت فيها همزتان أصلا ألبتة[٢٢] فلهذا كان الابدال بين الهمزة وتلك الحروف الثلاثة ولأجله أيضا خففت الهمزة بتسهيلها وجعلها بين بين وكل ذلك من ضروب التخفيف وألوانه .

والهمزة لأنها صوت حنجرى شديد مما يناسب البيئة البدوية وهى قبائل وسط الجزيرة وشرقها فهى أساسا من لهجات تميم وقيس وبنى أسد ومن جاورهم والتسهيل فى أصله لهجة البيئة المتحضرة وهم أهل الحجاز وبخاصة قريش فى مكة والأوس والخزرج فى المدينة .

---

(٢٠) شرح الشافية للحسينى ١٨٥ .
(٢١) شرح الشافية للعصام ص ١٥٠ .
(٢٢) سر الصناعة ٨١/١ .

ولم يكن الحجازيون جميعا بعيدين عن تحقيق الهمز الى تسهيله بل منهم من استهواه تحقيقه وهم من سماهم سيبويه (أهل التحقيق) فكانوا ينطقون بالهمز كاخوانهم من القبائل المخففة له .

يقول سيبويه : « وقد بلغنا أن قوما من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون نبيء وبريئه وذلك قليل ردىء »[٢٣] .

ومن قبائل الحجاز (عكل) التى هى من طابخة ، وطابخة من خندف التى سكنت الحجاز ونسب اليها ابن جنى (ترقؤه) فقال انها لغة لبعض عكل[٢٤] .

ومما يدل على مناسبة الهمز للبدو لثقل الهمزة أن ابن جنى قال : ان بعض من تقوى لغته ويتعالى تمكينه وجهارته دون أن يطفى به طبعه ويتخلى به اعتماده ووطؤه يبدل من الألف همزة فيحملها الحركة التى كان كلفا بها ومصانعا بطول المدة عنها فيقول شأبة ودأبة[٢٥] وسمعها بعضهم من بنى كلاب[٢٦] .

وقد حاول ابن جنى تفسيرها بأنه كره اجتماع الساكنين الألف والحرف الأول من المضعف بعدها فحركت الألف لالتقائها فانقلبت همزة لأن الألف حرف ضعيف واسع المخرج لا يتحمل الحركة فاذا أضطروا الى تحريكه قلبوه الى أقرب الحروف منه وهو الهمزة[٢٧] .

---

(٢٣) الكتاب ١٧٠/٢ واللسان ١٤/١ : اتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل فقال له : يانبىء الله قال الرسول صلى الله عليه وسلم له : « انا معشر قريش لا ننبر » . التهذيب ٢١٥/١٥ .

(٢٤) الخصائص ٢٠٧/٣ .

(٢٥) المصدر السابق ١٢٦/٣ .

(٢٦) اللسان ١٤/١ .

(٢٧) سر الصناعة ٨٢/١ .

وهو صورة من صور التوتر النبرى على لسان بعض البدو[٢٨] .

وقد قال عيسى بن عمر : ما آخذ من قول تميم الا بالنبر وهم أصحاب النبر وأهل الحجاز اذا اضطروا نبروا[٢٩] .

والمراد بالنبر الهمز وقد كانت قبائل العرب يتأثر بعضها ببعض فى الهمز والتسهيل فيمكن أن نجد أمثلة قد سهلت فيها الهمزة فى بيئة نجد والعكس فى بيئة الحجاز فقد قرأ أهل الكوفة قول الحق سبحانه :

« ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » بالياء والتخفيف[٣٠] (ومن يوت) .

وكذلك قرئت هذه الآيات : (قال يا آدم أنبيئهم بأسمائهم) أنبيهم —(واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون) — مستهزون — بغير همزة[٣١] وتخفف بنو أسد لرؤف وأهل مكة من أهل الحجاز يحققون بعض الهمزات كبرىء ونبىء .

وهذا كله دليل على تأثر هذه القبائل بعضها ببعض فى الهمز والتسهيل بحيث انتشر ذلك على لسان القبائل ولا سيما بعد التوحد اللغوى .

---

(٢٨) القراءات القرآنية ١٩٨ .
(٢٩) اللسان ١/٢٢ ، والكتاب ٣/٥٣ .
(٣٠) مختصر الشواذ ص ١٧ .
(٣١) المصدر السابق ص ٢ وما بعدها .

ابدال الهمزة من حروف العلة

الأمثلة التى تتبادل فيها الهمزة وحروف العلة لها صور منها ما يكون واجبا ومنها ما يكون جائزا ومنه ما يعد شاذا .

ومن أمثلة ذلك :

١ ــ أمثلة تبدل فيها الهمزة وجوبا : حمراء وصفراء وصحراء ــ علاء ــ كساء وقضاء وبناء ــ عباءة وصلاءة ــ عظاءة ــ علباء وحرباء ــ أولى .

٢ ــ أمثلة تبدل فيها الهمزة جوازا : أقتت ووقتت ــ أجوه ووجوه ــ اشاح ووشاح ، اعاء ووعاء ــ اسادة ووسادة ــ أناة ووناة ــ أسماء ووسماء ــ ألل ويلل ــ رئبال وريبال ــ أده ويده .

٣ ــ أمثلة تبدل فيها الهمزة شذوذا : الضألين ــ جأن ــ شأبة ــ دأبة ــ اشعأل ــ ادهأمت ــ أبيأض ــ المشئق ــ أحب المؤقدان الى مؤسى ــ العــألم ــ الخأتم ــ نأر ــ قوقأت الدجاجة ــ حلأت السويق ــ رثأت المرأة زوجها ــ لبأ الرجل بالحج[1] ــ سواتهما ، أفى السوتنتنة[2] ــ ربا[3] .

والذى يبدو أن هذا الابدال لا تسوغه علاقة صوتية ، وقد أوضح بعض المحدثين المفارقات بين حروف العلة الثلاثة وبين الهمزة من عدة وجوه كما ذكرنا .

---

(١) ينظر فى هذه الأمثلة : سر الصناعة ٨٢/١ ــ ١١٥ والخصائص ١٤٢/٣ ــ ١٤٩ والمحتسب ١٤٦/٢ ١٤٧ ، ٣٣١ ومواضع أخرى متفرقة فيه والمفصل ٩/١٠ وما بعدها .

(٢) المحتسب ٧٢/١ .

(٣) المصدر السابق ٤٤/٢ .

ويقسم القدماء الهمز — كالأمثلة المذكورة — الى واجب وجائز موافق للقياس فهو لذلك مطرد والى مخالف له فلا يطرد ، وقد اطرد عنهم قلب ألف التأنيث همزة ، وابدال الهمزة من الواو والياء منه ما يكون واجبا قياسيا ومنه ما يخرج عن القياس وذلك فى موضعين : أحدهما : أن تقر الهمزة الواجب تغييرها فلا تغيرها والآخر : أن ترتجل همزا لا أصل له ولا قياس يعضده ، فم أمثلة الأول : خطائىء ومنه قولهم : غفر الله له خطائئه ودريئة ودرائىء، ومن الثانى أمثلة كثيرة ذكر بعضها هنا كالعألم والسأسم والخأتم وكلا النوعين غير مقيس[4] وكله شاذ غير مطرد فى القياس[5] وقال أبو العباس : قلت لأبى عثمان : أتقيس ذلك ؟ قال : لا ولا أقبله[6] .

والتفسير الحق يجعل الأمثلة التى وصفت بالجواز والشذوذ من اختلاف اللهجات ولم يكن ذلك بعيدا عن فهم بعض القدماء فقد نبه عليه ابن جنى بعبارات واضحة تفيد أن هذا التعبير أو ذاك لهجة عربية فيقول — معلقا على قراءة : (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جأن) بالهمز — : حكى أبو العباس عن أبى عثمان عن أبى زيد قال : سمعت عمرو بن عبيد يقرأ (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جأن) فظننته قد لحن حتى سمعت العرب تقول : شأبة ودأبة ويؤكد ذلك بشعر سمع عن العرب من مثل قوله :

وبعد انتهاض الشيب من كل جانب

على لمتى حتى اشعأل نهيمها[7]

وهذا ليثبت وروده بأدلة واقعية تفيد أنه لهجة عربية يتكلم بها

---

(٤) الخصائص ١٤٢/٣ وما بعدها .
(٥) سر الصناعة ١٠٢/١ .
(٦) المصدر السابق ٨٣/١ .
(٧) المصدر السابق ٤٧/١ والمحتسب ٤٧/١ .

ويقول عن مثل العألم والخأتم انه « قد حكى عنهم » فـالى من يعود الضمير ؟ انه لا شك عائد الى العرب الذين يدأب عـلى ذكر اسمهم في هذا الموضوع كأن يقول — فيما سبق هذا : فان قيل : فلم قلبت العرب لام فعلى — بفتح الفاء اذا كانت اسما وكان لامها ياء — واوا الخ وقوله : فالجواب : أنهم انما فعلوا ذلك الخ[٨] •

وهذا كلام يفصح عن أن هـذا التحقيق للهمز وعدمـه لهجتان عربيتان مسموعتان عن فريقين لكل منهم اتجـاه فى النطق غـير أن ابن جنى لا يكاد يفصح عن اسمى الفريقين اعتمادا منه على أن قارىء كتبه على معرفـة بلهجات العرب •

ويذكر الأزهرى أن عظاءة لغة فى عظاية واعاء لغة فى وعاء[٩] ونسب صاحب البحر الى هذيل قولهم فى (وعاء) : (أعاء) عند تفسيره قوله تعالى : (من وعاء أخيه)[١٠] قال : وقرأ ابن جبير (من اعاء) بابدال الواو المكسورة همزة كما قالوا : اشاح وأسادة فى وشاح ووسادة وذلك مطرد فى لغة هذيـل يبدلون من الواو المكسـورة الواقعة أولا همزة[١١] وتنسب أيضا لتميم[١٢] وكذلك همزهـا بنو عقيل ، ومثلها الحؤت فى الحوت همز شاذ وينسب همز المشتئق لبعض بنى سليم ، نقل الأزهرى عن الفراء قال : سمعنا أعرابيا من بنى سليم ينشد :

فانهـا حيل الشيطان يحتئـل

وقال وغيره من بنى سليم يقول : يحتال بغير همز •

---

(٨) سر الصناعة ١/٩٩ ، ١٠٠ •

(٩) التهذيب ٣/١١٨ •

(١٠) يوسف ٧٦ •

(١١) البحـر ٥/٣٣٢ •

(١٢) الابدال لابن السكيت ص ٥٦ ، ٥٧ •

قال : وأنشد بعضهم .

يـــا دار مى بدكاديك البــرق   سقيا وان هيجت شوق المشتئق

وغيره يقول المشتاق[١٣] .

وعد من همز التوهم همز ما لا همز فيه اذا ضارع المهموز روى ذلك الفراء عن بعض العرب قال : وسمعت امرأة من غنى[١٤] تقول : رثأت زوجى بأبيات كأنها لمــا سمعت : رثأ اللبن ذهبت الى أن مرثية الميت منها قال : ويقولون : لبأت بالحج وحلأت السويق فيغلطون لأن حلأت يستعمل فى طرد الوارد عن المــاء ومنعه منه يقال : حلأته عن المــاء : طردته ومنعته وحلأ السويق : حلاه همزوا غير مهموز لأنه من الحلواء ، وورد فى اللغة : لبأت — بتشديد الباء وتاء التأنيث — وقع اللبأ وهو أول اللبن — فى ضرعها ، ويقال : لبأ بالحج — كلبى ، فكأنه من اللبأ »[١٥] .

وفى شــأبة ودأبة نســب الهمز الى بنى كلاب وعقيــل وتميم وهذيل[١٦] وعلى ذلك وصف بالشذوذ لخروجه على القواعد .

ونسب الهمز فى (جؤن) الى عقيل ، وهم فرع من تميم[١٧] والى تميم والكلمة بالواو لأهل الحجاز[١٨] ، وبعضهم يصف الكلمــة بالواو بأنها خطــأ يقولون : (جونة والصــواب جؤنــة وجمعهــا جــؤن)[١٩] .

---

(١٣) التهذيب ٥/٢٤١ (حال) .

(١٤) غنى من قيس وهى من القبائل التى تميل الى الهمز . جمهرة انساب العرب ص ٢٤٤ .

(١٥) التهذيب ١٥/١٢٤ ، ٦٨٣ ، ٢٣٤ والقاموس ١/١٣ ، ٢٨ .

(١٦) المصدر السابق ١٥/٦٩١ باب الهمز وتحقيقه والدرر اللوامع ٢/٢٣٠ والمنصف ١/٢٨١ .

(١٧) التهذيب ١١/٤ وقلائد الجمان ص ٢١٠ .

(١٨) المزهر ٢/٢٧٦ .

(١٩) تثقيف اللســـان ص ٨٥ .

وقال أبو بكر الأنبارى : الحدأ جمع الحدأة وهو طائر ... وقال أبو حاتم : أهل الحجاز يخطئون فيقولون لهذا الطائر : الحديا وهو خطأ ويجمعونه الحدادى وهو خطأ ، قال الأزهرى : وروى عن ابن عباس أنه قال : لا بأس بقتل الحدو والأفعو للمحرم فكأنه لغة فى الحدأ والحدياتصغير الحدو[٢٠] . لكن لا يصح وصف ذلك بالخطأ لأنه لهجات.

وهى لغة أهل اليمن[٢١] وكذلك آخذه وواخذه لغة لأهل اليمن[٢٢] ، والطائيون كانت مساكنهم باليمن قبل أن يجاوروا بنى أسد[٢٣] فانتقلت معهم الظاهرة بعد الرحيل وأهل الحجاز أوصدت الباب اذا أطبقت عليه شيئا وتميم تقول آصدت[٢٤] .

ابدال حروف العلة من الهمزة

ابدال الواو :

١ — من همزة أصلية كأن تكون الهمزة مفتوحة وقبلها ضمة فتبدل تخفيفا مثل جون فى جؤن وسولة فى سؤلة وفى تخفيف : هو يضرب أباك : هو يضرب وباك ، وفى تخفيف : هو يقتل أخاك : هو يقتل وخاك فالواو هنا مخلصة وليس فيها شىء من بقية الهمزة[٢٥] .

وتقول أيضا فى آخيت واخيت ، فالواو بدل من الهمزة لأن

---

(٢٠) التهذيب ١١/١٨٧ ، ١٨٨ .
(٢١) المصباح المنير ص ٨ ، ٩ .
(٢٢) المصدر السابق ص ٦ .
(٢٣) معجم ما استعجم ١/٦٠ وقلائد الجمان ص ٧٢ .
(٢٤) المزهر ٢/٢٧٧ .
(٢٥) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ص ١٠٩ وانظر التهذيب ١١/٢٠٤ .

لام الكلمة واو فهى مأخوذة من الأخوة ولا توجد كلمة فاؤها ولامها واو وقرأ ورش وأبو جعفر (لا يواخذكم الله باللغو)[٢٦] .

٢ — من همزة مبدلة كقولك فى تخفيف : يملك أحـــد عشر هو يملك وحـــد عشر ، وفى يضرب أناة : يضرب وناة وذلك أن الهمزة فى أحد وأناة بدل من واو وأصـــله وحد لأنه من الواحـــد وامرأة أناة من الونى وهو الفتور[٢٧] .

٣ — من همزة زائدة مثل أن تقول : غلام وحمد فى غلام أحمد وفى هو يـــكرم أصرم هو يكرم وصرم فالهمـــزة فى أحمـــد وأصرم زائدة[٢٨] .

ابـــدال الألف :

١ — اذا التقت همزتان الأولى مفتوحة والثانية ساكنة تبدل من الثانية ألف مثل آدم وآمين وهذا الابدال واجب .

٢ — اجتماع الهمزتين المتحركتين فى أول الكلمة مثل أأنذرتهم يجوز تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وبألف بين الهمزتين وحذف الأولى منهما اذا فهم المعنى .

وفى هذه الآية اجتمعت همزة الاستفهام وهمزة القطع فى الفعل (أنذر) وفيها عدة أوجـــه :[٢٩]

---

(٢٦) سورة البقرة الآية ٢٢٥ وانظر الاتحاف ١١٧ .

(٢٧) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٠٩ وانظر التهذيب ١٠١/٤/٢٠٤ .

(٢٨) المصدر السابق (دار الكتب) ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ والأزهـــر ، الوجه الثانى من الورقة ص ١٠٩ وانظر القاموس ٤٣٩/٤ ، ٤٦٧ .

(٢٩) الاتحاف ٤٤ ، ١٢٥ ، والنشر ٣٦٣ .

ـ قرأ بتحقيق الهمـزتين عاصم وحمـزة والكسائى وغـيرهم وبتحقيق الأولى وتسهيل الثانية ورش من طريق الأصبهانى وابن كثير ورويس وغيرهم ، ومعنى تسهيل الهمزة جعلها بين بين يقول سيبويه :

« اعلم أن كل همزة مفتوحة كانت قبلها فتحة فانك تجعلها اذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة وتكون بزنتها محققة غير أنك تضعف الصوت ولا تتمه وتخفى لأنك تقربها من هذه الألف »[٣٠].

وقرأ بألف بين الهمزتين آأنذرتهم ابن عباس وعبد الله بن أبى اسحاق وهشام فى أحد طرقه .

وقرأ بحذف الهمزة الأولى الزهرى وابن محيصن ، وتحذف لدلالة المعنى عليها وثبوت ما عادلها وهو (أم)[٣١] .

وهناك قراءة بحذف الهمزتين (سواء عليهم نذرتهم) .

ونسب تحقيق الهمزتين الى تميم وتسهليها بين بين الى أهـل الحجاز وادخال ألف بينهما الى بعض الحجازيين والى بعض تميم ، وقال سيبويه :

« أهل الحجاز يخففونهما جميعا »[٣٢] .

٣ ـ ابدال الهمزة ألفا فى مثل رأس وقرأت وأخطأت واحبنطأت وشأمل فتصير ألفا تقول فيها : راس ـ قرات ـ أخطات ـ احنبطات ـ شامل وفى الحديث : ارجعن ما زورات غير ماجورات ، فأنت مخير ـ هنا بين التحقيق وعدمه ـ فى حالة سكون الهمـزة وفتح ما قبلها

---

(٣٠) الكتاب ٣/٥٤١ ، ٥٤٢ وشرح السيرافى وسر الصناعة ١/٥٣ .
(٣١) البحر ١/٤٨ والإتحاف ص ٤٤ .
(٣٢) البحر ١/٢٧ والكتاب ٣/٥٥٠ ، ٥٥١ .

وهو ابدال قياسى ، ويرى الكوفيون فى الحديث أنــه انما أريد بــه ازدواج الكلام لقوله ماجورات[٣٣] وفى الهمزة المفتوحة المتحــرك ما قبلها مثل ملأ يجــوز تسهيلها بقلبها ألفا وهو ابدال غــير قياسى لأن مخرج الهمزة وكثيرا من صفاتها تختلف عن الألف ، ولذا يعــد من باب اختلاف اللهجات .

ابدال الياء : وهو على أوجــه :

١ — واجب : اذا اجتمعت همزتان والأولى منهما مكسورة تقلب الثانية ياء مثل ايمان وايلاف مصــدرى آمن وآلف وهــذا لون من الابدال القياسى الواجب .

٢ — جائز : يجوز فيه تحقيق الهمزة وتسهيلها بقلبها ياء وهو نوعــان :

(أ) قياسى : يتحقق فى كل همزة سكنت وانكسر ما قبلها فاذا أردت تخفيفها قلبتها ياء خالصة فتقول فى تخفيف ذئب وبئر : ذيب وبير ، وكما اذا انفتحت وانكسر ما قبلها مثل بئر ومئر بكسر الأول وفتح الثانى ، تقول فيهما : بير ومير ، وفى تصغير : أقؤس وأرؤس : أقيس وأريس .

(ب) غير قياسى : كما أبدلوا الهمزة ياء لغير علة طلبا للتخفيف مثل : قريت وتوضيت فى تخفيف قرأت وتوضأت وكما قال زهير :

جرىء متى يظلم يعاقب بظلمــه   سريعا وان لا يبــد بالظلم يظلم

أراد : يبدأ فأخرج الكلمة الى ذوات الياء .

---

(٣٣) سر الصناعة (الأزهر) ١٢٨ ، ١٢٩ وانظر اللسان ١/١٢٤ ، ١٢٨ ، ١٥٢ ، ١٩٠ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ .

ومثله قــول الآخر :

وكفــت أذل مــن وتــد بقــاع   بشــج رأســه بالفهــر واجى

فأجراها وصلا ولو كانت همزة أو نويت همزة ما جــاز أن يأتى بها وصلا • وكذلك قول الشاعر :

ان الســباع لتهداعن فوارســها   والناس ليس بهاد شرهم أبــدا

أبدل الهمزة ياء ضرورة[٣٤] •

ويخضع تخفيف الهمزة بابدالها واوا للنظرة السابقة فهى تعود بنا الى اللهجتين المشار اليهما •

والقدماء يفسرون ذلك عــلى الابدال ، فالهمزة هى الأصل فى الأسلوب العربى والواو التى أبدلت منها تعد دخيلة عليها وكأنهم بذلك يعدون الهمز صفة من صفات اللغة المشتركة النموذجية لا صلة لــه باللهجات من قبــل •

وتذكر معجمات اللغة هذا الاتجاه ، يقول صاحب اللسان :

« ورجل سؤله : كثير السؤال وأصل السول الهمز عند العرب استثقلوا ضغطة الهمزة فيه فتكلموا به على تخفيف الهمزة[٣٥] وقال ابن برى : الهمز فى جؤنة وجؤن هو الأصل والواو فيها منقلبة عن الهمزة فى لغة من خففها[٣٦] وكان الفارسى يستحسن ترك الهمــزة وأصله الهمز[٣٧] ولكن الهمز — كما ذكرنا — لون من ألوان النبــر

---

(٣٤) سر الصناعة (دار الكتب) ص ٣٧٩ ، ٣٨٠ •

(٣٥) اللســـان ١٢/٣٣٩ •

(٣٦) المصدر السابق ١/٣٥٧ •

(٣٧) القاموس ٤/٢٤٦ •

لجأت اليه القبائل البدوية كبنى تميم وينسب التسهيل للقبائل الحضرية كبعض أهـل الحجـاز وعـلى هذا فلا ابـدال بين الهمزة والواو ولا صحـة لمـا يقـال فى المعجمـات وغيرهـا مـن ان الهمـزة فى أناة بدل من الواو فى وناة[٣٨] وانما يقال : انهما لهجتان عربيتان غايـة الأمـر أن الواو لهجة أهـل التخـفيف من الحضر والهمز فى الأصل لهجة بنى تميم ومن على شاكلتهم وعـلى هذا قيل أحدت الله ووحدته ورجل أحد ووحد »[٣٩] .

وفى ابدال الهمزة ألفا أو ياء نلحظ الاتجاه اللهجى فى مثل رأس وأخطـأت ومـلأ وذئب وأقؤس وأرؤس ونحوها عند تسهليها وان كان القدامى سموا بعضـه ابدالا قياسيا — حال سـكون الهمزة — وسموا بعضه الآخر ابدالا غير قياسى — حال تحريك الهمزة .

فأكثر العرب تحقق الهمزة الساكنة المتحرك ما قبلها ولكن تميما تميل الى تخفيفها بابدالها مدة من جنس حركة ما قبلها واسـتعمال التخفيف فى غير ذلك غير مقيس حقا ، فابدال الهمزة المفتوحة ألفا غير قياسى وابدال الهمزة ياء فى مثل قريت وتوضيت طلبا للخفة غير قياسى كذلك ولذا ينص اللغويون على عدم جـواز وضع ياء مـكان الهمزة يقول صاحب اللسان « ولا تقل أخطيت وبعضهم يقوله »[٤٠] و « لا تقل توضيت وبعضهم يقوله »[٤١] .

والقياس — كذلك — يمنع أن تحذف الهمزة كما فى (يبد) فى قول زهير وقلبها ياء حتى ساغ له أن يستخدمها وصلا فى قافية البيت، وقد قلبها الشاعر ياء ثم حذفها فى (هاد) فى البيت الأخير .

---

(٣٨) اللسـان ٢٩٨/٢ .
(٣٩) المصدر السابق ٤٦٥/٤ .
(٤٠) المصدر السابق ٥٩/١ .
(٤١) المصدر السابق ١٩٠/١ .

فهذه التصرفات غير قياسية ولا مطردة اذ لا نقلب فى هذه المواضع الا بشروط خاصة تعرف فى فن التصريف ، ولعل ذلك الموصوف بالشذوذ هو من سمات أصحاب التسهيل من القبائل العربية ولعله لمخالفته القواعد العامة حدث من بعضهم دون بعض ويؤيده قول ابن سيدة :

« ان قول العرب أخطيت ليس بتخفيف قياسى وانما هو تخفيف بدلى محض لأن همزة أخطأت ساكنة قبلها فتحة فصورة تخفيف الهمزة التى هذه نصبتها أن تخلص ألفا محضة فيقال : أخطأت كقولهم فى تخفيف كأس : كاس[٤٢] .

وأما الأمثلة الأخرى فتخضع لقانون اللغة النموذجية المشتركة التى اتخذت الهمز من مبادئها .

ابدال حروف العلة بعضها من بعض

ابدال الواو من الألف والياء :

(أ) من الألف :

من ألف أصلية : مثل الى ولدى (اسمى رجلين) تثنيتهما : الوان ولدوان والوات (اسم امرأة جمعا) فألفاتها أصول غير زوائد ولا مبدلة[٤٣] ولما سمى بها انتقلت الى حكم الأسماء[٤٤] وهذا هو القانون وبه وصى التصريفيون[٤٤] .

ومن ألف مبدلة : وهى على ثلاثة أضرب :

---

(٤٢) المحكم ١/٩ .
(٤٣) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ص ١٠٦ .
(٤٤) المصدر السابق (الأزهر) الوجه الاول من الورقة ص ١١٠ .

١ ـــ مبدلة من واو مثل عصوى وقنوى فى الاضـــافة الى عصا وقنـــا •

٢ ـــ مبدلة من ياء مثل : فتوى وسروى فى النســب الى فتى وسرى •

٣ ـــ مبدلة من همزة مثل : تصغير آدم على أويدم وجمعه على أوادم وأصله أأيدم وأأادم •

٤ ـــ من ألف زائدة مثل : ضويرب وضوارب فى تحقــير ضارب وجمعه جمع تكسير[٤٥] •

(ب) من اليـــاء :

١ ـــ من ياء أصلية : مثل موقن وموسر (وكل ياء مفردة ساكنة قبلها ضمة) ومثل سيد وميت وغازية ومحنية وقالوا : مقضو عليه ومنهو عن المنكر والحيوان أصل لامه ياء لأنه لا يوجد فى كلامهم كلمة عينها ياء ولامها واو كما هو رأى الخليل وسيبويه خلافا لأبى عثمان المازنى •

٢ ـــ من ياء مبدلة : فأصل مصدر ضارب ضيراب لو سميت به ثم صغرته قلت ضويرب •

٣ ـــ من ياء زائدة : مثل بيطر وسيطر تقول عند بنائهما للمجهول : بوطر وسوطر[٤٦] •

ابدال الألف من الواو والياء :

١ ـــ ابدالها منهما أصلين : نحو قام وغزا وباع ورمى وربما خرج شىء من ذلك على أصله تنبيهما على أصل الباب نحو : حـــوكة

---

(٤٥) سر الصناعة (دار الكتب) ٢٩٦ ـــ ٣٠٠ •

(٤٦) المصدر السابق ٣٠٠ ـــ ٣٠٥ •

وخونة وقود وصيد وحيد[٤٧] .

٢ — ابدالها منهما منقلبتين نحو (رحوى) اسم رجل اذا رخمته مثل يا حار (على لغة من ينتظر) قلت : يارحا — تحذف ياء النسب فتبدل الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فالألف حينئذ بدل من الواو وهذه الواو بدل من ياء رحيان ومثله ترخيم ملهى على تلك اللغة ، ونحو ذلك فى الياء المنقلبة مثل أعطى وأغزى قلبت الواو ياء اذ أصلهما (أعطو — أغزو) فصار (أعطى — أغزى)[٤٨] ثم قلبت الياء ألفا للسبب السابق ، وكأن تبنى من قرأ على مثال (دحرج) فتقول : قرأى فالألف الأخيرة بدل من ياء هى بدل من همزة حسب مراحل معلومة فى فن التصريف .

٣ — ابدالها منهما زائدتين ، فمن الواو مثل أن تسمى رجلا (عنوق) ثم ترخمه على يا حار (لغة من ينتظر كما سبق) فتقول : يا عنا (اذ أصله يا عنو) الا أن الواو تقلب ألفا لأنه لا يوجد فى العربية اسم آخره واو قبلها ضمة فالألف هنا بدل من الواو الزائدة ومن الياء مثل زميل اسم رجل تقول فى ترخيمه على يا حار : يا زما فتحذف احدى ميميه وتقلب ياؤه الساكنة ألفا ومثله : سلقى وجعبى فى سلقيت وجعبيت فالألف هنا — كذلك — بدل من الياء الزائدة[٤٩] .

---

(٤٧) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٢٩ والصيد : عدم الالتفات كبرا كما يفعل بعض الناس أو من داء كذلك الذى تصاب به الأبل فلا تستطيع أن تلوى أعناقها ، والحيد : ما شخص من نواحى الشىء (أى : نتأ وبرز) . وله معان أخرى . انظر : اللسان ١٣٦/٤ ، ١٣٧ ، ٢٥٠ .

(٤٨) أغزى الرجل : حمله على أن يغزو أو أعطاه دابة يغزو عليها ، وقال سيبويه : وأغزيت الرجل امهلته وأخرت ما عليه من الدين . اللسان ٣٦٠/١٩ .

(٤٩) سر الصناعة (الأزهر) ١٣٠ وسلقة سلقا وسلقاه : طعنه فالقاه على جنبه يقال : طعنته فسلقته اذا القيته على ظهره وربما قالوا سلقيته سلقاء — بالكسر — يزيدون فيه الياء كما قالوا : جعبيته جعباء من جعبته أى صرعته . اللسان ٢٦٠/٦ ، ٢٨/١٢ ، ٣٣٠ والقاموس ٢٥٥/٣ .

ومن قلب الياء والواو ألفا قلبا غير قياسى : القلب فى ييأس الى ياءس وفى يوجل الى ياجل ونحو ذلك من قول الشاعر :

تبت اليــك فتقبــل تابتى وصمت ربى فتقبــل صــامتى

أى توبتى وصومتى •

« قـلبوا فى ياءس وياجـل وان كانت الواو والياء ســاكنة طلبا للخفــة » وأما صوغ المضــارع عــلى الطريقــة السابقة فهو اكتفاء بأحد جزءى العلة وهو لهجة عربية ، ومسألة الابدال فى ذلك غير متحققة لعدم توافق الألف والواو واليــاء مخرجا وصفة فهى لهجات وليست من باب الابدال فى شىء ، فللواو طبيعة تختلف عن الألف تماما حتى منــع علماء العروض ان تتنــاوب الألف معها فى قافية القصيدة الشعرية وكذلك لا يمــكن تناوبها مع الياء — ردفــين ويجوز ذلك بين الواو والياء للتقارب بين صوتيهما الموسيقى على أن علم اللغة الحديث قد دعم ذلك ببراهين تثبت عدم صحة التبادل بينهما وهذا يرجح أن تلك الاختلافات ترجع الى اختلاف القبائل اللاهجة بهــا •

ابدال الياء من الألف والواو :

(أ) كل ألف انكسر ما قبلها أو وقعت قبلها ياء التحقــير تقلب ياء مثل قيتال وضيراب مصدرى قاتل وضارب وحميليق ومفيتيح فى تصغير حملاق ومفتاح •

(ب) كل واو سكنت غير مدغمة وانكسر ما قبلها[٥٠] قلبت ياء مثل ميقات وكذلك اذا سكنت فى المفرد ووقع بعدها فى الجمع ألف وقبل الواو كسرة واللام صحيحة مثل ثياب وحياض فان اختلت هذه الشروط لم تقلب كما فى مويزين وموازين وعوض وطول — لاختلال

---

(٥٠) سر الصناعة (دار الكتب) ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ .

القاعدة الأولى — وطوال وزوج وزوجة — بكسر الزاى وفتح الواو — ورواء وطواء جمعى ريان وطيان — لاختلال القاعدة الثانية •

(جـ) اذا قعت الواو لاما لفعلى وصفا مثل : عليا ودنيا[٥١] •

(د) اذا تطرفت الواو رابعة فصاعدا مثل : أعيطت ، واستقصيت[٥٢] •

كل ذلك هربا من الواو[٥٣] •

(هـ) اذا اجتمعت الواو مع الياء وسبقت احداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء — بشروط آخرى — كما فى سيد وميت (تقدمت الياء) وفى لية وطية (تقدمت الواو) ومن الشروط الهامة لذلك القلب أن تكون كل منهما أصلية فى موضعها[٥٤] فان كانت عارضة (غير لازمة) لم يحدث القلب والادغام المذكوران وذلك قولهم فى بناء فاعل من سرت وبعت للمفعول فتقول : سوير وبويع لأن الواو ليست لازمة لزوالها بالرجوع الى بناء الفعل للمعلوم ، كذلك ديوان واجليواذ (فى أحد استعمالاته) لأن الياء قبلها غير لازمة لأنهم قالوا : دواوين لما زالت الكسرة على أن بعضهم قد قال : دياوين فأقر الياء مع زوال الكسرة وأجرى غير اللازم مجرى اللازم •

وعالم اللغة يرى فى قلب الواو ياء — على الرغم من زوال الكسرة قبلها — اتجاها خاصا بلهجة أهل الحجاز فيما يسميه بأسلوب (المعاقبة) التى نتحدث عنها فيما يأتى :

---

(٥١) المصدر السابق ص ٣٧٨ •

(٥٢) المصدر السابق ص ٣٧٩ •

(٥٣) المصدر السابق (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤١ •

(٥٤)

أن يسكن السابق من واو ويا واتصلا ومن عروض عريا
فياء الواو اقلبن مدغما وشذ معطى غير ما قد رسما

التبادل بين الياء والواو (المعاقبة)

صنع ابن جني كتابا في التبادل بين الياء والواو وسماه التعاقب فقال : في لحوت العود ولحيته : قشرت ما عليه من اللحاء : وقد ذكرت ذلك في كتابنا الموسوم بالتعاقب[1] وقال أيضا : وأتيت — أيضا — في كتابي الموسوم بالتعاقب على كثير من هذا الباب[2] وجعل لها ابن سيدة موضعا في المخصص[3] ، وابن السكيت في اصلاح المنطق[4] ونظم ابن مالك بعض ألفاظها في تسعة وأربعين بيتا[5] .

والمعاقبة هي: أن تدخل الياء على الواو والواو على الياء من غير علة ، فأما ما دخلت فيه الواو على الياء والياء على الواو لعلة فليس من ذلك لأنه قانون من قوانين التصريف[6] .

ومن هذا التعريف يبدو أن المعاقبة لا تتحقق الا بأمرين :

١ — أن يكون الانتقال من الواو الى الياء والعكس ليس ناشئا عن علة صرفية موجبة فلا يدخل في المعاقبة نحو ميزان وميقات من الوزن والوقت لأن الواو قلبت ياء لعلة تصريفية هي سكونها وانكسار ما قبلها ، وكذلك قول الحق تبارك وتعالى (كذبت ثمود بطغواها) فابدال الواو من الياء هنا خاضع لقاعدة صرفية هي أن (فعلى) اذا كانت اسما ولامها ياء تقلب الياء واوا مثل تقوى ، أما اذا كانت فعلى صفة فان ياءها تبقى دون تحول الى الواو مثل (صديا) لاشتداد العطش .

---

(١) الخصائص ٢٦٤/١ .
(٢) المصدر السابق ٢٦٦/١ .
(٣) المخصص ١٩/١٤ — ٢٦ .
(٤) اصلاح المنطق ١٣٥ — ١٤٥ .
(٥) المزهر ٢٧٩/٢ — ٢٨٢ .
(٦) المخصص ١٩/١٤ .

وقد صرح بعض العلماء بانتفاء العلة التصريفية فى أمثلة المعاقبة فقال ابن جنى : ان أهل الحجاز يقولون للصواغ : الصياغ ، وفى ذلك دلالة على ما نحن بسبيله ، ووجه الاستدلال فيه انهم كرهوا التقاء الواوين — لا سيما فيما كثر استعماله — فأبدلوا الأولى من العينين ياء ، فصار تقديره : الصيواغ ، فلما التقت الواو والياء على هذا أبدلوا الواو للياء قبلها فصار (الصياغ) .... وقلب الياء الثانية لا يستنكر لأنه كان عن وجوب ، وذلك لوقوع الياء ساكنة قبلها ، فهذا غير بعيد ولا معتذر منه ، لكن قلب الأولى — وليس هناك علة تضطر الى ابدالها أكثر من الاستخفاف مجردا — هو المعتد المستنكر المعول عليه ، المحتج به ، فلذلك اعتمدناه ... و (فيه) تلعب بالحرف من غير قوة سبب ، ولا وجوب علة ، فأما ما يقوى سببه ويتمكن حال الداعى اليه فلا عجب منه ، ولا عصمة للحرف وان كان أصليا دونه[٧] .

وقد يكون حلول الياء محل الواو أو العكس ناشئا عن نسيانهم أصل اللفظ ، يقولون (الديمة) بقلب الواو ياء لسكونها وكسر ما قبلها ، فاذا زال الكسر عادت الواو : كما فى (دوموا) لانفتاح ما قبلها قال الشاعر :

هو الجواد ابن الجواد ابن سبل
ان دوموا جاد وان جادوا وبل

وقد ورد عن بعض العرب (ديموا) فى (دوموا)[٨] وذكر ابن جنى أن بعض العرب ظن أن الياء أصلية وليست منقلبة عن واو فلم يروها مع أن (دوموا) من الدوام فالواو أصلية وكان يجب الرجوع اليها بعد زوال الكسرة وفتح ما قبلها .... وهذا من البدل

---

(٧) الخصائص ٢/٦٥ ، ٦٦ بشىء من التصرف .
(٨) الخصائص ١/٣٥٥ والتصريف الملوكى ص ٢١ وأدب الكاتب ص ٩٧ .

الذى يلتزمونه مع ذهاب العلة الموجبة له[٩] .

٢ — أن يكون المعنى واحدا فى الصيغة الواوية والصيغة اليائية ولذا لا يعد من التعاقب ما اختلف معناه فالكور : المبنى من الطين والكير الزق الذى ينفخ فيه[١٠] فلا معاقبة هنا .

وتأتى المعاقبة فى الألفاظ المفردة بصيغها المتعددة وتأتى فى المثنى وتأتى فى الجمع وتأتى فى الأفعال وسواء كانت الواو والياء أصيلتين أو زائدتين :

١ — فى المفردات بصيغها المتعددة مثل سريع الأوبة والأيبة وصيغة فعول مثل هذا الكذاب الأثوم والأثيم[١١] وجعلته على حنديرة عينى وحندورة عينى[١١] .

وفى الحديث « ذات حوذان وعبيثران » هو نبت طيب الرائحة من نبت البادية ويقال عبوثران بالواو وتفتح العين وتضم[١٢] .

٢ — من المعاقبة فى المثنى : رحوان ورحيان[١٣] .

٣ — من المعاقبة فى الجمع ذادغوات قلب الأخلاق ودغيات[١٣].

٤ — وفى الأفعال مثل : مالك تتحوز منى كما تتحوز الحية وتحيزت الى فئة وتحوزت وساغ الرجل طعامه يسيغه ويسوغه[١٤]

---

(٩) التصريف الملوكى ص ٢٢ .
(١٠) المزهر ٢٦٠/٢ .
(١١) المخصص ٢٥/١٤ .
(١٢) النهاية ١٦٩/٣ .
(١٣) المخصص ٢٥/١٤ .
(١٤) أدب الكاتب ٤٦٥ والمخصص ١٩/١٤ ، ٢٠ .

وسحوت الطين على الأرض وسحيته أى تشرته وكنوت الرجل وكنيته وحنوت العود وحنيته وعزوت الرجل وعزيته اذا نسبته الى أبيـــه ويقال : ساخت الأرض تسوخ وتسيخ ورد ذلك فى حديث سراقة فى الهجرة[١٥] من باب فعل يفعل مثل حسب يحسب وقيل هو من باب باع يبيـــع[١٦] •

ومثله طاع له يطوع ويطيع فهو طائع اذا أذعن وانقاد[١٧] •

ويرى اللغويون أن كل موضع تستعمل فيه الكسرة والضمة أو الياء والواو فالأولى منهما للحجازيين والثانية للتميمين غالبا وسموا ذلك (معاقبة) ومما ورد فى كتب اللغة من اختلاف الحركتين : رضوان ورضوان ، وقنية وقنية ، وأسوة وأسوة ، وقـــدوة وقدوة ، وصـــبية وصبيان ، وصبية وصبيان بكسر الحرف الأول وضـــمه ومما ورد من اختلاف الحرفين : صيام وصوام ، ونيام ونوام ، وصياغ وصواغ ، والمياثر والمواثر ، والميـــاثق والمواثق ، وحيث وحوث ، وطغيت وطغوت ويضيرنى ويضورنى ، وعزيته وعزوته ، ولغيت ولغوت ، وان بينهما لبينا ويونا والعجاية والعجاوة ودامت السماء تديم وديمت ، ودامت تدوم ودومت والدوام •

ومن ذلك فى القراءات قراءة عمر بن الخطاب (الله لا اله الا هو الحى القيام)[١٨] أصله القيوام فلما التقت الواو واليـــاء ، وسبقت

---

(١٥) النهاية ٢/٤١٦ •

(١٦) المصدر السابق ٣/١٤١ •

(١٧) المصدر السابق ٣/١٤٢ •

(١٨) سورة البقرة الآية ٢٥٥ والمحتسب ١/١٧٥ — ومختصر شواذ القراءات لابن خالويه ص ١١ ومعانى القرآن للفراء ١/١٩٠ •

الأولى بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء وقد قرأ عمر على لهجة الحجاز لأنــه قرشى[١٩] وقرىء (جعل الله الكعبة البيت الحرام قواما للناس)[٢٠] فى قياما .

وقوله تعالى : (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا)[٢١] وقد رسمت بالياء فى المصحف وأصلها دوارا .

وقرىء قوله تعــالى : (ان الذين اتقــوا اذا مسهم طيف من الشيطان)[٢٢] يقال : طاف يطيف ويطوف طيفا وطوفا فهو طائف ثم سمى بالمصدر ومنه طيف الخيال الذى يراه النائم[٢٣] .

وفى الحديث (فصل ما بين الحلال والحرام الصوت والدف) .

يرد اعلان النكاح وذهاب الصوت والذكر به فى الناس يقــال له : صوت ، وصــيت أى ذكــر ، والدف الذى يطبــل بــه ويفتح ويضم[٢٤] .

وفى حديث آخر « ما من عبد الا وله صيت فى السماء » أى ذكر وشهرة وعرفان[٢٥] .

وفى الحديث « أن مما ينبت الربيع ما يغيــل أو يغــول » . أى يهلك من الاغتيــال وأصله الواو ويقــال غاله[٢٦] يغيله ويغوله هكذا روى بالياء والواو وهما متقاربان .

---

(١٩) تفسير الطبرى ١٥٥/٦ .
(٢٠) المـائدة ٩٧ .
(٢١) سورة نوح الآ ٢٦ .
(٢٢) سورة الأعراف الآية ٢٩ .
(٢٣) النهاية ١٥٣/٣ .
(٢٤) النهاية ٥٨/٣ .
(٢٥) المصدر السابق ٦٤/٣ .
(٢٦) المصدر السابق ٣٩٤/٣ .

وفى الحديث : « كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت » أى من تلزمه نفقته ويروى (من يقيت) على اللغة الأخرى[٢٧] .

وورد أنه صلى الله عليه وسلم كتب لوائل بن حجر : الى الأقوال العباهلة وفى رواية الأقيـال[٢٨] .

وفى الحديث « أكذب النـاس الصواغون »[٢٩] وفى روايـة الصياغون على لهجة الحجاز وحديث عائشة (ان عمر ديخ الكفرة) يعنى أذلهم وقهرهم ويقال دوخ وديخ بمعنى واحد[٣٠] .

وبعض هذه الصيغ يكون أكثر استعمالا من الأخـرى أو أكثـر تصرفا[٣١] وكل ذلك وأشباهه مما تعاورت عليه الياء والواو ينسب ما هو بالياء الى الحجـازيين وما هو بالواو الى التميمـين غالبا[٣٢] ومما يؤيد ذلك ما ورد فى حديث وفد تميم الى النبى ﷺ الذى نزلت فيه سورة الحجـرات « أرأيت المريض اذا حان فوظه » أى موتـه بالواو هذا يدل على البداوة وقد ذكر ابن الأثـير أن المعـروف أنه باليـاء[٣٣] .

ونسبت بعض الكلمات بالياء لتميم وبالواو للحجاز ومما ورد من ذلك (قنيان) — عند تميم —وقنوان عند الحجاز[٣٤] و (قصيا) — عند

---

(٢٧) المصدر السابق ١١٩/٤ .
(٢٨) المصدر السابق ١٢٢/٤ ، ١٣٣ .
(٢٩) المصدر السابق ٦٤/٣ ، صاغ الشىء : هياه على مثال مستقيم ويقـال : صائغ وصياغ وصواغ وجعلوا اكذب الناس لمواعيذهم الكاذبـة ومطلهم وقيل : أراد الذين يزخرفون الحديث والكذب . القاموس ١١٤/٣ .
(٣٠) النهاية ١٧٤/٢ .
(٣١) يقول ابن الأثير عند ذكر الحـديث (وتديفون القطيفاء) اى تخلطون والواو فيه أكثر من الياء النهاية ١٧٤/٢ .
(٣٢) المخصص ١٩/٤ ، ٣٦ والمزهـر ٢٧٦/٢ ، ٢٧٧ ، ٤١٣/١ ودراسات فى فقه اللغة ٩٦ — ١٠١ .
(٣٣) النهاية ٤٨٥/٣ .

تميم — و (قصوى) عند الحجاز[٣٥] — الهدايا جمع هدية ولغة أهل المدينة هداوى[٣٦] ونسبت المعاقبة الى غير هؤلاء من العرب فقد نسبت الى طيء أنشد ثعلب لرجل من طيء .

نحن الى الفردوس والشيردونها وايهات عن أوطانها حوث حلت

قال أبو العباس : هذه لغته[٣٧] وبعضهم نسب (حوث) الى طيء أو تميم[٣٨] .

والكلوة لغة فى الكلية نسبت لأهل اليمن[٣٩] .

ويقال : عبوت المتاع عبوا : اذا عبيته لأهل اليمن[٤٠] .

والنيرج والنورج[٤١] : لغتان الأخيرة لأهل اليمن[٤٢] .

— وقد وردت بعض النصوص التى نفهم منها حدوث المعاقبة فى القبيلة الواحدة أو عند العرب جميعا .

من ذلك ما ذكره ابن سيدة من أن المعاقبة تحدث عند القبيلة الواحدة وعند القبيلتين قال (وأرى كيف تدخل الياء على الواو والواو

---

(٣٤) التهذيب ٣١٥/٩ .
(٣٥) المصدر السابق ١٢٩/٩ .
(٣٦) المصدر السابق ٣٨٢/٦ وقال أبو زيد : الهداوى لغة عليا معد ولغة سفلاها الهدايا والمراد بعليا معد : أهل العالية أو عليا مضر وهم أهل الحجاز ومضر هو مضر بن نزار بن معد وسفلاها : تميم أو أهل نجد . جمهرة انساب العرب ص ١٠ .
(٣٧) المجالس ٥٦٦/٢ .
(٣٨) المحكم ٣٨٤/٣ واللسان ٤٤٤/٢ .
(٣٩) التهذيب ١٨٥/١ والمصباح ٥٤٠/٢ .
(٤٠) الجمهرة ٣١٧/١ .
(٤١) آلة من حديد وخشب يداس بها الطعام .
(٤٢) التهذيب ٣٨/١١ وديوان الأدب ٣٦/٢ .

على الياء من غير المعاقبة عند القبيلة الواحدة واما لافتراق القبيلتين فى اللغتين)[٤٣] .

ويذكر الأزهرى : أنا أمحوه وأمحاه وطىء تقول : محيته محيا ومحوا[٤٤] .

وأهل اليمن يقولون للذئب القلوب والقليب قال شاعرهم :

أيا جحمتا بكى على أم واهب   قتيلة قلوب ببعض المذانب

وقال آخر :

أتيح لها القليب من أرض قرقرى
وقد تجلب الشر البعيد الجوالب[٤٥]

وظنى أن ذلك ناشىء من تأثر القبائل بعضها ببعض فمن يجمع بين الاستعمالين جامع للهجة أخرى مع لهجته (وقد يجوز أن تكون لغته فى الأصل احداها ثم انه استفاد الأخرى من قبيلة أخرى وطال بها عهده وكثر استعماله لها فلحقت لطول المدة واتصال استعمالها بلغته الأولى)[٤٦] .

وبعض هذه الصيغ يكون الأصل فيها الواو وبعضها يكون الأصل فيه الياء :

يقال : يوجع وييجع وياجع وأصله من الواو[٤٧] .

---

(٤٣) المخصص ١٤/١٩ .
(٤٤) التهذيب ٥/٢٧٧ والمخصص ١٣/١٧ .
(٤٥) العين ٥/١٧٢ والتهذيب ٩/١٧٥ والجمهرة ٢/٥٩ ، ٣/٣٧٥ ، ٤٢٣ .
(٤٦) الخصائص ١/٣٧٢ باب فى الفصيح يجتمع فى كلامه لغتان فصاعدا .
(٤٧) التهذيب ٣/٥١ .

ويقال : وجلت توجل وتيجل من الواو[٤٨] ونسبت الصيغة اليائية لتميم لكراهة الواو مع الياء والواوية لأهل الحجاز[٤٩] وقد أبدلت ألفا فقيل : ياجل وياجع كراهة اجتماع الواو مع الياء — أيضا — كما يذكر سيبويه[٤٩] وكذلك كسايان وخبايان عند بنى فزارة الأصل الواو ، ولذا جاء كساوان وخباوان[٥٠] وعزيته الى أبيه : نسبته ويقول بنو أسد : عزوته الى أبيه وأصله الواو[٥١] .

والتيه قال فيه رجل من بني كلاب : التوه وأصلها الياء[٥٢] .

وبرى القلم يبريه بريا وناس يقولون : يبرو القلم[٥٣] والأصل الياء .

والدهو والدهى : لغتان : الدهاء والأصل الياء[٥٤] .

والطغيان والطغوان لغة فيه والفعل طغيت وطغوت والأصل الياء[٥٥] .

وقد حاول بعض اللغويين القدامى أن يفسروا هذا التعاقب على أنه من قبيل التبادل الذى لم يستوف شروط القلب لعلة فلسفية تدل على فنية هذه اللغة وموسيقيتها .

فسعة قواعد العربية جعلتنا نتلقى بالقبول صبية وصبيان بقلب الواو ياء وان لم تقع بعد كسرة مباشرة لانهم اعتبروا الساكن

---

(٤٨) المصدر السابق ١١/١٩٠ .
(٤٩) الكتاب ٤/١١١ والجيم ٣/٣٠٥ .
(٥٠) التهذيب ١٥/٦٩٠ .
(٥١) المخصص ١٤/٢٣ .
(٥٢) التهذيب ٩/٣٩٦ والتكملة ٦/٣٣٧ والمصباح (تيه) .
(٥٣) التهذيب ١٥/٢٦٧ .
(٥٤) التهذيب ٦/٢٨٥ واصلاح المنطق ١٣٩ .
(٥٥) التهذيب ٨/١٦٧ .

غير حصين فكأن الكسرة مباشرة للواو فقلبت مناسبة لها ليتحقق التكامل الفنى الموسيقى •

ثم اننا رأينا فى اللغة صبية وصبيان — بضم الصاد — وهذا أيضا لم يمنع من استمرار الياء لأن الداعى الى القلب هو الخفة وهو منهج البناء اللغوى العام والا لأبقيت الواو على أصلها •

ويقولون : أبيض لياح بكسر اللام فقلبوا الواو ياء مع عدم استيفائها شروط القلب اذ انها ليست جمعا كرياض ولا مصدرا جاريا على فعل معتل كقيام وصيام وذلك القلب داع الى رشاقة اللفظ وسلاسته لأن الياء أخف من الواو وما أكثر جنوح العربية اليها •

وقالوا رجل غديان وعشيان والاريحية ، ورياح بفتح الراء •

وكذلك مياثق أبقوا الياء مع زوال الكسرة الموجبة للقلب والمعروف أن زوال السبب يؤدى الى زوال ما ترتب على وجوده من أحكام ، فقد كان المفرد مستحقا للاعلال (ميثاق) لوجود الكسرة سابقة للواو ولكن الجمع لا تبقى فيه الكسرة ومن هنا يقال فى جمعه (مواثيق) على الأصل •

ويحار اللغويون عندما يجدون الكلمة بالياء قد وردت فى كلام العرب نحو قولهم : فيما أنشده أبو زيد :

حمى لا يحل الدهر الا باذننا ولا نسأل الاقوام عقد المياثق

وكذلك يسمع اللغويون قول شاعر آخر :

عدانى أن أزورك أم عمرو دياوين تشقق بالمداد [٥٦]

---

(٥٦) الخصائص ١/١٤٣ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣/١٥٧ ، ١٥٨ •

فكلمة (دياوين) جمع ديوان وينطبق عليه ما قيل فى سابقه وقد أبدى ابن جنى وجهة نظر فى هذه الصيغ وأثبت عمق اتجاهاتها وملاءمتها لفن اللغة وطابعها البنائى فيما يأتى :

١ ــ أن أكثر اللغة وشائع الاستعمال هو اعادة الواو عند زوال الكسرة مثل موازين ورييح وأرواح .

٢ ــ الغرض من القلب هو طلب الخفة فكأن القلب ليس ناتجا عن الكسرة بل لما تقدم من الاسترواح الى انقلابها ودلالة على تمكن القلب فى الواحد حتى كأن الياء أصل فيه .

وتبعا لهذا الاعتبار صرح ابن جنى بأنه يمكن تصغير (ميثاق) بابقاء الياء فيقال : (مييثيق) على نمط الجمع الذى حمل على مفرده(٥٧) .

وجاءت فى اللغة دامت السماء تديم ودومت السماء وديمت ولكن المضارع جرى فى المثال الأول على هذا النسق وليس من باب فعل يفعل بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع بدليل المصدر (ديما) وليس لغة فى هذا الأصل بمنزلة ضاره يضوره ضيرا حيث لم يأت (الديام) مصدرا كـ (الدوام) الوارد فيه(٥٨) وهذا تطبيق لمذهب ابن جنى فى الاختلاف بين لفظتين فى حرف واحد ومتى تعتبر كل منهما لهجة لقبيلة خاصة أو احداهما منقلبة عن الأخرى والمعروف أن أبا الفتح يبنى هذا على أساس تصرف كل منهما فالأكثر تصرفا واستعمالا هى التى يليق بها أن تكون الأصل والثانية فرع أما اذا تساويتا تصرفا واستعمالا فليست احداهما منقلبة عن الأخرى بل هما لهجتان وهنا يصرح ابن جنى بأن اليائية منقلبة عن الواوية لقصور

---

(٥٧) الخصائص ٣/١٦٠ ، ١٦١ .
(٥٨) المصدر السابق ١/٣٥٥ ، ٣٥٦ .

التصرف بالنسبة للاولى وكيف يقبلون ويسلكون هذا الطريق مع عدم ما يقتضيه ؟

ان الاجابة على هذا السؤال تتحقق فى مناسبة القلب الهدف العام وهو التخفيف ، ويبدو أن قانون (المعاقبة) قد لعب دورا أساسيا فى مثل هذه التغيرات فهى فى الأصل لهجات اذ تذكر لنا كتب اللغة أن لكل من الضم والكسر والواو والياء طبيعة صوتية تختص بقبيل تبعا للثقل والخفة •

فاللغة نتاج اجتماعى ووليدة البيئة التى تحيا فيها فالمجتمع المتحضر يفضل حركة معينة على حين يفضل المجتمع البدوى حركة أخرى وهنا بدا أن الكسرة مختصة بالحضر والضمة مختصة بالبدو فيما وصل الينا من كلمات •

والياء امتداد للكسرة والواو امتداد للضمة ولذا رأينا أن كلا منها تختص بطائفة من العرب فالياء للحجاز والواو لتميم وعلى هذا وجدنا الكلمات السابقة تفسر على أساس لهجى فى بيئتين حجازية وتميمية[٥٩] •

---

(٥٩) معانى القرآن للفراء ١/١٩٠ والمحتسب لابن جنى ١/١٧٥ ومختصر شواذ القراءات لابن خالويه ١٩ ، واصلاح المنطق ١٣٧ والمزهر ٢/٢٧٦ •

التبادل بين حروف العلة والصوامت

التبادل بين الألف والعين :

من أمثلة ذلك فى القــراءات قوله تعــالى (ولا تصعر خــدك للناس) قرأ (ولا تصاعر) ــ بألف بعد الصاد وتخفيف العين ــ نافع وأبو عمرو والكسائى وخــلف واليزيدى والأعمش ، وقــرأ الباقون (تصعر) ــ بتشديد العين بلا ألف .

والألف لا يصح ادغامها فى العين اذ هما من طبيعتين صوتيتين مختلفتين ولكن ادغامهما وعدمه فى هذه الآيــة ــ حسب القراءات السبعية الواردة فيها ــ يرجعان الى طبيعة القبائل العربية .

فبعض القبائل تقلب الألف الى عــين حتى يتماثلا ثم تدغمهما للتقريب والسرعة فى النطق وهذه طريقة تميل اليها القبائل البدوية ، وجرى على الفصل بين الصوتين وعــدم الادغــام بعض العــرب المتحضرين .

ونرى أن كلا منهما يمثل اتجاها لهجيا خاصا .

وعلى أساس مما وصل اليه علم الأصوات الحــديث نرى أن الاتجاه الثانى يتطلب مجهودا عضليا والأول لا يتطلب ذلك لأنه ناجم عن السرعة فى النطق ومن هنا استنتج علماء اللغة أن الادغام ينسب الى القبائل التى كانت تسكن وسط الجزيرة وشرقيها فمعظمها قبائل بدوية تميــل الى التخفف والسرعــة فى النطق كتميم وأســد وغنى وعبد القيس وبكر بن وائــل وكعب ونمير ، كما ينسب الاظهار الى بيئــة الحجاز .

التبادل بين الألف والنون :

تكلم ابن جنى عن ابدال الألف من تنوين المنصوب ونون التوكيد الخفيفة ونون (اذا) حال الوقف مثل : (رأيت زيدا) وقوله تعالى (لنسفعا) وقولك : (أنا أزورك اذا)[١] .

التبادل بين الألف والهاء :

١ — قد وردت من أمكنة من ههنا ومن هنه
أن لم أروها فمه

٢ — أنه فى أنا حال الوقف[٢] .

فى الأمثلة الأولى قال ابن جنى بالابدال بين الألف والهاء على أن تكون الألف هى الأصل[٣] وقد أبدلت فى (هنا) الاشارية هاء فصارت هنه ، وهذا موافق لعاميتنا وهو منسوب لقيس وتميم[٤] و (مه) فى الرجز السابق يحتمل وجهين : أن تكون الهاء بدلاً من ألف (ما) وأن تكون (مه) اسم فعل بمعنى اكفف أى فاكفف عنى فلست أهلا للعتاب ، أو فمه يا انسان يخاطب نفسه ويزجرها[٥] .

وفى (أنا) كذلك أبدلت الألف هاء فى الوقف .

وهذه كلها حالات للوقف قصد فيها بيان حركة الحرف المفتوح فتارة تبين الحركة بالألف فيقال : هنا — أنا وتارة أخرى تبين بالهاء فيقال : هنه — أنه ويميل بعض العرب الى هذا وبعضهم الآخر

---

(١) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٣٠ .
(٢) المصدر السابق (الأزهر) الورقات ١٠٥ — ١٠٧ .
(٣) المصدر السابق الوجه الأول من الورقة ١٠٦ .
(٤) اللهجات العربية د. نجا ٦٥ ، ٦٦ .
(٥) سر الصناعة الورقة ١٠٦ الوجه الأول مخطوطة الأزهر ولسان العرب ٣٦١/٢٠ وقال الأشمونى : اى انها قد وردت من كل جانب وكثرت فان لم أروها فلا تلمنى واكفف عنى ٣٣٤/٤ .

الى ذاك فالأمر لمجرد بيان الحـركة لا لأن أحدهما يبدل من الآخـر ومن هنا اقتصر الدماميني فى (أنه) على الوجه الثانى ، فقال فى باب الضمير من شرح التسـهيل — بعد ذكـره أن ثبوت الألف فى الوقف لبيان الفتحة ما نصه : « وقد تبين فتحتها بهاء السكت كقول حاتم : هكذا فزدى أنه »(٦) .

التبادل بين الباء والواو :

وذلك فى أسلوب القسم مثـل بالله ، والله ونحو ذلك ، قـال ابن جنى : وانما أبدلت الواو من الباء — فى ذلك لأمرين :

أحدهما : مضارعتها اياها لفظا والآخر مضارعتها اياها معنى ، أما اللفظ فلأن الباء من الشفة كما أن الواو كذلك وأما المعنى فلأن الباء للالصاق والواو للاجتماع والشىء اذا لاصق الشىء فقد اجتمع معـه(٧) .

وبرهن على أن الباء هي الأصل والواو بدل منها بدليلين :

أحدهما : أنها موصلة للقسم الى المقسم بـه فى قولك : أحلف بالله كما توصل الباء المرور الى الممرور بـه فى قولك : مررت بزيد فالباء من حروف الجر بمنزلة من وعن .

والآخر : أن الباء تدخل على المضمر كما تدخل عـلى المظهر فتقول : بالله لأقومن وبه لأقعدن والواو لا تدخل على المضمر ألبتة تقول : والله لأضربنك ولا تقول وه لأضربنك فرجوعك مع الاضمار الى الباء يدل على أنها هى الأصل(٨) .

وابن جنى فى رأيه السابق متأثر بموقف القدماء من مخـرج الواو اذ يجعلونها من مخرج الباء يقول : ومما بين الشفتين مخـرج

(٦) انظر : المفصل ٨٣/٩ ، ٨٤ والأشمونى مع الصبان ٣٣٤/٤ .
(٧) سر الصناعة ١٦٠/١ . (٨) المصدر السابق ١٥٩/١ .

الباء والميم والواو[٩] وهو متأثر فى ذلك برأى سيبويه . وهذا يصدق على الواو غير المدية التى يتحدثون عنها أما الواو التى هى حرف مد فهى من ذوات المخرج المتسع على حد تعبير ابن جنى[١٠] .

والدراسة الصوتية الحديثة تؤكد أن نظرة القدماء الى الواو غير المدية لم تكن دقيقة فى تحديد مخرجها ، فهى فى الحقيقة من أقصى اللسان حين يقترب من أقصى الحنك غير أن الشفتين حين النطق بها تستديران أو بعبارة أدق تكمل استدارتهما .... ولعل وضوح استدارة الشفتين مع الواو هو الذى جعل القدماء ينسبون مخرج الواو الى الشفتين[١١] .

فمخرج الباء اذا مختلف عن مخرج الواو اذ الأولى من الشفة والثانية من أقصى الحنك كما تثبت الدراسات الصوتية الحديثة . ويختلفان كذلك فى صفات كثيرة فالباء صوت مجهور شديد مستفل منفتح ذلق مقلقل والواو تتفق معها فى الجهر والاستفال والانفتاح فقط وتخالفها فيما عدا ذلك .

وهذا كله يمنع حدوث التبادل بينهما وكل ما يمكن قوله أن كلا منهما حرف يستعمل فى القسم — كما يستعمل فى غيره — اذ للباء خمسة عشر معنى ذكرها النحاة من بينها القسم[١٢] والواو لها معان كثيرة كالعطف والاستئناف ومن بينها استعمالها فى القسم[١٣] وكما يقول النحاة : يمكن جعل هذا الاستعمال من قبيل التعويض لا الابدال ولا يلزم فى المعوض أن يكون من جنس المعوض عنه أو أن تكون هناك علاقة صوتية بينهما اذ التعويض جعل حرف خلفا عن حرف آخر

---

(٩) المصدر السابق ص ٥٣ (١٠) المصدر السابق ١/٨ .
(١١) الأصوات اللغوية ٤٤ .
(١٢) الأشمونى ٢/٢١٩ — ٢٢٢ .
(١٣) المصدر السابق ٣/٣٠٧ والتصريح ٢/١٧ .

أو أكثر[١٤] ولا يشترط فيه التقارب .

وهنا استعمل اللغوى العربى القسم متخذا وسيلة من وسائله وهى الواو كما يصح أن يتخذ أداته الأخرى الأصيلة فيه وهى الباء وقد صرح بذلك الصبان حين قال : — معللا اختصاص الواو بالظاهر فى الجر — لأن بعضها عوض عن باء القسم لا أصل فيه[١٥] ويقول « ان الواو عوض من الباء والتاء عوض من الواو »[١٦] .

والأدلة التى علل بها ابن جنى لابدال الواو من الباء — وذكرتها سابقا — تشير الى أن الباء أصيلة فى استخدامها فى معنى القسم ولكنها لا تدل بحال على أن الواو بدل منها بالمعنى اللغوى بل على معنى أنه قد تقوم الواو فى الاستعمال فى القسم مقام الباء على سبيل التعويض لا الابدال والذى جعلنا نذهب هذا المذهب عدم وجود العلاقة الصوتية المسوغة للتبادل كما اتضح من الدراسات الصوتية الحديثة ، وأما اتفاقهما فى بعض المعانى فليس من مسوغات الابدال اذ المعول عليه انما هو المخرج والصفات .

التبادل بين التاء والواو :

١ — تراث — تقية فعيلة من وقيت — تقوى — توراه — تولج — تخمة — تكأة — تيقور — تليد — تلاد — تترى — (فعلى من المواترة) — اتعد — اتلج .

٢ — أخت — بنت — هنت — كلتا[١٧] .

صرح ابن جنى بابدال التاء من الواو فى الأمثلة الأولى فقال

---

(١٤) القواعد والتطبيقات ص ٤ .

(١٥) الأشمونى مع الصبان ٢/٢٠٧ .

(١٦) المصدر السابق ٢/٢٠٥ وحديثهم عن ابدالها كان للاتفاق فى المخرج كماتصورا .

(١٧) سر الصناعة ١/١٦١ — ١٦٩ وقد ذكر سيبويه هذه الالفاظ الكتاب ٢/٨٢ ، ٨٣ .

وقد أبدلت التاء من الواو فاء ابدالا صالحا[١٨] وذكر الأمثلة السابقة وعلل ذلك بأصل الاشتقاق فى كل منها فتراث فعال من ورث وتقية فعيلة من وقيت وتوراه فوعلة من ورى الزند وأصلها وورية فأبدلت الواو الأولى تاء الخ ، وقال : ان التاء قريبة المخرج من الواو لأنها من أصول الثنايا والواو من الشفة فأبدلوها تاء[١٩] وقد جعل ابن جنى هذا الابدال غير قياسى الا فى افتعل وما تصرف منه فقال : وهذه الألفاظ التى جمعتها وان كانت كثيرة فانه لا يجوز القياس عليها لقلتها بالاضافة الى ما تقلب واوه تاء ... فأما ما نقيس عليه لكثرته فافتعل وما تصرف منه اذا كانت فاؤه واوا فان واوه تقلب تاء وتدغم فى تاء افتعل التى بعدها[٢٠] وعلل لاطراد هذا الابدال فى افتعل وما تصرف منه بأنهم لو لم يقلبوها تاء لوجب أن يقلبوها اذا انكسر ما قبلها ياء واذا انضم ما قبلها واوا واذا انفتح ما قبلها ألفا فيقولوا ايتعد — موتعد — ياتعد ، فلما كانوا لو لم يقلبوها تاء صائرين الى قلبها مرة ياء ومرة ألفا ومرة واوا أرادوا أن يقلبوها حرفا جلدا تتغير أحوال ما قبله وهو باق بحاله وهذا ما عبر عنه استاذنا الدكتور نجا فى كتابه اللهجات العربية بقوله : أكثر العرب على ابدال الواو والياء تاء اذا وقعت فاء لا فتعل حتى لا تكون عرضة لتلاعب الحركات فيقولون اتقى واتسر فى اوتقى وايتسر[٢١] وقد حكى ابن جنى الاتجاه العربى الثانى الذى لا يعبأ بتلاعب الحركات فيقول ايتعد — موتعد — ياتعد[٢٢] الخ ونسب اللغة الأولى لأهل الحجاز فقال واللغة الأولى أكثر وأقيس وهى لغة أهل الحجاز وبها نزل القرآن[٢٣] .

---

(١٨) المصدر السابق ١٦١/١ . (١٩) المصدر السابق ١٦٢/١ .

(٢٠) المصدر السابق ١٦٣/١ . (٢١) المصدر السابق ص ٦٧ .

(٢٢) المصدر السابق ١٦٥/١ والدقة تقتضى نسبة الأولى الى أكثر العرب والثانية الى بعض الحجازيين . المفصل ٣٧/١٠ والاشمونى ٣٣٠/٤ واللهجات العربية ص ٦٨ .

(٢٣) سر الصناعة ١٦٥/١ وقال الليث تاء الأخت أصلها هاء التانيث

=

وأما عن الأمثلة الثانية فقد أوضح أن أصل هذا كله أخوة وبنوة وهنوة وكلوا فنقلوا أخوة وبنوة ووزنهما فعل بفتح الفاء والعين — الى فعل — بضم الفاء وسكون العين — وفعل بكسر الفاء وسكون العين — وألحقوهما بالتاء المبدلة من لامها بوزن قفل وحلس فقالوا أخت وبنت وليست التاء فيهما بعلامة التأنيث كما يظن من لا خبرة له بهذا الشأن لسكون ما قبلها هكذا مذهب سيبويه وهو الصحيح .

وأما هنت فيدل على أن التاء فيها بدل من واو قولهم فى الجمع هنوات وأما كلتا فذهب سيبويه الى أنها فعلى بمنزلة الذكرى والحفرى[٢٤] وأصلها كلوا فأبدلت الواو تاء كما أبدلت فى أخت وبنت[٢٥] ، وذهب أبو عمر الجرمى الى أنها فعتل وأن التاء فيها علم تأنيثها ولكن ابن جنى رد عليه بأن تاء التأنيث يكون ما قبلها مفتوحا

=

كما قال الخليل ولكن ذلك ليس مقبولا وقد نقل صاحب اللسان رأى ابن جنى دون أن ينسبه اليه اللسان ٢٢/١٨ وقال الأستاذ برجستراسر ان الأخ والابن من الاسماء القديمة جدا التى مادتها مركبة من حرفين فقط لا من ثلاثة أحرف وان التاء وان لم تسبقها فتحة هى تاء التأنيث فهى فى غير اللغة العربية وخصوصا فى الأكدية والعبرية كثيرا ما لا فتحة قبلها مثال ذلك ان الخمسة فى الأكدية hamistu وفى العبرية hmeset أصلها hamist كلها بشين ساكنة وعلى هذا قرر عدم وجود ابدال للتاء من الواو (التطور النحوى ص ٣٣) ولكن المقارنة غير سديدة لأنها بين لغات قديمة جدا وبين اللغة العربية التى بلغت نهاية تطورها بعد آماد طويلة على أن الحرف الثالث فى كلمة اخ وأب وحم وهى فى حال الأفراد ثابت فى بعض اللغات السامية الأخرى فأب فى الأشورية والبابلية (أبو) وفى الأرامية (أبا) واخ فى الأشورية والبابلية (أخو) وفى الحبشة ولغات جنوب الجزيرة (اخو) وحم فى الأشورية والبابلية (أمو) وفى الأرامية (حما) . تاريخ اللغات السامية ٢٨٣ ، ٢٨٦ والواو قد زالت لوجود التنوين وعند ذهابه تعود الواو مثل أبوك وأخوك . مدرسة الكوفة ١٩٠ فرأى القدماء أقرب الى طبيعة اللغة العربية .

(٢٤) الحفرى : نبت وقيل : شجر ينبت فى الرمل وقيل : ذات ورق وشوك صغير وزهر أبيض ، ولا تنبت الا فى الأرض الغليظة ، الواحدة حفراة .

(٢٥) المصدر السابق ١٦٧/١ ، ١٦٨ .

أو تكون قبلها ألف مثل طلحة وحمزة وسعلاة وعزهاة وكلتا مثنى باجماع من البصرين وعلامة التأنيث لا تكون وسطا(٢٦) وهذا الرد سديد الا أن القول بالابدال بين التاء والواو — اذا كان له مسوغ لدى القدماء لقرب مخرجيهما كما قال ابن جنى(٢٧) — فقد أثبتت الدراسات الصوتية بعده فالواو من أقصى اللسان كما ذكرنا والتاء من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا كما يقول علماء الأصوات ولا اتفاق بينهما فى الصفات أكثر من الاستفال والانفتاح والاصمات وهذا لا يصح به ابدال ويمكن أن نفسر هذه الكلمات على أنها استعملت بهذا الوضع فى لهجات خاصة وعلى سبيل التعويض وقد صرح ابن جنى نفسه بأن هذا ليس أمرا مطردا فلا نقول قياسا على تقية فى وقية تزير فى وزير ولا نقول فى وجيهة تجيهة ولا فى أوعد أتعد قياسا على أتلج ولا فى ولهى تلهى قياسا على تترى(٢٨) وعلى الرغم من اطراد الابدال فى افتعل مما فاؤه واو فان بعض العرب — كما قال ابن جنى — تنطق الصيغة — على الأصل بلا ابدال فيقولون فى اتعد اوتعد — موتعد ياتعد(٢٩)، فليس هذا اذا من قبيل الابدال وانما هو من قبيل اختلاف اللهجات وفى أخت وأشباهها التاء عوض من الواو لا بدل منها على ما قدمنا .

التبادل بين الميم والواو :

فى كلمة (فم) جعل ابن جنى الميم بدلا من الواو وقال ان أصله (فوه) بزنة سوط حذفت الهاء تخفيفا كما حذفت من سنة فيمن قال ليست بسنهاء وعملت مسانهة ومن شاة وشفة ومن عضة فيمن قال بعير عاضه ومن است فصار التقدير (فو) فلما صار الاسم على حرفين الثانى منهما حرف لين كرهوا حذفه للتنوين فيجحفوا به فأبدلوا من الواو ميما لقرب الواو من الميم لأنهما شفهيتان وفى الميم هوى فى

---

(٢٦) المصدر السابق ١٦٨/١ .

(٢٧) المصدر السابق ١٦٤/١ . (٢٨) المصدر السابق ١٦٣/١ .

(٢٩) المصدر السابق ١٦٥/١ .

الفم يضارع امتداد الواو[٣٠] • وبنى ابن جنى هذا الرأى على اعتقاده — كالقدماء — بأن مخرج الواو هو الشفة فبذلك يتحد مخرجهما وعليه يسوغ التبادل •

ولكننا أوضحنا أكثر من مرة أن الدراسات الصوتية الحديثة أثبتت أن الواو غير المدية من أقصى اللسان فبعد بذلك مخرجاهما فلا يسوغ الابدال • وللقدماء رأى آخر — يجعل — الميم عوضا لا بدلا — يقول أبو الهيثم : لما حذفوا الهاء من فوه بقيت الواو ساكنة فاستثقلوها وقوفا عليها فحذفوها فبقى الاسم فاء وحدها فوصلوها بميم ليصير حرفين حرف يبتدأ به فيحرك وحرف يسكت عليه فيسكن[٣١] • والميم حرف جلد يمكن الاعتماد عليه، ولا يعترف الأستاذ برجستراسر بأن الميم بدل من الواو ويدعى أنها ميم التمييم الذى هو التنوين فى اللغة العربية فكان الرفع fum والخفض fim والنصب fam والميم فيها لم تصر نونا مع سائر الميمات الانتهائية بل بقيت على حالها لأنهم كانوا يتلقونها كأنها أصلية فأضافوا اليها الاعراب ، والتنوين فصارت فم • فم • فما • فنقلت الميم من آخر الكلمة الى وسطها ، ومن أجل ذلك لم يجر عليها القانون الصوتى الذى بمقتضاه أصبحت الميم الانتهائية نونا فى اللغة العربية ولكن لا دليل لبرجستراسر على دعواه والاشتقاق يؤيد أن الأصل هو الواو (فاه يفوه فوها) ، ولا يتصور أن الميم فيه بمنزلة التنوين والا فما أصل الكلمة حينئذ وصور الاعراب التى ذكرها لا تطابق الواقع اذ الاعراب محله آخر الكلمة لا وسطها وليست الكلمة (فم) من مادة (فوم) بل من مادة (ف و ه) كما يتضح بالاشتقاق فالأولى أن تجعل الواو عوضا كما يقول بعض القدامى •

---

(٣٠) المصدر السابق مخطوطة الأزهر الوجه الأول من الورقة ٨٠ •

(٣١) لسان العرب ٤٢١/١٧ — ٤٢٣ ، وانظر الموضوع بأسره فى اللسان ٤٢١/١٧ — ٤٢٦ •

التبادل بين الهاء والواو :

١ — وقـد رابنى قولهـا ياهنا ه ويحك ألحـقت شرا بشر

٢ — قـد وردت مـن أمكنـه مـن ههنـا ومـن هنـه
ان لـم أروهـا فمـه

جعل ابن جنى الهاء بدلا من الواو أو من الألف المبدلة منهـا فى (هناه) قال « وأبدلوها (أى الهاء) من حرف واحد وهو قول امرىء القيس (وقد رابنى قولها ياهناه الخ) فالهاء الآخرة فى هناه بدل من الواو فى هنوك وهنوات وكان أصله هناو فأبدلت الواو هاء قالوا : هناه هكذا قال أصحابنا[٣٢] ولو قال قائل ان الهاء فى هناه انما هى بدل من الألف المنقلبة من الواو الواقعة بعد ألف هناه اذ أصله هناو ثم صار هناء كما أن أصل عظاء عظاو ثم صار بعد القلب عظاء .. فلما صار هناء والتقت ألفان كره اجتماع الساكنين فقلبت الألف الآخرة هاء فقالوا هناه كما أبدل الجميع من ألف (عظاا) الثانية همزة لئلا يجتمع ساكنان لكان قولا قويا ولكان أيضا أشبه من أن تكون قلبت الواو فى أول أحوالها هاء وذلك من وجهين : أحدهما أن من شريطة قلب الواو ألفا أن تقع طرفا بعد ألف زائدة وقد وقعت هنـاه كذلك والآخر أن الهاء الى الألف أقرب منها الى الواو بل هما فى الطرفين ألا ترى أن أبا الحسن ذهب الى أن الهاء مع الألف من موضع واحـد لقرب مكانيهما ، فقلب الألف اذا هاء أقرب من قلب الواو هاء[٣٣] .

وقد حكى ابن جنى رأى أبى زيد قال : « وكتب الى أبو الحسن من حلب فى جواب شىء سألته عنه فقال : وقد ذهب أحد علمائنا الى أن الهاء من هناه انما ألحقت فى الوقف لخفاء الألف كما تلحق بعـد ألف الندبة فى نحو وازيداه ثم انها شبهت بالهاء الأصلية فحـركت

---

(٣٢) هم البصريون كما فى اللسان ٢٠/٢٤٢ .

(٣٣) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الورقة ١٠٧ واللسان ٢٠/٢٤٣ ، ٢٤٤ .

فقالوا : يا هناه ولم يسم أبو على هذا العالم فلما انحدرت اليه الى مدينة السلم وقرأت عليه نوادر أبى زيد نظرت واذا أبو زيد هو صاحب هذا القول » ثم قال ناقدا له : « وهذا من أبى زيد غير مرضى عند الجماعة وذلك أن الهاء التى تلحق لبيان الحركات وحروف اللين انما تلحق فى الوقف فاذا صرت الى الوصل حذفتها ألبتة فلم توجد فيه ساكنة ولا متحركة وقد استقصيت هذا الفصل فى كتابى فى شعر المتنبى عند قوله (واحر قلباه ممن قلبه شبم) ودللت هناك على ضعف قول أبى زيد وبيت المتنبى جميعا .

وحكى ابن السراج عن الأخفش أن الهاء فى هناه هاء السكت بدليل قولهم ياهنانيه واستبعد قول ابن جنى وأصحابه لأنه كان يجب عليه أن يقال يا هناهان فى التثنية والمشهور يا هنانيه[٣٤] ، ورد ابن جنى عليه واضح فيما سبق ودليل الأخفش غير مسلم به لاحتمال ألا تكون هنانيه مثنى لكلمة هناه بل لكلمة هن ، وفرق بين الهاء فى هناه وهنانيه .

ونحن نرى أن مخرجى الحرفين الواو والهاء متباعدان على رأى الأقدمين ومنهم ابن جنى فالواو من الشفة والهاء من أقصى الحلق وكان من الواجب اذن عدم القول بالابدال[٣٥] ولكننا نرى أن المحدثين بينوا أن الواو من أقصى اللسان وهذا يعطيها تقاربا أكثر من الهاء ويمكن تفسير هذا التبادل بينهما بأنه وضع لحرف جلد يمكن الاعتماد عليه واجراء الحركات معه والهاء تتحمل ذلك أكثر من الواو وكل صور الابدال بين الواو والياء والألف ووضع الهاء مكانها يمكن تفسيرها بأنها مرحلة من مراحل التطور اللغوى والانتقال من الاعلال الى التصحيح ليقوى اللفظ ويبرز .

---

(٣٤) اللسان ٢٠/٢٤٢ .

(٣٥) لأن ابن جنى شرط التقارب بين الحروف .

التبادل بين الباء والياء :

ذكر ابن جنى أن الباء تبدل ياء فى نحو ثعالى وأرانى فى قول الشاعر — أنشده سيبويه :

لها أشـــارير من لحم تتمـــره   من الثعالى ووخز من أرانيها

قال : أراد الثعالب والأرانب فلم يمكنه أن يقف الباء فأبدل منها حرفا يمكن أن يقفه فى موضع الجر وهو الياء ، وليس أنه حذف من الكلمة شيئا ثم عوض منه الياء ، هذا هو رأى سيبويه — كما حكاه ابن جنى — وهو يرى فيه رأيا آخر عبر عنه بقوله :

ويحتمل أن يكون الثعالى — عندى — جمع ثعالة وهو الثعلب ، أراد أن يقول : ثعايل فقلب ، فقال : (ثعالى) قالوا :

وكـــأن أولاهـــا كعاب مقامر   ضربت على شزن وهن شواعى[1]

أى : شوائع ، ومن أبيات الكتاب :

تـــكاد أواليها تفـــرى جلـــودها   ويكتحل التالى بمور وحاصب[2]

يريد أوائلها ، ولـــه نظائر .

---

(١) وكأن أولاها الخ فى رواية أخرى (وكأن صرعيها) وهما ابلان ترد احداهما حين تصدر الأخرى لكثرتها . الكعاب : فصوص النرد واحدها كعب وكعبة وهو شىء يلعب به فارسى معرب واللعب بها حرام ، الشزن : الكعب ، شواعى مقلوب شوائع أى متفرقة ، والشاعر يشبه أولى الابل (التى يتحدث عنها) فى مجيئها متفرقة متعارضة بعض هنا وبعض هناك — لكثرتها — بكعاب المقامر التى تتضاد وتتفرق . اللســـان ٢/٢١٥ ، ٤/٤٣١ ، ١٠/٥٨ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ١٧/١٠٢ .

(٢) تفرى : تشق وتقطع — المور : الغبار بالريح — الحاصب : ريح شديدة تحمل التراب والحصباء ، يقول : ان أوائل (ما يتحدث عنه من خيل أو ابل) تكاد لسرعتها ونفاذها لغرضها تشق جلودها ولا يبالى بعضها الآخر بما يدخل فى عيونها من تراب تثيره الريح . اللسان ١/٣١٠ ، ٧/٣٧ ، ٢٠/١١ ، ١٢ .

ولكن ابن جنى يعود فيرجح الابدال فيها — كما ذهب اليه سيبويه — وكما هو فى نظيرتها (أرانى) فيقول : الا أن الذى ذهب اليه سيبويه أشبه بقولهم : أرانيها ولأن الثعالة اسم جنس وجمع أسماء الأجناس ضعيف[٣] .

ولكننا لو بحثنا فى العلاقة الصوتية بين الباء والياء فاننا نجد تباعداً فى مخرجيهما وصفاتهما ولذا نحكم بعدم التبادل فيهما بل هما لهجتان[٤] .

ومن أمثلة ما قيل فى التبادل بين الباء والياء ما جاء فى المضعف مثل دبياج — لبيت — ولبيك (على قول يونس) — لا وربيك لا أفعل .

قالوا : (ديباج وديابيج فدل قولهم : ديابيج بالياء على أن أصله : دباج وأنهم استثقلوا تضعيف الباء ومثله لاوربيك لا أفعل أى وربك)[٥] .

وقال بعضهم : لبيت بالحج هو لببت فعلت — بتشديد العين — من قولهم : ألب بالمكان أى أقام به قال مضر بن كعب :

فقلت لها فيىء اليك فاننى حرام وانى بعد ذاك لبيب

أى ملب بالحج[٦] .

ويزعم يونس أن لبيك اسم مفرد وأصله عنده لبب ووزنه عنده فعلل ولا يجوز أن تحمله على فعل — بتشديد العين — لقلة فعل للأسماء

---

(٣) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٢ واللسان ٣٣٢/١ ، ٤١٨ ، ٤١٩ .
(٤) اللهجات العربية د. نجا ص ٦٦ .
(٥) سر الصناعة (الأزهر) ١٤٢ واللسان ٨٦/٣ ، ٤٦٨/٧ ، ١٦٧/١٨ .
(٦) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٢ ، ١٤٣ وانظر الأشمونى ٢٥٣/٢ .

وكثرة فعلل فقلبت الياء التى هى اللام الثانية من لبب ياء هربا من التضعيف وهذا كله منتزع من قول سيبويه والخليل : ان لبيك مأخوذ من قولهم : ألب بالمكان[٧] .

وهذا يدل على أن الياء فى لبيت ولبيك بدل من الباء كراهية التضعيف الذى نشأ عنه الثقل فى كلتيهما ولكن أهل الصنعة — وعلى رأسهم الخليل وسيبويه — خالفوا يونس فلم يقولوا بأن الياء فى لبيت ولبيك بدل من باء بل الياء فيهما أصل فكلمة لبيك اسم مثنى بمنزلة غلامى زيد وصاحبى سعيد فالياء عندهم علم التثنية ووزنه على قولهم فعليك[٧] كما أن سعديك كذلك لا محالة « قال الخليل هو من قولهم دار فلان تلب دارى أى تحاذيها أى أنا مواجهك بما تحب اجابة لك وحكى عنه — أيضا — أنه قال : هو مأخوذ من قولهم أم لبة أى محبة عاطفة ومعناه على هذا اقبالا اليك ومحبة لك وأنشد :

وكنتم كأم لبة طعن ابنها ... اليها فما درت عليه بساعد

وقال ابن الاعرابى : اللب الطاعة وأصله من الاقامة وقولهم لبيك : اللب واحد فاذا ثنيت قلت فى الرفع لبان وفى النصب والخفض لبين ، وكان فى الأصل لبينك أى أطعتك مرتين ثم حذفت النون للاضافة أى أطعتك طاعة مقيما عندك اقامة بعد اقامة[٨] فالياء على هذا للتثنية ونقض أصحاب هذا المذهب رأى يونس بذلك وأبطلوا وجه الشبه الذى ادعاه بين لفظ لبيك وكلمات (عليك — اليك — لديك) واحتج سيبويه على يونس فقال : لو كانت ياء لبيك بمنزلة عليك واليك ولديك لوجب متى أضفتها الى المظهر أن تقرها ألفا كما أنك متى أضفت عليك واختيها الى المظهر أقررت ألفها بحالها فكنت

---

(٧) المصدر السابق ص ١٤٣ .

(٨) لسان العرب ٢/٢٢٦ ، ٢٢٧ والأشمونى ٢/٢٥٢ والكتاب ١/٣٥٢ — ٣٥٤ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون .

تقول : لبى زيد ولبى جعفر كما تقول الى زيد وعلى زيد ولدى سعيد وأنشد قول الشاعر :

دعـوت لمـــا نابنى مســـورا فــلبى فــلبى يــدى مســـور

قال : قوله : فلبى بالياء مع اضافته اياه الى المظهر دلالة على أنه اسم مثنى بمنزلة غلامى زيد وصاحبى سعيد[٩] هــذا عن الياءفى لبيك فهى ياء التثنية وليست بدلا من ياء — كما ذهب يونس — أما ياء لبيت بالحج فهى كذلك — عند أهل الصنعة — وليست بدلا من ياء بل هى الياء فى لبيك التى هى علم التثنية ذلك أنهم اشتقوا من الصوت فعلا فجمعوه من حروفه كما قالوا من سبحان الله سبحلت أى قلت سبحان الله ومن لا اله الا الله هللت ومن لا حول ولا قوة الا بالله حولقت ومن بسم الله بسملت ومن هلم هلممت وكتب الى أبو عــلى من حلب فى شىء سألته عنه فقال قال بعضهم سألتك حاجة فلا ليت لى أى قلت لى لا وسألتك حاجة فلوليت لى أى قلت لى لولا قال : وقالوا : بأبأ الصبى أباه أى قال له يا أباه ... وهذا كثير فكذلك أيضا اشتقوا لبيت من لفظ لبيك فجاء فى لبيت بالياء التى هى للتثنية فى لبيك وعلى هذا قول سيبويه[١٠] .

وقد رجح ابن جنى رأى أهل الصنعة حين قـــال : « والقول بعد ذلك قول سيبويه الا أنه لا يمنع مع ذلك صحة رأى يونس حين قال : « ثم ان أبا عـــلى فيما بعد انتزع لنا شيئا يؤنس به قـــول يونس ولم يقطع بـــهوانما ذكره وهو أنه قال : ليونس أن يحتج فيقول : قوله فلبى يدى انما جاء على قول من قال فى الوصـــل هذه أفعى بسكون الياء عظيمـــة وعصى طويلة فقد حـــكى سيبويه أنهم يقولون ذلك فى الوصل كما يقولونـــه فى الوقف وهـــذا ليس عندنا

---

(٩) سر الصناعة (الأزهـــر) الوجـــه الاول من الورقـــة ١٤٣ والأشمونى ٢/٢٥٣ .

(١٠) المصدر السابق الوجه الثانى من الورقة ١٤٢ .

معنفا وانما فيـــه بعض التأنيس ويرى الأب مرمرجى الدومنكى أن الفعل (لبى) ليس مرتجـــلا — كما فى الفصحى — من لفظة لبيـــك بل يراد به ساعد — أعان — أغاث ، كما أن لفظة لبيك ليست بمثنى وانما يراد منها المعنى السابق للفعل لبى لأسباب :

١ — تاريخ الكلمة يدل على أنها قديمة جدا ودالة على ما كان الساميون يجرونه من الأعمال فى غضون عبادتهم للقمر .

٢ — أن قدماء العرب كانوا يعتقدون أن القمر فى الليالى الأخيرة من الشهر يقع فى ضيقة لشدة الضغط النازل عليه من قبل تهامة أى البحر وهى الكلمة الأكدية التى استقرضتها العربية ولا سيما عربية الجنوب منذ القـــديم كما أن هـــذه اللفظة ذاتها قد ولجت العبريـــة بصورة tehom فكان العرب يصرخون اذ ذاك لبيك لبيك موجهين الكلام الى القمر كأنهم يقولون (ســـاعدك — أو أغاثك أو فليساعدك وليغثك الالـــه مروخ منجيا اياك من (تهامة) وقـــد استمرت هذه العادة القديمة بـــين بعض العامـــة الجهلة فى فرصـــة كسوف القمر لاعتقادهم الخـــرافى أن حوتا يبتلعـــه فيصرخون ويضجون بالدق والقرع على الأوانى النحاسية كالقدور والصوانى وغيرها تهويلا لهذا الحوت المزعوم فيضطر لخوفه الى قذف القمر من فيه وبذلك يزول الكسوف على ظنهم ظن الغباوة .

٣ — أن هذه الكلمة تتبعها لفظة أخرى وهى سعديك وقد أشار سيبويه الى ذلك بقوله « حدثنى أبو الخطاب أنه يقال للرجل المداوم على الشىء لا يفارقه ولا يقلع عنه : قد ألب فلان على كذا وكذا وقـــد أسعد فلان فلانا على أمره وساعده والالباب : المســـاعدة وكما ورد عن البخارى فى جواب معاذ للنبى (لبيك) رسول وسعديك .

٤ — أنها تشبه أهل واستهل أى رفع صوته والاهلال بالحج ومن هذا الصوت صيغت الأفعال (هل — أهل — استهل) .

ثم تطورت دلالتها فأصبحت تطلق على الاجابة والطاعة والتهليل

والتسبيح والتعظيم والنتيجة لكل ذلك أنه « يمكن القول بأن الصيغة (لبيك) ليست من باب التثنية والنصب كما هو الرأى السائد بل هى ضرب من اللفظ القديم بالامالة على مثال الوارد فى اللهجات مثلا : ناديه — توفيه — استهويه — صريط — مشكيه — كيفرين (يقابلها فى الفصيح : نادا ه — توفاه — استهواه — صراط — مكشاة — كافرين) وعلى تعاقب الأزمان ثبت فى الفصحى التلفظ بالفتحة المشبعة كقولك (رماه — وفاها — دعاك) وهكذا تكون لبيك وسعديك من الآثار اللغوية القديمة التى بقيت فى اللغة وسبقت لباك وأسعدك[١١] .

والباحث يرى أن كل تلك الآراء قديمة وحديثة تجعل مادة (لب وألب) أصلا لاشتقاق (لبيت ولبيك) ومعناهما فى النهاية أنا مقيم على طاعتك[١٢] وهذا الاشتقاق صحيح لموافقة المأخوذ للمأخوذ منه فى أصل المعنى والاتجاه ، وبهذا يبدو أن القول باشتقاق (لبيت أو لبيك) أحدهما من الآخر أمر غير سديد كما أن القول بأن لبيك اسم مفرد فيه كثير من التكلف والتعسف وهو رأى يونس وما يراه الأب مرمرجى الدومنكى من أن (لبيك) صيغة من صيغ الامالة لا تؤيده البراهين اللغوية الواقعة اذ لا يوجد ما يؤيد أن (لبيك) كانت تنطق بصيغة الامالة ، والمعهود أن تكون امالة الألف نحو الكسرة مثل « وجاء ربك والملك » « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه » وما هنا لم يتحقق فيه ذلك بل الحرف السابق (للألف — حسب ما يراه) مفتوح فتحة صريحة لا صلة لها بالكسرة بحال وهى لا تتفق والأمثلة اللهجية التى ذكرها بل تلك النظائر أميلت فيها الألف نحو الكسرة على خلاف لبيك وسعديك ، ويبدو أن رأى أهل الصنعة — وعلى رأسهم الخليل وسيبويه فى الذهاب الى أن لفظ (لبيك) مثنى هو أكثر صوابا وقبولا يدل لذلك القاعدة اللغوية المشهورة (الاعراب

---

(١١) معجميات عربية سامية للأب مرمرجى الدومنكى ص ١٧٠ — ١٧٣ .

(١٢) اللسان ٢/٢٢٦ .

فرع المعنى) فمعناها (اجابة لك بعد اجابة واقامة على طاعتك بعد اقامة) وهذا يؤكد أن اللفظ مثنى وأنه منصوب على المصدرية كقولك حمدا لله وشكرا وكان حقه أن يقال : لبالك الا أنه ثنى على معنى التوكيد أى البابا لك بعد الباب واقامة بعد اقامة[١٣] وأما القول بأن الياء فى (لبيت ولبيك) بدل من الباء فيمكن التفصيل فيه فالأقوى احتمالا أن تكون الياء فى الفعل بدلا من الباء تبعا لأصل اشتقاقه من لب أو ألب بالمكان بمعنى أقام به ولزمه فالمتوقع فى الصياغة — تبعا للقواعد العامة أن يكون أصله (ل ب ب — لب ب ت) ثم أبدلت الباء الأخيرة ياء كراهية توالى الأمثال[١٤] وهو قانون بينا أنه منطق علم اللغة الحديث — والأقوى احتمالا — كذلك — ألا تكون الياء فى (لبيك) بدلا من باء — مع اعترافنا برجوعها الى أصل المادة (ل ب ب) — فالمعروف أن (لبيك) كما رجحنا مثنى المصدر (لب) بحالة النصب وأصله (لبان) لك ولبين لك فالظاهر أن الياء هنا علم النصب فى التثنية ولا صلة لها بحرف آخر كالباء اذ الصيغة هنا من الثلاثى وهى ثلاثية أيضا بعكس صيغة الفعل (لبى) فهى رباعية ولابد لصياغتها من لب أن تكون هناك باء أخرى زيدت على الأصل الثلاثى ثم أبدلت منها الياء للمخالفة التى تحقق انسجام الأصوات فى الكلمة .

التبادل بين التاء والياء :

اتسر — اتبس : (من اليسر واليبس) — ثنتان — كيت وذيت .

ذكر ابن جنى أن الابدال بين التاء والياء مقيس فى افتعل مما فاؤه ياء[١٥] .

وأما ثنتان فقال عنها : ويدل على أنه من الياء أنه من ثنيت

---

(١٣) اللسان ٢/٢٢٧ .

(١٤) يقول صاحب اللسان لبيت بالمكان ولببت لغتان اذا اقمت به وهو اصل التلبية كما حكى أبو عبيد عن الخليل . اللسان ٢٠/١٠٤ .

(١٥) سر الصناعة ١/١٦٤ ، ١٦٥ .

لأن الاثنين قد ثنى أحدهما عن صاحبه وأصله ثنى يدل على ذلك جمعهم اياه على أثناء ، بمنزلة أبناء وآخاء فنقلوه من فعل — بفتح الفاء والعين — الى فعل — بكسر الفاء وسكون العين كما فعلوا ذلك فى بنت[١٦] والمثالان الأخيران أصلهما كية وذية ثم انهم حذفوا الهاء وأبدلوا من الياء التى هى لام تاء كما فعلوا ذلك فى (ثنتان) والصيغة فيهما علم التأنيث كما كانت الصيغة فى (ثنتان) كذلك علم التأنيث وليست التاء فيهما منقلبة عن واو وأن أصلهما كيوة وذيوة لأنه يؤدى الى مثال ليس فى كلام العرب « لأنه ليس فى كلامهم لفظة عين فعلها ياء ولام فعلها واو » الا اذا كان علما مثل رجاء بن حيوة لأنه قد يحتمل فى الأعلام ما لا يحتمل فى غيرها[١٧] ، ويمكن أن نطبق على هذه الأمثلة ما ذكرناه فيما سبق وبخاصة أن الأشمونى يقول عن اعراب (ثنتان) ومثل اثنتين ثنتان فى لغة تميم[١٨] وقال قبل ذلك انهما اسمان من أسماء التثنية وليسا بمثنيين حقيقة فليس لرأى ابن جنى مجال من جعلها تثنية (ثنى) وأنها من ثنيته[١٩] ، ولا داعى للتفريق بينها وبين اثنتان على ما تصور ابن جنى وكل ذلك يمكن اعتباره لهجات متعددة لا من قبيل الابدال لعدم العلاقة الصوتية ولا مسوغ للابدال أو الاعتذار عن ابن جنى بعد أن استقر لدى القدماء مخرج الياء ووافقهم عليه المحدثون وهو وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى والتاء على ما سبق من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا وبينهما من الحروف — على رأى ابن جنى نفسه — ض — ل — ر — ن — ط — د ، فالتفسير الصحيح لذلك أنه من اختلاف الناطقين فبعضهم يقول اتسر والآخرون ايتسر وبعضهم يقول اثنتان وآخرون ثنتان وبعض يقول كية وذية وبعض آخر كيت وذيت وهكذا .

---

(١٦) المصدر السابق ١/١٦٩ .
(١٧) المصدر السابق ١/١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ .
(١٨) الأشمونى ١/٧٨ . (١٩) سر الصناعة ١/١٦٩ .

وذكر ابن جنى أن الياء تبدل من التاء مثـــل ايتصلت فقد أبدل الياء من التاء الأولى كراهية التضعيف[٢٠] اذ أصلها اتصلت قـــال : (وايتصلت بمثل ضوء الفرقد) وهذا يخـــالف ما ذكره ابن جنى فى مكان آخر اذ صرح بأن التاء هى التى أبدلت من فاء افتعـــل التى كانت واوا[٢١] خوفا من تلاعب الحركات بالواو فانها لو تركت دون ابدالبالتاء حولتها الحركات المختلفة فيها الى حروف مد من جنسها « فوجب أن يقلبوها اذا انكسر ما قبلها ياء فيقولوا ايتزن ، ايتعد ، ايتلج فـــاذا انضم ما قبلها ردت الى الواو فقـــالوا موتحد وموتزن وموتـــلج واذا انفتح ما قبلهـــا قلبت الفـــا فقـــالوا ياتعد وياتزن وياتلج[٢٢] ، وعلى هذا فالياء فى ايتصل ونحـــوها ليست مبدلة من التاء ـــ كما ذكر ابن جنى فى سر الصناعة حرف الياء بل ان الياء بدل من الواو حولت اليها لمناســـبة الكسرة وهذا التلاعب لهجة عربيـــة اعترف بها ابن جنى نفسه[٢٣] وقد شرحنا ذلك فيما مضى .

التبادل بين الثـــاء واليـــاء :

يفـــديك يا زرع أبى وخـــــالى ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ قد مر يومان وهذا الثـــالى

وأنت بالهجـــران لا تبـــالى

أراد الثالث[٢٤] والواقع أن هذا لا يعد من الابدال بل كل منهما لهجة وذلك لأنه لا تقارب بين الياء والثاء حتى يقع بينهما التبادل .

التبادل بين الجيم والياء :

ذكر ابن جنى أن الياء تبدل من الجيم كما فى كلمة شجرة فانها تنطق

---

(٢٠) المصدر السابق (الأزهر) الورقة ١٤٦ .
(٢١) المصدر السابق ١/١٦٣ .
(٢٢) المصدر السابق ١/١٦٤ .
(٢٣) المصدر السابق ١/١٦٥ .
(٢٤) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٦ .

أحيانا شيرة وقرىء (ولا تقربا هذه الشيرة)[٢٥] وقد عرض ابن جنى لرأيين فيهـا :

الأول : أن الياء ليست بدلا من الجيم بل هى أصل مثلها فى لهجة من اللهجات واستدل على ذلك بأمرين :

١ — ثبات الياء فى تصغيرها فى قولهم (شييرة) ولو كانت بدلا من الجيم لكانوا خلقـاء اذا صـغروا الاسم أن يردوها الى الجيم ليدلوا على الأصل •

٢ — أن شين شجرة مفتوحة وشين شـيرة مكسورة والبدل لا تغير فيه الحركات انما يوقع حرف موقع حرف (مثل أيل وأجـل)[٢٦] • قال أبو الفتح : حكى أبو الفضل الرياشى قال : كنا عند أبى زيد وعندنا أعرابى فقلت له : انه يقول الشـيرة فسـأله عنها فقلت له : سـله عن تصغيرها فسأله فقال : شـييرة وأنشد الأصمعى لبعض الرجاز : (تحسبه بين الآكام شيرة)[٢٧] وقال صاحب البحر : « كره أبو عمرو هذه القراءة وينبغى ألا يكرهها لأنها لغة منقولة » •

الثانى : أن تكون الياء بدلا من الجيم — ببعض الصنعة — فالعرب اذا قلبت وأبدلت قد تغير فى بعض الأحوال مثل جاه مقلوب وجه ألا ترى أنه بعد تقديم العين لم يسكن الواو بل حركها فقلبت ألفا فكذلك غيرت فتحة الشين كسرة وزاد فى الأنس بالكسر أنه لو أقرت الفتحة لقلبت الياء ألفا فيقال شارة فكانت

---

(٢٥) سورة البقرة الآية ٣٥ ، والبحر ١٥٨/١ .

(٢٦) سر الصناعة (الأزهر) الورقـة ١٤٦ ، واللسـان (شـجر) ٦٢/٦ ، ٦٣ .

(٢٧) المحتسب ٧٣/١ ، ٧٤ وانظر اللسـان ٦١/٦ والقـاموس المحيط ٥٦٦/٢ .

تبعد كثيرا عن شجرة ، وليس كذلك كلمة (جاه) لأنه يشبه وجها لسكون ثانيه بخلاف شارة لأن ثانيه ساكن وثانى شجرة متحرك فعدلوا لذلك الى كسر الشين وكان هذا أوفق وأليق[٢٨] .

ويؤنس لهذا الوجه أيضا ما ذكره فى المحتسب « من أن بعض العرب تقول الشجرة (بكسر الشين) وقال ابن اسحاق لغة بنى سليم الشجرة [٢٩] — بكسر الشين — ويعقب صاحب اللسان بأن الواحد شجرة وشجرة — بفتح الشين وكسرها — وقالوا شيرة فأبدلوا ، فاما أن يكون على لغة من قال شجرة — بكسر الشين — واما أن تكون الكسرة لمجاورتها الياء[٣٠] والواقع أن البحث اللغوى الحديث يؤيد الابدال بين الياء والجيم لاتفاقهما فى المخرج فكلاهما من (وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى) وكلاهما مجهور مستفل منفتح مصمت[٣١] ولا مانع من نسبة كل منهما الى حى من العرب وذات الجيم والشين المفتوحة تناسب الحضر لخفتها على حين تناسب المكسورة الشين والمبدلة سكان البادية كبنى سليم وغيرهم من الأعراب .

ويقول ابن جنى بالتبادل كذلك بين الجيم والياء فى المضعف ويمثل لذلك بقولهم فى جمع ديجوج : دياج أصله : دياجيج فأبدلت الجيم الأخيرة ياء وحذفت — مع الياء قبلها — تخفيفا[٣٢] ، ويقول صاحب اللسان : وجمع الديجوج دياجيج ودياج وأصله : دياجيج فخففوه بحذف الجيم الأخيرة ، قال ابن سيدة : التعليل لابن جنى[٣٣] .

---

(٢٨) سر الصناعة (الأزهر) ١٤٦ بتصرف .
(٢٩) المصدر السابق ٧٣/١ ، ٧٤ .
(٣٠) اللسان ٦١/٦ .
(٣١) التجويد والأصوات ٤٩ ، ٥٠ والأصوات اللغوية ٦٤ ، ٦٥ .
(٣٢) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٦ .
(٣٣) اللسان ٨٩/٣ .

وليس من المعقول أن يكون قد حذف الجيم ابتداء بل الأمر يقتضى قلبها أولا الى ياء للانسجام الصوتى ثم حذفت مع الياء قبلها زيادة فى تخفيف اللفظ وبخاصة أنه قد ثقل بالجمع مع وجود الأصوات المتماثلة فى صعيد واحد .

قال الأحمر : بعير أزيَم وأسجم — وهو الذى لا يرغو — قال شمر : الذى سمعت بعير أزجم بالزاى والجيم وقال أبو الهيثم ليس بين الأزيم والأزجم الا تحويله الجيم ياء وهى لغة تميم معروفة[٣٤] .

ونقل عن بنى تميم أنهم يقولون : الصهارى وصهرى فى الصهاريج وصهريج[٣٥] .

التبادل بين الدال والياء :

من أمثلة ذلك (فعلت) من التصدية — وهى التصفيق والصوت قال الأزهرى : يقال صدى يصدى تصديه اذا صفق[٣٦] وأصله صدد يصدد فكثرت الدالات فقلبت احداهن ياء[٣٧] ومنه الثلاثى صددت أصد وصددت أصد بكسر الصاد وضمها فى المضارع وفى التنزيل : ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون أى يعجون ويضجون والاختيار يصدون بالكسر وهى قراءة ابن عباس وفسره يضجون ويعجون .. قال أبو منصور فاذا

---

(٣٤) التهذيب ١٣/٢٧٥ (زيم) وفى اللسان الا تحويله الياء جيما وقد دعا ذلك بعض الباحثين الى عدم نسبة هذه الظاهرة الى تميم مع أن ذلك ثابت كما ورد عن الأزهرى ، لغة تميم لضاحى عبد الباقى ص ٨٥ .

(٣٥) الابدال لأبى الطيب ١/١٦١ والأمالى ٢/٢١٤ .

(٣٦) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٥ ومنه قوله تعالى (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية) فالمكاء الصفير والتصدية التصفيق وقيل للتصفيق تصدية لأن اليدين يتصافقان فيقابل صفق هذه صفق الأخرى وصد هذه صد الأخرى وهما وجهاها . اللسان ٤/٢٣٣ .

(٣٧) اللسان ٤/٢٣٣ .

كان المعنى يضج ويعج فالوجه الجيد صد يصد مثل ضج يضج[٣٨] وأنكر أبو جعفر الرستمى هذا القول على أبى عبيدة وقال : انما هو من الصدى وهو الصوت فكيف يكون مضاعفا ؟ ، وقال أبو على : ليس ينبغى أن يقال هذا خطأ لأنه قد ثبت بقوله يصدون وقوع هذه الكلمة على الصوت وضرب منه واذا كان كذلك لم يمتنع أن يكون تصدية منه ويكون تفعلة من ذلك أصلها تصددة مثل التجلة والتعلة[٣٩] فلما قلبت الدال الثانية من تصدده تخفيفا اختلف اللفظان فبطل الادغام[٤٠] .

التبادل بين الراء والياء :

شيراز — قيراط — تسريت .

أولا : شيراز[٤١] فيه عدة أوجه :

١ — أن تكون الياء بدلا من الراء وذلك من وجهين :

(أ) أن يكون أصله شرازا والجمع شراريز وهذا واضح فى ابدال الياء من الراء الأولى .

(ب) أن يكون أصله شرازا والجمع شواريز ، يقول ابن جنى وقد يجوز — أيضا — على هذا أن يكون أصل واحده شرازا الا أنهم أبدلوا من الراء الأولى ياء — كما ذكرناه — ثم انهم لما جمعوا أبدلوا الياء المبدلة عن الراء واوا لقرب ما بين الياء والواو .

٢ — أن تكون الياء بدلا من الواو : قال ابن جنى : فأما من

---

(٣٨) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٥ واللسان ٢٣٢/٤ .

(٣٩) اذ أصلهما تجللة وتعللة ثم ادغم .

(٤٠) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٥ والأول من الورقة ١٤٦ .

(٤١) اللبن الرائب المستخرج ماؤه ج شواريز وشراريز وشآريز فيمن يقول : شئراز انظر مادة (شرز) القاموس : ١٨٥/٢ .

قال فى شيراز شواريز فانه جعل الياء فيه مبدلة من واو وكان أصله على هذا شورازا فلما سكنت الواو وانكسر ما قبلها قلبت ياء ثم انه لما زالت الكسرة فى الجمع رجعت الواو فقالوا شواريز فان قلت : فان بناء فعوال ليس موجودا فى الكلام فمن اين حملت واحد شواريز عليه ؟ فالجواب : أن ذلك انما رفض فى الواحد لأجل وقوع الواو ساكنة بعد الكسرة فلم يمكن اظهارها فلما لم يصلوا الى اظهار الواو فى الواحد لما ذكرناه وكانوا يريدونها أظهروها فى الجمع ليدلوا على ما أرادوه فى الواحد ليعلموا أنها لم تزد فى الواحد ياء فى أول أحوالها وأنها ليست كديماس ودياميس ولا كديباج ودبابيج فيمن نطق بالياء بعد الدال والدليل على كون الياء فى شيراز بدلاً من الواو فى شوراز وأنها بمنزلة ياء ديماس ظهورها فى الجمع شواريز)[٤٢] .

٣ — أن تكون الياء غير مبدلة من راء ولا واو بمنزلة ياء ديماس قال ابن جنى : ويحتمل قولهم عندى شواريز قولا آخر على غير المذهب الأول وهو أن يكون شيراز فيعالا والياء فيه غير مبدلة من راء ولا واو بمنزلة ديماس وكان قياسه على هذا أن يقولوا فى تكسيره شياريز كدياميس ولكنهم أبدلوا من الياء واوا لضرب من التوسع فى اللغة وذلك أن الواو فى هذا المثال المكسر أعم تصرفا من الياء ألا ترى الى كثرة نحو ضوارب وقواتل ... وقلة صيارف وبياطر فلما ألقيت الواو فى هذه الأمثلة المكسرة وكانت أعم تصرفا من الياء قلبت الياء أيضا فى شياريز واوا فى شواريز كما قلبت الواو أيضا فى نحو هذا من مكسر الأمثلة ياء لضرب من الاتساع فى الكلام وقالوا فى جمع ناطل ... نياطل ولم يقولوا نواطل مثل خواتم

---

(٤٢) المصدر السابق (الأزهر) ٤٣ .

ودانــق قــال لبيد : (تكر عليهم بالمزاج النياطل)[٤٣] وقد زجح ابن جنى أن تكون غير مبدلة من راء ولا واو حيث يقول بعد حديثــه عن الرأى الأول مشيرا الى الرأى الثالث الذى معنا وكان قد ذكــره قبله — والقول الذى قبل هذا أشبه .

ثانيا : قــيراط : أصــله قــراط بالتشديد لأن جمعــه قراريط فأبدل من احدى حرفى تضعيفه ياء .. قال ابن دريد : أصل القيراط من قولهم : قرط عليه اذا أعطاه قليــلا والياء فى قــيراط بدل من الراء[٤٤] .

ثالثا : تسربت : هذا الفعل مأخوذ من السرية[٤٥] بتشديد السين المضمومة وتشديد الراء المكسورة وقد اختلف فى اشتقاقها على الوجوه الآتيــة :

١ — من سراة الشىء : وسراة الشىء أعلاه وما ارتفع منه[٤٦] وأصلها على هذا (فعيلة) سريوة لأن السراة من الواو ويظهر ذلك فى جمعها على سروات يقول الفرزدق :

وأصــبح مبيض الصــقيع كأنه   على سروات النبت قطن مندف

فاجتمعت الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء[٤٧] .

٢ — من السرو بمعنى المروءة والشرف يقال سرو يسرو سراوة

---

(٤٣) الأزهر الوجه الثانى من الورقة ١٤٣ ، ١٤٤ وانظر المحتسب ١٥٧/١ والنياطل : جمع ناطل وهو القدح الصــغير الذى يعرض فيــه الساقى أنموذجه من الشراب على الندامى ، وقال الجوهرى : انــه جمع نيطل لأن فاعلا لا يجمع على فياعل . اللسان ١٩٠/١٤ .

(٤٤) القيراط معيار فى الوزن وفى القياس تختلف مقاديره باختلاف الأزمنة ، ويقال القيراط والقراط بالتشديد انظر القاموس ٣٩٢/٢ ، ٣٩٣ واللسان (قرط) ٣٥٢/٩ والمعجم الوسيط ٧٢٧/٢ .

(٤٥) الجارية المتخذة للملك والجماع والأمة التى بوأتها بيتا .

(٤٦) اللسان ١٠٠/١٩ .

(٤٧) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الأول ورقة ١٤٥ .

وسروا أى صار سريا وله صلة بالمعنى السابق اذ الشرف والمروءة ارتفاع عن الدنايا ومن هنا قال أبو العباس : السرى الرفيع فى كلام العرب ومعنى سرو الرجل يسرو أى ارتفع يرتفع فهو رفيع مأخوذ من سراة كل شىء ما ارتفع منه وعلا(٤٨) الا أن سرية على هذا يكون أصلها فعولة من السرو وقلبت الواو الأخيرة ياء طلبا للخفة ثم ادغمت الواو فيها فصارت ياء مثلها ثم حولت الضمة كسرة لمجاورة الياء(٤٩) .

٣ — من السرور وبه قال أبو الحسن الأخفش يقول ابن جنى : والذى ذهب اليه أبو الحسن أنها فعلية من السرور لأن صاحبها يسر بها ، ودفع أبو الحسن ما سبق من الآراء وقال ان الموضع الذى تؤتى المرأة منه ليس أعلاها ولاسراتها قال ابن جنى : والقول ما قال(٥٠) .

٤ — (أ) من السر بمعنى الجماع لأنه يكتم « وذلك أن صاحبها أبدا يخفيها ويسر أمرها من حرته وصاحبة منزله »(٥١) وهى فعلية بهذا الاشتقاق أيضا وضمت السين للفرق بين الحرة والأمة توطأ فيقال للحرة اذا نكحت سرا أو كانت فاجرة سرية — بكسر السين — وللمملوكة يتسراها صاحبها سرية — بضم السين مخافة اللبس(٥٢) .

(ب) من السر بمعنى السرور وبه قال أبو الهيثم ولعل هذا مأخوذ من رأى أبى الحسن الأخفش السابق .

٥ — من السرى يقول ابن جنى : « ولو قال قائل انها فعيلة من

---

(٤٨) اللسان ١٩/٩٩ ، ١٠٠ .
(٤٩) المصدر السابق ٦/٢٢ .
(٥٠) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الأول ورقة ١٤٥ .
(٥١) المصدر السابق (الأزهر) ١٤٥ .
(٥٢) اللسان ٦/٢٢ .

سريت أى سرت ليلا اليها لأن فى ذلك ضربا من الاخفاء والستر لكان قولا »[٥٣] .

ومن هذه الآراء يتلخص لنا أن وزنها اما فعلية — كما هو الرأى الثالث والرابع — واما فعيلة — كما هو الرأى الأول والخامس — واما فعولة — كما هو الرأى الثانى — وعلى أخذها من السرى لا يتحقق الابدال فى شىء من الحروف لأن الياء تكون أصلية فى موضعها ، وعلى أخذها من السراة والسرو يكون الابدال من الواو الى الياء — كما هو مبين سابقا — وليس من بابنا الذى نتحدث عنه ، ويتحقق ما أردناه اذا أخذت من السر أو السرور اذ تكون السرية من (مادة س ر ر) المكررة الراء ويكون تسريت أصله تسررت على تحويل التضعيف فالراء أبدلت ياء لما توالى ثلاث راءات ، ولذلك قال ابن جنى ان حملها على أنها فعيلة أوجه لأمرين :

(أ) لأن فعلية أكثر فى الكلام من فعيلة .

(ب) معنى السر والسرور أظهر من معنى السراة والسرى[٥٤] .

التبادل بين السين والياء :

قال الشاعر :

اذا ما عد أربعة فسال فزوجك خامس وأبوك سادى

وقال الآخر :

بويزل أعوام أذاعت بخمسة وتعتدنى ان لم يق الله ساديا

وقال ثالث :

مضى ثلاث سنين منذ حل بها وعام حلت وهذا التابع الخامى

---

(٥٣) سر الصناعة (الأزهر) ١٤٥ .

(٥٤) المصدر السابق .

وقـــال :

عمر بن كعب بن عبـــد اللـــه بينهمـــا
وابناهما خمسة والحارث الســـادى[٥٥]

والواقع أنه لا ابدال بين السين والياء لعدم التقارب فى المخرج أو الصفة فكل منهما لغة لقوم ، يقول ابن منظور فى لسانه : والسادى : السادس فى بعض اللغات وذكر البيت الأول[٥٦] .

التبادل بين الصـــاد والياء :

يذكر ابن جنى من ذلك (قصيت أظـــافرى والأصل قصصتها) فقلبت احدى الصادات ياء كراهية التضعيف[٥٧] .

التبادل بين الضـــاد والياء :

وهذا مثـــل تقضى بمعنى انقض وأصـــله تقضض عـــلى وزن (تفعل) من الانقضاض قال الشـــاعر :

تقضى البـــازى اذا البـــازى كسر

ويجوز أن يكون (تقضى البازى) تفعلا من قضيت بمعنى عملته وصنعت قـــال أبو ذؤيب :

وعليهما مسرودتـــان قضاهمـــا داود أو صنع السوابغ تبـــع

أى عملهما .

وعلى ذلك يكون معنى تقضى البازى أى عمل البازى فى طيرانه والوجه هو الأول[٥٧] .

---

(٥٥) سر الصناعة (الأزهر) ١٤٢ وانظر اللسان ٨٦/٣ ، ٤٦٨/٧ ، ١٦٧/١٨ .

(٥٦) ٩٩/١٩ .

(٥٧) سر الصناعة (الأزهر) ١٤٥ والمحتسب ١٥٧/١ وانظر اللسان ١٤٤/١٧ ، ٤٥/٢٠ قال ابن جنى وقـــد يجوز عندى أن يكون قصيت فعلت من أقاصى الشيء لأن أقاصـــيه أطـــرافه والمـــأخوذ من الأظفـــار انمـــا هو أطرافها وأقاصيها فلا يكون فى هذا بدل .

التبادل بين العين والياء :

من ذلك قول الشاعر أنشده سيبويه :

ومنهل ليس بـه حـوازق وللضفـادى جمـة نقـائق

يريد للضفادع جمة فكره أن يسكن العين فى موضع الحركة فأبدل منها حرفا يكون ساكنا فى حال الجر وهو الياء(٥٨) .

والواضح أنها لغة وليست من الابـدال فى شىء لعدم تقـارب مخرجى الحرفين وصفاتهما .

وفى المضعف قـالوا : تلعيت من اللعاعـة وهى بقلة وأصـله تلععت(٥٩) ويقول صاحب اللسان :

واللعاعة أيضا بقلة من ثمر الحشيش تؤكل وألعت الأرض تلع العاعا أنبتت اللعاع وتلعى اللعاع أكله وهو من محـول التضـعيف يقال : خرجنـا نتلعى أى نأكل اللعاع كان فى الأصـل نتلعع مكرر العينات فقلبت احداها ياء(٦٠) .

التبادل بين الكاف والياء :

من ذلك « مكوك ومكاكى أصله مكاكيك مثل سفود وسفافيد(٦١) فأبدل كراهية التضعيف ... وفى حديث أنس أن رسول الله ﷺ : كان يتوضأ بمكوك ويغتسـل بخمس مكاكيك وفى روايـة بخمس مـكاكى(٦٢) .

---

(٥٨) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الأول من الورقة ١٤٦ وانظر اللسان (ضفدع) ١٠/٩٤ .
(٥٩) المصدر السابق الوجه الأول من الورقة ١٤٦ .
(٦٠) اللسـان ١٠/ ١٩٥ .
(٦١) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٦ .
(٦٢) اللسـان ١٢/٣٨١ .

التبادل بين اللام والياء :

من ذلك أمليت وأصلها أمللت وهما لغتان قال ابن جنى : قولهم أمليت الكتاب انما أصله أمللت فأبدلت اللام الآخرة هربا من التضعيف فقد جاء القرآن باللغتين جميعا قال الله عز وجـل : « فليملل الذى عليه الحق » وقـال « فهى تملى عليه بكرة وأصيلا »(٦٣) وفى اللسان قال الفراء : أمللت لغة أهل الحجاز وبنى أسد وأمليت لغة بنى تميم وقيس(٦٤) وقرأ عكرمة (ايلاً ولا ذمة) بياء بعد الكسرة خفيفة اللام(٦٥) وأصلها (الا) تحولت اللام المضعفة الى الياء وقد أشار ابن جنى الى حدوث الثقل باجتمـاع المثلين وأن ذلك يؤدى الى تخفيفهما باتباع قانون المخالفة يقول (طريق الصنعة فيه أن يكون أراد (الا) كقراءة الجماعة الا أنه أبدل اللام الأولى ياء لثقل الادغام وانضاف الى ذلك كسرة الهمزة وثقل الهمزة وقد جاء نحو هذا فى أحرف صالحة كدينار لقولهم دنانير وقيراط لقولهم قراريط وديماس فيمن قـال : دماميس وديباج فيمن قال ديابيج وشيراز فيمن قال : شراريز(٦٥) ..

التبادل بين الميم واليـاء :

ديماس — يأتمى — يكموا — معميـة .

(أ) قال سيبويه : من قال فى جمع ديماس دماميس فالياء فيه بدل من الميم اذ أصله حينئذ دماس فأبدل كراهية التضعيف(٦٦) .

---

(٦٣) سر الصناعة (الأزهـر) الوجـه الثانى من الورقـة ١٤٥ ؛ والمحتسب ٥٧/١ واللسان ١٤٤/١٧ ، ٤٥/٢٠ .

(٦٤) ١٥٣/١٤ ، ١٥٤ .

(٦٥) المحتسب ٢٨٣/١ ، ٢٨٤ والخصائص ٢٣١/٢ .

(٦٦) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٥ بتصرف واللسـان ٣٩٠/٢ ، ٣٩١ .

(ب) قال الشاعر : أخبرنا أبو على باسناده عن يعقوب عن ابن الأعرابى أنه أنشده :

نزور أمـرأ أمـا الالـه فيتقى وأمـا بفعـل الصالحين فيأتمى

أراد : يأتم فأبدل الميم الثانية ياء[٦٧] .

(جـ) وقـال فى قول الراجـز : (بـل لو رأيت النـاس اذ تكموا ... الخ) .

قالوا أراد تكمموا من تكممت الشىء اذا سترته فأبدلت الميم الأخيرة ياء فصارت فى التقدير (تكميوا) ، فأسـكنت الياء وحذفت كما تقول : قد تولوا من وليت ، وذكر ابن جنى احتمالا آخر فيـه وهو أن يكون تكموا تفعلوا من كميت الشىء اذا سترته ومنه قولهم كمى وهو الذى تستر فى سلاحه فيكون تكموا عـلى هذا مما لامه معتلة ولا يكون أصله من ذوات التضعيف[٦٨] وقال ذو الرمة :

منطقـة بالآل معميـة بـه ديا جيرها الوسطى وتبدو صدورها

قال ابن الأعرابى : أراد معممة فأبدل من الميم ياء ، وجوز ابن جنى أن يكون مشتقا من العمى[٦٩] وعلى هذا لا ابدال فيه .

وكذلك قولـه : أيما فى (أما) فأبدل من الميم المضعفة ياء[٧٠] استثقالا للتضعيف وحده ، قال سعد بن قرط يهجو أمه :

ياليتمـا أمنـا شـالت نعامتهـا أيمـا الى جنـة أيما الى نـار

وقال عمر بن أبى ربيعـة :

رأت رجـلا أيمـا اذا الشمس عارضت

فيضحى وأيمـا بالعشى فيخصر[٧١]

---

(٦٧) المصدر السابق الورقة ١٤٥ واللسان ٤٨/١٨ .

(٦٨) المصدر السابق (الأزهر) الورقة ١٤٥ وانظر اللسان ٣٧٨/٥ ، ٤٣٢/١٥ ، ٤٣٣ ، ١٤٣/١٧ ، ١٣٩/١٩ .

(٦٩) المصدر السابق الوجه الثانى من الورقة ١٤٥ .

(٧٠) الخصائص ٦٥/٢ والمحتسب ٢٨٣/١ .

(٧١) المحتسب ٢٨٣/١ .

التبادل بين النـــون والياء :

(أ) دينـــار   (ب) لم يتسن   (جـ) تظنيت

(أ) أصله دنار والقول فيه كالقول فى قيراط لقولهم فى التكسير دنانير ولم يقولوا ديانير وكذلك التحقير وهو دنينير ، فقلبت احدى النونين ياء كراهية التضعيف ولئلا يلتبس بالمصادر التى تجىء عـلى فعال — بتشديد العين — كقوله تعالى : (وكذبوا بآياتنا كذابا) الا أن يكون بالهاء فيخرج على أصله مثل الصنارة والدنامة لأنه أمن الآن من الالتباس ولذلك جمع على دنانير قال أبو منصور : دينار وقيراط وديباج أصلها أعجمية غير أن العرب تكلمت بها قديما فصارت عربية ويلاحظ أن العرب يخففون ما يجرى على ألسنتهم سواء كان عربيا أصـــيلا أو معربا كما هو واضح هنا .

(ب) لم يتسن : يقول ابن جنى « قرأت على أبى على باسناده عن أبى عبيدة قال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : لم يتسن : لم يتغير من قوله تعالى من حمأ مسنون أى متغير فقلت له : لم يتسن من ذوات الياء ومسنون من ذوات التضعيف فقال هو مثل تظنيت وهو من الظن فأصله على هذا القول لم يتسنن ثم قلبت النون الآخرة ياء هربا من التضعيف فصار يتسنى بسكون الياء ثم أبدلت الياء ألفا فصار يتسنى ثم حذفت الألف للجزم فصار لم يتسن .

(جـ) تظنيت أصله تظننت حولت احدى النونات ياء قال ابن جنى ومن ذلك قولهم تظنيت وهو تفعلت من الظن وأصـــلها تظننت فقلبت النون الثالثة ياء كراهية التضعيف[٧٢] .

---

(٧٢) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٥ وانظر اللسـان ٣٧٨/٥ ، ٤٣٢/١٥ ، ١٣٣ ، ١٤٣/١٧ ، ١٢٩/١٩ .

التبادل بين الهاء والياء :

(أ) صهصيت ، يقال : صه القوم وصهصه بهم : زجرهم[٧٣] وقالوا فى صهصهت بالرجل : اذا قلت له صه صه : صهصيت ، فأبدلوا من الهاء ياء .

(ب) دهديت ، قالوا : دهديت الحجر ، أى : دحرجته واصله دهدهته ، ألا تراهم قالوا : دهدوهة الجعل لما يدحرجه ، قال أبو النجم :

كأن صوت جرعها المستعجل   جندلة دهديتها فى جندل[٧٤]

دهدهت الحجارة ودهديتها اذا دحرجتها فتدهده الحجر .

(جـ) هذه فى هذى — هنية فى تصغير هنة — زنادقة وفرازنة[٧٥] .

ويقول ابن جنى فى هذى وهذه : ابدلت الهاء من الياء بدليل التصغير ذيا فى تصغير ذا — ويكتفى به عن تصغير ذى — فكما لا نجد الهاء فى المذكر (ذا) أصلا فكذلك هى فى المؤنث بدل غير أصل ، وليست الهاء فى هذه بمنزلة هاء طلحة وحمزة لأن الهاء فى طلحة

---

(٧٣) اللسان ٤٠٦/١٧ .

(٧٤) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الأول من الورقة ١٤٢ .
الجعل : — بضم الجيم وفتح العين — دابة سوداء من دواب الأرض ، قيل : هو أبو جعران — بفتح الجيم — وجمعه جعلان — بكسر الجيم — وقيل : هو حيوان معروف كالخنفساء ، ودهدوهة الجعل : ما يدحرجه من الخرء (النتن) بأنفه ، وجرع الماء : بلعه وكذلك تجرعه ، وقال ابن الأثير : التجرع : شرب فى عجله أو قليلا قليلا ، الجندل : الحجارة ، الواحدة : جندلة . اللسان ٣٩٥/٩ ، ١١٨/١٣ ، ١١٩ ، ١٣٦ ، ٣٨٢/١٧ .

(٧٥) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٠٥ — ١٠٧ .

وحمزة زائدة والهاء فى هذه ليست بزائدة انما هى بدل من الياء التى هى عين الفعل فى هذى وأيضا فان الهاء فى حمزة نجدها فى الوصل تاء والهاء فى هذه ثابتة فى الوصل ثباتها فى الوقف(٧٦) ولم تترك ساكنة (هذه) مع أنها فى اسم غير متمكن لأنها شبهت بهاء الضمير مثل مررت بـه وغلامه على أن منهم من يسكنها فى الوصـل عـلى أصل القياس فيقول هذه هند ولكن يجب تحركها بالكسر اذا التقت مع ساكن مثل هذه المرأة والأشبه أن يكون صاحب لغة التسكين قـد رجع الى أصحاب لغة التحريك لمـا اضطر الى تحريكها (٧٧) وكما أن من قال هم قاموا فسكن الميم اذا احتاج الى تحريكها رجع الى لغـة من ضمها فى هم فقال : هم الذين يقولون ... ومن قال هم قاموا فأسكن الميم من هم متى احتـاج رد اليها الضـمة التى فى لغة من يقول : همو قاموا وعلى هذا قراءة أبى عمرو وغيره « هم الذين يقولون » و « انهم هم الفـاسقون » ألا تـراه يقـرأ « وهم بـدأوكم » و « انهم كانوا كافرين » وغير ذلك مسكن الميم(٧٨) .

ومن ابدال الهاء من الياء قولهم فى تصغير هنة هنيهة وأصلها الأول هنيوة لأن لام الفعل فى تصريف هذه الكلمة واو لقولهم : على هنوات شأنها متتابع ... فانما الهاء فى هنيهة بدل من الياء فى هنية والياء فى هنية بدل من الواو فى هنيوة(٧٩) .

وقـد صرح ابن جنى بالتعـويض فى زنـادقة وفـرازنة فقـال : فاما قولهم : الهاء فى زنادقـة وفرزانـة بدل من اليـاء فى زنـاديق وفرازين فليس يريدون بذلك البدل عـلى حد ابدالهم

---

(٧٦) سر الصناعة الورقة ١٠٦ الوجهان بتصرف ولسـان العرب ٣٣٧/٢٠ .
(٧٧) سر الصناعة ص ١٠٦ .
(٧٨) المصدر السابق مخطوطة الأزهر الوجه الثانى من الورقة ١٠٦ .
(٧٩) المصدر السابق الوجه الاول من الورقة ١٠٧ .

الألف فى قام وباع من الواو والياء وانما يعنون أن الهاء لما طال الكلام بها صارت كالعوض من الياء كما صارت لطول الكلام من الفعل والفاعل فى نحو حضر القاضى امرأة عوضا من تاء التأنيث فى حضرت وهذا باب واسع(٨٠) .

وقد حاول بعض اللغويين — أيضا — تسويغ الابدال فقالوا فى هذى حولت الهاء الأخيرة ياء لقرب شبهها بالهاء ، ألا ترى أن الياء مدة والهاء نفس ومن هنا صار مجرى الياء والواو والألف والهاء فى روى الشعر شيئا واحدا نحو قوله : (لمن طلل كالوحى عاف منازله) ، فاللام هو الروى والهاء وصل الروى كما أنها لو لم تكن لمدت اللام حتى تخرج من مدتها واو أو ياء أو ألف للوصل نحو منازلى ومنازلو ؛ ابن سيدة وكذلك دهدهت ودهديت الياء بدل من الهاء لأنها مثلها فى الخفاء كما أبدلت هى منها فى قولهم ذه أمة الله وكذلك قال الجوهرى(٨١) .

والناظر فى هذه النصوص المعجمية يلاحظ أنها تسوغ التبادل بين الهاء والياء بوجود أوجه الشبه المذكورة ولكنها ليست بشىء فى نظر علماء اللغة المحدثين لبعد المخارج واختلاف الصفات فالهاء تخرج من أقصى الحلق وهى صوت مهموس رخو مستفل منفتح مصمت (ضعيف)(٨٢) أما الياء (المذكورة) فتخرج من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى وهى صوت مجهور مستفل منفتح مصمت قوى(٨٣) ، فالاختلاف جذرى بينهما لأنه يتناول المخرج ومعظم الصفات القوية فلا مسوغ للتبادل بينهما ووضع حرف مكان آخر فى قافية البيت لا يعطى أهمية خاصة فى الابدال اذ ان جواز حلول حرف فى القافية ومشاركة آخر له فى ذلك أمر عرف عن

---

(٨٠) المصدر السابق .
(٨١) اللسان ٣٨٢/١٧ .
(٨٢) التجويد والأصوات ص٥٥ .
(٨٣) المصدر السابق ص ٥١ .

العرب مسموعا فى النظم فيتبع — لهذا فقط — أما الحكم بجواز التبادل بينهما على ذلك فلا مسوغ له لأن تلك جهة أخرى والعلاقة منفصمة والا فان الواو والألف تقعان وصلا أيضا كما تقع تلك الحروف ومع ذلك قلنا بعدم التبادل بينهما ، ولكن التوجيه الموفق لحلول الياء محل الهاء هو تخفيف نطق الكلمة بمنع وجود أصوات متماثلة فيها جريا على قانون المخالفة الصوتية فالكلمات السابقة وأشباهها يحل فيها أحد الحرفين (الياء والهاء)محل الآخر بعد حذفه على سبيل التعويض وهى لغات[٨٤] .

ملاحظات لغوية : نرى من النماذج السابقة أن تجاور الحرفين المتماثلين أو تقارب مكانيهما — كما هو مبين فى الفصل بينهما بياء مثل ماكاكيك ودياجيج — يؤدى الى تطور أحدهما الى صوت مخالف هو الياء » وهذا التطور — كما ذكرنا آنفا — هو احدى نظريات السهولة التى نادى بها كثير من المحدثين والتى تشير الى أن الانسان فى نطقه يميل الى تلمس الأصوات السهلة التى لا تحتاج الى جهد عضلى فيبدل مع الأيام بالأصوات الصعبة فى لغته نظائرها السهلة فنرى أحد المتماثلين المتجاورين يقلب الى صوت لين أو ما يشبه أصوات اللين كالميم فى مثل الرمس والرس والنون فى مثل العنبسة : الأسد[٨٥] ، وقد اعترف القدماء بكراهية التضعيف ولعلهم كانوا يريدون بهذا انه يحتاج الى مجهود عضلى[٨٦] ، ولكن هذا الرأى لم يرتضه الأستاذ العلايلى بل ذهب الى عكسه تماما فادعى أن الأصل فى الكلمات المضاعفة (التى تحتوى على حرفين متماثلين) هو المخالفة بكون أحد المتماثلين حرفا من حروف العلة وذلك فى اطار

---

(٨٤) اللسان ٣٣٧/٢٠ .

(٨٥) الأصوات اللغوية ١٥٤ .

(٨٦) المصدر السابق ١٥٣ .

بحثه عن أصول الألفاظ فى اللغة العربية وأنها كانت ثنائية معلة ثم صححت فى مراحل تطورية متأخرة ، وهذا الرأى الذى ذهب اليه الأستاذ العلايلى لم يوافقه عليه المحدثون من علماء اللغـة بل انهم يؤيدون قانون المخالفة السابق وأن المضعف هو الأصل ثم ان التطور أدى الى قلب أحـد المتماثلين ياء كراهيـة التضعيف ولتقليل الجهد العضلى ، وهذه الظـاهرة تنسب الى القبـائل البدويـة كبنى تميم وعبد القيس ، وهم بطن من أسد ؛ وقد توطنوا شبه الجزيرة فى جوار تميم وبكر بن وائل[٨٧] وان القبـائل الحضرية — كأهل الحجاز — تميل الى اعطاء صوت ما يستحقه من الوضوح ، واذا وجد التحول من المضعف الى الياء فى بعض البيئات الحضريـة أو العـكس فى البيئات البدوية فذلك على سبيل التأثر والتأثير •

---

(٨٧) النهاية للقلقشندى ص ٣٣٨ •

ثانيا : الابدال في الحركات

ذلك يتنوع بين ما يتصل ببينة الكلمـــة وما يتعلق ببنائها ونذكر صورا من ذلك مما له مصطلح لهجى أو لغوى •

الوكم :

هو كسر كاف الخطاب فى الجمع عند فريق من العرب ، فالمشهور أن جمهور العرب يضم كاف الخطـــاب للجمـــع مطلقا دون نظر الى الحرف أو الحركة التى تسبقها •

ولكن ربيعة أو بكر بن وائل يكسرون هـــذه الكاف اذا سبقته بياء أو كسرة فى مثل (عليكم) و (بكم) وذلك مناســـبة للياء أو الكسرة قبلها •

وسيبويه يصف هذه اللهجة بالرداءة فيقول عند الحـــديث عن كسر الكاف فى (أحلامكم) من قول الشاعر :

وان قـــال مولاهم عـــلى جـــل حـــادث
من الدهـــر ردوا فضـــل احلامكم ردوا

وانمـــا كسرت الكاف من (أحـــلامكم) ونحوه تشبيها لها بهاء (أحلامهم) لأنها اختها فى الاضمار ومناسبة لها فى الهمس وذلك ضعيف لأن أصل الهاء الضم والكسر عارض عليها بخلاف الكاف فحمل الكاف عليها بعيد ضعيف لأنها أبين وأشد[1] •

---

(١) الكتاب ١٩٧/٤ بتصرف .

وقد وصفها المبرد بأنها غلط فاحش قال وناس من بكر بن وائل يجرون الكاف مجرى الهاء ، اذا كانت مهموسة مثلها . وكانت علامة إضمار كالهاء وذلك غلط فاحش منهم ، لأنها لم تشبهها فى الخفاء الذى من أجله جاز ذلك فى الهاء ، وانما ينبغى أن يجرى الحرف مجرى غيره اذا أشبهه فى علته ، فيقولون : مررت بكم وينشدون هذا البيت : وان قال مولاهم ... الخ[٢] .

وبعض العلماء نسب هذه اللهجة لربيعة وناس من بكر معا ، وربما تسرب ذلك من الآرامية والعبرية اللتين كانتا مجاورتين لسكان الطائفتين قريبا من العراق .

الوهم :

المعروف أن هاء ضمير الغيبة للجمع تكسر اذا كان قبلها ياء أو كسرة فى مثل قوله تعالى : (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم) وقوله سبحانه : (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) وقوله عز وجل (أسمع بهم وأبصر) وقوله جل وعلا (أولئك على هدى من ربهم) .

وتضم الهاء فى غير ذلك كما فى قوله تعالى : (ومما رزقناهم ينفقون) وقوله : (وان جندنا لهم الغالبون) .

وبنو كلب يكسرون هاء ضمير الجمع الغائب مطلقا سواء سبقت الهاء بياء أو كسرة أو لا فيقولون : فيهم — عنهم — بينهم . قال سيبويه : واعلم أن قوما من ربيعة يقولون (منهم) اتبعوها الكسرة ، ولم يكن المسكن حاجزا حصينا عندهم ، وهى لغة رديئة ، فاذا فصلت بين الهاء والكسرة فالزم الأصل ، لأنك قد تجرى على الأصل ولا حاجز

---

(٢) المقتضب ١/٢٦٩ ، ٢٧٠ .

بينهما ، فاذا تراخت وكان بينهما حاجز لم تلتق المشابهة ، ألا ترى أنك اذا حركت الصاد فقلت : صدق كان من يحقق الصاد أكثر لأن بينهما حركة ، واذا قال مصادر فجعل بينهما حرفا ازداد التحقيق كثرة ، فكذلك هذه[٣] ، وبعضهم — وهم بعض ربيعة أو كلب بن وبرة من قضاعة — يضمون هاء (هم) دائما سواء تقدم عليها ياء أو كسرة أو لم يتقدم ، وتسمى هذه اللهجة الأخرى بالوهم .

تلتلـة بهـراء :

هى كسر حرف المضارعة عدا الياء[٤] ، وهذا فى الأفعال التى زادت على ثلاثة أحرف ومن ذلك ما ذكره ابن فارس فى كتابه الصاحبى ، قال فى (باب القول فى اختلاف لغات العرب) :

« اختلاف لغات العرب من وجوه ، احدها : الاختلاف فى الحركات كقولنا (نستعين) و (يستعين) بفتح النون وكسرها . قال الفراء : هى مفتوحة فى لغة قريش وأسد وغيرهم يقولونها بالكسر »[٥] .

وعند تفسير قوله تعالى : (اياك نعبد واياك نستعين) قال أبو حيان فى البحر : « وفتح نون نستعين قرأ بها الجمهور وهى لغة الحجاز وهى الفصحى وقرأ عبيد بن عمير الليثى وزيد بن حبيش ويحيى بن وثاب والنخعى والأعمش بكسرها وهى لغة قيس وتميم وأسد وربيعة ، وكذلك حكم حرف المضارعة فى هذا الفعل وما أشبهه »[٦] .

أما فى الثلاثى فاذا كان الفعل أجوف أو ناقصا أو مضاعفا

---

(٣) الكتاب ١٩٦/٤ وانظر المزهر نقلا عنه ٢٢٢/١ .

(٤) القاعدة عند أكثر العرب انهم يفتحون حرف المضارعة فى جميع الأفعال الا الرباعى منها فانهم يحركونه بالضم .

(٥) الصاحبى : ٢٨ . (٦) البحر المحيط ٢٣/١ ، ٢٤ .

وكان الماضى مكسور العين فلغة غير الحجازيين كسر حرف المضارعة الا اليــاء .

يقول سيبويه : « هذا باب ما تكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة للأسماء كما كسرت ثانى الحروف[٧] حين قلت فعل وذلك عند جميع العرب الا أهل الحجاز وذلك قولهم : أنت تِعلم ذاك وأنا اعلم وهى تعلم ونحو ذاك ، وكذلك كل شىء فيه فعــل من بنات الياء والواو التى التى الياء والواو فيهن لام أو عين والمضاعف وذلك قولك شقيت فأنت تشقى وخشيت فأنا اخشى ، وخلنا فنحن نخــال ، وعضضن فأنتن تعضين »[٨] .

وقال ابن جنى : « وأما تلتلــة بهراء فــانهم يقولون يعلمون وتفعلون وتصنعون [٩] بكسر أوائل الحروف » وقال ابن منظور فى اللسان : « وتلتلة بهراء كسرهم تاء تفعلون يقولون يعلمون وتشهدون ونحــوه »[١٠] .

وعليها جاء قول الشاعر :

لو قلت مــا فى قومهــا لم تيثم   يفضلها فى حسب وميسم[١١]

وقال الرضى فى شرح الكافية :

« وكسر حروف المضارعة الا الياء غير الحجازيين اذا كان الماضى مكسور العين ، ويكسرون الياء أيضا اذا كانت بعدها ياء أخرى »[١٢] .

---

(٧) وذلك للتنبيه على حركة عينه فى المــاضى . و(فعــل) — فى النص — يضبط بكسر العين .

(٨) الكتاب ٤/١١٠ وفى ط بولاق ٢/٢٥٦ ، ٢٥٧ .

(٩) الخصائص ٢/١١ وسر الصناعة ١/٣٣٥ .

(١٠) اللســان ١/٤٤٢ .

(١١) شرح التصريح ٢/١١٨ .

(١٢) شرح الكافية ٢/٢٢٨ ونسب هذا الكسر فى الياء الى بعض بنى كلب يقولون : هل يعلم . البحر ٧/٣٤٣ .

وذكر أبو حيان أن أبا عمــرو قرأ (ولا نركنوا الى الذين ظلموا فتمســـكم النـــار) بكسر التاء على لغة تميم[١٣] ويقــول ابن جنى : فى تخريج قراءة (فتمسكم) بكسر التاء : « هذه لغة تميم أن تكسر أول مضارع ما يأتى ماضيه مكسور العين نحو علمت تعلم وأنا اعلم وهى تعلم ونحن نركب وتقــل الكسرة فى الياء نحو يعــلم ويركب استثقالا للكسرة فى الياء وكذلك ما فى أول ماضيه همزة وصل نحو ينطلق ويوم تسود وجوه وتبيض وجوه فكذلك فتمسكم النار »[١٤] .

وقال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى : « ألم أعهد اليكم يابنى آدم ألا تعبدوا الشــيطان » قرأ الجمهور (أعهد) — بفتح الهمزة والهاء — وقرأ طلحة والهذيل بن شرحبيل الكوفى بكسر الهمزة قـــال صاحب اللوامع : وهذا الكسر فى النون والتاء أكثر من بين حـــروف المضارعة يعنى يعهد وتعهد ، وقال ابن عطية : وقرأ الهذيل بن وثاب (ألم اعهد) بكسر الميم والهمزة وفتح الهاء وهى لغة من كسر أول المضارع سوى الياء[١٥] .

وفى الحديث : كأنك وهمت ؟ قال : وكيف لا ايهم فالأصـــل : أوهم — بالفتح والواو — فكسروا الهمزة لأن قوما من العرب يكسرون مستقبل فعل — بكسر العين — مثل اعلم ونعلم وتعلم فلما كسروا همزة (أوهم) انقلبت الواو ياء[١٦] ومن هذه النصوص فهمنا أن المضارع المبدوء بالياء لا يكسر لثقل الياء والكسرة فهو مفتوح فى الثلاثى وغيره عند العرب جميعا ، الا اذا توالت الياءات فقد سمع الكسر مثل ييجل مضارع وجــل .

كما أننا علمنا كذلك من كتب اللغة كسر أوائــل المضـــارع عند الحجاز لا فرق فى ذلك بين الهمزة أو التاء أو النون ولا بين الثلاثى

---

(١٣) البحـــر ٥/٢٦٩ . (١٤) المحتسب ١/٣٣٠ .
(١٥) البحر المحيط ٧/٣٤٣ . (١٦) النهاية ٥/٢٣٤ .

وغيره ، ويدخل فى ذلك كسر الهمزة فى (أعهد) التى نقلنا تفسيرها عن البحر المحيط وكذلك كسر همزة (اخـال) فى قول العباس بن مـرادس :

قد كان قومك يحسبونك سـيدا   واخـال أنك سـيد معيـون[17]

وقول زهير :

وما ؤدرى ولسـت اخال أدرى   أقوم آل حصن أم نسـاء[18]

وبعض اللغويين عكس الأمر فى الفعل (اخال) فنسب الكسر للحجاز والفتح لغيرهم .

وبعضهم قصر التلتلة على كسر التاء فقط ، ولكن كتب اللغـة تنطق بخلاف ذلك وأن الأمر شائع فى غـير الياء . وهى شائعة فى قبائل وسط الجـزيرة وشرقيها كأسـد وتميم وقيس وان اشتهرت نسبتها الى بهراء التى هى بطن من تميم أو من قضاعة[19] .

وقد فشت نسبتها الى قبائل أخرى من أهـل الحجاز وغيرهم فيذكر ابن عطية أن ذلك نسب الى قريش عند شرح قوله تعـالى : (ومن أهل الكتاب من ان تأمنـه بقنطار يؤده اليك) وقـد ذكر أن (تأمنه) بكسر التاء لغة قرشية[20] ، ويذكر أبو حيان أنها لغة فاشية فى العرب كقيس وتميم وأسد وربيعة وهذيل[21] وفى اللسان : وتقول : أنت تتقى الله وتتقى الله على لغة من قال : تعلم وتعلم بفتح التاء وكسرها وتعلم بالكسر لغة قيس وتميم وأسد وربيعة وعامة العرب ، أما أهل

---

(١٧) لسان العرب (خال) .

(١٨) شرح ديوان زهير ٧٣ .

(١٩) جمهرة انساب العرب وخزانة الأدب ٤/٤٩٥ ، ٤٩٦ وصفة جزيرة العرب ١٣٢ .

(٢٠) الـ ـ ١/٤٩٩ .   (٢١) البحر ١/٢٣ ، ٢٤ .

الحجاز وقوم من أعجاز هوازن وأزد السراة وبعض هذيل فيقولون : تعلم بفتح التاء والقرآن عليها[٢٢] .

وفى المخصص أنها لغة جميع العرب الا أهل الحجاز ، وكذلك ذكر سيبويه[٢٣] ويذكر السيوطى فى نستعين ونحوه أن الفتح لغة قريش وأسد ، وغيرهم يكسرها[٢٤] .

وهذا يؤكد انتشار الكسر فى قبائل كثيرة على سبيل التأثر والتأثير والا فالمشهور أن الكسر فى حروف المضارعة عند أرباب البادية من القبائل المشار اليها ، فبهراء من قضاعة كانوا يقطنون ناحية الشام قريبا من العراق[٢٥] وربيعة مسكنها الحيرة وأسد ابن ربيعة كانت تسكن قبل الكوفة بخمس مراحل[٢٦] وتميم من قبائل شرقى الجزيرة بالقرب من العراق وهذيل من سكان الحجاز[٢٧] وهذه القبائل بدوية — كما نرى من البيئة التى تعيش فيها ماعدا هذيل المضرية — وقد فسر الدكتور أنيس ميل بعض قبائل المدن الى كسر حرف المضارعة بأن « بعض القبائل التى تأثرت بحياة الحضر قد آثرت صوت اللين الأمامى الذى نسميه الكسرة »[٢٨] وحاول أن يفسر وجود تلك الظاهرة عند قبيلة بهراء بهذا المعنى فقد تأثرت لغتها بما فى الشام من لغات كالآرامية والعبرية لوضوح كسر حرف المضرعة باطراد فيهما .

والواقع أن ذلك ليس أمرا مؤكدا ولا مانع من تأثر بعض قبائل المدن بما انتشر عند اخوانهم العرب فى البوادى فهم على صلة بهم يلاقونهم ويتعاملون معهم[٢٩] .

---

(٢٢) اللسان ١٤١/١ ، ٤٩٣/٤ .
(٢٣) المخصص ٢١٦/٤ ، ٢١٧ .
(٢٤) المزهر ٢١١/١ .
(٢٥) صفة جزيرة العرب ١٣٢ .
(٢٦) البحر ٢٣/١ .
(٢٧) صفة جزيرة العرب ١٣١ .
(٢٨) فى اللهجات العربية ٧٤ .
(٢٩) كسر حرف المضارعة منتشر فى لهجاتنا العامية .

ويرى بعض الباحثين أن (هذه الظاهرة سامية قديمة توجد فى العبرية والسريانية والحبشية) وزعم أن الفتح فى أحـرف المضارعة حادث فى العربية القديمة بدليل عدم وجـوده فى اللغات السامية الأخرى وبدليل ما بقى من الكسر فى بعض اللهجات العربية القديمة واستمراره فى اللهجات الحديثة كلها ولم يبق فتح حـرف المضارعة فى اللهجات الحديثة فيما يعلم هذا الكاتب الا فى لهجة نجد[٣٠] •

ونسى هذا الباحث أن العربية هى اللغة السامية التى بقيت فى الجزيرة بعد هجرة أخواتها الساميات فالفتح ليس حادثا فيها بل انه الأصل والكسر هو الذى حدث بعد اختلاط الساميين بغيرهم •

التخفيف فى بعض اللهجات

— بالاتبـــاع •
— بالاســكان (أو حذف الصوائت) •
— باجتماع التغيير والحذف •
— السكون والحركة فى الصوامت الحلقية •

أولا : بالاتبـاع :

فـــاء فعيل وفعل

يميل التميميون[٣١] الى كسر فاء فعيل — بكسر العـين — اذا كانت عينه حرفا حلقيا مثل شعير وبخيل ولئيم وشـهيد ورغيف ، وكذلك ما كان على وزن فعل بكسر العين وهو حلقيها مثل فخذ وضحك ولعب ووهم ، وقرأ أبو السمال : (أحلت لكم بهيمة الأنعام) بكسر باء بهيمة[٣٢] ، فالتميميون يتبعون الفاء للعين فى حركتها اذا كانت

(٣٠) فصول فى فقه العربية ص ١٢٥ .

(٣١) تنسب أحيانا بلفظ سفلى مضر (وهم بنو تميم ومن يجاورهم من سكان نجد) وتنسب الى قيس وأسد وتميم ، التهذيب ١٢٢/٧ .

(٣٢) سـورة المائدة الآيـة (١) ومختصر شـواذ القرآن لابن خالويه : ٣١ .

حلقية مكسورة[٣٣] وسواء كان ذلك فى اسم أو فعل •

ونقل عن تميم اتباع الفاء للعين فى فعيل ولو لم تكن العين حرفه حلق يقول ابن مكى : (وزعم الليث أن من العرب قوما يقولون فى كله ما كان على فعيل فعيل — بكسر أولـه — وان لم يكن حـرف حلق فيقولون : كثير وكبير وخليل وما أشبه ذلك)[٣٤] •

ويقول ابن منظور :

« لغة تميم شهيد — بكسر الشـين — يكسرون فعيلا فى كله شىء كان ثانيه أحد حروف الحلق وكذلك سفلى مضر يقولون فعيـلا أى بالكسر ، قال : ولغة شنعاء يكسرون كل فعيل ، والنصب اللغـة العاليـة[٣٥] وعلل سيبويه لعدم تأثير الفاء فى العين بقوله : « ولم تفتح هى أنفسها هنا[٣٦] لأنه ليس فى الكلام فعيل بفتح الفاء والعين وكراهية أن يلتبس فعل بكسر العين بفعـل بفتحها فيخرج من هذه الحروف فعل بكسر العين ، فلزمها الكسر ههنا ، وكان أقرب الأشياء الى الفتح وكانت من الحروف التى تقع الفتحة قبلها »[٣٧] •

وقد جعل ابن جنى ايثار الكسر فى شعير ورغيف ونحوهما ضربا من تقريب الصوت من الصوت فسلكه فى باب الادغام الأصغر ولكنه صرح بأن أكثر ما يكون ذلك مـع حروف الحـلق فقال : ومن ذلك تقريب الصوت من الصـوت مع حروف الحلق نحو شعـير وبعـير ورغيف وسمعت الشجرى غير مرة يقول : زئير الأسد يريد الزئـير ، وحكى أبو زيد عنهم : (الجنة لمن خاف وعيد الله) بكسر الواو فى وعيد وفى النقيذ ، شبهت القاف بالخـاء لقربها منها فيما حكاه أبو

---

(٣٣) الكتاب ١٠٧/٤ ، ١٠٨ •
(٣٤) تثقيف اللسان ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ •
(٣٥) اللسان (شهد) وانظر التهذيب ٣٧٧/٢ حيث قال : الفتح أفصح اللغتين •
(٣٦) يقصد بعض حروف الحلق • (٣٧) الكتاب ١٠٧/٤ ، ١٠٨ •

الحسن ، كما شبهت الخاء والغين بحـــروف الفم حتى أخفيت النون معهما فى بعض اللغات وهذا فى فعيل مما عينه حلقية مطرد وكذلك فعل بكسر العين نحو نغر ومحك وضحك و (ان الله نعما يعظكم به)[٣٨] ولا يقول على هذا فى ظريف ظريف ولا فى قتيل قتيل بكسر الفاء لأنه لا حرف حلق فيه »[٣٩] .

والانسجام الصوتى بتتابع الحركات تتطلبه السرعة فى النطق التى هى من خصائص أهل البادية ولذا نسبت هذه اللهجة الى بنى تميم على أنه لون من التخفيف والتفريع[٤٠] .

وهذه الظاهرة تتحقق فى الأسماء والصفات والأفعال : فالأسماء مثل بعير والصفات مثل شهيد والأفعال مثل مخض فاذا أرادت الناقة أن تضع قيل : مخضت وعامة قيس وتميم وأسد يقولون : مخضت بكسر الميم ويفعلون ذلك فى كل حرف كان قبل أحد حروف الحلق فى (فعلت) وفى فعيل (يقولون) : بعير وزئير وشهيق ونهلت الابـل وسجرت منه[٤١] .

صـور من الاتبـاع

ومن الاتبـاع ما يذكره اللغويون — عن بعض العـرب — فى (الحمد لله) ولذلك صور هى :

١ — اتباع الدال للام فى الكسر : الحمد لله (قرأ بها الحسن) فمن خفض الدال قال : هذه كلمة كثرت على ألسنة العرب حتى صارت كالاسم الواحد ، فثقل عليهم أن يجتمع فى اسم واحد من كلامهم ضمة بعدها كسرة أو كسرة بعـدها ضمة ، ووجـدوا الكسرتين قـد تجتمعان فى الاسم الواحد مثل (ابل) فكسروا ليكون على المثال من أسمائهم[٤٢] .

وقال الزجاج : « لا يلتفت الى هذه اللغـة ولا يعبأ بها »[٤٣]

---

(٣٨) الخصائص ١/١٤٣ ، ٢/٣٣٦ .
(٣٩) المنصف ٢/٢٢٤ .
(٤٠) فقه اللغة د. نجا ٤/٣١ .
(٤١) التهذيب ٧/١٢٢
(٤٢) معانى القرآن للفراء ١/٣ .
(٤٣) اللسان : حمد .

ويعلل الأخفش لهذا الاتباع بقوله : « قال بعض العرب (الحمد لله) فكسره ، وذلك أنه جعله بمنزلة الأسماء التى ليست بمتمكنة ، وذلك أن الأسماء التى ليست بمتمكنة تحرك أواخرها حركة واحدة لا تزول عنها »[٤٤] .

وهذه لهجة لبنى تميم ونسبت الى بعض غطفان[٤٥] .

٢ — اتباع اللام لضمة الدال : (الحمد لله) (قرأ بها ابراهيم ابن أبى عبلة) قال الفراء : أما الذين رفعوا اللام فانهم أرادوا المثال الآخر من أسماء العرب الذى يجتمع فيه الضمتان مثل : الحلم والعقب[٤٦] ، وقال الزجاج : من قرأ : الحمد لله ، أى برفع اللام اتباعا لحركة الدال فى غير القرآن فهى لغة رديئة[٤٧] وهذه اللغة لبعض ربيعة[٤٨] وأصحاب هذه اللهجات من البدو[٤٩] .

٣ — والقراءة المشهورة هى (الحمد لله) برفع الدال وكسر اللام ، قرأ بها الجمهور وقال ابن خالويه بعد أن ذكر صور القراءات فى هذه الآية : لا يقرأ بشىء من ذلك الا بما عليه كل الناس فى كل مصر (الحمد لله) بضم الدال وكسر اللام [٤٩] .

٤ — وهناك قراءة أخرى : (الحمد لله) بنصب الدال ، وعليها فالحمد ليس باسم انما هو مصدر يجوز لقائله أن يقول : أحمد الله ، فاذا صلح مكان المصدر (فعل أو يفعل) جاز فيه النصب ، ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى : (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) يصلح مكانها فى مثله من الكلام أن تقول : فاضربوا الرقاب ، ومن ذلك قوله تعالى : (معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده)

---

(٤٤) معانى القرآن للأخفش ١/٩ .
(٤٥) اعراب القرآن لأبى جعفر النحاس .
(٤٦) اعراب ثلاثين سورة : ١٩ . (٤٧) اللسان : حمد .
(٤٨) اعراب القرآن لأبى جعفر النحاس .
(٤٩) اعراب ثلاثين سورة : ١٩ .

يصلح أن تقول فى مثله من الكلام : نعوذ بالله ومنه قول العرب : سقيا لك ورعيا ، يجوز مكانه : سقاك الله ورعاك[٥٠] .

وقال أبو حيان — فى النهر الماد — قرىء بالنصب على اضمار فعل ، قيل من لفظه ، تقديره : حمدت الحمد لله ، فتخصص الحمد تخصيص فاعله وأشعر بالتجدد والحدوث ، ويكون من المصادر التى حذف فعلها وأقيمت مقامه ، وذلك فى الاختيار نحو قولهم شُكرا لا نكرا وقيل التقدير : اقرأوا الحمد لله أو الزموا الحمد لله .

واللام فى قراءة الرفع للاستحقاق ، وفى قراءة النصب للتبيين فيتعلق بمحذوف تقديره : لله أعنى نحو قولهم : سقيا لزيد[٥١] ، و (الحمد لله) فى الوجهين الأولين — بالاتباع — عده ابن جنى من باب تقريب الصوت من الصوت فيقول : وجميع ما هذه حاله مما قرب فيه الصوت من الصوت[٥٢] .

والاتباع كثير من هذا النوع مثل : أنا أجوءك وأنبؤك وهو منحدر من الجبل — بضم الميم والدال —[٥٣] .

فهذا لون من تجانس الصوت وانسجامه يؤدى الى الاسراع والخفة فى النطق وقد ضعف ابن جنى الاتباع بكسر الدال وقراءة أبى جعفر فى قوله تعالى : (للملائكة اسجدوا) بضم التاء فى الملائكة مع أنها مجرورة تبعا لضمة الجيم بعدها اذ الحاجز غير حصين لخلل ذلك بالاعراب .

ومن أمثلة الاتباع قراءة أبى السمال (قم الليل)[٥٤] بضم الميم اتباعا لضمة القاف وهى لغة بلعنبر وكذلك :

اضرب الساقين امك هابل

---

(٥٠) معانى القرآن للفراء : ٣/١ .
(٥١) النهر الماد على البحر المحيط ١٨/١ .
(٥٢) الخصائص ١٤٥/٢ . (٥٣) الخصائص ١٤٣/٢ .
(٥٤) المحتسب ٣٣٥/٢ ، ٣٣٦ ، ٧٢ .

بكسر همزة (أم) المضمومة اتباعا لكسرة النون قبلها .

ومن ذلك يتضح أن الاتباع تارة يكون للأول وأخرى يكون للثانى وهذا اللون من الانسجام وتاثر الأصوات اعترف به اللغويون المحدثون وأطلقوا على كل من قسميه اسما خاصا فاذا تأثر الصوت الأول بالصوت الثانى سمى تأثرا رجعيا واذا تأثر الثانى بالأول سمى تأثرا تقدميا ويلاحظ أن هذا التقريب فى نطق الأصوات قد أثر عن أهل البادية كنجران[٥٥] وبلعنبر وأزد شنوءة[٥٦] اذ انه يساعد على سهولة اخراج بعض الأصوات وقلة المجهود العضلى ، وهذا بخلاف أهل المدن الذين يعمدون الى ايضاح الأصوات وفصل كل منها عن الآخر .

ثانيا : بالاسكان (أو حذف الصوائت) واجتماع التغيير والحذف :

يسكن بعض العرب كبنى تميم وغيرهم المتحرك فى بعض الأوزان المستعملة فى الأسماء والأفعال رغبة فى التخفيف ومن أمثلة ذلك ما ذكره ابن جنى فى بعض كتبه :

١ — (فى قلوبهم مرض) بسكون الراء .

٢ — قرأ ابن عباس بخلاف (وحرم) بفتح الحاء وسكون الراء والتنوين ويخرج ابن جنى القراءة فيقول : وأما (حرم) بفتح الحاء وتسكين الراء فمخفف من حرم على لغة بنى تميم فهو كبطر من بطر وفخذ من فخذ وكلمة من كلمة بسكون الثانى فى الكلمة الأولى وكسره فى الثانية[٥٧] .

٣ — وفى باب الساكن والمتحرك فى الخصائص يذكر من المتحرك

---

(٥٥) حكى أبو عمرو أن اهل نجران يقولون فى براءة من الله ، يجرون الميم والنون المحتسب ١/٢٨٣ .

(٥٦) البحر ١/١٥٢ .

(٥٧) المحتسب ٢/٦٥ ، ٦٦ .

الذى أسكن وهو متصل « ما كان ثلاثيا مضموم الثانى أو مكسوره فلك فيه الاسكان تخفيفا وذلك كقولك فى علم علم وفى ظرف قد ظرف وفى رجل رجل وفى كبد كبد بتحريك الحرف الثانى من الكلمة الأولى وسكونه فى الثانية ، وسمعت الشجرى وذكر طعنة فى كتف فقال الكتفية بفتح الكاف وسكون التاء[٥٨] .

٤ — قرأ أبو الحسن بخلاف وأبو رجاء ومجاهد فيما روى عنه « فنظرة الى ميسرة » قال أبو الفتح : أما فنظرة بسكون الظاء فسكنه للتخفيف من نظرة كقولهم فى كلمة كلمة وفى كبد كبد بتحريك الحرف الثانى فى الكلمة الأولى وتسكينه فى الثانية لغة تميمية[٥٩] .

٥ — وبنو تميم يقولون كلمة وكلم ككسرة وكسر[٦٠] والصيغة الحجازية بفتح الكاف وكسر اللام[٦١] وعند بنى تميم تخفف باسكان اللام كسدرة[٦٢] وفى لغة ثالثة بفتح الكاف وسكون اللام يقول الأشمونى : « ومنها ثلاث لغات : كلمة على وزن نبقة وكلمة على وزن سدرة وكلمة على وزن تمرة »[٦٣] .

والأعلى هى الحجازية وقرىء بلهجة تميم فى القراءات الشاذة كقوله تعالى : (يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم) قرأ أبو السمال : كلمة[٦٤] وكذلك قوله تعالى (ومثل كلمة خبيثة) قرأ أحمد بن موسى كلمة[٦٥] بكسر الكاف وسكون اللام .

٦ — وعند تخريج ابن جنى لقراءة الحسن (عضدك) يقول : « فيها خمس لغات ضم الضاد وتسكينها مع فتح العين وضمها وكسر

---

(٥٨) الخصائص ٣٣٨/٢ .
(٥٩) المحتسب ١٤٣/١ .
(٦٠) الخصائص ٢٦/١ .
(٦١) تاج العروس ٤٩/٩ .
(٦٢) المصباح ٣٩ .
(٦٣) شرح الاشمونى ١٠/١ .
(٦٤) آل عمران ٦٤ ، وانظر : مختصر شواذ القرآن ٢١ .
(٦٥) مختصر شواذ القرآن ٦٨ .

الضاد مع فتح العين وأفصحها وأعلاها عضد بوزن رجل وعضد مسكن الضاد مع فتح العين وعضد منقول الضمة من الضاد الى العين وعضد بالضمتين جميعا كأنه تثقيل عضد بضم العين وسكون الضاد وقد شاع عنهم نحو ذلك كقولهم فى تكسير أحمر : حمر بضمتين الخ[٦٦] .

٧ — روى عن الحسن أنه قرأ (الحبك) بكسر الحاء ووقفه الباء قال ابن جنى : وأما الحبك فمخفف منه (أى من الحبك) كابل واطل بسكون الحرف الثانى فى ابل واطل[٦٧] .

٨ — روى ابن جنى عن ابن مجاهد قال : قال ابن عباس : سألته أبا عمرو عن (يعلمهم الكتاب) فقال : أهل الحجاز يقولون : يعلمهم ويلعنهم ولغة تميم يعلمهم ويلعنهم بسكون آخر الفعل ومثله :

فاليوم اشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل[٦٨]
تأبى قضاعة أن تعرف لكم نسبا وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

وقد كثر اسكان الياء فى موضع النصب كقوله :

يا دار هند عفت الا أثافيها

وهو كثير جدا وشبهت الواو فى ذلك بالياء كما شبهت الياء بالألف قال الأخطل :

اذا شئت أن تلهو ببعض حديثها نزلن وأنزلن القطين المولدا

ومثل ذلك كثير ، وعليه قراءة (فتوبوا الى بارئكم) باسكان الهمزة[٦٩] .

٩ — قرئ (كطى السجل) بكسر السين ساكنة الجيم خفيفة اللام — وقد قرر ابن جنى أن اسكان الجيم فى السجل بعد

---

(٦٦) المحتسب ١٥٢/٢ . (٦٧) المصدر السابق ٢٨٦/٢ ، ٢٨٧ .
(٦٨) المصدر السابق ١٠٩/١ ، ١١٠ ، ٢٠٥ ، ٦٧/٢ .
(٦٩) الخصائص ٣٤٠/٢ — ٣٤٣ .

حـــذف حركتها وتخفيف الـــلام لغـــة لأهـــل مـــكة — وذكـــر أن اسكان الراء فى (مرض) لغة[٧٠] كما صرح فى نظير لها وهو قراءة حرم باسكان الراء بأنها لغة تميمية كما يقولون فى رسل رسل وكتب كتب[٧١] باسكان الحرف الثانى ويبدو أن بنى تميم ومن على شاكلتهم يحسون ثقلا فى هذه الأوزان فى مجال الأسماء وما يشبه بعضها من الأفعال (فعل — فعل) — بفتح الفاء مع كسر العين وضمها — ، و (فعـــل) بضم الفاء والعـــين ، و (فعل) بكسر الفاء والعين ، فيلجأون الى تخفيفها لأنهم يميلون الى الانسجام الصوتى بعيدا عن تنوع الحركات وتجاورها ، فقـــد كرهوا أن يرفعـــوا ألسنتهم من المفتوح الى المكســـور ، والمفتوح أخف عليهم فكرهوا أن ينتقلوا من الأخف الى الأثقل ، وكذلك كرهوا الضمة بعد الفتحة فيما كان على (فعل) بفتح الفاء والعين ، ويكرهون تتابع الضمتين كالواوين ، وتتابع الكسرتين تتابع الياءين ، وكرهوا الكسرة بعد الضمة كما يكرهون الياء مع الواو فى مواضع[٧٢] .

فالوزن (فعـــل) بفتح الفـــاء وكسر العـــين اذا كـــان حلقى العـــين فالمشـــهور عنهم — كمـــا يقـــول أســـتاذنا الدكتور نجا — « تخفيفـــه وتفريعـــه باســـكان عينـــه مـــع بقـــاء حـــركة الفـــاء فيصير فعلا أو اسكان عينه بعد نقل حركتها الى الفاء وذهاب حركة الفاء فيصير فعلا ويتجه فريق منهم الى بقاء حركة العين ولكنهم يتبعون حركة الفاء لها فيصير فعلا وان كان غير حلقى العين اقتصروا فى تخفيفه على الوجهين الأولين ككتف يقولون فيه كتف وكتف باسكان التاء مع فتح الكاف وكسرها وفعل كعضد وفعل كحرم وعنق وفعل كابل يقتصرون فيهما على الوجه الأول ولا تزال بعض هذه اللهجات موجودة فى بعض جهات جمهورية مصر العربية[٧٣] ، ولكن الحجازيين ينطقون

---

(٧٠) المحتسب ١/٥٣ ، ٥٤ .
(٧١) المحتسب ١/٢٠٥ . (٧٢) الكتاب ٤/١١٤ .
(٧٣) اللهجات العربية د. نجا ص ٥٩ وفقه اللغة له ص ٣٠ ، ٣١ .

بتلك الكلمات دون تغيير ولا يعبأون بثقل أو خفة ، وفى بعض صيغ الأفعال مثل ظرف وكرم وعلم والمبنى للمجهول يحدث هـذا التخفيف عندهم لمـا ذكرنا .

وفى النص السابق كقراءة يعلهم باسكان الميم ما يفيد اعترافه بنسبة ذلك الى تميم وهم للتخفيف يسـكنون أواخـر الكلمات التى تتوالى فيها الحركات كما فى اشرب — تعرف — أثافى ، ويحسب بعض العلماء ذلك من ضرورات الشعر الا أن الثابت عن الثقات أنه سائغ فى حال السعة لأنه لغة[٧٤] .

* * *

ومن التخفيف : تسكين شين عشرة — حال التركيب — فى لغـة الحجاز ، وجاءت عليها قراءة « فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا »[٧٥] « وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما »[٧٦] .

وهذا فى لفظ عشرة وما تركب معه الى تسع عشرة اذا كان فى التأنيث ، وقد سكنوا العين لمـا طال الاسم وكثرت الحركة[٧٧] وقد ورد فيها كسر الشين فيقال (عشرة) عند بنى تميم ، وبها وردت بعض القراءات .

قال أبو حيان : قرأ الجمهور (عشرة) بسـكون الشين ، وقرأ مجاهد وطلحة وعيسى ويحيى بن أبى وثاب وابن أبى ليلى ويزيد

---

(٧٤) الضرائر ص ٧٠ .

(٧٥) البقرة الآية : ٦٠ .

(٧٦) الأعـراف ١١٦ .

(٧٧) شرح الأشمونى ٦٧/٤ والمزهر ٢٧٥/٢ ، وشرح المفصـل ٢٧/٦ .

بكسر الشين وروى ذلك نعيم السعدى عن أبى عمرو — مشهور عنه الاسكان — وتقدم أنها لغة تميم ، وكسرها لها نادر فى قياسهم ، لأنهم يخففون فعلا يقولون فى نمر : نمر — باسكان الميم مع فتح النون وكسرها[٧٨] •

فسبيلهم التخفيف ، ولغة أهـل الحجـاز (عشرة) وسبيلهم التثقيل[٧٩] • فبنو تميم يفتحون العين ويكسرون الشين ويجعلونها بمنزلة (كلمة) وأهل الحجاز يسكنون الشـين ويجعلونها بمنزلـة (ضربة) وهذا عكس ما عليه لغة أهل الحجاز وبنى تميم ، لأن الحجاز فى غير العدد يكسرون الثانى ، وبنو تميم يسكنون •

فيقول الحجازيون : نبقة وفخذ ويقول التميميون : نبقة وفخذ بالسكون فلما ركب الاسمان فى العدد استحال الوضع ، فقـال بنو تميم : احدى عشرة وثنتا عشرة الى تسع عشرة — أى بكسر الشين — وقال الحجازيون : عشرة بسكونها[٨٠] • ونسب الكسر — كذلك — الى أهـل نجد ، وهو أوسع من تميم ، أو يعبر بها عن سـكان هذه المنطقة لأنها أكبرها •

وفى فائدة ذكرها السيوطى فى الاتقان نقلاً عن كتاب (تحفـة الأقران فيما قرىء بالتثليث فى القرآن) فى قوله تعـالى : (اثنتا عشرة عينا)[٨١] قرىء بسكون الشين ، وهى لغة تميم وكسرها وهى لغة الحجاز ، وفتحها وهى لغة[٨٢] فنسب الكسر للحجاز والتسكين لتيم وهو عكس المشهور المعروف فى ذلك ، وكتب النحو واللغة تجمع على

---

(٧٨) البحر المحيط ٢٢٩/١ • (٧٩) اعراب القرآن للنحاس •

(٨٠) المحتسب ٨٥/١ وشرح المفصل ٢٧/٦ •

(٨١) سورة البقرة الآية ٦٠ •

(٨٢) الاتقان ٢٧٧/٢ •

أن الأفصح التسكين ، وهو لغة الحجاز هذا فيما كان فيه لفظ عشر مؤنثا .

ورويت فيه لغة أخرى وهي فتح الشين وقرأ بها ابن المفضل الأنصارى والأعمش وروى عن الأعمش الاسكان والكسر أيضا . قال الزمخشرى : الفتح لغة وقال ابن عطية : هى لغة ضعيفة ، وقال المهدوى : فتح الشين غير معروف ويحتمل أن تكون لغة[٨٣] ، ونسب بعضهم الفتح الى بنى تميم[٨٤] . أما اذا استعمل لفظ عشر مركبا للمذكر فالشين مفتوحة ، وقد تسكن عين عشر فيقال (أحد عشر) وكذا أخواته الى (تسعة عشر) لتوالى الحركات ، وبها قرأ أبو جعفر ، وقرأ هبيرة صاحب حفص (اثنا عشر شهرا)[٨٥] وفيها جمع بين ساكنين[٨٦] ، واستثنى بعضهم (اثنى عشر) فان العين لا تسكن لسكون الألف والياء قبلها[٨٧] .

وهذا التخفيف وان لم ينطبق على أهل مكة والحجاز بعامة لأنهم حضريون (فلعلهم تركوا لهجتهم ومالوا انى التخفيف فى كلمة (السجل) وعشرة المركبة وبخاصة أن ابن جنى يذكر أن بعض التميميين فى بعض الألفاظ كانوا يتركون لهجتهم الى لهجة الحجازيين وأن هؤلاء يفعلون ذلك أحيانا[٨٨] وبذلك تسقط دعوى ابن جنى أن قراءة (بارئكم) بالاسكان غير واردة فى العربية حتى خطأ بها

---

(٨٣) البحر المحيط ٢٢٩/١ .

(٨٤) المزهر ٢٧٥/٢ . (٨٥) سورة التوبة الآية : ٣٦ .

(٨٦) شرح الأشمونى ٢٧/٤ . (٨٧) اللسان : عشر .

(٨٨) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص ١٢٠ ، ومما أورده ابن جنى من ذلك تحويل الحجازيين كسر الشين فى عشرة المفردة الى سكونها عند التركيب فقالوا احدى عشرة الى تسع عشرة على حين عكسها التميميون فكسروا الشين حال التركيب مع انهم يسكنون فى الافراد وهم يعكسون فى نظائره من فخذ ونحوه ، المحتسب ٨٥/١ .

القراء يقول « ألا ترى الى قراءة أبى عمرو (ما لك لا تأمنا على يوسف) مختلسا لا محققا وكذلك قوله عز وجل (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) مخفى لا مستوفى وكذا قوله عز وجل (فتوبوا الى بارئكم) مختلسا غير ممكن كسر الهمزة حتى دعا ذلك من لطف عليه تحصيل اللفظ الى أن ادعى أن أبا عمرو كان يسكن الهمزة والذى رواه صاحب الكتاب اختلاس هذه الحركة لا حذفها ألبتة وهو أضبط لهذا الأمر من غيره من القراء الذين رووه ساكنا ولم يؤت القوم فى ذلك من ضعف أمانة لكن أتوا من ضعف دراية[٨٩] ، والواقع أن ابن جنى سها فى توجيهه لهذه القراءة ، فتسكين المرفوع فى نحو يشعركم لغة لتميم وأسد باعترافه كما ذكرنا فلا وجه للانكار من جهة الرواية كما يقول أستاذنا الشيخ النجار[٩٠] ولعل هذا الطعن ناشىء عن سوء الظن الذى عرف بين النحاة والقراء[٩١] فى هذه الآونة من التاريخ بحيث كان القراء لا يعتدون لكلام النحاة على حين تظهر ردود فعل لذلك فى انكارهم لبعض القراءات .

الضميران : هو وهى

هو للواحد المذكر ، وهى للواحدة المؤنثة .

والأصل أن تضم هاء هو ، وتكسر هاء هى ، وأن تكون الواو والياء مفتوحتين وهى اللغة الشائعة عند العرب ، كقوله تعالى : (هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم) وقوله : (وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا) .

وقد تسكن الواو والياء ، عند بعض القبائل كأسد وتميم[٩٢] وقيس قال الشاعر :

---

(٨٩) الخصائص ٧٢/١ ، ٧٣ (٩٠) التعليق ٧٣/١ .

(٩١) البحر ٢٧٢/٤ ، ٣٦٢ . (٩٢) اللسان : ها .

أدعـوته بالـلـه ثم قتلتـه لو هو دعـاك بذمـة لم يخفـر

وقال عبيد بن الأبرص :

وركضك لولا هو لقيت الذى لقوا فأصبحت قد جاوزت قوما أعاديا

وقال ثالث :

ان سـلمى هى التى لو تراءت حبـذا هى من خـلة لو تراعى

وبعضهم وهم همدان يشددون الواو والياء ، وهذا هو الأصل فيهما ، اذ الأصل أن يكون كل منهما ثلاثى الأحرف مثل أنت فيقولون : هوّ وهىّ ، قال شاعرهم :

وان لسـانى شهدة يشـتفى بها وهوّ عـلى من صبه اللـه علقم

وقـال :

والنفس ما أمرت بالعنف آبيـة وهىّ ما أمـرت باللطف مأتمـر

ويجوز تسـكين الهاء فى هذين الضميرين اذا وقعا بعد الفاء والواو واللام وثم ، وكما تسـكن همزة الاسـتفهام وكاف الجـر اضطرارا وذلك عند قيس وأسد[٩٣] ومن أمثلة ذلك :

وكنـا اذا ما كان يـوم كريهـة فقـد علموا أنى وهو فتيـان[٩٤]

وقرأ بعضهم (فهى كالحجارة أو أشد قسوة)[٩٥] باسكان الهاء وبعضهم بكسرها وذلك أن لغة للعرب فى (هو وهى ولام الأمـر) اذا كان قبلهن واو أو فاء أسكنوا أوائلهن ومنهم من يدعها[٩٦] .

---

(٩٣) الأشمونى بحاشية الصبان ١/١١٣ ، ١١٤ .

(٩٤) اللسـان : ها .

(٩٥) سورة البقرة الآية : ٧٤ .

(٩٦) معانى القرآن للأخفش ١/١٠٧ .

ومثـــله :

فقمت للطيف مرتاعا فــأرقني فقلت أهي سرت أم عــادني حلم

أراد : أهي سرت ، فلمـــا كانت (أهي) كقولك (بهي) خفف على حد قولهم في (به) : (بهي) وفي علم (علم) بسكون اللام .

وقد تحذف الواو والياء — عند بعض العرب — كقول أبي خالد الأســـدي :

(اذاه لـــم يـــؤذن لـــه لم ينبس)

وقول الآخـــر :

(ديـــار ســـعدى اذه من هواكـــا)

السكون والحركة في الصوامت الحلقية

١ — قرىء : قرح[97] — جهرة — زهرة[98] — يوم البعث —[99] — وهنا على وهن[100] — الضأن[101] — كل شيء في القرآن محركا

٢ — قال الشجري : محموم — يعدو — تغذو — وقال غيره من بني عقيل : اللحم — نحوه[102] — بفتح حرف الحلق في الأمثلة كلها .

اختلف القدامى في فتح حرف الحلق الساكن ، فيرى البصريون

---

(٩٧) المحتسب ١٦٦/١ . (٩٨) المصدر الســـابق ٨٤/١ .

(٩٩) المصـــدر السابق ١٦٦/٢ .

(١٠٠) المصـــدر السابق ١٦٧/٢ .

(١٠١) المصدر السابق ٢٣٤/١ (١٠٢) المصدر السابق ٨٤/١

أنه لهجة عربية ، فمذهبهم (فى كل شىء من هذا النحو مما فيه حرفه حلقى ساكن بعد حرف مفتوح أنه لا يحرك الا على أنه لغة فيه كالزهرة والنهر — بسكون الهاء وفتحها — والشعر — بسكون العين وفتحها — فهذه لغات عندهم كالنشر — بسكون الشين وفتحها — والحلب — بسكون اللام وفتحها والطرد — بسكون الراء وفتحها[١٠٣] وليس قياسا عندهم[١٠٤] لكن الكوفيين والبغداديين قد قاسوه .

فمذهب الكوفيين أنه يحرك الثانى لكونه حرفا حلقيا ، فيجيزون فيه الفتح وان لم يسمعوا كالبحر — بسكون الحاء وفتحها — والصخر — بسكون الخاء وفتحها[١٠٥] .

وابن جنى كان فى أول أمره يوافق أصحابه البصريين ، ففى الخصائص يذكر ما ينم عن موافقته لمدرسة البصرة كما يفهم من قوله : « وسمعت الشجرى أبا عبد الله غير دفعة يفتح الحرف الحلقى فى نحو : يعدو ، وهو محموم ، ولم أسمعها من غيره من عقيل ، فقد كان يرد علينا من يؤنس بـه ولا يبعد عن الأخذ بلغته ، ولا أظن الشجرى الا استهواه كثرة ما جاء عنهم من تحريك الحرف الحلقى بالفتح اذا انفتح ما قبله فى الاسم على مذهب البغداديين ... لكن مثل يعدو وهو محموم لم يرو عنهم فيما علمت ، فاياك أن تخلد الى كل ما تسمعه » .

وقد أيد رأى البصريين فى المنصف يقول : « فأما أصحابنا فلا فصل عندهم بينه وبين ما ثانيه حرف غير حلقى ... فلا فصل بين نشز ونشر — بسكون الشين وفتحها — وشعر وشعر — بسكون

---

(١٠٣) المصدر السابق ١/٨٤ وانظر ٢/١٦٦ .
(١٠٤) الخصائص ٢/١٠ .
(١٠٥) المحتسب ١/٨٤ وانظر ٢/١٦٦ .

العين وفتحها — فهذان لغتان كما أن هذين لغتان » ويدافع عن رأى البصريين فيقول : « ان حروف الحلق لا تحــرك ساكنا ، ولا تسكن متحركا ، بل لعمرى انه يراد فيها الاتبــاع وتجانس الصوت ، فأما تسكين متحرك أو تحريك ساكن فلا يجب لها »[١٠٦] •

ولكننا نلاحظ — أيضا — مما ذكــره فى المحتسب ما ينم عن موافقته للكوفيين والبغداديين بقياسية فتح حرف الحلق الســاكن اذ يقول عن — رأى الكوفيين — : « وما أرى القول من بعد الا معهم ، والحق الا فى أيديهم » •

ويقول : « لا أبعد من بعد أن تكون الحاء لكونها حرفا حلقيا يفتح ما قبلها كما تفتح نفسها فيما كان ساكنا من حروف الحلق نحو قولــه فى الصخر الصخر — بفتح الخــاء — ولعمــرى ان هذا عند اصحابنا ليس أمرا راجعا الى حرف الحلق لكنها لغات ، وأنا أرى فى هذا رأى البغداديين فى أن حرف الحلق يؤثر هنا من الفتح أثرا معتدا معتمدا ، فلقد رأيت كثيرا من عقيل لا أحصيهم يحرك من ذلك ما لا يتحرك أبدا لولا حرف الحلق ، وهو قول بعضهم نحوه — بفتح الحاء — يريد نحوه — بسكونها — وهذا لا توقف فى أنه أمر راجع الى حرف الحلق لأن الكلمة بنيت عليه ألبتة »[١٠٧] •

وهو بهذا يخرج على مذهب البصريين الذين يعدون ذلك لغات لا يصح القياس عليها •

ولا تناقض بين هذين الموقفين من ابن جنى ، فالثابت أنه ألف المحتسب فى آخر حياته ، وذلك يعطينا أمرين :

---

(١٠٦) الخصائص ١٠/٢ والمنصف ٢٠٥/٢ — ٣٠٧ •

(١٠٧) المحتسب ١٦٧/١ •

١ — أنه سمع كثيرا من عقيل لا يحصيهم تفتح حرف الحلق الساكن وقبل ذلك لم يكن سمع مثله من غير الشجرى كما يتبين من نص كلامه .

٢ — كان لاستقراره الذهنى[١٠٨] أثر كبير فى تعليل هذه الظاهرة وغيرها بحيث أدرك أن لحرف الحلق أثرا معتدا معتمدا فى تحويل سكونه فتحة كما هو نص كلامه — أيضا — وقد أكد ابن جنى ذلك حين قال : وأنا أرى ، وأن الحق مع البغداديين وفى أيديهم ، وأنه أمر راجع الى حرف الحلق لأن الكلمة بنيت عليه .

وبذلك يبعد أن يكون توثيق ابن جنى للقراءات الشاذة هو السبب فى هذين الموقفين المتعارضين على ما ذهب اليه الدكتور عبد الفتاح شلبى من أنه « استعان بالمذاهب الأخرى ووجد فيهما مقنعا ومحتجا »[١٠٩] .

ويؤيد علم اللغة الحديث هذه الظاهرة الصوتية فـ (حرف الحلق بعد صدوره من مخرجه يحتاج الى اتساع مجراه فى الفم ، ولذلك ناسبه من أصوات اللين أكثره اتساعا وهو الفتحة[١١٠] وذلك أيضا موجود فى أخوات العربية كالعبرية نحو baal (بعل) — naal (نعل) وكذلك الصامت الذى قبله ، فالفعلان الماضيان Shamar (سمع) ، Patah (فتح) كان ينبغى أن يكون مضارعاهما على قياس الثلاثى الصحيح YashmoA (بضم الميم) ، Yeptoh (بضم التاء) لكن العين فيهما تفتح لصوت الحلق الواقع لاما بعدها : Yeptah - YeshmaA

---

(١٠٨) أبو على الفارسى د. شلبى ص ٣٧٢ .

(١٠٩) المصدر السابق ص ٣٧١ .

(١١٠) فى اللهجات العربية ص ١٣٥ .

وقد نسب ابن جنى هذه اللهجة — وهى فتح حرف الحلق الساكن الى بنى عقيل ، وبين أنه فاش فيهم فالى جانب ما نقلناه من قبل عنه يقول أيضا : سمعت عامة عقيل تقول ذاك ولا تقف فيه سائغا غير مستكره ، حتى لسمعت الشجرى يقول : أنا محموم — بفتح الحاء — وليس أحد يدعى أن فى الكلام مفعولا — بفتح الفاء — وسمعته مرة أخرى يقول — وقد قال له الطبيب : مص التفاح ، وارم بثفله — والله لقد كنت أبغى مصه وعليته تغذو — بفتح الغين — ولا أحد يدعى أن فى الكلام يفعل — بفتح الفاء — وسمعت جماعة منهم — وقد قيل لهم قد أقيمت لكم أنزال[111] من الخبز — قالوا : فاللحم — بفتح الحاء — يريدون اللحم — بسكونها — وسمعت بعضهم وهو يقول فى كلامه نحوه بفتح الحاء)[112] .

ويعترف ابن جنى بكثرة ذلك عن بنى عقيل[113] .

ومن ذلك يتضح أن فتح حرف الحلق الساكن من خصائص لهجة عقيل ، وينسب أبو حيان تلك الظاهرة الى بعض بنى بكر بن وائل[114] وتثبت كتب البلدان أن بنى عقيل كانوا يسكنون البحرين[115] وأن بنى بكر بن وائل كانوا يسكنون اليمامة الى البحرين[116] ومن هذا نفهم (سر التشابه بين القبيلتين)[117] .

---

(١١١) هو ما يهيأ للتنزيل .
(١١٢) المحتسب ١/٨٤ .
(١١٣) الخصائص ٢/٩ .
(١١٤) البحر ٣/٢٤٧ .
(١١٥) نهاية الأرب ص ٣٦٥ ، ٣٦٦ .
(١١٦) صفة جزيرة العرب ص ١٦٩ ونهاية الأرب ص ١٧٨ .
(١١٧) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص ١١٣ .

الفصل الثانى

التغيير في بعض الصيغ اللغوية وتعدد الأوجه النحوية

ابدال الياء ألفا فى بعض الأفعال الثلاثية

المعروف فى كتب التصريف أن الواو والياء تقلبان ألفا اذا تحركتا وانفتح ما قبلها مثل : دعا وسعى فان سكنت الواو والياء أو لم ينفتح ما قبلهما لم يقلبا ألفا مثل : بيت وعين وصوم ونوم والسعى والظبى ويقوم ويبيع ... الخ . وقد نقل عن بعض العرب مثل بلحارث بن كعب أنهم يقلبونها ألفا دون تحقق الشروط السابقة فيقلبون الياء الساكنة اذا انفتح ما قبلها ألفا ، فالحرفان (على) و (الى) — من حروف المعانى — وبعض الظروف اذا اتصلت بالمضمر قلبت ألفها ياء فنقول : عليك واليك ولديك ، وقال سيبويه ان ذلك القلب ليفرقوا بين الظاهر والمضمر لأن المضمر لا يستقل بنفسه بل يحتاج الى ما يتوصل به اليه .

وبنو الحارث بن كعب وخثعم وكنانة يقلبون الألف لا فرق عندهم بين المظهر والمضمر : وكذلك كل ياء ساكنة مفتوح ما قبلها يقلبونها ألفا فيقولون : الاك وعلاك ولداك[1] وقالوا : السلام علاكم[2] وأنشد لبعض أهل اليمن :

---

(١) الكتاب ٣/٤١٢ ، ٤١٣ ، والمصباح (الى) ١/٢١ .

(٢) النوادر لأبى زيد ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

أى قلوص راكب تراهـــا طاروا علاهن فطـــر علاها[٣]

وقد قلبت الواو ألفا لغير علة فى قول الشاعر :

تبت اليـــك فتقبــــل تابتى وصمت ربى فتقبــل صامتى

وقد شرحنا ذلك فى ابدال حروف العلة بعضها من بعض .

وقد يلتبس ذلك حال القلب التباسا لفظيا بأسماء وأفعال مثل (الاه) فى (اليه) يلتبس بلفظ (اله) ومثل (غـــلاه) يلتبس بالفعـــل (عـــلا) فى مثل : عـــلا زيد ثـــوب وعـــلاه ثوب بمعنى (عليه)[٤] .

وقد اشتهر أن قبيلـــة طيىء تقلب الياء الواقعـــة بعد الكسرة ألفا فى بعض الأفعـــال الثلاثيـــة ـــ مخالفـــة القاعدة العامة التى أشرنا اليها من قبـــل ـــ سواء أكانت الكسرة والياء أصـــليتين أو عارضـــتين للبناء المجهـــول فيقولون فى : فنى ، فنى : وفى بقى : بقى ، بكسر العين وفتحها وفى المبنى للمجهول : هدى زيد : وبنى البيت : هدى وبنى بضم الفاء وفتح العين . قال زيد الخيل الطائى :

أفى كل عـــام مأتم تبعثونـــه على محمر[٥] منكم أثيب ومارضا

رضى بضم الراء وفتحها .

وقال المستوفز بن ربيعـــة :

هـــل ما بقى الا كما قـــد فاتنا يـــوم يـــكر وليلـــة تحـــدونا

وقال امرؤ القيس :

لها متنـــان حظـــاتا كمـــا أكب عـــلى ساعديـــه النمـــر

يريد : حظيتـــا .

---

(٣) الخصائص ٢/٢٦٩ وشرح شواهد العينى ١/١٢٧ ، ١٢٩ ، ٢/٥٨٥ ، ٧٨٦ .

(٤) انظر اللسان (علا) ١٩/٣٢٢ .

(٥) المحمر كمنبر : الذى لا يعطى الا على الكد واللئيم . القاموس ٢/١٤ .

وقال آخـر :

ثم عـذت بباقـاة لحـى   ولا أحـد عـلى الدنيـا ببـاق

وقال : وما الدنيا بباقاة علينا • يريد : بباقية[٦] •

وقال : (غير باناة على وتره) أى غير بانية •

وعليها جاءت بعض القراءات الشاذة كقراءة الحسن : (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنـين) — بفتح قاف بقى — وقراءة الأعمش : (فنسى ولم نجد له عزما) بفتح السين فى نسى •

وفى المزهر : أن ما بنته جماهير العرب على فعل مما لامه واو كشقى أو ياء كفنى فطيىء تبنيه عـلى فعل — بفتح العين يقولون : شقى يشقى وفنى يفنى[٧] •

ويبدو أن قبيلة طيىء فعلت ذلك فيما تطرفت فيه الياء ، وعلل الرضى لذلك بأن الطرف محل التغيير والتخفيف ، فان توسطت الياء بسبب التاء اللازمة نحو : ناصاة فى ناصية ونحوها فقليل[٨] •

قال الأزهرى : لغة طيىء فى الناصية : الناصاة حكاه أبو عبيد وأنشـد :

لقد آذنت أهـل اليمامـة طيىء   بحرب كناصاة الحصان المشهر[٩]

وعلى ذلك فان هذه اللهجـة شائعة فى الفعل المـاضى الثلاثى المكسور العين قليلة فى غيره •

والظاهرة منسوبة لطيىء[١٠] وقد رويت بعض شواهدها منسوبة

---

(٦) الجمهرة ٤٣/٢ ، شرح المفصل ١١/٢ .
(٧) ٣٨/٢ .
(٨) شرح الشافية ١٠١١/٣ .   (٩) التهذيب ٢٤٥/١٢ .
(١٠) المقاييس ٢٧٦/١ والمخصص ٤٠/٦ واللسان ١٨٤/٤ والمزهر ٢٣٧/١ .

لغير طيىء كتميم وأسد وقيس وفريق من سكان نجد من قبائل اليمن وقد تأثرت قبائل نجد بطىء حينما هاجروا الى شمالى الحجاز ، وكذلك نسبت الى بلحارث بن كعب وغيرها .

قلب ألف المقصور ياء

المقصور : هو الاسم المعرب الذى آخره ألف لازمة قبلها فتحة ، ومنه القياسى والسماعى ، ذكر الرضى أن ألف المقصور تقلب ياء فى الوقف ، قال : (وأما اذا وقفت عليها — (أى الألف) — فتخفى غاية الخفاء .... ولهذا يبدلونها فى الوقف حرفا من جنسها أظهر منها)[11] .

وسئل ابن عباس عن قتل المحرم الحيات فقال : لا بأس بقتل الافعو ولا بأس بقتل الحدو فقلب الألف فيهما واوا حسب لغته[12] .

ونقل عن ابن يعيش أن هذا القلب ياء يكون فى الوقف والوصل ، يقول : وقوم من العرب يبدلون هذه الألف ياء فى الوقف فيقولون : هذه أفعى وحبلى ، وهى لغة فزارة وناس من قيس .

وقال : وطيىء يجعلونها (أى الألف) ياء فى الوصل والوقف[13] وبعض طيىء يقلبونها واوا لأن الواو أبين من الياء والقصد البيان[14]

وتقلب ألفه همزة فى الوقف أيضا فيقال فى أفعى : أفعأ ،

---

(١١) شرح الشافية ٢٧٦/٢ .

(١٢) التهذيب ٢٣٣/٣ .

(١٣) شرح المفصل ٧٧/٩ وانظر المحتسب ٧٧/١ .

(١٤) اللسان نقلا عن ابن الأثير فى النهاية ٥٥/١ وفى كتاب سيبويه (وزعموا أن طيئا تقول أفعو) الكتاب ٢٨٧/٢ ويقول السيرافى ومنهم — اى من طيىء كما يقول ابن يعيش — من يجعل الألف واوا (السيرافى على سيبويه ٤٤/٥ وشرح المفصل ٧٧/٩) ، والواو والياء دون ريب أظهر وأبين من الألف ولهذا قلبت اليهما وكثيرا ما يبدل أحد أصوات اللين من صاحبه .

وحَبلى : حبلأ ، يقول السيوطى : وربما قلبت الألف الموقوف عليها همزة أو ياء أو واوا نحو هذا آفعأ —آفعى آفعو فى هذه أفعى وهذه عصأ وعصى وعصو فى هذه عصا الأولى والأخيرة لبعض طيىء والثانية لغة فزارة[١٥] وكذلك فى شرح التصريح[١٦] • ويعلل لها القدماء بأن الألف أخفى من الهمزة ، والهمزة اذا كان ما قبلها متحركا كانت أبين من الألف ، والألف قريبة من الهمزة لأن الألف تهوى وتنقطع عندها[١٧] •

وقد نسبت هذه اللهجات الى بعض طيىء وفزارة كما عند سيبويه والرضى[١٨] والسيوطى •

وقد تعددت صور النطق بألف المقصور فى الوقف كما رأينا فى أفعى وعصا وليس من المعقول أن ينسب ذلك الى قبيلة واحدة فى فترة زمنية واحدة ، بل المعقول أن تكون كل صورة من الصور المذكورة فى بعض بطونها دون بعض أو أنه حدث فى أزمان مختلفة •

« فيرجح أن بطنا من طيىء كانت تنطق بالهمزة تارة وبطنا أخرى بالألف وثالثة بالياء أو ربما أن هذه اللهجات حدثت فى فترات متباينة وقد جمع النحاة هذه الاستعمالات دون توضيح أو بيان »[٢٠] •

ونسبها ابن دريد الى أهل اليمن قال : قوم من أهل اليمن يسمون العصا عصو[٢١] والمسألة فى رأينا مسألة نبرة شديدة تتضح عند القبائل البدوية •

---

(١٥) الهمع ٢/٢٠٦ •　　(١٦) شرح التصريح ٢/٣٣٩ •
(١٧) شرح التصريح ٢/٣٣٦ والهمع ٢/٢٠٦ •
(١٨) الكتاب ٤/١٨١ وشرح الشافية ٢/٢٨٦ •
(١٩) ٢/٢٠٦ •
(٢٠) اللهجات العربية فى التراث ص ٤٩٦ ٣
(٢١) الاشتقاق ٥٤ •

وتبقى ألف المقصور على حالها عند اضافتها الى ياء المتكلم كالعصا والفتى والرضا كما فى قوله تعالى : (قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى) وقوله سبحانه (واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا) هذا عند جمهور العرب .

وهذيل[٢٢] تقلب ألف المقصور ياء عند اضافته الى ياء المتكلم فيقولون : عصى وفتى ، ورضى عوضا عن كسرة الحرف الذى قبل الياء ، قال أبو ذؤيب الهذلى :

سبقوا هوى وأعنقوا لهواهم فتخرموا ولكل جنب مصرع

وقال الآخر :

فأبلونى بليتكم لعلى أصالحكم وأستدرج نويا

فهوى : أصله هواى ، ونوى : أصله نواى فقلب الألف ياء وأدغمها فى ياء المتكلم .

وقوله تعالى (فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) قرىء (هدى) بقلب الألف ياء وادغامها فى ياء المتكلم[٢٣] .

وقوله تعالى (قال يا بشرى هذا غلام) قرىء (بشرى)[٢٤] .

وينسب السيوطى قلب ألف المقصور ياء عند اضافته الى ياء المتكلم لهذيل وغيرهم[٢٥] ونسبها بعضهم الى طيىء[٢٦] وحكى عيسى ابن عمر هذه اللغة عن قريش[٢٧] .

---

(٢٢) شرح التصريح ٦١/٢ وشرح الشافية ٢٩٤/١ والبحر المحيط ١٦٩/١ ، ٢٣٩/٤ ، ٢٩٠/٥ والمحتسب ٧٦/١ ، ٣٣٦ والخصائص ١٧٦/١ ، ١٧٧ .

(٢٣) البحر المحيط ١٦٩/١ والمحتسب ٧٦/١ عن عاصم الجحدرى وعبد الله بن أبى اسحاق وعيسى بن أبى عمر ونسبت الى النبى ﷺ .

(٢٤) البحر المحيط : ٢٩٠/٥ والمحتسب ٣٣٦/١ ، ونقلت هذه القراءة عمن قرأوا (هدى) .

(٢٥) الهمع ٥٣/٢ .

(٢٦) شرح التصريح ٦١/٢ واللسان ٥٥/٢٠ .

(٢٧) شرح الأشمونى ٢٨١/٢ ، ٢٨٢ .

أما اذا ثنى الاسم المقصور فتبقى ألفه حال الاضافة الى ياء المتكلم مثل فتيان تقول : فتياى ، اذ لا موجب لقلبها ياء[٢٨] •

أما الحروف مثل : على والى ، والظروف مثل لدى فانها اذا اتصلت بياء المتكلم قلبت ألفها ياء وأدغمت فى ياء المتكلم مثل على والى ولدى بتشديد الياء •

تصحيح اسم المفعول من الثلاثى الأجوف

التصحيح : ابقاء حرف العلة على حاله دون التعرض له بأى تغيير • والاعلال : تغيير حرف العلة بالقلب أو الحذف أو الاسكان[٢٩] واسم المفعول من الثلاثى الأجوف يعل عند الحجازيين واويا كان أو يائيا فيقال فى اسم المفعول من قال وباع : مقول ومبيع ، ولكن التميميين يعلون الواوى ويصححون اليائى فيقولون : مبيوع ومديون ومعيون ومغيوم ومطيوب[٣٠] من ذلك قول علقمة بن عبدة التميمى فى طائر :

حتى تذكر بيضات وهيجه ... يوم رذاذ عليه الدجن مغيوم

وقال عباس بن مرادس :

قد كان قومك يحسبونك سيدا ... واخال أنك سيد معيون

ومما أنشده أبو عمرو بن العلاء :

(وكأنها تفاحة مطيوبة)[٣١]

---

(٢٨) شرح التصريح ٦١/٢ والأشمونى ٢٨١/٢ ، ٢٨٢ والهمع ٥٣/٢ .

(٢٩) شرح الشافية ٦٧/٢ .

(٣٠) الخصائص ٢٦٠/١ وشرح المفصل ٧٨/١٠ وشرح الشافية للرضى ١٤٧/٣ والمقتضب ١٠١/١ .

(٣١) الخصائص : ٢٦١/١ وشرح المفصل ٨٠/١٠ .

وقـــد ورد التصحيح فى الواوى حكاية عن البغداديين من أن بعضهم يقـــول ثوب مصوون وفرس مقوود ومسك مدووف ورجـــل معوود فى مرضه قال : (والمسك فى عنبره مدووف)[٣٢] .

وقال سيبويـــه « ولا نعلمهم أتموا فى الواوات لأن الواوات أثقل عليهم من الياءات ومنها يفرون الى الياء فكرهوا اجتماعها مع الضـــمة »[٣٣] .

ونقل ابن منظور تعليل هذا الاتمام فقال : وذلك لثقل الضـــمة على الواو ، والياء أقوى على احتمالها منها ، فلهذا جاء ما كان من بنات الياء بالتمام والنقصان نحو ثوب مخيط ومخيوط[٣٤] .

وقد جعل ابن جنى التصحيح فى الواوى من الشاذ فى القياس والاستعمال جميعا .

قال : والرابع الشاذ فى القياس والاستعمال جميعا وهو كتتميم مفعول فيما عينه واو نحو ثوب مصوون ومسك مدووف ، وحـــكى البغداديون فرس مقوود ورجل معوود من مرضه وكل ذلك شاذ فى القياس والاستعمال فلا يسوغ القياس عليه ولا رد غيره اليه[٣٥] .

وقد أجـــاز المبـــرد الاتمـــام فى ذوات الواو ـــ مخالفا بذلك النحويين ـــ قياسا على ما ورد فيها وقـــال : ليس بأثقـــل من سرت ســـوورا وغارت عينه غوورا ، لأن فى (سوور) و (غوور) واوين وضمتين ، وليس فى (معوود) مع الواوين الا ضمة واحدة[٣٦] .

وقد قال (لست أراه ممتنعا الا عند الضرورة)[٣٧] .

---

(٣٢) الخصائص ١/ ٢٦١ واللسان (قود) .
(٣٣) الكتاب ٣٤٩/٤ .   (٣٤) اللسان (دوف) .
(٣٥) الخصائص ٩٩/١ .   (٣٦) الممتع لابن عصفور ٤٦١/٢ .
(٣٧) المقتضب ١٠٢/١ .

ويرى بعض المحدثين أن الصيغة التميمية هى الأصل والحجازية فرع عنها تبعا لنظرية السهولة والاقتصاد فى الجهد العضلى والانسجام الصوتى فى الصيغة الحجازية يجعلها أحدث من التميمية[٣٨] وفى كتاب سيبويه ما يفيد أن الصيغة التميمية أقدم من الحجازية[٣٩].

بعض الأسماء المقصورة والممدوة

تستعمل أولاء اسم اشارة للجمع مذكرا ومؤنثا بصيغة المد عند الحجازيين مثل قوله تعالى (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) ولكن بنى تميم — وبعض القبائل الأخرى مثل قيس وربيعة وأسد وغيرهم من أهل نجد يستعملون اسم الاشارة للجمع مقصورا فيقولون (أولى) ويقرر النحاة أن الممدود يمتنع اقترانه بلام البعد فلا يقال (أولاء لك) ويجوز أن تلحق المقصور فيقولون (أولالك) قال الشاعر :

أولا لك قومى لم يكونوا أشابة وهل يعظ الضليل الا أو لا لكا[٤٠]

وقد وردت كلمات مقصورة وممدودة حسب اختلاف القبائل .

من ذلك السدى والسداء ممدود البلح بلغة أهل المدينة[٤١] والحجا والحجاء لغة فيها[٤٢] .

والشقا والشقاء والبكا والبكاء — بالمد والقصر[٤٣]

قال حسان :

بكت عينى وحق لها بكاها وما يغنى البكاء ولا العويل

---

(٣٨) فى اللهجات العربية ٦٧ ، ٦٨ .

(٣٩) الكتاب ٣٤٨/٤ والخصائص ٢٦٠/١ ، ٢٦١ .

(٤٠) الاشمونى ٣٩/١ وشرح التصريح ١٢١/١ والهمع ٧٥/١ .

(٤١) التهذيب ١٠٠/١٣ ونسب الى أهل اليمن . اللسان ٢٧٦/١٤ « سدا » .

(٤٢) التهذيب ١٣١/٥ ، ١٣٢ . (٤٣) الجمهرة ٦٧/٣ .

وأوضح اللغويون أن المد فى (البكاء) للصوت المعبر عن الحزن والقصر فى (البكا) للتعبير عن نفس الحزن [٤٤] •

وذكر ابن دريد أن القصر والمد كثير فى الشعر الفصيح[٤٥]

ولا بأس عند اللغويين أن يستعمل القصر والمد فى لهجة واحدة أو قبيلة واحدة بنفس المعنى لكن مع اختلاف الأزمان والبيئات ، والمد أقيس وأكثر فى أسماء الأصوات •

وقد نسب المقصور من هذا وأمثاله الى أهل نجد واليمن أو يغلب القصر على لسانهم ، على حين يكثر المد عند الحجازيين وهذا لا يمنع من العكس بوجود المد فى بيئة نجد والقصر فى بيئة الحجاز ، فقد روى : السدى والسداء ممدود : بلغة أهل المدينة كما ذكرنا من قبل •

كلا وكلتا

تتحدث قواميس اللغة عن لفظة « كلا » مذكرا ومؤنثا وتشير الى الآراء الواردة فى معناها وتركيبها وأحوالها الاعرابية وتتلخص فيما يأتى •

أما عن معناها فيتفق العلماء على أنها كلمة مصوغة للدلالة على اثنين ولكنهم يختلفون فى بيان كونها مفردا أو مثنى •

فابن جنى وسيبويه وابن سيدة يقررون أنها اسم مفرد يفيد معنى التثنية كما أن « كلا » مصوغة للدلالة على الجمع • وكذلك يتفق مع هؤلاء العلماء الجوهرى فهو يقول : كلا فى تأكيد الاثنين نظير كل فى المجموع وهو اسم مفرد غير مثنى[٤٦] ويقف فى الجانب الآخر ابن الأنبارى وأبو الهيثم •

---

(٤٤) المخصص — حكاية عن الخليل — ١٤٠/١٣ والأصول فى النحو لابن السراج ٤١٦/٢ •

(٤٥) الجمهرة ٢١٠/٣ •

(٤٦) اللسان ج ١٥ ص ٢٢٧ •

فابن الأنبارى يحكى لنا أن طائفة من العرب لا تميلها وعلى هذا تكون ألفها للتثنية كألف « غلامان وذوا » وواحد « كلتا » على هذا الرأى كلت وألف التثنية لا تمال .

كما يحكى لنا أن طائفة أخرى من العرب تميلها وعلى هذا تكون اسما واحدا عبر به عن التثنية وهو بمنزلة شعرى وذكرى .

وأما أبو الهيثم فيروى لنا الأزهرى عنه أن « كلا » أصلها « كل » بالتشديد فخففت اللام وهو رأى الفراء وكذلك كلتا ولا يتكلم منهما بواحد ولو تكلم به لقيل كل وكلت وكلان وكلتان واحتج بقول الشاعر :

فى كلت رجليها سلامى واحده كلتاهما مقرونة بزائده [٤٧]

هذه هى الآراء عن كونها مفردا أو مثنى .

وأصحاب الرأى الأول يقولون بأن ألفها للتأنيث وهى على وزن فعلى كذكرى هذا بالنسبة لـ « كلتا » فأما كلا فوزنها « فعل » بكسر الفاء وسكون العين ولامها معتلة بمنزلة حجا ورضا وألفها منقلبة عن واو بدليل التاء فى « كلتا » لأن بدل التاء من الواو أكثر من بدلها من الياء وألفها للتأنيث كما ذكرت ولذلك تمنع الصرف معرفة ونكرة .

ولكن أبا عمر الجرمى يقول ان التاء فيها علم التأنيث والألف لام الكلمة فوزنها فعتل وعلى هذا تصرف نكرة لأن أقصى أحوالها عنده أن تكون كقائمة وقاعدة[٤٨] .

ونحن نرى اصابة الرأى الأول الذى قال به سيبويه واعتمده ابن جنى وذلك لضعف الآراء الأخرى ونشير الى أدلة ضعفها فيما يأتى :

---

(٤٧) المصدر السابق ج ١٥ ص ٢٢٨ .
(٤٨) المصدر السابق ج ١٥ ص ٢٢٧ .

ضعف أهل البصرة كون هذين اللفظين مثنى لأنه لو كان الأمر كذلك لوجب أن تنقلب ألفها فى النصب والجر ياء مع الاسم الظاهر • ولأن معنى « كلا » مخالف لمعنى كل لأن « كلا » بتشديد اللام للاحاطة وكلا يدل على شيء مخصوص وأما « كلت » فى قول الشاعر السابق فمحمولة على الضرورة لأنه اعتبر الألف زائدة لما استدعاه الوزن الشعرى لذلك فلا يعتبر حجة[٤٩] •

أما معاملة هذين اللفظين معاملة المثنى من زاوية اعرابية خاصة حال اضافتهما الى المضمر فليس دليلا على أنهما مثنيين لأن هذه المعاملة ملحوظ فيها شبه آخر ولذلك لزما الألف حال اضافتهما الى الظاهر وحتى حال اضافتهما الى المضمر عند الرفع •

أما نصبهما وجرهما بالياء فمبنى على شبههما بعلى ولدى فى لزومهما الاضافة ونحوها ولذلك اقتصر فى هذا التشبيه على النصب والجر لأن على لا تقع الا منصوبة أو مجرورة ولا تستعمل مرفوعة فبقيت كلا فى الرفع على أصلها مع المضمر لأنها لم تشبه بعلى فى هذه الحال •

وانما أبدلت التاء من الواو فى « كلتا » لأنها تنوب عن الألف اذا صارت ياء مع المضمر ففى هذا الابدال تأكيد للتأنيث •

وينقض رأى أبى عمر الجرمى وهو أن التاء علم التأنيث ووزن « كلتا » فعتل ينقض ذلك ما ساقه ابن جنى من أن التاء لا تكون علامة للتأنيث الا اذا انفتح ما قبلها كحمزة وفاطمة أو أن يكون قبلها ألف مثل سعلاة وعزهاة واللام فى « كلتا » ساكنة •

ووجه آخر هو : أن علامة التأنيث لا تأتى الا آخرا والتاء ههنا متوسطة ، وأيضا : فلا يوجد وزن « فعتل » فى الكلام حتى يحمل ذلك عليه •

---

(٤٩) المصدر السابق ج ١٥ ص ٢٢٨ •

وقد قيل فى الرد على أبى عمر أيضا لو كان الأمر كما ادعى لقيل فى النسب اليها كلتوى ولكنهم لم يقولوا ذلك بـل قالوا كلوى كما قالوا فى النسب الى أخت أخوى فدل ذلك على أن التاء مبدلة من واو •

وقد عارض الدليل الأخير ابن برى حين قال : كلوى قياس من النحويين اذا سميت به رجلا وليس ذلك مسموعا فيحتج به على الجرمى •

وأيا ما كان الأمر فالأدلة الاخرى تدحض رأيه وتعضد رأى الجمهور السابق • فلم يبق لنا الا أن نعترف برأى الجمهور الذى عضده ابن جنى بالدليل •

هيهات

يدور معنى هذه الكلمة فى معاجم اللغة حول البعد وفيها مناقشات مختلفة •

أولها يتعلق بحركة التاء — ثانيها يتعلق بأصالة التاء أو انقلابها — ثالثها يتعلق بافرادها أو جمعها •

أما حركة التاء فقد وردت على أوضاع متنوعة فقد وردت مفتوحة بلا تنوين ومكسورة بلا تنوين أيضا ومنونة فتحا وكسرا وحاول اللغويون القدامى تفسير هذه الأوجه فمن قال هيهات بفتح التاء بغير تنوين شبه التاء بالهاء ونصبها على مذهب الأداة لأنها معرفة فى هذه الحال ومن قال بالفتح والتنوين شبهه بقول تعالى : (فقليلا ما يؤمنون) ومن قال هيهات بالكسر بلا تنوين شبهه بحذام وقطام ومن قال هيهات بالتنوين شبهه بالأصوات كقولهم غاق وطاق(٥٠) وقد

(٥٠) المصدر السابق ج ١٣ ص ٥٥٣ .

سمى ابن الأنبارى كل ذلك لغات[٥١] وأضاف اليها ورود الضم فيها فتكون كالكسر بلا تنوين وأورد فيها الضم مع التنوين أيضا وهى فى هذا الوضع مشبهة بتاء الجمع فى عرفات وأنا أميل الى اعتبار اختلاف حركة التاء راجعا الى اختلاف اللهجات كما ذكر ابن الأنبارى وتعليلات اللغويين القدامى تتجه ناحية الفلسفة والمنطق أكثر من ارتباطها باللغة من ناحية كونها ظاهرة اجتماعية .

وأما عن أصالة التاء أو انقلابها فهنا آراء .

يقول بعض اللغويين : ان التاء أصلها الهاء بل يحكى ابن منظور فى لسانه اتفاق أهل اللغة على ذلك ويروى عن أبى عمرو بن العلاء أنه يوقف عليها بالهاء مثل : هيهات هيهاه قال ذلك فى قوله تعالى : هيهات هيهات لما توعدون . وهذا دليل لذلك وهذا الرأى يقابله رأى آخر يقول بأصالة التاء وأنها ليست منقلبة بل هى تاء التأنيث وأما عن افرادها فيقول العلماء ان المتحركة بغير الكسر تعتبر اسما مفردا فاذا كانت مكسورة منونة أو غير منونة فهى جمع ومفردها على ذلك هيهة[٥٢] وممن قال بذلك سيبويه وأبو على ، وفى قول آخر لأبى على أن مفردها هيهات والمعروف فيها أنها اسم فعل ماض بمعنى يعد[٥٣] ولكن أبا على الفارسى كان يقول فيها أنا أفتى مرة بكونها اسما سمى به الفعل كصه ومه وأفتى مرة بكونها ظرفا على قدر ما يحضرنى فى الحال وقال مرة ثالثة : انها وان كانت ظرفا فغير ممتنع أن تكون مع ذلك اسما سمى به الفعل كعندك روى ذلك عنه ابن جنى .

ويكون معناها على الظرفية فى البعد فمعنى هيهات ما تقول :

---

(٥١) اشار اليها ابن جنى فى الخصائص ج ٣ (باب فى تسمية الفعل) .

(٥٢) اللسان ج ١٣ ص ٥٥٣ .

(٥٣) الأشمونى مع الصبان ج ٣ ص ١٩٧ .

فى البعد ما تقول ، وهذا الرأى سبق بـه المبرد فى المقتضب كما يقول الأستاذ النجار محقق الخصائص •

ويروى ابن جنى أنها من الألفاظ الرباعية المكررة فاؤها ولامها الأولى هـاء وعينها ولامها الثانية يـاء فهى لذلك بمنزلة صيصية وقد حذفت اللام لأنها فى اسم غير متمكن •

قال ابن سيدة : أنشد ابن جنى قول العجاج •

هيهات من منخرق هيهاؤه

ولم يفسره قال : ولا أدرى ما معنى هيهاؤه •

ولكن بالبحث عن معناه نجد أنه البعد والشيء الذى لا يرجى وهو يدل على كون هيهات من مضاعف الأربعة[٥٤] وألف هيهاؤه هى ألف فعلال بعكس ألف هيهات[٥٥] •

ونحن لا نرتضى الآراء التى تتحدث عن افرادها وجمعها فالذى نعرفه من واقع كتب اللغة أنها وضعت هكذا اسم فعل ماض بمعنى بعد فلا تتصرف فأما كون مفـردها هيهة أو هيهات فذلك من غرائب اللغة لأن هيهة لم نعـرف لها أثرا فى المعاجم اللغوية وأما من قال ان مفردها هيهات فلم يأت بجديد •

أما معنى الظرفية الذى لمسـه فيه أبو على الفارسى ورجحـه ابن جنى وادعى أن ذلك من عند الله فربما استفيد من معنى الفعـل واسمه فبعد بحسب أصلها يتضمن معنى الظرفيـة ولكن أبا على لم يعطنا رأيا صريحا بل اضطرب بين روايات ثلاث كما سبق ، أما قول ابن جنى بأنها رباعية مكررة فهذا أمر مقبول •

---

(٥٤) اللسان ج ١٣ ص ٥٥٤ ، ٥٥٥ .

(٥٥) الخصائص (باب فى تسمية الفعل) ج ٣ .

هلم

تستعمل عند الحجازيين اسم فعل أمر بطريقة واحدة ، فلا تلحق بها الضمائر البارزة ، وانما يستتر فاعلها ، مفردا أو مثنى ، أو جمعا ، مذكرا أو مؤنثا ، فتقول : هلم يا زيد ، وهلم يا زيدان ، وهلم يا زيدون ، وهلم يا هندان ، وهلم يا هندات .

وبنو تيم[٥٦] يجعلونها فعل آمر تتصل بها الضمائر للمفرد والمثنى والجمع مذكرا ومؤنثا ، فيقولون : هلم يا زيد ، وهلمى يا هند ، وهلما يازيدان ويا هندان ، وهلموا يا زيدون ، وهلممن يا هندات .

وجاءت (هلم) فى القرآن بلهجة الحجاز ، قال تعالى : (قل هلم شهداءكم) (والقائلين لاخوانهم هلم الينا) .

ولذا رجح النحاة لهجة الحجاز[٥٧] وذكر الرازى أنها أفصح[٥٨]

ويرى الخليل أن (هلم) مركبة من (ها) التى للتنبيه و (لم) بمعنى : اجمع شملك الينا ، وحذفت الألف تخفيفا لكثرة الاستعمال ،

---

(٥٦) ينسب الخليل لهجة غير الحجازيين الى بطن من تميم هم بنو سعد (العين ٥٦/٤ والصحاح (هلم) ونسبها الأزهرى الى تميم وبنى سعد (التهذيب ٤٣٧/٦) ونسبت أيضا الى تميم وبعض نجد (تاج العروس ١٠٨/٩) والى أهل نجد (المصباح ص ٦٤٠) وفيه أن أبا زيد قال : (استعمالها بلفظ واحد للجميع من لغة عقيل وقيس والحاق الضمائر من لغة تميم وعليها أكثر العرب) ، لكن وقوعها فى القرآن بلغة الحجاز وعدم قراءتها — ولو شذوذا — باللغة التميمية دليل على أن أكثر العرب على لهجة الحجاز لا لهجة تميم . انظر لغة تميم د. ضاحى عبد الباقى ص ٤٨٩ .

(٥٧) الكتاب (باب ما لا يجوز فيه نون خفيفة ولا ثقيلة وذلك الحروف التى للأمر والنهى وليست بفعل نحو ايه وصه ومه وأشباهها ٢٥٩/٣ والمقتضب ٢٠٢/٣ ، ٢٠٣ وشرح المفصل ٤١/٤ والأشمونى ٢٠٦/٣ واللسان (هلم) .

(٥٨) مختار الصحاح ص ٦٩٨ .

يقول سيبويه ، وزعم (أى الخليل) أنها (لم) — بضم اللام وتشديد الميم المفتوحة — لحقتها ها للتنبيه وانما حذفوا الألف لكثرة استعمالهم هذا فى كلامهم[٥٩] • وعند الأخفش أنها مركبة من (هل) التى للاستحثاث و (لم) •

ويرى الفراء أنها مركبة من (هل) و (أم) بمعنى اقصد ، ثم حذفت الهمزة تخفيفا ، وبناء على وجود الفعل فى تركيبها قال التميميون بفعليتها وقد وردت صيغة للمضارع منها : حكى الأصمعى أن الرجل يقال له : هلم فيقول : لا أهلم[٦٠] •

ويقول النحاة : ان (هلم) لما غير معناها بعد التركيب صارت كسائر أسماء الأفعال المنقولة عن أصلها عند الحجاز ، ولذا لم تتصرف عندهم ، على حين يصرفها بنو تميم نظرا لأصلها[٦١] •

هذا هو الرأى القديم فى (هلم) اسم فعل أمر وفعلا مركبا ، ولكن بعض المحدثين يميلون الى القول ببساطتها على ضوء اللغات السامية ، فالكلمة فى العبرية هى halom كلمة واحدة ليست مركبة ، وهو أقرب الى القبول •

الحاق الفعل علامة التثنية والجمع

اذا كان الفعل اسما ظاهرا مفردا جاء الفعل بصيغة الافراد عند العرب جميعا[٦٢] • أما اذا كان الفاعل اسما ظاهرا مثنى أو جمعا مذكرا أو مؤنثا فان جمهور العرب يفردون الفعل فلا يلحقون به علامة

---

(٥٩) الكتاب ٢٥٩/٣ •

(٦٠) شرح المفصل ٤٣/٤ وانظر فى اعتبارها فعلا — عندهم — الأشمونى ٢٠٦/٣ والبحر المحيط ٢٣٥/٤ والهمع ١٠٧/٢ •

(٦١) شرح الكافية ٧٢/٢ ، ٧٣ والحجة للفارسى ١٤٦/١ ، ١٤٧ •

(٦٢) شرح درة الغواص للخفاجى ١٥٢ وشرح التصريح ٢٧٥/١ ، ١١٠/٣ وهمع الهوامع ١٦٠/١ والجنى الدانى للمرادى ١٧١ •

تثنية أو جمع فتقول : قام أخواك وقام اخوتك وقام أختاك وقامت أخواتك وقـال قومك فحذفوا العلامـة اكتفاء بما أظهروا[٦٣] وعلى ذلك تجرى الفصحى ، وفى القـرآن الكريم : (اذ قـالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بيحيى) •• الخ (ويومئـذ يفرح المؤمنون بنصر الله) ••• الخ •

ولكن بعض العـرب ومنهم قبيلة طيىء وبلحـارث بن كعب ، وأزد شنوءة[٦٤] وهى قبائل يمنية كانت تلحق الفعـل — اذا كان فاعله ظاهرا مثنى أو جمعا — علامة التثنية وعلامة الجمع فيقولون : قاما أخواك وقاموا اخوتك وقمن نسوتك ، يقول سيبويه :

(واعلم أن من العرب من يقول : ضربونى قومك وضربـانى أخواك وكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمـع عـلامة كما جعلوا للمؤنث قلت : مررت برجل أحمران أبواه تجعله اسما ومن قال أكلونى البراغيث قال : من قال : أكلونى البراغيث أجرى هذا على أوله فقال : مررت برجل حسنين أبواه ومررت بقوم قرشيين آباؤهم وكذلك أفعل نحو أعور وأحمر فتقول : مررت برجل أعور أبواه وأحمر أبواه فان ثنيت قلت : مررت برجل أحمران أبواه تجعله اسما ومن قال أكلونى البراغيث قلت على حد قوله : مررت برجل أعورين أبواه[٦٦] •

ووردت بعض آيات القرآن الكريم — ظاهرها — يشير الى هذه اللغة ومن ذلك قوله تعالى (ثم عموا وصموا كثير منهم) وقوله تعالى (وأسروا النجـوى الذين ظلموا)[٦٧] فبعض النحـاة يجعل الاسم الظاهر (كثير) و (الذين ظلموا) فاعلا على اللغة السابقة بيد أن

---

(٦٣) شرح الاشمونى ٤٨/٢ •
(٦٤) المصدر السابق ٤٨/٢ •   (٦٥) الكتاب ٢٣٦/١ •
(٦٦) المصدر السابق ٢٣٧/١ ط بولاق •
(٦٧) من المـائدة الآية ٧١ ومن الأنبياء الآية ٣ •

جمهور النحاة والمفسرين يحاولون تخريج الآيتين على اللغة المشهورة التى عليها جمهور العرب فيعربون « كثير » على أنه بدل من (الواو) التى يجعلونها ضميرا فاعلا فى عموا وصموا كما تقول : رأيت قومك ثلثيهم أو يضمرون فعلا آخر ارتفع بـه الاسم الظـاهر والتقدير (عمى وصم كثير منهم) أو « كثير » خـبر لمبتدأ محـذوف ويكون التقدير (العمى والصم كثير منهم)[٦٨] .

ويعربون (الذين ظلموا) بدلا من الواو فى (أسروا) العائد الى الناس قال المبرد : وهو كقولك : ان الذين فى الدار انطلقوا بنو عبد الله فبنو بدل من الواو فى انطلقوا أو يعرب (الذين ظلموا) خبر لمبتدأ محذوف والتقدير : هم الذين ظلموا أو مبتدأ وما سبقـه خبر الذين ظلموا وهو (وأسروا النجوى) أو منصوبا بفعل محذوف أى أعنى الذين ظلموا وأجاز الفـراء أن يكون خفضا بمعنى اقترب للناس الذين ظلموا حسابهم[٦٩] وهذه التأويلات عدها بعض العلماء تعسفا وتكلفا مستغنى عنه فان تلك اللغة (الحاق علامة الجمع للفعل) مشهورة ولها وجه من القياس واضح[٧٠] .

وجاءت تلك اللغة فى بعض الأحـاديث كقوله صلى الله عليـه وسلم : (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار)[٧١] والحديث رواه البخارى بسـنده عن أبى هريرة وتكملته : (يتعاقبون فيـكم

---

(٦٨) تفسـير القرطبى ٢٤٨/٦ وانظـر الـكتاب ٢٣٦/١ بولاق ، ٤١/٢ هارون قال سيبويه (وأما قوله جل ثناؤه (واسروا النجوى الذين ظلموا) فانما يجىء على البدل وكانه قال : انطلقوا فقيل له من ؟ فقـال : بنو فلان فقوله جل وعز (واسروا النجوى الذين ظلموا) على هذا فيما زعم يونس .

(٦٩) تفسير القـرطبى ٢٦٨/١١ ومعانى القرآن للفـراء ٣١٦/١ وشرح التصريح ٢٧٠/١ ، ٢٧٧ ومغنى اللبيب ٣٦٥/٢ .

(٧٠) فتح البارى ٢١٨/٣ .

(٧١) شرح الأشمونى ٤٨/٢ .

ملائـــكه بالنهار ويجتمعون فى صـــلاة الفجر وصلاة العصر ثم يخرج الذين باتوا فيسألهم ربهم — وهو أعلم بهم — كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون »[٧٢] .

فذكر الواو الى جانب الاسم الظاهر (ملائكة) وأول الحديث على أنه جزء من حديث طويل وأصله (ان لله ملائكة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار)[٧٣] .

وقد قال أبو حيان : ان الراوى قد تصرف فى الحديث بعبارته مستندا الى رواية البزار — عن أبى هريرة — بلفظ (ان لله ملائـــكة يتعاقبون فيكم) الحديث[٧٤] والواو — على هذه الرواية — ضمير الفاعل ولا شاهد فيـــه .

وأيد السيوطى رأى أبى حيان قـــائلا (وتوارده جماعـــة من شراح الحديث ومعهم ابن مالك على أن الحديث جاء على لغة أكلونى البراغيث والحق ما قاله جماعة آخرون منهم أبو حيـــان أن الحديث تصرف فيه الراوى)[٧٥] .

ولكن — كما قال ابن حجر — هذا الحديث ورد بلفظ (يتعاقبون فيكم ملائكة) فى الصحيحين فالعزو اليهما أولى[٧٦] .

ومن أقوال التابعـــين قول الحسن البصرى (قد أوكدتاه يداه وأعمدتاه رجلاه) أى صيرتاه عميدا وهو المريض الذى لا يستطيع أن يثبت على المكان حتى يعمد من جوانبـــه لطول اعتمـــاده فى القيام

---

(٧٢) فتح البارى ٢١٨/٣ — ٢٢١ رواه الشيخان والنسائى والامام مالك فى الموطأ ، تنوير الحوالك شرح للسيوطى على موطأ مالك ١٨٤/١ .

(٧٣) الفائق للزمخشرى ٧٣/٣ والنهاية ٣٩٧/٣ ولســـان العـــرب ٣٩٧/٤ .

(٧٤) فتح البارى ٢١٨/٣ .

(٧٥) تنوير الحوالك ١٨٤/١ .

(٧٦) فتح البـــارى ٢١٩/٣ .

عليهما يقال : عمـدت الشيء وأعمدته جعلت تحتـه عمادا وقوله : وأعمدتاه رجلاه عـلى لغـة من قـال : أكلونى البراغيث وهى لغة طيىء[٧٧] .

ومن الشعر الذى جرى أصحابه عـلى هذه اللغـة قول عمر بن ملقط الطـائي :

ألفيتـا عينـاك عنـد القفـا أولى لـك ذا واقيـة[٧٨]

بدلا من : ألفيت عينـاك .

وقول آميـة بن الصلت :

يلومونني فى اشتراء النخيـل أهلى فكلهم يعذل[٧٩] .

بدلا من يلومنى أهلى .

وقول عبد الرحمن العتبى :

رأين الغوانى الشيب لاح بعارضى فأعرضن عنى بالخـدود النواضر

بدلا من : رأت الغوانى .

وقـال الفرزدق :

ولـكن ديـافى أبـوه وأمـه

بحـوران يعصرن السليط أقاربه[٨٠]

بدلا من : (يعصر أقاربه) .

وقول عبد الله بن قيس الرقيـات :

تولى قتـال المـارقين بنفسـه وقـد أسلماه مبعد وحميم[٨١]

وبعض العلماء من القدامى حـكم بأنها غير فصيحـة أو قليلة

---

(٧٧) النهاية ٣٩٧/٣ .
(٧٨) شرح شواهد المغنى ١١٣ وأمالى ابن الشجرى ١٣٢/١ .
(٧٩) ديوان أمية بن الصلت ١٦ والدرر اللوامع ١٤٢/١ وأمـالى ابن الشجرى ١٣/١ وشرح التصريح ١٧٦/١ والهمع ١٦٠/١ .
(٨٠) الكتاب ٤٠/٢ والشاعر يهجو عمرو بن عفراء الضبى وديافى : قرية بالشام وحوران من مدن الشام والسليط : الزيت .
(٨١) ديوان ابن قيس الرقيات ٣٥/٢ ، ١٩٦ وأمالى ابن الشجرى ١٣١/١ وشرح التصريح ٢٧٧/١ والهمع ١٦٠/١ .

وبعضهم أشار الى أنها لغة فاشية أو لغة حسنة[٨٢] وأصحاب هذه اللهجة طيىء وبنو الحارث بن كعب وأزد شنوءة وأضرابهم من العرب — كما أشرنا من قبل .

وهذه اللهجة ظلت على بعض الألسنة حتى عصر الحريرى المتوفى سنة ٥١٦ هـ وعدها لحنا لكنها لهجة عربية ليست بلحن كما قال الشهاب الخفاجى فى شرح الدرة ، وهى شائعة فى اللهجات الدارجة الآن فى مصر مثل (لامونى النـاس) الخ وقد اتخذ المجمع قرارا بجوازها فقال : « يجوز اذا كان الفاعل اسما ظاهرا أو مثنى أو مجموعا جمعا لمذكر أو مؤنث أو ما يدل على أحدهما أن يلحقوا الفعل المسند الى أحدهما علامة التثنية أو علامة الجمع »[٨٣] .

وربما كان الحاق العلامة شائعا ابان نشأة اللغة ثم تطورت الى ترك العلامة بعد عصر تهذيب اللغة بما استقرت عليه الفصحى .

فعال للمؤنث

يختلف العرب فى اعراب ما جاء على (فعـال) علما لمؤنث : فالحجازيون يبنونه على الكسر مطلقا رفعا ونصا وجرا سواء كان آخره راء أو لا مثل حذام وقطـام ولكاع ، ومن ذلك قول لجيم بن صعب بن بكر بن وائل :

اذا قـالت حـذام فصدقوها ... فان القول ما قالت حـذام[٨٤]

ويفرق التميميون بين ما كان آخـره راء وما ليس آخره كذلك فان كان آخره راء فمعظم التميميين يبنونه على الكسر كالحجـازيين

---

(٨٢) انظر الكتاب ٢/٤٠ وفتح البـارى ٣/٢١٨ والبحر ٦/٢٩٧ والقرطبى ٦/٢٤٨ .

(٨٣) فى أصول اللغة ٢/٢١٠ .

(٨٤) الاشمونى ٣/٢٦٨ وشرح التصريح ٢/٢٢٥ .

فيقولون : هذه ظفار ودخلت ظفار ونزلت بظفار وعليه قول الشاعر :

متى ما ترد يوما سفار تجد بها أديهم يرمى المستجيز المعاورا(٨٥)

وقليل منهم يعربه اعراب ما لا ينصرف فيرفعه بالضمة وينصبه ويجره بالفتحة فيقول : هذا سفار ورأيت سفار وشربت من سفار .

وان لم يكن آخره راء فالتميميون يعربونه اعراب ما لا ينصرف فى جميع أحواله فيقولون : هذه حذام ورأيت حذام ومررت بحذام . وبناء (فعال) — علما لمؤنث — على الكسر مبنى على شبهه بفعال اسم الفعل لاشتراكهما فى الصيغة والتأنيث والتعريف والعدل وهم يشبهون الشىء بالشىء(٨٦) .

ومذهب التميمين فى اعرابه اعراب ما لا ينصرف هو القياس لأن ذلك شأن الأعلام المعدولة(٨٧) .

الاسم الموصول

يستعمل (الذى) و (التى) اسمين موصولين للمفرد والمفردة ، وفى المفرد لغات : (الذى) و (الذ) بحذف الياء ومثناهما : اللذان واللتان بتخفيف النون عند جمهور العرب ، وبعض العرب — تميم وقيس — يشدد النون فى التثنية فيقولون : اللذان واللتان بتشديد النون المكسورة .

ويرى الكوفيون أن تشديد النون يكون فى حالات الاعراب الثلاث الرفع والنصب والجر ، لكن البصريين يرون جواز التشديد

---

(٨٥) شرح التصريح ٢/٢٢٥ والشذور ٨٠ .
(٨٦) الكتاب ٣/٢٧٨ وشرح التصريح ٢/٢٢٥ .
(٨٧) الكتاب ٣/٢٧٧ .

فى حالة الرفع وقد وردت بعض القراءات بتشديد النون فى أحـوال الاعراب كلها[٨٨] ، ويعلل النحاة لجواز تشديد النون فى المثنى المذكر بأنه للتعويض عن الياء المحذوفة فى المفرد : الذى والتى أو لتأكيد الفرق بين صيغة المبنى والمعرب[٨٩] وبلحرث بن كعب وبعض ربيعة تستعمل المثنى المذكور بحذف النون حالة الرفع مثل قول الفرزدق :

أبنى كـليب ان عمى اللـذا قتـلا الملـوك وفـككا الأغـلالا

وقول الأخطـل :

همـا اللتـا لو ولدت تميم لقيـل غخـر لهـم عميـم

ومنه : هما اللتا أقصدنى سهماهما[٩٠] .

وهذا الحذف لتقصـير الموصول لطوله بالصلة لكونهما كالشىء الواحد وأمن الالتباس بالمفرد ولهذا لا يجوز حذف النون من اسمى الاشارة (ذان — تان) للالتباس بالمفـرد ولعدم الطول[٩١] ويرى بعض الباحثين أن بلحرث قبيلة يمنية وأكثرهم بدو ؛ وربيعة بعضها حضرى والآخر بدوى وتلك الظاهرة تناسب البدو من ربيعة[٩٢] .

وهذا فى رأينا كلام جـزافى فمرة يقول هذا الكاتب : قبـائل اليمن ومنهم بدو وهنا يقول . وأكثرهم بدو ؛ وربيعة يجعل بعضها بدوا وبعضها حضرا وكأن المسـألة فى يده يصنع ما يشاء بالقبائل فيصيرها بدوا أو حضرا اخضاعا لمـا يريده من التعليلات للهجـات وهذا لا دليل عليه .

---

(٨٨) الأشمونى ١٤٧/١ ، ١٤٨ وشرح التصريح ١٣٢/١ .
(٨٩) شرح التصريح ١٣٢/١ . (٩٠) اللســان ٣٤٣/٢٠ .
(٩١) شرح التصريح ١٣٢/١ وخزانة الأدب ٥٠٣/٢ وشرح المفصل ١٥٤/٣ .
(٩٢) اللهجات العربية فى التراث ٦٦٢/٢ .

أما الاسم الموصـــول لجماعة الذكور (الذين) فيلزم الياء فى جميع حالات الاعـــراب عند جمهور العرب وقد تحذف نون الجمـــع فيقال : (الذى) كما قال الأشيب بن بديلة :

وان الذى حـــانت بفلج دماؤهم   هم القوم كل القوم يا أم خالد

ومنه ما أورده ثعلب :

فان ظفر القـــوم الذى أنت فيهم   فآبوا بفضل من سناء ومن غنم(٩٣)

وقيل : انها تحذف على لغة من يعرب الذين بالواو رفعا قال :

قومى الذو بعكاظ طـــيروا شررا   من رأس قومك ضربا بالمصاقيل(٩٤)

ولكن كيف قصروا ذلك على المرفوع مع أن سبب الحذف كمـــا يتحقق حال الرفع يتحقق حالى النصب والجر وصورة اللفظ واحدة فيها جميعا ؟

وبعض العرب كهذيل وعقيل يعربون (الذين) اعـــراب جمع المذكر السالم بالواو رفعا وبالياء نصبا وجرا ، قـــال أحد شعراء بنى عقيل أو رؤبـــة :

نحن الذون صـــبحوا الصـــباحا   يـــوم النخيـــل غارة ملحاحا(٩٥)

وذكر بعض النحويين أن بعض العرب ومنهم هذيـــل يستعمل (اللاءون) اسما موصولا لجماعة الذكور بالواو حال الرفـــع وبالياء (اللائين) حالى النصب والجر وعليها قول الشاعر الهذلى :

هم اللاءون فـــكوا الغـــل عنى   بمرو الشاهجان وهم خصاص(٩٦)

---

(٩٣) مجالس ثعلب ٢/٣٦٥ .
(٩٤) شرح المفصل ٣/١٥٦ وخزانة الأدب ٦/١٤ ، ١٧ .
(٩٥) الهمع ١/٨٣ والأشمونى ١/١٤٩ وشرح المفصل ٣/١٤٤ والمغنى ٢/٤١٠ وابن عقيل ١/١٤٤ .
(٩٦) المغنى ٢/١١٠ ، والهمع ١/٨٣ .

وهذا على غير المشهور من استعمال (الألاء) اسما موصولا لجماعة الاناث .

اعراب المثنى

المشهور أن المثنى يرفع بالألف وينصب ويجر بالياء عند جمهور العرب ، فيقولون : جاء أخواك ورأيت أخويك ومررت بأخويك ، وبعض العرب : بلحرث بن كعب ، وخثعم ، وكنانة وبلعنبر ، وبطون من ربيعة ، وبكر بن وائل وزبيد وهمذان وعذرة(٩٧) يلزمون المثنى الألف مطلقا — رفعا ونصبا وجرا — قال الشاعر :

ان أباها وأبا أباها قد بلغا فى المجد غايتاها

وقال الآخر :

أعرف منها الجيد والعينانا ومنخرين أشبها ظبيانا

وفى رواية : أعرف منها الأنف .

وقال الآخر :

فأطرق اطراق الشجاع ولو يرى مساغا لناباه الشجاع لصمما

وقال هوبر الحارث :

تزود منا بين أذناه طعنة دعته الى هابى التراب عقيم(٩٨)

وقد ورد ذلك فى بعض القراءات كما فى قراءة : (ان هذان لساحران) بتشديد النون فى بعض قراءات السبعة كنافع وابن عامر وحمزة والكسائى(٩٩) وعليها قراءة : (فكان أبواه

---

(٩٧) الهمع ١/٤٠ ، وليس فى كلام العرب ٣٢٤ والصاحبى ٢٩ .
(٩٨) الصاحبى ٢٩ ، وشرح المفصل ١٢٨/٣ ، ١٢٩ والأشمونى ٧٩/١ .
(٩٩) السبعة لابن مجاهد ٤١٩ .

مؤمنان)[١٠٠] وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (لا وتران فى ليلة)[١٠١] وفى نوادر أبى زيد أن الياء الساكنة اذا انفتح ما قبلها تقلب ألفا — فى المثنى وغيره — وعلى هذا جرى أصحاب هذه اللهجة فى المثنى فهم يقولون : أخذت الدرهمان بدلا من الدرهمين ، وفى عليها يقولون : علاها ، وفى السلام عليكم : السلام علاكم. لانفتاح ما قبل الياء الساكنة فتقلب ألفا وهذا عند بلحرث ابن كعب [١٠٢] .

ويرى بعض الباحثين أن ظاهرة اعراب المثنى بالألف فى الحالات الثلاث يمكن تفسيرها وفق قانون السهولة وذلك لانكماش الصوت المركب (Diphtong) أى ai فيحول الى كسرة طويلة سالمة كالذى نلاحظه فى نطق المثنى فى عاميتنا المصرية مثل ولدين (uala den) بدلا من (ولدين) ثم تحولت هذه الكسرة الطويلة السالمة الى فتحة طويلة وهو شبيه بتحويل الامالة فيما أصله ياء الى الألف عند الحجازيين ولهذا التحول نظائر فى عاميتنا مثل (فان) — عند بعض سكان مصر — المتطورة عن (فين) والتى أصلها (فين) اختصار (فأين) كما أن له نظائر فى العربية القديمة مثل (عاب) و (باع) المتطورين عن (عيب) و (بيع) .

ويرى أن هذه اللهجة تمثل الطور الثالث لصوت اللين المركب وقد اتخذت اللغة النموذجية أحوال المثنى من لهجات مختلفة ثم خصص النحاة حالة الياء بالنصب والجر وحالة الألف بالرفع[١٠٣] .

ونقول لهذا الكاتب : ان هذا التحول يمكن اذا كانت الألف لم

---

(١٠٠) البحر المحيط ١٥٥/٦ .

(١٠١) الترمذى ٢٩٣/١ . (١٠٢) النوادر ٥٨ .

(١٠٣) فى اللهجات العربية ١٤٣ ، ١٤٤ .

توجد فى اللهجات العربية الأخـرى لكنها واقعـة فى بعض جوانب الاعراب وهو حالة النصب فلسنا بحـاجة الى هذا التحليل الغريب الذى لا دليل عليـه •

وكذلك أخذ أوجه الاعراب من لهجات متعددة لا دليل عليه أيضا وليس من عمل النحاة كما ادعى هذا الكاتب •

ما الحجـازية والتميمية

ترد (ما) نافية وهى من الحروف غير المختصة التى تدخـل على الأفعال والأسماء ، والمعروف أن أصل العمل أن يكون للأفعال لأن كل فعل لابد له من فاعل الا ما استعمل زائدا مثل (كان) أو فى معنى الحرف مثـل (قلما) أو تركب مع غـيره مثل (حبذا) وما يعمل من الأسـماء فانما ذلك لشبهه بالفعل كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة الخ •

والحروف نوعان : نوع مختص بما يدخل عليه ولم ينزل منزلة الجزء منه فيعمل فيه •

ونوع لم يختص أو اختص ولكن تنزل منزلة الجزء منـه فهذا لا يعمل لأن جزء الشىء لا يعمل فى الشىء •

و (ما) حرف غير مختص ولها شبهان :

أحدهما عام : راعاه بنو تميم •

والثانى خاص : وهو شبهها بليس فى كونها للنفى وداخله على المبتدأ والخبر وتخلص المحتمل للحـال كما أن ليس كذلك ، وراعى هذا الشبه أهل الحجـاز فأعملوها عملها فرفعوا بها المبتدأ اسمالها ونصبوا الخبر خبرا لها(١٠٤) •

---

(١٠٤) همع الهوامع ١/١٢٣ •

وقد أعملها الحجازيون — عمل ليس — بشروط :

١ — ألا ينتقض النفى بالا .

٢ — ألا تزاد بعدها ان النافية فان زيدت بطل عملها مثل :

بنى غدانة ما ان أنتم ذهب ولا صريف ولكن أنتم الخزف

٣ — ألا يتقدم خبرها فان تقدم بطل عملها نحو ما قائم زيد خلافا للفراء وغيره الا اذا كان جارا ومجرورا أو ظرفا .

وجاء على ذلك قوله تعالى : (ما هذا بشرا)[١٠٥] ، (ما هن أمهاتهم)[١٠٦] وقرىء (أمهاتهم) — بالرفع على لغة تميم — واللغة الأولى أقيس والثانية أفصح وبها ورد الكتاب العزيز[١٠٧] كما تقدم .

زيادة الباء فى خبرها :

وتزاد الباء فى خبر (ما) عند الحجازيين قياسا على (ليس) فى الراجح من الآراء ، يقول ابن يعيش : « والأصل فى زيادة الباء فى النفى مع ليس وحملت (ما) الحجازية على ليس اذ كان خبرها منصوبا كخبر ليس »[١٠٨] .

وذهب قوم الى أن أصل دخول الباء انما هو مع (ما) لضرب من التقابل وذلك أن القائل يقول : ان زيداً قام فيقول النافى لذلك الخبر : ما زيد قائما فيدخل (ما) بازاء (ان) فاذا قال : ان زيدا لقائم قال النافى : ما زيد بقائم فتأتى الباء لتأكيد النفى كما أتى باللام لتأكيد الايجاب فصار الحرفان بازاء الحرفين[١٠٩] ومن

---

(١٠٥) سورة يوسف الآية ٣١ .
(١٠٦) سورة المجادلة الآية ٢ .
(١٠٧) شرح المفصل ١٠٨/١ .
(١٠٨) المصدر السابق ١١٥/٢ ، ١١٦ .
(١٠٩) المصدر السابق ١١٦/٢ .

أمثلة زيادة الباء فى خبر (ما) قوله تعالى : (وما هم بمؤمنين)[١١٠] ودخلت الباء لتأكيد النفى .

زيادة (من) مع اسمها :

وتزداد (من) كذلك مع المبتدأ أو اسم (ما) فى مثل قوله تعالى : « ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير »[١١١] (من ولى) (من) هى التى للاستغراق اذا كانت تميمية .

وكذلك اذا كان « ولى » اسم (ما) فتزاد (من) لما ذكر ، من ذلك قوله تعالى : « وما على الذين يتقون من حسابهم من شىء »[١١٢] .

فتوجه (من شىء) على ما تقدم ، فتكون (ما) تميمية أو حجازية على جواز تقدم الخبر اذا كان جارا ومجرورا أو ظرفا .

الوقف على تاء التأنيث

اذا كان الاسم مفردا مختوما بتاء التأنيث ففى الوقت عليه طريقتان :

الأولى : الوقف بالهاء فتقول : فاطمة وطلحه .

الثانية : الوقف بالتاء عند طيى[١١٣] فيقولون : فاطمت ، طلحت وهذه أمت فى (أمة) وسمع بعضهم يقول : يا أهل سورة البقرت فقال مجيب : ما أحفظ منها ولا آيت ، وعليها أنشد قطرب لراجز من حمير أو أبى النجم :

---

(١١٠) سورة البقرة ٨ .

(١١١) سورة البقرة ١٠٧ .

(١١٢) الأنعام ٦٩ .

(١١٣) نسبت أيضا الى حمير واهل اليمن .

واللـــه أنجـــاك يكفى مـــسلمت   من بعـــدما وبعـــدما وبعدمت
صارت نفوس القوم عند الغلصمت   وكادت الحرة أن تدعى أمت[١١٤]

وقد وقف بعض القراء على بعض الكلمات بالتاء موافقة لرسم المصحف فى مثل قوله تعالى : (أولئك) يرجون رحمت الله) وقوله سبحانـــه (ان رحمت الله قريب من المحســـنين) وقولـــه سبحانه : (واذكروا نعمت الله عليكم) وقوله جـــل شأنه (ذكـــر رحمت ربك عبده زكريا) ، وعلى هذا رسمت فى المصحف العثمانى بعض التاءات المفتوحة وهى للتأنيث ، قال سيبويه : « وزعم أبو الخطاب الأخفش أن ناسا من العـــرب يقولون فى الوقف : طلحت كما قالوا فى تاء الجمع قولا واحدا فى الوقف والوصل »[١١٥] وهى لغة فاشية [١١٦] وهذا كله اجراء للوقف مجرى الوصل خوفا من الخفاء لأن التـــاء أظهر من الهـــاء .

هذا فيما اذا كان قبل التاء متحرك ، أما اذا كان ما قبلها ساكنا صحيحا مثل : بنت وأخت فالوقف عليها بالتاء فقط .

واذا كان ما قبل التاء ساكنا مثلا — فى غير جمـــع المؤنث — مثل الصلاة ، فالأرجح الوقف عليها بالهاء ، وقد يوقف عليها بالتاء مثـــل الصـــلات .

أما جمـــع المؤنث السالم فيوقف عليـــه بالتاء مثـــل : البنات والأخوات .

وقد أجرى بعض العرب الجمع مجرى المفرد شذوذا ، فوقفوا عليه بالهاء وهم قبيلة طيىء[١١٧] يقول الشيخ خالد الأزهرى : ومن

(١١٤) شرح المفصل ٥/٨٩ والهمـــع ٢/٢٠٩ والأشمونى ٤/٢١٤ والتصريح ٢/٣٤٤ .

(١١٥) الكتاب ٤/١٦٧ .

(١١٦) شرح المفصل ٥/٨١ .

(١١٧) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الوجه الثانى من الورقة ١٠٧ .

الوقف بالابدال هاء قولهم : كيف البنون والبناه ، وكيف الاخوه والأخواه وقولهم : (دفن البناه من المكرماه) حكاه قطرب عن طيء بابدال تاء الجمع هاء فى الوقف ، تشبيها بتاء التأنيث الخالصة ، وقال ان الراجح فى تاء الجمع الوقف عليها بالتاء ، وانما كان الأرجح الوقف عليها بالتاء لأنهم لما أرادوا أن يكون فى جمع المؤنث السالم زيادتان لم يكفهم أن يزيدوا الواو ولا الياء مع الألف لأنهم لو زادوهما لانقلبتا همزة فزادوا التاء معه لأنها تصير بدلا من الواو كما فى تخمة فصارت علامة التأنيث وأغنت عن أن يقال فى مسلمة : مسلمتات ، فلما أفادت هذه التاء الجمع والتأنيث وأغنت عن علامة التأنيث الملحقة بالواحد أثبتت فى الوقف ولم تبدل هاء وعاملوا ما ألحق بالجمع معاملته لأنهم لما أجروه مجراه فى الاعراب أجروه مجراه فى غيره(١١٨) .

ويرى بعض الباحثين المحدثين أن تاء التأنيث تنقلب هاء فى الوقف ويقول : « ان هذه الظاهرة ليست فى الحقيقة قلب صوت الى آخر ، بل هى حذف الآخر من الكلمة ، وما ظنه القدماء هاء متطرفة هو فى الواقع امتداد فى النفس حين الوقوف على صوت اللين الطويل أو كما يسمى عند القدماء ألف المد ويصدق ذلك على الأسماء المؤنثة المفردة التى تنتهى بما يسمى التاء المربوطة فليس يوقف عليها — كما ظن النحاة — بحذف آخرها ويمتد التنفس بما قبلها من صوت لين قصير (الفتحة) فيخيل للسامع أنها تنتهى بالهاء .

ويؤيده بعضهم بأنه ليس لرأى القدماء ما يسنده من الناحية الصوتية فلا تقارب بين تاء التأنيث والهاء ولكن الملاحظة الصوتية تثبت وجود الهاء حال الوقف على الاسم المختوم بالتاء .

---

(١١٨) شرح التصريح ٣٤٣/٢ والمفصل ٤٥/١٠ وقد وقف على بعض التاءات الأصلية بالهاء مثل التابوت واللات والعنكبوت وهيهات ، نسب ذلك الى اليمن وطيء والانصار من الأزد اليمانية ممن هاجر قبل الاسلام وقرأ الكسائى والبزى : هيهاه فى القرآن (المؤمنون ٣٦) والنشر ١٣١/٢ .

مطابقة المصدر لموصوفه

المشهور أن المصدر لا يطابق الموصوف ، فيأتى بالافراد والتذكير للواحد والمثنى والجمع مذكرا ومؤنثا ، فتقول : رجل عدل ، وامرأة عدل ورجلان عدل وامرأتان عدل ورجال عدل ، ونساء عدل .

وهذا لأن الوصف بالمصدر من قبيل الوصف بالجنس ، فالمصادر أجناس للمعانى[١١٩] كما أن غيرها أجناس للأعيان كرجل وفرس .

فالتذكير والافراد أقوى فى اللغة ، وأعلى فى الصيغة ، قال تعالى : (وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب) وقال جل ثناؤه : (وان كنتم جنبا فاطهروا) .

وانما كان التذكير والافراد أقوى من قبل أنك لما وصفت بالمصدر أردت المبالغة بذلك ، فكان من تمام المعنى وكماله أن تؤكد ذلك بترك التأنيث والتثنية والجمع للمصدر ، ألا ترى أنك اذا انثت ، أو ثنيت أو جمعت سلكت به مذهب الصفة الحقيقية التى لا معنى للمبالغة فيها ، نحو قائمة ومنطلقة وضاربات ومكرمات فكان ذلك يكون نقضا للغرض أو كالنقض له ، فلذلك قل حتى وقع الاعتذار لما جاء منه مؤنثا أو مجموعا[١٢٠] .

وذلك جرى على الأصل للمصادر من الافراد والتذكير[١٢١] .

وقال الزجاج : يقال : رجل جنب ورجلان جنب وقوم جنب وامرأة جنب كما يقول رجل رضا ، وقوم رضا ، وانما هو على تأويل ذوو جنب لأنه مصدر والمصدر يقوم مقام ما اضيف اليه[١٢٢] .

---

(١١٩) الخصائص ٢/٢٦ . (١٢٠) المصدر السابق ٢/٢٠٧ .
(١٢١) شرح التصريح ٢/١١٣ .
(١٢٢) معانى القرآن واعرابه ٢/١٦٩ .

ويقول الأستاذ العقاد — عن الوصف بالمصدر — فاذا وضع المصدر موضع الصفة فهو واحد فى مدلوله ، لأن معنى المصدر لا يتغير مع الفاعل المذكر أو الفاعل المؤنث ، ولا مع الواحد أو الكثير ، فان (العدل) — مثلا — عدل واحد فى صفته على جميع الحالات ، فلا ضرورة لعلامات التأنيث أو الجمع اذا أراد المتكلم أن يستغنى عنها ، ولا يختلف المعنى اذا قيل : رجل عدل وامرأة عدل ورجال عدل ونساء عدل ، لأن الأسماء هنا فى حكم المضاف والمضاف اليه من جهة المعنى(١٢٣) .

فالوصف بالمصدر على معنى عادل وعادلة وذو عدل وذات عدل وذوا عدل وذواتا(١٢٤) عدل وذوو عدل وذوات عدل .

وبعض العرب يجيز تثنية المصدر وجمعه وتأنيثه ، وهذا قليل ، يقول الزجاج : من العرب من يثنى ويجمع ويجعل المصدر بمنزلة اسم الفاعل ، واذا جمع جنب قلت : فى الرجال جنبون ، وفى النساء جنبات ، وللاثنين جنبان(١٢٥) .

ويقول سيبويه : وأما فعل — بضم الفاء والعين — فهو فى الصفات قليل ، وهو قولك : جنب — بضم الجيم والنون — فمن جمع من العرب قال أجناب ، كما قالوا : أبطال(١٢٦) .

---

(١٢٣) مجلة الأزهر . عدد رجب سنة ١٣٨١ هـ — ديسمبر ١٩٦١ م من مقال بعنوان (الصفة فى اللغة العربية) ص ٧٨٩ .

(١٢٤) كان القياس ان يقال ذاتا مثنى ذات بمعنى صاحبة ولكن عين الكلمة ردت وهى الواو فقيل ذواتا اتباعا لأسلوب القرآن الكريم فى قوله تعالى (ذواتا أفنان) انظر النهر الماد من البحر على هامش البحر المحيط لابى حيان ج ٨ ص ١٩٤ .

(١٢٥) انظر نص الزجاج السابق وشرح التصريح ١١٣/٢ .

(١٢٦) معانى القرآن للزجاج ١٦٩/٢ .

ويقول الأزهرى : وأما قول العـرب رجـل ضيف ، ورجـال اضياف وضيوف وضيفان وامرأة ضيفة فقليل[١٢٧] .

وجعل ذلك المبرد مخالفا الوجه الأقـوى فقال : ليس بالوجه رجلان جنبان وامرأة جنبة وقوم أجناب[١٢٨] .

وجاء فى الحديث عن عائشـة (كنت أغتسل أنا ورسـول الله صلى الله عليه وسلم من اناء واحد ونحن جنبان)[١٢٩] .

وجاء مثل ذلك فى الشعر كما فى قول الخنساء :

ابـكى أخـاك لأيتـام أراملـة

وابكى أخـاك اذا جـاورت أجنابا[١٣٠]

ولكن اللهجة الأولى هى الأقـوى والافصح[١٣١] وقد جـرى القرآن على الأكثر الأفصح كما ذكرنا من قبل .

---

(١٢٧) الكتاب ٣/٦٢٩ .
(١٢٨) الكامل ٣/١٥ .
(١٢٩) صحيح مسلم ١/٢٥٦ .
(١٣٠) ديـوانها .

لهجــات يلفقها النحــاة

قبــل وبعــد

لعلك تقرأ فى كتب النحو أن لقبل وبعد أربع حالات .

١ ـ حالة ذكر المضاف اليه مثل : قبلهم وبعدهم .
وتعربان حينئذ .

٢ ـ حالة حذف المضاف اليه ونية لفظه .

٣ ـ حالة قطعهما عن الاضافة لفظا ومعنى .

وفى هاتين الحالتين يعرب اللفظان .

٤ ـ حالة حذف المضاف اليه ونية المعنى وهنا يبنى اللفظان .

والحالات الثلاث الأخيرة ـ كما ترى ـ قسمها النحاة ـ فى حكمها النحوى ـ الى موقفين : موقف تعرب فيه قبل وبعد وموقف تبنيان فيه وهذه الحالات الثلاث ليست فى رأيى إلا تصويرا لحالة واحدة ، وهى حالة حذف المضاف اليه فقط ويبدو لى ـ كذلك ـ أن هذه الحالة كان العرب يقفون حيالها مواقف مختلفة .

فبعض العرب يعربون اللفظين ـ حينئذ ـ وبعضهم يبنيهما ولا شىء غير ذلك .

وفى الحقيقة أن النحــاة لفقوا طرائق العــرب فى اعرابها ، وبنائها وجعلوا منها قاعدة يجوز فيها الوجوه التى ذكروها .

ويبدو لك عدم جدوى هذه العلل النحوية من تصويرهم لحــال حذف المضاف اليه ، بأنه تارة يقصد اللفظ ، وتارة يقصد المعنى ، وتارة يحذف ، ولا يقصد .

ولا يبدو الفرق على وجه التحديد بين نية اللفظ ، ونية المعنى ، فما الفرق بين أن أقصد تقدير لفظ معين وهو الغلب — مثلا — فى قوله تعالى (لله الأمر من قبل ومن بعد) وبين أن أقصد لفظا عاما دون تحديد كالغلب أو النصر أو الفوز أو التفوق أو نحو ذلك ؟ ان هاتين الحالتين — فى نظر المتكلم والسامع — سواء لا فرق بينهما فالمهم أن المضاف اليه ملحوظ بما يؤدى المعنى المراد .

ثم ان الحالة الثالثة التى ادعوا فيها أن المضاف قد حذف وقطعت الكلمتان — قبل وبعد — عن الاضافة لا يبدو أنها كما تصوروا ، فالملاحظ أن ذهن المتكلم أو السامع — فى تلك الحالة نفسها — لا ينصرف عن المضاف اليه المقدر ، وتأمل معنى هذا البيت الذى يدعون فيه أن لفظ (قبل) فيه قد قطع عن الاضافة :

فساغ لى الشراب وكنت قبلا أكاد أغص بالماء الفرات

ألا ترى أن المعنى : وكنت قبل أخذ الثأر الذى يرمز الشاعر اليه ، وقيل البيت فى مناسبته ؛ أو أن (قبلا) اذا لم يكن تقدير المضاف اليها ذلك أو نحوه فماذا يكون المقصود قبل أى شىء ؟ اذ لابد من شىء محذوف مقدر لحظه المتكلم فى نفسه ، ويلحظه السامع كذلك ، وان لم يذكر صراحة .

ويدل لذلك أيضا أن الآية الكريمة السابقة قرئت بالأوجه الثلاثة فاذا لم يكن المقصود واحدا بالنسبة للمضاف اليه المقدر فعلام تصح هذه الأوجه ؟ وفيما يبدو أنها أوجه لطرائق النطق العربية التى أشرنا اليها .

ففى نظرى ان قول النحاة ان قبل وبعد تقطعان عن الاضافة نهائيا قول غير مسلم ، وان الكلمتين واشباههما من الظروف المبهمة كأسماء الجهات لا تكون الا فى حالتين :

١ — اضافة ظاهرة . ٢ — اضافة مقدرة

وأنها فى حالة ظهور المضاف اليه معربة لا محالة •

وفى حالة تقدير المضاف اليه تختلف لهجات العرب فيها فمن معرب لها ومن بان ولا شىء غير ذلك •

وتكون عملية نية المعنى ، ونيـة اللفظ والقطع عن الاضافة لا تعدو أن تكون حديثا فلسفيا محضا لا داعى اليه عند تدريس مثل هذه القواعد الراجعة الى اختلاف اللهجات •

لا النافيـة للجنس

يذكر النحاة فى باب (لا) النافية للجنس أن الصفة التى تتبع اسم (لا) المبنى على الفتح مثل (لا رجل ظريف فى الدار) يجوز فيها ثلاثة أوجـه :

١ — البناء على الفتح ، بتركيب الصـفة مع الموصوف تركيب خمسة عشر ودخول (لا) عليهما بعد التركيب •

٢ — النصب ، باعتبار محل اسم (لا) لأنه فى محل نصب ، لأنها — كما نعلم — تعمل عمل (ان) •

٣ — الرفع ، باعتبار محـل (لا) مع اسمها ، لأنهما معا فى موقع المبتدأ ، والمبتدأ — كما نعلم — يكون مرفوعا •

كما يذكر النحاة — أيضا — أن (لا) اذا كررت فى مثـل : (لا حول ولا قوة الا بالله) جاز فى الاسم الأول (حول) وجهان : (البناء على الفتح والرفع) ، فاذا فتح الاسم الأول جاز فى الاسم الثانى (قوة) ثلاثة أوجه :

١ — البناء على الفتح ، باعتبار (لا) الثانية عاملة عمل « ان »

٢ — النصب ، عطفا له على محل اسم (لا) الأولى و (لا) الثانية مهملة •

٣ — الرفع عطفا له على محل (لا) الأولى مع اسمها .

واذا رفع الاسم الأول جاز فى الاسم الثانى وجهان :

١ — البناء على الفتح — كما سبق — .

٢ — الرفع عطفا على الاسم الأول ، لأنبه مبتدأ مرفوع[1] .

ويلفت نظر الباحث هنا أن النحاة يجيزون كل هذه الوجوه ، فهى فى رأيهم سائغة الاستعمال ، فيجوز استعمال هذا وذاك كما يشاء المتكلم .

ولئن صح أن يحدث ذلك لنا فانه لم يكن يسوغ للعرب ، اذ أن القبيلة العربية الواحدة ، أو قبائل العرب كلها لم تكن تنطق بهذا وذاك كما يشاء لها الحديث ، ومجالاته ، والا كانت اللغة ضربا من الفوضى التى لا يوقف فيها عند حد ، والعربى حكيم يسير وفق طريقة يرتئيها ولا يحيد عنها .

فالمعروف أن العربى كان يتمسك بلهجته . فلا يتنازل عنها حتى فى أحرج الأحوال ، لأن لسانه قد طبع عليها ، ونشأ منذ نعومة أظفاره ، ويؤكد لنا ذلك القصص المروية عن الأعراب فى عصر فصاحة اللغة ومن تلك الروايات ما حكاه ابن جنى فى خصائصه من أن أبا حاتم — الراوية اللغوى المعروف — أقرأ أعرابيا بالحرم الآية الكريمة (طوبى لهم وحسن مآب) — وكان الاعرابى هذا ممن ينطق كلمة (طوبى) بالياء بدل الواو (طيبى) ، فقال له أبو حاتم : (طوبى) فنطق الاعرابى (طيبى) ، فكرر أبو حاتم (طوبى) وأعاد الأعرابى (طيبى) حتى ضجر أبو حاتم وتألم فقال : (طوطو) ، فقال الأعرابى ، (طىطى)[2] .

---

(١) انظر شذور الذهب ط ١١ (١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م) ص ١٢١ — ١٢٤ .

(٢) انظر الخصائص ٣٨٤/١ .

ولئن كان فى تلك القصة ما يدل على تعنت الأعرابى وتشدده فى عدم مطاوعة أبى حاتم على ما يريد ، فانه يدل دلالة قاطعة على أن العربى لم يكن يتنازل عن لهجته وعدم التنازل عن اللهجات لأنها أمر مركوز فى طبع الانسان لا يزال حتى يومنا هذا ، اللهم الا بعد كثير من عناء التغيير والممارسة .

وأريد من ذلك أن أقول : ان جواز مثل هذه الأوجه المتعددة فى الأمثلة التى ذكرتها يدل على أن تلك الأوجه كان كل منها عند فريق من العرب وطائفة منهم ؛ ثم ان النحاة جمعوا الأمثلة التى تحمل هذه الظواهر الاعرابية المتعددة فى اطار واحد ، وقالوا لنا : يجوز هذا ويجوز ذاك .

ويمكن أن نجد لكلامنا دليلا واضحا فى ذكرهم بعض الشواهد لتحقق هذه الظواهر الاعرابية ؛ فقد رووا لنا لكل وجه منها شاهدا من القرآن أو الشعر وهو بلا ريب يحمل وجها واحدا فقط لا عدة أوجه مما يؤكد كلامنا فى أن هذه الأوجه ترجع الى اختلاف اللهجات .

ويبدو ذكر اللهجات واضحا فيما كتب السابقون من النحاة فى هذا الباب كقول سيبويه (والدليل على أن لا رجل — بفتح اللام — فى موضع اسم مبتدأ وما من رجل — فى موضع اسم مبتدأ فى لغة بنى تميم قول العرب من أهل الحجاز : لا رجل أفضل منك)[٣] .

ولذا فان تعليلات النحاة لبعض هذه الوجوه كان مجرد فلسفة عقلية محضة كتعليلهم لوجه رفع الصفة ورفع الاسم بعد (لا) الثانية — مع بناء الاسم الأول على الفتح — فانهم يعللون ذلك — كما ذكرنا — بالعطف على محل (لا) مع اسمها ، وهذا شىء لم يكن يعرف العربى عنه شيئا ، كذلك فان مسألة تركيب الاسم والصفة ، وبنائهما كما تركب خمسة عشر لم يكن فى ذهن العربى عند نطقه بتلك العبارة على هذه الصفة .

---

(٣) الكتاب ٢/٢٧٥ ، ٢٧٦ .

الفصل الثالث

الفك والادغام

الفك والادغام فى الفعل الثلاثى المضعف

مضعف الثلاثى[1] هو : ما كانت عينه ولامه من جنس واحد[2] .

ولهذا الفعل من حيث الفك والادغام أحوال :

فتارة يكون ترك الادغام ـ بابقاء كل حرف على حاله ـ وهو الفك ـ ملتزما عند العرب .

وأخرى يكون ادغام العين واللام ملتزما كذلك عندهم جميعا الا ما خالف ذلك مما عد شاذا

وثالثة يختلف العرب فى فكه وادغامه .

فيلتزم الفك فى الماضى منه والمضارع والأمر حال الاسناد الى ضمائر الرفع المتحركة .

فمن الصد والجد تقول فى الماضى صددت وجددت وصددنا وجددنا ، وصددن وجددن وفى المضارع والأمر[3] يصددن ويجددن

(١) الفعل المضعف نوعان : ثلاثى وهو ما نتحدث عنه ، ورباعى وهو ما كانت فاؤه ولامه الأولى من جنس ، وعينه ولامه الثانية من جنس مثل زلزل ووسوس وهذا النوع يأخذ حكم الفعل السالم فلا يعتريه تغيير عند اسناده الى الضمائر أو الاسم الظاهر لأن الحرفين المتماثلين فيه غير متجاورين .

(٢) فيخرج منه مضعف العين مثل كبر ومضعف اللام مثل أبيض واقشعر واطمأن واستعد واجتر واحمر وضار ، ويعامل مضعف اللام معاملة المضعف الثلاثى أما الأول فلا يحدث فيه تغيير عند الاسناد الى الضمائر أو الاسم الظاهر .

(٣) يسند اليهما ـ من الضمائر المتحركة ـ نون النسوة فحسب .

واصددن واجددن ، وقال تعالى : (وان يستعففن خير لهن) وقال عز حكمه : (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) .

ويلتزم الادغام عند اسناد المضعف — بأنواعه الثلاثة الماضى والمضارع والأمر — الى ضمائر الرفع الساكنة كألف الاثنين أو واو الجماعة أو ياء المخاطبة[٤] فتقول : فى الماضى — صدا وجدا وصدوا وجدوا ، وفى المضارع المرفوع : يصدان ويجدان ويصدون ويجدون وتصدين وتجدين والمنصوب والمجزوم : لن أو لم يصدا ويجدا ويصدوا ويجدوا وتصدى وتجدى وفى الأمر : صدا وجدا وصدوا وجدوا وصدى ، وجدى .

وكذلك يجب الادغام فى الماضى المضعف اذا أسند الى الاسم الظاهر أو الضمير المستتر أو لحقته تاء التأنيث فتقول : جد خالد وصد على ، ومحمد جد ، وجدت آلاء .

وكذلك يجب الادغام فى المضارع المضعف اذا اسند الى الاسم الظاهر أوالضمير المستتر فى حالتى الرفع والنصب فتقول يشب الطفل على ما عوده أبواه والطفل يشب على الجد ، ولن يشب الطفل أو الطفل لن يشب على غير الجد .

وهذه الحالات التى يجب فيها الفك أو الادغام تكون عند العرب جميعا .

وهناك حالات يجوز فيها الفك والادغام فى الفعل المضعف الثلاثى حسب اختلاف القبائل .

وذلك فى المضارع المسند الى الاسم الظاهر أو الضمير المستتر فى حالة الجزم لا غير فتقول : لم يصد على ولم يصدد ولم يجد أحمد ولم يجدد وعلى لم يجد ولم يجدد .

---

(٤) فى المضارع والأمر .

وكذلك فعل الأمر المســند الى ضـــمير الواحد — وهو المبنى على السكون مثل : كف واكفف وجد واجدد وصد واصدد وقــد نسب الفك الى الحجازيين ، والادغام الى التميميين •

ففى شرح الشافية : أهل الحجــاز لا يدغمون فى المضــاعف الساكن للجــزم أو الوقف نحو اردد ولم تردد ، لأن شرط الادغام تحريك الثانى ، وبنو تميم وكثير من غيرهم لمــا رأوا أن هذا الاسكان عارض للوقف أو الجزم وقد يتحرك وان كانت الحــركة عارضة فى نحو (اردد القوم) لم يعتدوا بهذا الاسكان وجعلوا الثانى كالمتحرك ، فسكنوا الأول ليدغم فتخفف الكلمة بالادغام[٥] •

وقال الأزهرى ان بنى تميم — أدغموا فى المضــارع المجزوم بالسكون وفعل الأمر المبنى على السكون اعتدادا بتحريك الساكن فى بعض الأحوال نحو لم يردد القــوم واردد القوم وأهــل الحجــاز لا يعتدون بذلك[٦] •

ويذكر السيوطى أن الفعل المضاعف ان سكن للجــزم أو البناء فالحجازيون يفكون وغــيرهم من العــرب يدغم لعــدم اعتدادهم بالعارض[٧] •

وفى حالة الادغام — هنا — يفتح آخر الفعل — مضارعا كان أو أمرا — للتخفيف عند من يدغم من التميميين وأهــل نجد بصفة عامة سواء وليه ضمير الغائب المذكر أو الغائبة أو وليه ساكن أو لا نحو رده ولم يرده ولم يردها ورد المــال ولم يرد المــال ورد ولم يرد وروى عن قبيلة كعب وغنى ونمير — وكلها بطون من قيس — الكسر مطلقا على أصل التخلص من التقاء الساكنين •

---

(٥) ٢/٢٣٩ •
(٦) شرح التصريح ٢/٤٠١ •
(٧) همع الهوامع ٢/٢٢٧ •

ونقل عن بنى أسد الفتح حين لا يقع بعد المدغم حرف ساكن ، أما اذا وقع بعده ساكن فانهم يكسرون المدغم لالتقاء الساكنين فيكسر فى مثل رد المال ولم يرد المال ويفتح فيما عداه .

ونقل عن بعضهم اتباع آخر الفعل لأقرب الحركات اليه نحو رد — بالضم — وعض — بالفتح — وفر — بالكسر — الا مع ضميرى المذكر الغائب والمؤنثة الغائبة فيحرك بحركة الضمائر فيقال : عضه — بالضم — وردها — بالفتح والا فيما بعده ساكن من كلمة أخرى كلام التعريف أو غيرها فيجوز عند بعضهم الفتح وعند آخرين الكسر وهو أجود كما يقول سيبويه مثل فغض الطرف ورد ابنك — بكسر آخر الفعل وفتحه — .

يقول سيبويه : اعلم أن منهم من يحرك الآخر كتحريك ما قبله ، فان كان مفتوحا فتحوه : وأن كان مضموما ضموه وان كان مكسورا كسروه ، وذلك قولك رد وعض وفر يا فتى[٨] فان جاءت الهاء والألف فتحوا أبدا ، وسألت الخليل لم ذاك ؟ فقال : لأن الهاء خفية فكأنهم قالوا : ردا وأمدا وغلا — اذا قالوا : ردها وغلها وأمدها — (كلها أفعال أمر) : فان جئت بالألف واللام وبالألف الخفيفة كسرت الأول كله لانه كان فى الأصل مجزوما ، لأن الفعل اذا كان مجزوما فحرك لالتقاء الساكنين كسر ، وذلك قولك : اضرب الرجل ، فلما جاءت الألف واللام والألف الخفيفة رددته الى أصله ، لأن أصله أن يكون مسكنا على لغة أهل الحجاز ، ومنهم من يفتح اذا التقى ساكنان على كل حال الا فى الألف واللام والألف الخفيفة ، فزعم الخليل أنهم شبهوه بأين وكيف وسوف وأشباه ذلك ، وفعلوا به اذا جاءوا بالألف واللام والألف الخفيفة ما فعل الأولون وهم بنو أسد وغيرهم من بنى تميم ، وسمعناه ممن ترضى عربيته ،

---

(٨) بالضم فى الأول والفتح فى الثانى والكسر فى الثالث على الاتباع .

ومنهم من يدعه اذا جاء بالألف واللام على حاله مفتوحا يجعله فى جميع الأشياء كأين ، وزعم يونس أنه سمعهم يقولون : غض الطرف انك من نمـــير[٩] .

وقد جاءت آيات كثيرة بالادغـــام والفك واختلفت القراءات فى الآيات كما جاء ذلك فى بعض الأحاديث النبوية تبعا للهجات العربية فمما جاء من المضارع الفعل (تضار) فى قوله تعالى : (لا تضـــار والدة بولدها ولا مولود له بولده) .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وأبان عن عاصم (لا تضار) — بالرفع — أى برفع الراء المشددة[١٠] على الاخبار [١١] .

وقرأ باقى السبعة (لا تضار) — بفتح الراء على الجزم جعلوه نهيا[١٢] وقرأ الحسن بكسر الراء المشددة على النهى والجزم[١٣] .

وروى عن ابن عباس (لا تضارر) بفك الادغام وكسر الراء الأولى وسكون الثانية — مبنيا للمعلوم — وقرأ ابن مسعود — كذلك

---

(٩) الكتاب ٣/٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ وانظـــر نحـــو ذلك فى الكامل للمبرد ١/٣٣٩ ، ٤٣٠ والهمـــع ٢/٢٢٧ وانظـــر أيضـــا شرح التصريح ٢/٥٠١ ، والمصباح ٦٨٦ .

(١٠) هذا الفعل — فى هذه القراءة ونظائرها — من ضار — بتشديد الراء لا من ضار بتخفيفها وانظر البحر ٢/٢١٢ ، ٢١٤ .

(١١) الكشاف ٢/٣٧٠ ، ٣٧١ وهى خبرية لفظا انشائية — على النهى — معنى .

(١٢) سكنت الراء الأخيرة للجزم وسكنت الراء الأولى للادغام فالتقى ساكنان فحرك الأخير منهما بالفتح لموافقة الالف التى قبـــل الراء لتجانس الألف والفتحة .

(١٣) فى هذه الحالات الثلاث التى جاءت فيها الراء مشددة مضمومة أو مفتوحة أو مكسورة يجـــوز ان يكون الفعـــل مبنيا للمعلوم واصـــله (تضارر) بكسر الراء الأولى — أو مبنيا للمفعول وأصله (تضـــارر) بفتح الراء الأولى .

— بفك الادغـام لكن بفتح الراء الأولى وسـكون الثانيـة — مبنيا للمجهول — وكلا القراءتين على الجزم والنهى[١٤] .

والاظهار فى هذا ونحوه لغة الحجاز والفك لغة تميم .

والفعل (يغر) فى قوله سبحانه : (فلا يغـررك تقلبهم فى البلاد) قرأ الجمهور بالفك — وهى لغة أهل الحجاز — وقرأ زيد ابن على وعبيد بن عمر (فلا يغرك) بالادغام مفتوح الراء وهى لغة تميم[١٥] .

والفعـل (يضر) فى قولـه جـل ثنـاؤه : (وان تصبروا وتتقـوا لا يضـركم كيـدهم شـيئا)[١٦] قـرأ الكوفيـون وابن عامر بالادغـام ، وقرأ أبى : (لا يضرركم) بفك الادغـام ، وقرأ عاصم — فيما روى أبو زيد عن المفضل عنه — بضم الضاد وفتـح الراء المشددة نحو ، لم يرد زيد : والفتح هو الكثير المستعمل ، والفك لغة أهل الحجاز ، ولغة سائر العرب الادغام[١٧] .

وكذلك الفعل (يمس) فى قوله تعالى : (ان يمسسكم قـرح

---

(١٤) فى حال البناء للمعلوم يكون ما بعد الفعل — والدة ومولود — هو الفاعل والمفعول محذوف والتقدير : لا تضارر والدة زوجها بأن تطالبه بما لا يقدر عليه من رزق وكسوة وغير ذلك من وجوه الضرر ، ولا يضارر مولود له زوجتـه بمنعها ما وجب لها من رزق وكسوة وأخذ ولدها مـع ايثارها ارضاعه وغير ذلك من وجوه الضرر .

واذا كان مبنيا للمجهول فما بعده نائب فاعل والمراد النهى عن أن يلحق الوالدة الضرار من قبل الزوج وأن يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد .

(١٥) سورة غافر من الآية ٤ وانظر البحر ٧/٤٤٩ .

(١٦) آل عمران من الآية ١٢٠ واختلف احـركة الراء اعراب فهو مرفوع أم حركة اتباع لضمة الضاد ، وهو مجزوم ، فخرج الرفـع على التقديم والتقدير : لا يضركم ان تصبروا ، ونسب هذا القول الى سيبويه ، وخرج أيضا على أن (لا) بمعنى (ليس) مع اضـمار الفاء والتقدير : فليس يضركم . قاله الفراء والكسائى .

(١٧) البحـر ٣/٤٣ .

فقد مس القوم قرح مثله)[١٨] قرئ يمسكم بالادغام — ويمسسكم بالفك .

وجاء الفعل (يرتد) — مجزوما — بالفك والادغام فى قوله تعالى : (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم)[١٩] .

وقوله سبحانه : (يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) قرأ نافع وابن عامر (من يرتدد) بدالين مفكوكا وهى لغة الحجاز ، والباقون بواحدة مشددة وهى لغة تميم[٢٠] .

كما جاء الفعل (يشاق) — مجزوما — كذلك فجاء بالفك فى قوله تعالى : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنون نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا)[٢١] .

كما جاء بالادغام والفك فى قوله تعالى : (ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب)[٢٢] قرأ الجمهور بالادغام وقرأ طلحة بالفك[٢٣] .

والفعل (يحب) فى قوله تعالى : (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) قرأ الجمهور (تحبون ويحببكم) من أحب ، وقرأ أبو رجاء العطاردى بفتح التاء والياء من حب — وهما لغتان ، وقرئ (يحبكم) بفتح الياء والادغام .

---

(١٨) سورة آل عمران الآية ١٤٠ ، والبحر ٦٢/٣ وانظر ص ٤٣ أيضـا .

(١٩) سورة البقرة الآية ٢١٧ ولم تقرا هنا بادغام المثلين . البحر ١٥٠/٢ .

(٢٠) سورة المائدة الآية ٥٤ ، وانظر الكتاب ٤١٧/٢ ، ٤٧٣ والسبعة لابن مجاهد ص ٢٤٥ والبحر ٥١١/٣ :

(٢١) سورة النساء الآية ١١٥ والبحر ٣٥٠/٣ .

(٢٢) سورة الأنفال الآية ١٣ اجمعوا على فك المثلين اتباعا لخط المصحف . البحر ٤٧١/٤ .

(٢٣) سورة الحشر الآية ٤ والبحر ٤٤/٨ .

وأيضا الفعل (يحـل) فى قول المولى تبارك وتعالى : (ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى) .

والفعل (تمنن) فى قولـه سبحانه (ولا تمنن تستكثر) قـرأ الجمهور بالفك والحسن وأبو السمال بشد النون[٢٤] .

ويستعف فى قوله سبحانـه : (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله)[٢٥] .

ومما جاء من ذلك فى الحديث ما وقع فى حديث لأبى ذر (فلم أتقار أن قمت) بالادغام أى لم ألبث وأصله أتقـارر فأدغمت الراء فى الراء [٢٦] .

ومما جاء من صور الأمر قوله تعالى : (واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى) [٢٧] .

وقوله سبحانه : (واقصد فى مشيك واغضض من صوتك)[٢٨] الحجازيون يقولون : اغضض وأهل نجد يقولون غض بالادغام .

وفى الحديث (اللهم اشدد وطأتك على مضر)[٢٩] جـاء هذا بالفك وكذلك (ثم قال لانسان يصب : اصبب نصب على رأسه)[٣٠] .

وفى حديث آخر (خذ يا جابر فصب على)[٣١] بالادغام .

وكذلك (فمن جاءك منا فاقصص عليـه)[٣٢] بالفك ، وجـاء

(٢٤) آل عمران الآية ٣١ ، وطه الآية ٨١ والمدثر الاية ٦ وانظر البحر ٢/٤٣١ ، ٦/٢٦٣ ، ٨/٣٧١ ، ٣٧٢ .
(٢٥) النور الآية ٣٣ وانظر : النهر الماد على البحر ٦/٤٥٠ .
(٢٦) النهاية ٤/٣٨ .
(٢٧) سورة طه الآية ٣٧ وانظر البحر ٦/٢٣٩ ، ٢٤٠ .
(٢٨) سـورة لقمـان الآية ١٩ ولم يقـرأ هنا بادغـام المثلين .
(٢٩) صحيح مسلم ١/٤٦٧ . (٣٠) المصدر السابق ٤/٣٠٦ .
(٣١) المصدر السابق ٤/٣٠٨ .
(٣٢) المصدر السابق ٣/٤٢٣ .

بالادغام فى قوله (من رأى منكم رؤيا فليقصها أعبرها له)[٣٣] .

ومما ورد فى الشعر قول جرير :

فغض الطرف انك من نمير   فلا كعبا بلغت ولا كلابا

ويقول المبرد : أهل الحجاز على القياس الأصلى : اردد واغضض وكل ذلك من قولهم وقول التميميين قياس مطرد بين [٣٤] .

فأهل الحجاز لا يدغمون لئلا يؤدى الادغام الى التقاء الساكنين اذ يحتاج الى تسكين الأول والثانى ساكن فيلتقى ساكنان نحو : ان تردد أردد واشدد وغيرهم يدغم حملا للمجزوم على غيره مثل يفر وحمل ما سكونه بناء على ما سكونه للجزم للمشابهة بينهما كحذف آخر الفعل المعتل للجزم وللبناء مثل اغز ولم تغز[٣٥] .

هذا هو المشهور عند العرب .

وقد جاءت بعض الروايات عن بعض العرب بالادغام فى الماضى والمضارع والأمر المسندة الى ضمائر الرفع المتحركة فيقولون : ردت — بضم التاء وفتحها للمتكلم والمخاطب — وردن — بالاسناد الى نون النسوة — فى الماضى — ويردن وردن — باسناد المضارع والأمر الى نون النسوة والمشهور عند العرب الفك بان يقال : رددت بضم التاء للمتكلم وفتحها للمخاطب — ورددن ويرددن واردن (كأنهم قدروا وجود الادغام قبل دخول تاء الضمير أو نونه)[٣٦] وكأن اتصال الضمير أمر عارض [٣٧] .

وعليه فى الحديث (رأيت فى رؤياى هذه أنى هزرت سيفا) الرواية بالفك وعند السمرقندى هزت سيفا بزاى مشددة[٣٨] .

---

(٣٣) المصدر السابق ٤/٧٧٩ .
(٣٤) اللسان (غضض) والبحر ٢/٤٤٣ والكامل للمبرد ١/٣٤٠ .
(٣٥) المتع ٢/٦٥٦ ، ٦٥٧ .   (٣٦) المتع ٢/٦٦٠ .
(٣٧) شرح الشافية ٢/٢٤٦ .
(٣٨) شرح مسلم للنووى ١٥/٣٢ .

وفى حديث أحد (حتى رأيت النساء يشتددن فى الجبل) أى يعدون جاء الفعل يشتددن بالفك — على الأصل ، وجاءت فيه رواية أخرى هى (يستدن) — بالسين المهملة والنون — أى : يصعدن فيه .

وعلى ذلك جاءت قراءة ابن أبى عبلة والوليد بن مسلم وأبى جعفر وشيبة ونافع — فى بعض الروايات عنهم — فى قوله تعالى : (أفعيينا بالخلق الأول)[٣٩] قرأوها بتشديد الياء من غير اشباع فى الثانية ، ووجهها ابن خالويه فى الشواذ بأنها من ادغام الياء فى الياء فى الماضى عيى وهى مفتوحة قبل لحاق ضمير المتكلمين به ، فلما أدغم ألحقه ضمير المتكلم المعظم نفسه ولم يفك الادغام[٤٠] .

وعليه ما جاء فى الحديث (حتى اذا رأينا جدر المدينة هشنا اليها) كذا الراوية عند السجزى وعند أبى بحر : هشنا بفتح الهاء وتشديد الشين على الادغام ولغة بعض العرب فى نقل الحركة ثم ادغامها[٤١] .

وهذا الادغام مخالف للمعهود فى اللغة وقد وصفه بعض شراح الحديث بأنه صحيح[٤٢] وقيل انه شاذ قليل[٤٣] أو تركيب قبيح فى العربية[٤٤] وذلك لأن الادغام انما جاز فى المضعف لسكون الأول وتحرك الثانى وعند الاسناد الى ضمير الرفع المتحرك يلزم الفك لأن ما قبل الضمير المتحرك يسكن لتوالى أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة فيلتقى ساكنان (الحرف الأول من المدغم والمدغم فيه بعد التسكين) فيحرك الأول ويفك الادغام .

---

(٣٩) الآية ١٥ من سورة ق ، قرأ الجمهور (أفعيينا) بياء مكسورة بعدها ياء ساكنة وهو الماضى (عيى) كرضى أسنده الى ضمير المتكلمين .
(٤٠) انظر : البحر ١٢٢/٨ ، ١٢٣ .
(٤١) صحيح مسلم ١٠٤٧/٢ .
(٤٢) النووى فى شرح مسلم ٣٢/١٥ .
(٤٣) شرح الشافية للرضى ٢٤٥/٣ .
(٤٤) اللسان ٢٢٠/٤ .

ونسب الادغام هنا الى بكر بن وائل أو أناس منهم وهى لهجة ضعيفة [٤٥] كما ذكر الخليل وسيبويه قال الرضى : اعلم أنه اذا اتصل النون وتاء الضمير بالمضاعف نحو رددت ورددنا فان بنى تميم وافقوا فيه الحجازيين فى فك الادغام للزوم سكون الثانى ، وزعم الخليل وغيره أن أناسا من بنى بكر بن وائل وغيرهم يدغمون نحو ردت نظرا الى عروض اتصال الضمائر فيحركون الثانى بالفتح للساكنين ، قال السيرافى : هذه لغة رديئة فاشية فى عوام أهل بغداد[٤٦] .

كما جاء الفك فى الماضى المسند الى ضمائر الرفع الساكنة شذوذا فى قول الشاعر :

مهلا أعاذل قد جربت من خلقى أنى أجود لأقوام وان ضننوا

وكذلك فى الأمر فى قول البوصيرى :

فما لعينيك ان قلت اكففا اهمتا وما لقلبك ان قلت استفق يهم

كما جاء الفك فى الفعل الماضى المسند الى الاسم الظاهر أو الضمير المستتر منسوبا الى هذه القبيلة السابقة أيضا .

ومن ذلك الحديث (فازحفت عليه بالطريق فعيى بشأنها)[٤٧] الرواية بكسر الياء الأولى من العى والعجز ، وفى رواية بعضهم فعى بتشديد الياء وادغام الأولى فيها على اللغة السابقة .

وفى كتب اللغة : عى بأمره وعيى والادغام أكثر نقله الأزهرى وذلك عند بعض العرب[٤٨] يقال : عيى من باب تعب وقد يدغم الماضى فيقال عى[٤٩] .

---

(٤٥) شرح التصريح ٤٠٣/٢ والاشمونى ٣٥١/٤ ، ٣٥٢ والمتع لابن عصفور ٦٦٠/٢ ، ٦٦١ والكتاب لسيبويه ٥٣٥/٣ والبحر عند الحديث عن الآية افعيينا الخ .

(٤٦) شرح الشافية ٢٤٦/٢ .

(٤٧) صحيح مسلم ٩٦٢/٢ .

(٤٨) اللسان والصحاح والقاموس (عيى) .

(٤٩) المصباح ٤٤١ .

صيغـة افتعـل

يجرى فيها تقريب الصوت من الصوت لأجل الادغام ، فقد أراد العرب التخفيف حين تتجاور تاء الافتعال المهموسة الشديدة مع بعض الأصوات المجهورة أو الرخوة كالدال والذال والزاى لصعوبة النطق بها دون حدوث تغيير صوتى .

فالتاء المهموسة لا تتناسب مع الدال المجهورة ، والذال والزاى مع جهرهما رخوان فتقلب تاء الافتعال دالا فتقول فى افتعـل من دان : ادان ومن ذكر اذدكر ومذدكـر ومن زان أزدان ومن زجر ازدجـر .

وبعض العـرب — فى غـير المتمـاثلين كالذال والـزاى — يزيد من قوة التماثل فيحـول الدال صوتا من جنس فـاء الافتعال ويدغمها فيها فيقول من ذكر : اذكر ومذكر ومن زان : ازان ، ومن زجـر : ازجـر .

وبعضهم يقلب فاء الافتعـال اذا كانت ذالا من جنس الدال بعدها ثم يدغمها فيها فيقول : ادكر ، ومدكر ومنه قوله تعـالى : (وادكر بعد أمـة) وقرأ بعضهم (واذكر) بالذال[٥٠] ، وعلى ذلك جاء فى الحديث (وعليه جمـازة فاذرع منها يده) أى أخـرجها ، هكذا رواه الهروى وغيره واذرع افتعل من ذرع بمعنى مد ذراعيه ويجوز ادرع أيضا[٥١] .

وقـوله تعـالى : (ومـا تدخـرون فى بيوتـكم)[٥٢] وفى حـديث أصـحاب المـائدة (امـروا ألا يدخـروا فادخـروا) أصل الادخار : اذتخار افتعال من الذخر يقال ذخر واذتخر فقلبت

---

(٥٠) سورة يوسف الآية : ٤٥ .

(٥١) النهاية ٢/١٥٨ (ذرع) وسر الصناعة ١/٢٠٢ ، ٢٠٤ .

(٥٢) سورة آل عمران من الآية ٤٩ .

التاء الى ما يقاربها من الحـروف وهو الدال لأنهما من مخرج واحد ولتناسب الذال فى الجهر فقيل اذدخر ، وفيها طريقتان أخريان :

احداهما : قلب الذال المعجمـة دالا وادغـامها فيها فتصـير دالا مشددة ادخـر — وهذا هو الأكثر .

والثانية : قلب الدال المهملة الى ذال وادغامها فيها فتصير اذخر وهذا هو الأقـل[٥٣] .

وأراد العربى التخفيف — أيضا — حين تكون فاء الافتعـال من أصوات الاطباق (الصاد والضاد والطاء والظاء) ؛ لأن تاء الافتعال مستفلة ، وهذه الأصوات مستعلية مطبقة مما يسبب ثقلا فى النطق بها متجاورة مع التاء بعدها ، فيحول العربى التـاء الى صوت من مخرج التاء له صفة الاستعلاء والاطباق وهو الطاء لينتقـل اللسان من صوت مطبق الى نظير مطبق أيضا فيسهل النطق ويتحقق الانسجام فيقول : من صبر : اصطبر ومصطبر .

ومن ضجع : اضطجع ومضطجع
ومن طلع : اطلع ومطلع
ومن ظعن : اظطعن ومظطعن

وقد قرب العربى التاء المستفلة من الفاء المستعلية المطبقـة ولم يدغم ، أما مع الطاء فيجب الادغام لاجتمـاع المثلين والأول منها سـاكن .

وأحيانا يزيد بعض العـرب التخفيف والتقريب فيقلب الطـاء المبدلة من تاء الافتعال الى جنس الصوت الذى هو فـاء الافتعال ثم يدغم فيـه فيقول : فى اصطبر : أصبر ، وفى مصطبر : مصبر .

---

(٥٣) النهاية ١٥٥/٢ ، ١٥٦ وسر الصناعة ٢٠٠/١ ، ٢٠٢ .

قال تعالى : (فلا جنــاح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا)[٥٤] قرأ الجحدرى : (أن يصلحا) بتشديد الصاد ، ويقول فى اضطجع : اضجع ، وفى اظطعن اظعن بتشديد الفاء .

وأحيانا أخرى نجد بعض العرب يقلب فاء الافتعــال من جنس الطاء التى حلت مكان التاء فيقول : فى اضطجــع : اطجــع ، وفى اضطره : أطره قال تعالى : (قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير)[٥٥] ، قرأ ابن محيصن : أطره بتشديد الطــاء .

وكان أصل (يصلحا) هو يصتلحا لأنــه يفتعل من صلح فقلبت تاء الافتعال طاء ليتحقق التماثل والانسجام فى أصوات اللفظ لأن التاء صوت مستفل والصــاد مستعل فحولت التاء الى صوت مستعل مناسب وهو الطاء فصــار اللفظ (يصطلحا) وهــذا نوع من تقريب الصوت دون ادغام ثم حولت الطاء من مخرجها من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا الى مخرج الصاد من طرف اللسان مع أطــراف الثنايا السفلى لتتفق معها فى الرخاوة ويسمح للهواء بالمرور وعندئذ يتحد الصوتان فيدغمان نتيجة لذلك فصار اللفظ على ما هو عليه الآن (يصلحا) ، وعلى هذا النمط تفسر اصبر . أما قراءة (أطره) فقد كان أصل اللفظ أضتره ثم لاستفال التاء واستعلاء الضاد قلبت التاء طاء لتتناسب الضاد فصارت أضطره ثم ان الضاد انتقلت الى رخاوة الطاء فقلبت صوتا مماثلا ثم ادغمت فيهــا ، ويعتبر ابن جنى هذه لغة مرذولة أعنى ادغام الضاد فى الطاء وذلك لمــا فيها من الامتداد والفشو فانها من الحروف الخمسة التى يدغم ما يجاورها فيها ولا تدغم هى فيما يجــاورها وهى : (ش — ض — ر — ف — م) ويجمعها

(٥٤) النسـاء الآية ١٢٨ .
(٥٥) البقرة الآية ١٢٦ .

(ضم شفر) وقد أخرج بعضهم الضـــاد من ذلك وجمعها فى قولهم (مشفر)[٥٦] •

وهذه الحـــروف يدغم بعضها فى بعض ويحـــول بعضــــها الى بعض لقرب المخارج فأصوات الاطباق أخوات ومن قبلها الدال والذال والزاى كلهن من الثنايا وطرف اللسان[٥٧] فكلهن من حيز واحـــد •

أمـــا اذا بنيت (افتعـــل) من واوى الفاء أو يائيه فالعـــرب يختلفون ، فالحجازيون لا يعبأون بتلاعب الحـــركات التى قد تقلب الواو ياء أو ألفا أو تقلب الياء واوا أو ألفا ففى افتعل من (ورث) يقولون : ايترث ، ياترث ، موترث ومن ينع : ايتنع ، ياتنع ، موتنع وأما التميميون فيبدلون الواو أو الياء تاء ويدغمونها فى تاء الافتعال حتى لا تتعـــرض لتلاعب الحـــركات بها فيقولون فيما سبق : اترث يترث فهو مترث ، واتنع يتنع فهو متنع •

تفـــاعل وتفعـــل

تأتى كل من الصيغتين باظهار التاء دون ادغامها فيما بعدهـــا واذا كانت الفاء فيهما من طائفة الحروف التى تخرج من أصول الثنايا العليا أو السفلى أو مما بين الثنايا (ط د ت ــ ظ ذ ث ــ ص ــ س ــ ز) أو من حروف وسط اللســـان (ج ش) اختلفت قبـــائل العـــرب •

فبعضهم يظهـــر التاء فيها دون ادغـــام لها فى الفـــاء بعدها وبعضهم يدغم •

فمن الاظهار فى صيغة تفاعل قوله تعالى : (لولا أن تداركـــه نعمة من ربـــه)[٥٨] ومن الادغام قوله عز حكمه (واذ قتلتم نفسا

---

(٥٦) المحتسب ١٠٦/١ .
(٥٧) الكتاب ٤٦٢/٤ ــ ٤٦٤ .
(٥٨) سورة القلم من الآية ٤٩ .

فادرأتم فيها)[٥٩] وقوله تعالى : (بل ادارك علمهم فى الآخرة)[٦٠] وقوله (أثاقلتم الى الأرض)[٦١] .

ومما جاء بعدة أوجه قوله تعالى : (ان البقر تشابه علينا)[٦٢] قرىء يتشابه بالياء والتاء دون ادغام وقرىء (يشابه) بالادغام[٦٣].

وقوله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم)[٦٤] قرىء : تتظاهرون بحذف احدى التاءين وبادغام التاء الثانية فى الظاء[٦٥] .

ومن الاظهار فى صيغة تفعل قوله تعالى : (ثم دنا فتدلى)[٦٦] وقوله (افلا يتدبرون القرآن أم على القلوب أقفالها)[٦٧] وقوله سبحانه : (يوم يتذكر الانسان ما سعى)[٦٨] .

ومن الادغام قوله عز حكمه : (حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها)[٦٩] فأصل ازينت : تزينت فادغم ، وقرىء على الأصل [٧٠] وقوله تعالى : (لا يسمعون الى الملأ الأعلى)[٧١] أصله يتسمعون ، والبيان عربى حسن لاختلاف المخرجين[٧٢] .

وقوله جل ثناؤه : (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام

---

(٥٩) سورة البقرة من الآية ٧٢ . (٦٠) سورة النمل من الآية ١٨
(٦١) سورة التوبة من الآية ٣٨ . (٦٢) سورة البقرة من الآية ٧٠
(٦٣) تفسير أبى السعود ١١٢/١ (٦٤) سورة الأحزاب الآية ٤ .
(٦٥) تفسير أبى السعود ٩٠/٧ . (٦٦) سورة النجم الآية ٨ .
(٦٧) سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) الآية ٢٤ .
(٦٨) سورة النازعات الآية ٣٥ . (٦٩) سورة يونس الآية ٢٤ .
(٧٠) الاتحاف ١٠٨/٢ . (٧١) سورة الصفات الآية ٨
(٧٢) الكتاب ٤٦٣/٤ .

ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء)[٧٣] .

أصل يصعد ، يتصعد ، وقرئ يصاعد وأصله يتصاعد[٧٤] .

وقوله سبحانه : (فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون)[٧٥] أصله : يتصدعون على معنى يتفرقون فمنهم من يدخل الجنة ومنهم من يدخل النار .

وفى حديث الزكاة : (لا يؤخذ فى الصدقة هرمة ولا تيس الا أن يشاء المصدق)[٧٦] — بضم الميم وتشديد الصاد والدال معا مع كسر الدال وهو صاحب المال وأصله : المتصدق فادغمت التاء فى الصاد .

ومما لا ريب فيه أن وضوح الأصوات وفصل بعضها عن بعض يتطلب بذل مجهود عضلى كبير حتى لا تختلط ، ولا تشوه صورها ، وهذا خاص بالبيئة المدنية التى تتسم بتلك السمات ، أما غموض الأصوات ودخول بعضها فى بعض فانه ناجم عن السرعة فى اخراجها ، وعدم التأنى فيها ، وذلك هو اتجاه قبائل البادية .

ومن هنا استنتج علماء اللغة أن الادغام ينسب الى تلك القبائل التى كانت تسكن وسط شبه الجزيرة وشرقيها فمعظمها قبائل بادية تميل الى التخفيف ، والسرعة فى الكلام كتميم وأسد وغنى وعبد

---

(٧٣) سورة الأنعام من الآية ١٢٥ .
(٧٤) تفسير أبى السعود ٣/١٨٣ .
(٧٥) سورة الروم الآية ٤٣ .
(٧٦) النهاية ٣/١٥ الهرمة وذات العوار لا تؤخذ فى الصدقة الا اذا كان المال كله كذلك عند بعضهم ، وقد نهى عن أخذ التيس فى الصدقة لأنه مضر برب المال الا أن يسمح به .

القيس ، وبكر بن وائل وكعب ونمير[٧٧] .

كما ينسب الاظهار الى بيئة الحجاز المتحضرة وهى تمثل التأنى فى الأداء بحيث تظهر كل صوت فيـــه[٧٨] وقد نسب سيبويـــه هذه الظاهرة الى قبائلها فى مواطن من كتابه .

وليس معنى هذا أن كل قبائل الحجاز لا تدغم فى كل حـــال ، بل ان بعض قبائل الحجاز ربما تأثرت بمجاوريها من أرباب الادغام ، فتميل اليه كهذيل ، فهى قبيلة مدنية ، وقد ثبت أنها تدغم ياء المتكلم فى ألف المقصور بعد قلبها ياء وقد تقدم شرح ذلك[٧٩] .

وهذه الظـــاهرة تسمى عند علمـــاء اللغة المحدثين (المماثلـــة assimilation وتدرس أحيانا تحت اسم التضعيف doubling

وهى تخضع لنظرية السهولة ، وكأن الادغـــام ظاهرة حادثة ، والفك هو الأصل قبل التطور .

---

(٧٧) اللهجات العربية والقراءات القرآنية ١٣٣ .

(٧٨) فى اللهجات العربية د. انيس ٥٦ .

(٧٩) انظر ص ٣١٩ من هذا الكتاب .

الفصل الرابع

نقص بعض الحروف وزيادتها

حذف نون من

تحذف بعض قبائل زبيد وبنى خثعم من اليمن نون (من) الجارة اذا وقع بعدها حرف ساكن ، ونسب بعضهم ذلك الى هذيل وبعضهم نسبه الى تميم[1] .

قال الشاعر :

أبلغ أبا دختنوس مألكة غير الذى قد يقال م الكذب

وقال الآخر :

لقد ظفر الزوار أقفية العدا بما جاوز الآمال م الأسر والقتل

وقال أبو صخر :

كأنهما ملآن لم يتغيرا وقد مر للدارين من بعدنا عصر[2]

واختلفت آراء الباحثين القدامى فى ذلك فيرى ابن عصفور : أن حذف نون (من) من باب الضرورة ويرى ابن مالك أنه قليل ، وقال أبو حيان : انه كثير ويجوز فى سعة الكلام وطالما بنى النحويون الأحكام على بيت واحد أو بيتين فكيف جواز حذفه نون (من) فى هذه الحالة وقد جاءنا منه مالا يخفى كثرة ويمكن تتبع ذلك فى دواوين العرب[3] وكلام أبى حيان يمكن أخذه على اعتبار أنه يميل الى رأى الكوفيين .

---

(١) الشعر والشعراء تحقيق احمد شاكر ٤١٣/١ .
(٢) الخصائص ٣١٠/١ .
(٣) شرح التصريح ٢٦/٢ والهمع ٢٠٠/٢ .

أما البصريون الذين لا يقننون للظاهرة الا مـع كثرة الشواهد فيعدون ذلك قليلا أو من الضرورات •

حذف ألف (على) الجارة ولامها

تحذف بلحرث بن كعب الألف من (على) الجارة وتحذف معها لامها اذا تلاها اسم معرف بأل قال الشاعر :

فما سبق القيسى من سـوء سيرة ولكن طغت علمـاء غـرة خـالد

وروى الشطر الأول (وما غلب القيسى من ضعف قوة) •

وقال آخـر :

غداة طغت علمـاء بكر بن وائـل وهاجت صدور الخيل شطر تميم[٤]

فأصل علماء على المـاء • حذفت همزة الوصل من (المـاء) لأنها تسقط فى الدرج وحذفت الف (على) لالتقائها ساكنة مع لام المعرفـة الساكنة ثم حذفت لام عـلى كراهـة اجتمـاع المثلين • ونظير ذلك حذف النون من بنى الحارث وبنى العجـلان حين قالوا : بلحارث وبلعجلان لأن النون قد اجتمعت مـع اللام وهى مقاربة لها فلأن يحذفوا اللام مع أختها بطريق الأولى[٥] •

اللخلخانيـة

هى اللكنة فى الكلام والعجمة ؛ ويقـال رجل لخلخـانى وامرأة لخلخانية اذا كانا لا يفصحان •

وقيل انها منسوبة الى لخلخان وهى قبيلة وقيل هى موضع[٦] •

وورد فى حديث معاوية : أى الناس أفصح ؟ فقال رجل : قوم ارتفعوا

---

(٤) شرح المفصل ١٠/١٥٥ ، وشرح الشافية ٤/٤٩٨ •

(٥) شرح المفصـل ١٠/١٥٥ •

(٦) اللسـان ٥/٤٠٨ ، وخزانة الأدب ٤٠/٥٩٦ ، النهاية فى غريب الحديث والأثر ٤/٢٤٤ •

عن لخلخانية العراق[٧] واللخلخانية تعرض فى لغات أعراب الشجر وعمـان كقولهم : مشا الله كان — يريدون : ما شاء الله كان[٨] ، وهم بذلك يحذفون بعض الحروف اللينة[٩] .

وسبب هذا الحـذف ان بعض الناطقـين يميلون الى تقصـير الحركات تقليلا للجهد العضلى وفى العربيـة الفصحى المنطوقة الآن تقصير للحركات على لسان الناطقين فلا نجد الآن ناطقا ينطق حروف المد على طبيعتها كما حددها علماء التجويد .

وفى العاميات — اعتراها كثـير من التغيير لمـا ذكر العلماء من شيوعها فى اللغات وما يعتريها من البلى الصوتى .

وربما انتشر ذلك أول الأمـر فى البدو فعرفت اللخلخانية عند الأعراب وقد نسبت الى الفرات أو العراق أو الشحر وعمان[١٠] .

القطعـة

هى قطع اللفظ قبل تمامه مثـل : يا أبا الحـكم تقول طيىء : يا أبا الحكا فتقطع كلامها[١١] وقد ورد مثـل ذلك من قطـع نهاية الكلمات فى غير لهجة طيىء مثل قول عبيد بن الأبرص :

ليس حى عـلى المنون بخـال

يقصـد بخـالد .

---

(٧) اللسان ٢٠/٤ .

(٨) فقه اللغة وسر العربية ١٢٩ ، والمزهر — نقلا عنه ٢٢٣/١ .

(٩) تاريخ آداب العرب ١٤٣/١ .

(١٠) البيان والتبيين ٢١٢/٣ وفقه اللغة للثعالبى ١٠٧ وتاج العروس ٢٧٧/٢ .

(١١) يقول الخليل فى العين (قطع) : القطعة فى طيىء كالعنعنة فى تميم ١٥٦/١ ونقله الأزهرى فى التهذيب ١٩٦/١ .

وقول لبيد بن ربيعة :

درس المنـا بمتالع فأبان[١٢]

يريد المنازل ولم يسما يريدون لم يسمع[١٣] .

ولعل ما جعله بعض النحاة من ترخيم المنادى يدخل فى هذا النوع من اللهجات كما ورد عن أبن أحمر من قوله :

وعمـار وآونـة أثـالا

يريد : أثالـة[١٤] .

وقول جرير :[١٥]

ألا أضحت حبـالكم رمـاما وأضحت منـك شـاسعة أمـاما

يريد : أمامـة .

وبعض أمثلـة القطعـة تختير فيها اطالة الحـرف الأخير بعد الحذف خلافا لمـا يحدث فى الترخيم .

والقطعة وان كانت حذفا لأواخر الكلمات فانها تختلف عما يسمى فى علم النحو (الترخيم) اذ لنترخيم شروطه لأنه حكم خاص بالنداء فيكون فى آخر الاسم المنادى ويكون بحذف حرف أو حرفين مثل أفاطم فى فاطمة ومثل يا سلم ويا منص ويا مسـك فى سلمان ومنصـور ومسـكين[١٦] .

ولكن الحذف هنا فى القطعة ليس خاصا بالأسماء بل يمكن أن يدخل الاسم والفعل كما يمكن أن يكون حذفا لحـرف أو أكثر دون شروط .

---

(١٢) الخصائص ١/١٨١ واللسان : ابن .
(١٣) مميزات لغات العرب ٣١ . (١٤) الكتاب ٢/٢٧٠ .
(١٥) وجرير من قبيلة تميم . انظر جمهرة أنساب العرب ٢٢٥ .
(١٦) الكتاب ٢/٢٣٩ — ٢٧٤ .

واذا كان قطع الكلمات هنا ورد فى بعض الأبيات الشعرية فان بعض العلماء كسيبويه يعد ذلك من الترخيم فى غير النداء للضرورة لكن يمكن أيضا أن يكون منسوبا الى اللهجات التى كانت تقطع أواخر الكلمات ويؤكد ذلك أن كلا الشاعرين : عبيد بن الابرص الذى ينتسب الى قبيلة أسد ولبيد الذى ينتمى الى بنى عامر من قبيلتين كانتا تعيشان على مقربة من ديار طيىء ويمتد ذلك الى اليمن ولذا نسبت هذه الظاهرة الى أهل اليمن ويمكن أن يمتد ذلك الى غيرهم تأثرا بهم •

والأصل فى نطق الكلمات أن تتم فيه الحروف كاملة بذلا للمجهود العضلى المطلوب ولكن بعض الناطقين يختصر نطق الكلمات جريا على قانون السهولة الذى شاع فى البدو والحضر على سواء وان خص بعضهم بالبدو •

وبعض المحدثين يرجع حذف أواخر الكلمات الى الأخطاء السمعية التى تنجم عن ضعف بعض الأصوات وقد ينشأ عن ذلك سقوطها من الكلام الصوتى على مر الأجيال عند انتقال اللغة من جيل الى آخر •

فعـل ـ أفعـل

المعروف أن حروف الزيادة التى تدخل الأفعال يكون لكل منها زيادة فى المعنى وفقا للقاعدة التى تقول : زيـادة المبنى تدل عـلى زيادة المعنى .

فكل حرف يزاد على الصيغة الفعلية تقابله زيادة فى المعنى وهذا واضح فى الأفعال التى تعتريها هذه الزيادة .

ولكن قد تجىء عدة صيغ فيها بعض حروف الزيادة مع اتحـاد المعنى وهذا قد يرجع الى اختلاف اللهجات .

من ذلك : فعلت وأفعـلت التى ألف فيهـا بعض العلماء كتبا كالزجاج فى كتابه (فعلت وأفعلت) أحيانا مع اتفاق المعنى وأخرى مع اختلافها وكذلك لابن دريد كتاب فى هاتين الصيغتين على ما يقال .

فقد يجىء فعلت وأفعـلت المعنى فيهما واحـد الا أن اللغتين اختلفتا ، زعم ذلك الخليل فيجىء به قوم على فعلت ، ويلحق قوم فيه الألف فيبنونه على أفعلت(١٧) .

ويقول ابن درستويه : لا يكون فعل وأفعـل بمعنى واحد كما لا يكونان على بناء واحد الا أن يجىء ذلك فى لغتين مختلفتين فأما من لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد(١٨) .

وذكر ذلك ابن جنى فى خصائصه (باب فى الفصيح يجتمع فى كلامه لغتان فصاعدا)(١٩) مثل سقى وأسقى فى قول الشاعر :

سقى قومى بنى مجـد وأسقى نمـيرا والقبـائل من هـلال

---

(١٧) الكتاب ٤/٦١ . (١٨) المزهر ١/٣٨٤ .

(١٩) الخصائص ١/٣٧٠ والحجة لابن خالويه ٢١٢ .

ووفي وأوفى فى قول آخـر :

أمـا ابن طوق فقد أوفى بذمتـه كما وفى بقـلاص النجم حاديها

وفى القـرآن الكريم : (وسـقاهم ربهم شرابـا طهورا)[٢٠] (لأسقيناهم مـاء غدقا)[٢١] (ومن أوفى بما عـاهد عليـه الله)[٢٢] (وابراهيم الذى وفى) قـرىء وفى بالتخفيف ثـلاثيا عنـد ابن محيصن[٢٣] .

وقوله تعالى : (ولا يحـزنك الذين يسارعون فى الكفر)[٢٤] قرىء (لا يحزنك) من أفعل[٢٥] . وقوله تعالى : (لا يحزنهم الفزع الأكبر)[٢٦] قـرىء (لا يحزنهم) من أفعـل . وقولـه سبحانه : (لا تفتروا على الله كذبا فيسحتـكم بعذاب)[٢٧] بضم الياء قـرأ حفص وحمزة والكسائى . لغة نجد وتميم ، وبفتح الياء قرأ الباقون لغـة الحجـاز[٢٨] .

وفى الحديث : « الوليمة فى الاعذار حق » الاعذار : الختان ، ورد عذرته وأعذرته ، ويقال للطعام الذى يعد فى الختان اعذار[٢٩] ، وفى حديث عمر (أطردنا المعترفين) أى المقرين عـلى أنفسهم بما يوجب الحد عليهم ، وقد ورد : أطرده السلطان وطرده ، أى : أخرجه من بلده وأبعده[٣٠] ، وفى حديث خديجة : (انك لتصل الرحم وتكسب المعدوم) يقال : كسب وأكسب فلانا مالا . أى : أعانه على كسبه

---

(٢٠) سورة الانسان الآية ٢١ (٢١) سورة الجن الآية ١٦ .
(٢٢) سورة الفتح الآية ١٠ .
(٢٣) سورة النجم الآية ٣٧ ، والاتحاف ٤٠٣ .
(٢٤) سورة آل عمران الآية ١٧٦ .
(٢٥) الاتحاف ١٨٢ (قراءة نافع) .
(٢٦) سورة الأنبياء الآية ١٠٣ والجمهور يحـزنهم — من حزن — وهى لغة قريش .
(٢٧) سورة طه الآية ٦١ . (٢٨) الاتحـاف ٣٠٤ .
(٢٩) النهاية ١٩٦/٣ .
(٣٠) المصدر السابق ١٧/٣ .

وجعله يكسبه[٣١] ، وحديث الايمـان : (أدناها امـاطة الأذى عن الطريق) أى : تنجيته ،يقـال مطت الشىء وأمطتـه وقيل : مطت أنا وأمطت غيرى ، وماط وأماط بمعنى واحد[٣٢] .

وقد جمع الرسول الكريم بين فعل وأفعل فى قوله : « يرد من صدقة الجانف فى مرضه ما يرد من وصية المجنف عند موتـه » يرد بضم الياء وتشديد الدال المضمومة ، ويقال : جنف وأجنف اذا مـال وجار ، فجمع بين اللغتين ، وقيل : الجانف يختص بالوصية ، والمجنف المـائل عن الحق[٣٣] .

ويقال : بشرت الرجل بخير وأبشرته[٣٤] . وجنه الله وأجنه[٣٥] ، وألاته عن وجهه[٣٦] بمعنى حبسه وصرفه عند تميم ، ويقال : لاتـه بمعناه عند الحجاز[٣٧] .

وقال ابن منظور : (فعل وأفعل كثيرا ما يتعاقبان عـلى المعنى الواحد نحو : جد فى الأمر وأجد . وصددته عن كذا وأصددته ، وقصر عن الشىء وأقصر ، وسحقه الله وأسحقه ونحو ذلك[٣٨] .

ولابن دريد باب ما اتفق عليه أبو زيد وأبو عبيدة والأصمعى يشدد فيه ولا يجيز أكثره مما تكلمت به العرب من فعلت وأفعلت[٣٩] .

وقد ألف كتاب فعلت وأفعلت ومنها ما اتفق معناه وجمع منها أحد الباحثين ستة ومائتى فعل[٤٠] .

---

(٣١) المصدر السابق ١٧١/٤ .
(٣٢) المصدر السابق ٢٢٢/٤ والصحاح (ماط) .
(٣٣) النهاية ٣٠٧/١ ومختار الصحاح ١١٣ .
(٣٤) كتاب فعلت وافعلت للزجاج ص ١٣٠ .
(٣٥) المصدر السابق ١٣٥ .
(٣٦) المزهر ٢٧٦/٢ والقاموس ١٦٣/١ .
(٣٧) الاتحـاف ٣٩٨ .
(٣٨) اللسـان ٢٣٣/١٥ . (٣٩) الجمهرة ٤٣٤/٣ .
(٤٠) فى بحث بمجلة مجمع اللغة العربية ج ٣٦ ص ١١٦ .

والهمزة هنا ليست للتعدية ، والنقل على ما هو مشهور فيها فى مثل ذلك لكنها لتأكيد المعنى ان صح هذا الاعتبـار كما ورد عن بعض اللغويين ونقله صاحب الاتحاف(٤١) .

وقد اضطربت أقوال الباحثين فى نسـبة كل من الصيغتين الى بيئة لغوية ، فبعضهم يرى ان (فعـل) — بغير همز — للحجاز وبالهمز (افعل) لتميم ، ففى قوله تعالى : (فأسر بأهلك) يقول الفراء قوله (فأسر بأهلك) قراءتنا من أسريت بنصب الألف وهمزها ، وقراءة أهل المدينة (فاسر بأهلك) من سريت(٤٢) .

ويقول أيضا : قرأ أهل الحجـاز (فاسر بأهلك) موصولة من سريت وقراءتنا (فأسر بأهلك) من أسريت ، وقـال الله تعـالى : (سبحان الذى أسرى بعبده ليـلا من المسجد الحـرام الى المسجد الأقصى) وهو أجود(٤٣) .

وقـال لبيد بن ربيعة :

اذا المـرء أسرى ليلـة ظن أنـه قضى عمـلا والمرء ما عاش عامل

ويذكر بعض اللغويين ان أسرى بالألف لغة أهل الحجاز(٤٤) .
ولعل الفعل بالهمزة قد تأثر به أهل الحجاز وقد جمعهما حسـان فى قولـه :

ان النظـيرة ربـة البيت أسرت اليـك ولم تكن تسرى(٤٥)

---

(٤١) الاتحاف ٣٩٨ . التميميون يميـلون الى تأكيد المعنى وتقويته فأدخلوا الهمزة التى للتعدية مبالغة فى تأكيد المعنى .
(٤٢) معانى القرآن ٢/٢٤ .
(٤٣) وفى حديث جابر رضى الله عنه « قال له : ما السرى يا جابر ؟ أى ما أوجب مجيئك فى هذا الوقت ؟ والسرى السير بالليل وسرى وأسرى لغتان (النهاية ٣/٣٦٤ سرى) .
(٤٤) ديوان الأدب ٤/١٠١ ، والمصباح ١/٢٧٥ واللسان ١٤/٣٨١ .
(٤٥) ديوانـه /٢٢٤ .

وقال الفراء — أيضا — : فتن لأهل الحجاز وأفتن لأهل نجد[٤٦] وجاء أعشى همدان باللغتين فى قوله :

لئن فتنتنى لهى بالأمس أفتنت سعيدا فأمسى قد قلا كل مسلم

وقال أبو حيان فى فتن وأفتن : لغة الحجاز فتن ولغة تميم وربيعة : أفتن رباعية[٤٧] وقرأ عيسى بن عمر (لا تفتنى) بضم التاء من أفتن وقرأ الباقون بفتح التاء من (فتن)[٤٨] .

وكان الأصمعى يعد (أفتن) ليس بثبت وأبى الا (فتنت) ولما أنشد بيت أعشى همدان السابق قال : هذا أخذ عن مخنث وليس بثبت[٤٩] .

وقد عد ابن دريد (فتنت) الصيغة الراجحة فقال : اختلف أهل اللغة فى (فتنت) و (أفتنت) فقال قوم : لا يقال الا فتنه فهو مفتون ، وهى اللغة الكثيرة ، وقال آخرون : أفتنه فهو مفتن ، وذكر رأى الأصمعى السابق . وقد ذكر الخليل والأصمعى : رابنى هذا الأمر يريبنى : أى أدخل على شكا وخوفا ، أو رأيت منه ما أكره وفى لغة رديئة نسبت الى هذيل : أرابنى[٥٠] ويقال : ضاء السراج يضوء وأضاء يضىء والأخيرة أقوى[٥١] ، وقد يصفونها بأنها لغة قليلة ، تقول : غار اذا أتى الغور ، وأغار أيضا وهى لغة قليلة ، وذكر صاحب المصباح أنه لا يقال أغار ، وأن الفراء زعم أنها لغة[٥٢] .

وعند الحديث : (فوقع الجبل على باب الكهف فأوطده) أى :

---

(٤٦) معانى القرآن للفراء ٢/٣٩٤ .
(٤٧) البحر المحيط ٣/٣٣٩ والخصائص ٣/٣١٩ ويراد سعيد ابن جبير .
(٤٨) البحر ٥/٥١ .
(٤٩) الجمهرة ٢/٢٤ ، ٢٥ .
(٥٠) العين ٨/٢٨٨ .
(٥١) التهذيب ١٢/٩٦ ، ١٥/٢٥٢ ، ٢٥٣ .
(٥٢) النهاية ٣/٣٩٣ . والمصباح (غور) .

سده بالهدم هكذا روى ، يقول ابن الأثير : وانما يقال : وطده وأوطد قليلة فى وطد[٥٣] .

وفى كتابه صلى الله عليه وسلم لأهل نجران (وألا يغتر واقف من وقيفاه) يذكر ابن الأثير : الواقف خادم البيعة لأنه وقف نفسه على خدمتها ، والوقيفى بالكسر والتشديد والقصر : الخدمة وهى مصدر كالخصيصى والخليفى يقال : وقفت الشىء أقفه وقفا : ولا يقال أوقفت الا على لغة رديئة[٥٤] وذكر الخليل أن (أوفى) بالألف — من (وفى) — هى فى أهل تهامة[٥٥] .

وقد أشار المبرد الى أن الأفصح هو (أوفى) لمجىء القرآن بها فى مثل قوله تعالى : (وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم)[٥٦] وأشار بعضهم الى فصاحة اللغتين .

وفى (هبط) و (أهبط) ذكر ابن دريد أنهما لغتان فصيحتان[٥٧] وعند المبرد أن (أهبط) لغة تميم[٥٨] ويقال فرزت الشىء وأفرزته لغتان جيدتان[٥٩] وقال الأصمعى فى (غسا) و (أغسى) يقال : غسى الليل وأغسى ، وغسى اذ اسود قال العجاج :

من مر أيام وليل مغسى

---

(٥٣) النهاية ٣٠٤/٥ .

(٥٤) المصدر السابق ٣١٦/٥ .

(٥٥) العين ٤٠٩/٨ .

(٥٦) سورة البقرة من الآية ٤٠ وانظر الكامل ١٨٧/٢ .

(٥٧) الجمهرة ٣١١/١ ، ٤٣٨/٣ . (٥٨) الكامل ٣٧٥/١ .

(٥٩) التهذيب ٩٦/١٢ .

فهذا من (أغسى) وسمعت رجلا من باهلة منذ خمسين سنة ينشد :

كـأن الليـل لا يغسى عليـه اذا زجر السبنداة الأمونا[٦٠]

ونرى أن اللغويين — أحيانا — يؤكدون فصاحة اللغتين ، وأحيانا فصاحة احداهما دون الأخرى تبعا للسماع والورود عن العرب وفى القرآن الكريم ، وبعضها يأتى مع نسبته الى أصحابه ، وأحيانا لا ينسبون بعضها ، يقول الله تعالى فى الحديث القدسى : (أسمحوا لعبدى كاسماحه الى عبادى) الاسماح لغة فى السماح يقال : سمح وأسمح اذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء[٦١] .

وفى الحديث : (ان أكثبكم القوم فانبلوهم) وفى رواية : (اذا أكثبوكم فارموهم بالنبل) يقال : كثب وأكثب اذا قارب والكثب القرب[٦٢] .

وفى خطبة عائشة (وأنجح اذا أكديتم) يقال نجح فلان وأنجح اذا أصاب طلبته وأنجحت وأنجحه الله[٦٣] .

وفى حديث ابن مسعود (كان يصلى الظهر والجنادب تنقز من الرمضاء) أى تقفز وتثب من شدة حرارة الأرض وقد نقز وأنقز : اذا وثب[٦٤] .

وفى حديث ابنى مليكة : (ان أمنا حين رعد الاسلام وبرق) الخ أى جاء بوعيده وتهديده يقال : رعد وبرق وأرعد وأبرق[٦٥] .

---

(٦٠) السبندى : الطويل الجرىء ومؤنثه : السبنداة وناقة امون : وثيقة الخلق . انظر القاموس ٣١٠/١ ، ١٩٩/٤ .

(٦١) النهاية ٣٩٨/٢ .

(٦٢) المصدر السابق ١٥١/٤ .

(٦٣) النهاية ١٨/٥ .

(٦٤) المصدر السابق ١٠٥/٥ .

(٦٥) المصدر السابق ٢٣٤/٢ .

وفى الحديث : (سألت ربى ألا يسلط على أمتى سنة فترمدهم فأعطانيها) أى تهلكهم يقال رمده وأرمده اذا أهلكه[٦٦] .

وفى حديث رافع بن خديج : (وسئل عن كراء الأرض البيضاء بالذهب والفضة فقال : لا بأس انما نهى عن الارمـاث) من قولهم رمثت الشيء بالشيء اذا خلطته وقولهم رمث وأرمث : اذا زاد[٦٧] .

والذى عليه جمهور اللغويين أن (فعل) للحجاز و (أفعـل) لتميم ، وجرى على ذلك المحدثون من علماء اللغة وان جاء عكس ذلك فقد ورد عن بنى تميم : جبره وبقية العرب تقول : أجبره[٦٨] .

قال اللحيانى : تميم تقول : جبرتـه عـلى الأمر أجبره جبرا وجبورا بغير ألف قال الأزهرى : وهى لغة معروفة وكثير من الحجازيين يقولونها الا أن بعض اللغويين فرق بينهما فى المعنى فجعل جبر لجبر العظم بعد كسره وجبر الفقير بعد فاقته والاجبار للاكراه[٦٩] وعند بنى تميم (هلك) وغيرهم (أهلك) قال العجاج وهو تميمى :

ومهمـه هـالك من تعرجـا هائلـة أهوالـه من أدلجـا

يعنى (مهلك) وهى لغة تميم[٧٠] .

وتقول تميم : خلا فلان على اللبن وعلى اللحم اذا لم يأكل معه شيئا ولا خلطه به وكنانة وقيس يقولون : (أخلى)[٧١] .

ونسبت (فعل) الى قيس مثل (فتىء) .

---

(٦٦) المصدر السابق ٢/٢٦٢ .
(٦٧) المصدر السابق ٢/٢٦١ .
(٦٨) اللسـان ١/٥٣٤ .
(٦٩) التهذيب ١١/٦٠ .
(٧٠) اللسان : (هلك) .
(٧١) المصدر السابق (خلى) .

قال أبو زيد : تميم تقول : أفتأت وقيس وغيرهم : فتئت[٧٢] ، وقيس قبيلة بدوية وربما قصد بغيرهم أهل الحجاز .

وتنسب صيغة (فعل) للكلابيين فى تعس وأتعس يقال : تعس بنفسه وأتعسه الله وروى تعس بفتح العين[٧٣] . وهذا يدل علـى أن بعض القبائل تتأثر بالأخرى للاتصال بينها .

فعـل وافتعـل

جاءت صيغ من هذا النوع من الثلاثى وغيره بمعنى وهى — دون ريب — ترجع — فى معظمها — الى اللهجات وان لم يسم أصحابها فى كتب اللغـة . من ذلك : فرى فريا وافترى افتـراء أذا كذب وهو افتعال من الفرى ، وفى القرآن الكريم عن بيعة النساء (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) وجاء مثله فى الحديث[٧٤] .

وجاء القود بمعنى القصاص ، وقاده به وأقاده قتل القاتل بدل القتيل واستقاد الحاكم سأله أن يقيده واقتاد منه يقتاد افتعال منه وفى الحديث : (من قتل عمدا فهو قود) ويقال : قاد البعير واقتاده : جرى خلفه[٧٥] ويقـال : مك الفصيل ما فى ضرع الناقة وامتكه اذا مص كل ما فيـه من اللبن[٧٦] ومن ذلك : نضـا السيف من غمـده وانتضاه : أخرجه ومن افتعل جاء انتضى فى حديث على حـين ذكر عمر فقـال : (تنكب قوسـه وانتضى فى يـده أسهما) على معنى استخرجها من كنانته[٧٧] .

ويقال : نظرت فلانا وانتظرته : اذا ارتقبت حضـوره ، ومن

---

(٧٢) التهذيب : ٣٣٠/١٤ .
(٧٣) المصدر السابق ٧٨/٢ .
(٧٤) النهاية ٤٤٣/٣ .
(٧٥) المصدر السابق ١١٩/٤ .
(٧٦) المصدر السابق ٣٤٩/٤ .
(٧٧) المصدر السابق ٧٣/٥ .

الأول (الثلاثى) ما ورد في حديث أنس قال : نظرنا النبى — ﷺ — ذات ليلة حتى كان شطر الليل[٧٨] ، ومن ذلك : همط ماله وطعامه وعرضه ، واهتمطه أخذه مرة بعد أخرى من غير وجه •

وفى الحديث أنه — ﷺ — (سئل عن عمال ينهضون الى القرى فيهمطون الناس فقال لهم المهنأ وعليهم الوزر)[٧٩] •

ويقال : قص الأثر واقتصه اذا تتبعه وجاء فى الحديث عن غسل دم الحيض : (فتقصه بريقها) على معنى تزيله من الثوب بأسنانها وريقها ليذهب أثره كأنه من القص[٨٠] •

ضميرا الخطاب

نلاحظ أن التاء والكاف تستعملان ضميرين لخطاب المذكر والمؤنث ، فمع المذكر يفتح كل منهما ، ومع المؤنث يكسران تقول : حضرتَ وحضرتِ ، وشاهدتكَ وشاهدتكِ ؛ وهذا شائع عند جمهور العرب •

وقد تشبع فتحة المخاطب المذكر فتنشأ عنه ألف ، وتشبع كسرة المخاطبة المؤنثة فتنشأ عنها ياء فيقال : حضرتا — حضرتى — شاهدتكا — شاهدتكى — وهذا ينسب لربيعة وتجرى عليها اللهجة العامية فى مصر •

وبهذه النماذج المتعددة للهجات نتأكد من وجود لهجات عديدة فى الجزيرة وان كانت القرشية قد سيطرت وأصبحت اللغة العامة للعرب جميعا •

---

(٧٨) المصدر السابق ٥/٧٨ •
(٧٩) المصدر السابق ٥/٢٧٤ •
(٨٠) المصدر السابق ٣/٤٧٧ •

ولو أن الرواة اهتموا بهذه اللهجات لنقلوا لنا فيضا كبيرا كنا قد استفدنا منه لكنهم — لخوفهم على القرآن الكريم ولغته — اهتموا باللغة العامة ولم يأبهوا لهذه اللهجات فنسى معظمها وتاه فى الجزيرة وقضى عليه ، على حين أننا نشاهد بقايا هذه اللهجات يظهر واضحا فى كتب النحو ، التى تحاول أن تخلط اللهجات ، وتستخلص القواعد منها وتدافع عنها بالفلسفات كما نرى ذلك عند اعراب المثنى بحاليه اللذين أشرنا اليهما وعند اعراب قراءة (ان هذان لساحران) وقراءة (فكان أبواه مؤمنان) فتذكر كتب النحو كثيرا من الآراء ومن الممكن أن نكتفى بتعليل واحد قريب وواقعى ، وهو أن هاتين القراءتين جاءتا حسب لهجة عربية تلزم المثنى الألف فى جميع أحوال اعرابه ، وبهذا نريح التفكير العقلى من أن يضل فى متاهات النحاة .

الفصل الخامس

الدرس اللهجي الحديث

تعد دراسة اللهجات dialectology [1] دراسة مهمة من الدراسات اللغوية فى العصر الحديث ، وهى من فروع علم اللغة العام : linguistics

وقبل أواخر القرن التاسع عشر لم ينظر اللغويون الغربيون الى دراسة اللهجات المتفرعة عن لغاتهم ، بل حاولوا أن ينشروا بين الناس الاتجاه الى الفصحى ونبذ العاميات لأن فى الفصحى ما يحافظ على كيانهم الحضارى والأدبى ، فهم يحافظون على الفصحى من لغاتهم حتى يستطيعوا أن يحافظوا على وحدتهم الثقافية والقومية فان تلك اللغات قد وعت لهم تاريخ أجيال وحضارات مضت ونقلتها اليهم بحيث يستطيعون فهمها ووعيها ، فهم يتصلون بماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم ، أما لو اتجه الناس الى العاميات فسوف تصرفهم عن تراثهم وتمزق وحدتهم وتقضى على أملهم فى المستقبل ولذلك حذر العلماء هناك من استعمال العاميات وطلبوا من مجتمعاتهم أن يحافظوا على فصحاهم ، بل حاولوا — ومعهم الحكام — ابتكار الطرق والوسائل التى تؤدى الى منع انتشار العاميات ، ومن ذلك أن الجمعية الوطنية الفرنسية عهدت عام ١٧٩٤ م الى الأب جريجوار بأن يضع تقريرا

---

(١) هو علم يدرس الظواهر والعوامل المختلفة المتعلقة بحدوث صور من الكلام فى لغة من اللغات ، أو علم يدرس اللهجات باعتبارها أنظمة لغوية تنشأ أو تتفرع عن لغته أو لغات . انظر : المصطلحات العلمية والفنية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ٩٣/٤ ، ٢٢١/١٥ .

بين فيه الوسائل الناجعة للقضاء على اللهجات الشعبية ونشر اللغة الفصحى[٢] .

ولم يكن الاهتمام بالفصحى على هذا النحو وحده هو السبب فى اهمال دراسة اللهجات فى تلك الحقبة من التاريخ بل ساعد على ذلك عوامل أخرى أهمها :

١ — توجه الدراسة الى الفصحى وبيان خصائصها واتجاهاتها لأنها — مع غرض الحفاظ عليها ودوام استمرارها — معبدة الطرق واضحة المسار مستقرة النظم ممتدة عبر التاريخ بسمات يمكن تحديدها والنظر فى أمرها على العكس من اللهجات الشعبية التى يحتاج تحديد مسارها ونظمها وسماتها الى دراسات دائبة وجهود يتجشمها الباحث فيها ويحتاج معها الى أزمان طويلة لاستخلاص حقائقها وما يتعلق بها من دراسة الأحوال الاجتماعية والثقافية والبيئية للشعوب .

٢ — العلماء — آنذاك — كانوا يحبون الدعة والهدوء ودراسة الفصحى توفر لهم ذلك لأن سماتها واضحة معلومة لا تستدعى الأسفار ولا مشقات الانتقال .

أما اللهجات فتحتاج — لتتبع خصائصها والتعرف على ظواهرها — الى تنقل وترحال لملاقاة أربابها فى بيئتهم دنت أو نأت ، سهلت أو صعبت ، مع ما يصحب ذلك من عناء السفر والرحلات الشاقة .

ولكنها — يوما ما — فرضت نفسها عليهم وجذبتهم — ان طوعا أو ان كرها — الى دراستها وتتبع مناحيها ، لأن التطور سنة الحياة ، وما فى الكون — بشتى ألوانه — يتطور ، فاللغة لا تخرج عن سنن الكائنات فى هذا الشأن فكما يتطور كل شىء تتطور اللغة .

---

(٢) علم اللغة د. وافى ص ٤٩ .

ولذا — على الرغم من محاولات الغربيين أن يمنعوا زحفها — وجدنا سيلها يتدفق فى كل مكان ، ورأينا انشعاب اللغات الفصحى الى عديد من اللهجات الشعبية تبعا لسنة الطبيعة وعوامل الاجتماع — فى الداخل والخارج — فلم يستطيعوا أن يحسروا الموجات المتتابعة منها فاضطروا الى التسليم بالأمر الواقع والاتجاه الى تلك اللهجات الناشئة حتى يعرفوا خط سيرها فبدأوا فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين فى الاهتمام بتلك اللهجات ودراستها .

وكما اهتم الفرنسيون — وجمعيتهم الوطنيــة — بمحاربة تلك اللهجات — أول الأمر — اهتموا أيضا — بعد أن علموا كغيرهم عدم جدوى محاولاتهم — بدراستها ، وظهر ذلك واضحا فى انشاء شعبة خاصة لدراسة اللهجات الشعبية فى معهد الدراسات العليا بفرنســا على يد أول مهتم فرنسى بها وهو (جاستون باريس) ونهضت دراستها على يد طائفة من العلمــاء الفرنســيين منهم تورتولون وبرنجييــه وأنطوان توماس وألبرت دوزا .

وكذلك على يد غير الفرنسيين كالعالمــين الايطــاليين كــورنو وأسكولى ، ومن أشهر المشتغلين بتلك الدراســة الأب روسلو الذى اهتم بالناحية الصوتية فى اللهجات وجيليرون الذى درس اللهجات من ناحيتها الدلاليــة .

وقد استعانت هذه الدراسة بكل الوسائل العلمية الحديثة حتى استطاعت أن تضع قوانين لحياة اللغات وما يعرض لها من انقسام الى لهجات وأسباب ذلك ونتائجه . فاللغات قد تحيا نتيجــة لاستمرار بقائها فى الاستعمال على ألسنة أهلها ، وقد تموت لانقراضــها من الاستعمال أو تغيرها واضمحلالها ، وليس معنى مــوت اللغــة أن يقضى عليها نهائيا بحيث لا يبقى لها أثر لأنها — عندما تموت — تكون قد تركت آثارا فى خليفاتها كما يقول الدكتور السعران :

« ان اللغة اللاتينية لم تمت فى الحقيقـة من الناحية التاريخية بل أصابتها تغيرات عميقة أنتجت أشكالا حديثة لها أبرزها : البرتغالية والقشتالية ولغة قطالونيا ولغة بروفانس والفرنسية والايطالية ولغـة رومانيا والأسبانية ، وقد بلغ من شدة هذه التغيرات وعمقها أننا نحس اذا نظرنا الى الأشكال الحديثة للاتينية بأنها لغات مختلفة »[٣] .

ووصل العلماء — فى أمر التوحد والانقسام — الى نتائج ذات قيمـة علميـة كبيرة ، فاللغات — متأثرة بحتميـة العوامل الطبيعية والاجتماعية والثقافية — تميل الى الانقسام أكثر من التوحد وهـذا رأى بعض اللغويين ، وهو اتجاه تؤيده الدلائل الواقعية ، فاللغات — منذ آدم عليه السلام — يتوالى عليها الانقسام بعد التوحد ، وهى على هذه الحـال فى شتى بقاع الأرض الى اليوم ، ولم تستمر — حتى الآن — لغة واحدة على طبيعتها دون تفرق الى لهجات .

بيد أن (يسبرسن) يرى أن القوى الموحدة كانت فى العصور التاريخية أقوى — فى حقيقة الأمر — من القوى المقسمة[٤] ويستدل لذلك بكثرة المتكلمين بكل لغة فى الأزمان الحاضرة عنها فى الأزمـان المـاضية .

ولكن الرأى الأول تسانده ظواهر اللغات العالمية — دون ريب — وكثرة عدد المتكلمين لا يعنى توحد اللغة ، فهذا قد يحدث مع تشعبها وانقسامها فكيف توصف بالتوحد مع الانقسام ؟

وقد حدد العلماء الأسس التى تؤدى الى ظهور لغة عامـة والى استمرار التوحد اللغوى لأمـة اكتملت لها تلك الأسس كالاتصـال والاختلاط بين المتكلمين وشيوع الأدب والثقافة بعناصرها المتعـددة

---

(٣) اللغة والمجتمع د. محمود السعران ص ١٦٧ ، ١٦٩ .
(٤) المصدر السابق ص ١٨٠ .

وما يصحب ذلك من حالات اجتماعية وسياسية واقتصادية وعسكرية واعلاميـــة •

واللغات قد تنتشر فى مساحات واسعة من الأرض وقد تبقى فى حيز ضيق من الوجود وربمـــا توسط حـــالها كل ذلك يخضع لعوامل الانتشار والتعثر وعدم الانطلاق فمـــع أهلها تدخـــل أراضى جديدة وتتصارع مع لغات جديدة ، نتيجة الغزو والاستعمار أو مع زيـــادة الناطقين بها زيادة طبيعية عن طريق النمو وذلك قد يدعو الى انقسامها وقد تساعد على ذلك عوامل أخـــرى اجتماعية وسياسية وثقافيـــة ونفسية وفسيولوجية وجغرافية فلا ريب أن الجماعات المختلفة على هذا النحو تختلف لغاتها بل تنقسم اذا كانت واحدة ثم اختلفت عليها هذه العوامل ، بل ان الاقليم الواحد كجمهورية مصر العربية تنقسم فيه لغة المحادثة الى ألوان شتى من اللهجات المحلية نتيجة لاختلاف البيئات ــ نسبيا ــ بين أهلها فى مدنها وقراها فنحن نستطيع أن نلمس هذه الفروق من سيرنا فى تلك الأماكن فمن مدينة الى أخرى ومن قرية الى أخرى نلمح مظاهر هذا الاختلاف بين اللهجات ، فعلى حين ينطق بعضهم (يقول) ينطقها آخرون (يئول) وآخرون (يجول) ويعبر بعضهم عن السيارة بكلمـــة (كومبيل) وبعضهم (اتومبيل) وبعض ثالث (ترمبيل) وساقية الميـــاة يسميها بعضهم (تابوت) وبعضهم (طبلية) وبعضهم (حلزونة) وبعضهم (حلوفة) ، وهكذا ، عـــلى حين تبقى مع ذلك اللغة العامة مفهومة للجميع ومستعملة فى الكتابة والأمور الرسمية كلغة قومية وهى ــ عندنا ــ العربية الفصحى التى تربط بين الأمة العربية فى شتى أقطارها •

والملاحظ أن لكل بيئـــة لهجاتها الخاصـــة التى تنبع من حياتها والمؤثرات عليها فهناك لهجات خاصة تبعا للطبقات المتعددة فلهجـــة للارستقراطيين وأخرى للزراعيين وثالثة للتجـــاريين ورابعة للبحريين

وخامسة لأرباب الصناعات والمهندسين وسادسة للرياضيين وغير ذلك من ألوان اللهجات التى تناسب كل الفئات الاجتماعية ولذا يطلق علماء اللغة المحدثون على هذا اللون اللهجى اسم (اللهجات الاجتماعية) وأهم تلك اللهجات ما يسمونه : (اللهجات الحرفية)[٥] .

ويرى بعض علماء الانتوجرافيا أن لهجات هذا النوع ترتجل ارتجالا ويتفق عليها من أفراد الجماعة المتكلمة بها ولكن الرأى السديد هو أنها تخضع لعوامل النشأة الاجتماعية والبيئة التى تحياها تلك الطوائف مع تسليمنا بأنه ربما نشأ اصطلاح أو أكثر عن طريق الاختراع ثم شاع استعماله بالتقليد ولكن هذا ليس ظاهرة عامة .

كل ذلك الانقسام واختلاف اللغات واللهجات قد خضع لعوامل كانت الدراسة الغربية فاتحة له وممهدة طريقه وواضعة أسسه العامة والخاصة حتى أصبحت له قوانين العلم التى طبقت — قديما — على اللغات الهندية الأوربية وانقساماتها الى طوائف لغوية كبيرة[٦] وعلى اللاتينية — احدى لغات الفرع الايطالى من هذه المجموعة اللغوية — فقد انشعبت الى عدة فروع لهجية — فى أواخر العصور الوسطى — هى : الفرنسية والايطالية والأسبانية والبرتغالية ولغة رومانيا[٧] .

وعوامل تكوين اللغة العامة برزت فى دراساتهم — أيضا — فقد لوحظ أن التغيرات الفردية لا تؤثر تأثيرا فعالا فى هذا المجال ؛ بل الاعتماد على العوامل الاجتماعية متضافرة : فقد كانوا — كما ذكر الدكتور السعران — يفهمون قديما « أن الايطالية قد كونها دانتى والانجليزية كونها تشوسر والألمانية كونها لوثر والدينمركية

---

(٥) علم اللغة د. وافى ص ١٧٣ ، ١٧٦ واللغة لفندريس ص ٣١٥ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ .
(٦) لها طوائف ثمان . انظر علم اللغة د. وافى ص ١٨٠ وما بعدها .
(٧) المصدر السابق ص ١٦٠ ، ١٦١ .

كونها كريستيرن بدرسن فأظهر البحث أن كل لغة من هذه كانت مكونة قبل أن يخط هؤلاء حرفا »[٨] كما أن الانقسام الى لهجات شعبية ومحلية كانت له مبادىء وقوانين عمل الغربيون على اثبات وجودها وتأكيدها بالأدلة السليمة النابعة من التجارب ودراسة الوقائع اللغوية التى تؤكد صحة النتائج .

وقد وصلوا من ذلك الى تحديد عوامل الخلاف التى تحدث فى صراع اللغات واللهجات وما يعتريها من تشعب ، فقد يكون كثيرا من الناحية الصوتية ثم يكون — أيضا — من الناحية الدلالية ، أما ناحية القواعد فانها تكون قليلة وبطيئة التغير عادة .

واننا نلاحظ ذلك فى لغتنا العربية فالخلاف كبير بين اللهجات الفصحى التى كانت فى الجزيرة مثل العنعنة والفحفحة والاستنطاء وغير ذلك وبعض الألفاظ قد اختلفت دلالتها كما فى وثب عند حمير بمعنى جلس وعند غيرهم من عرب الشمال بمعنى قفز ، والسدقة — فى لهجة تميم — الظلمة ، وفى لهجة قيس : الضوء[٩] .

أما الخلاف فى القواعد — كالبنية والاشتقاق والجمع والتأنيث والنسب والتصغير وتكوين الجمل — فهو قليل وهكذا فى اللهجات العربية الحديثة .

وقد ظهر من ملاحظة تلك العوامل وظواهر الانقسام ودراسات المحدثين من الغربيين ومن تابعهم أن تكوين لغة عالمية أمر بعيد المنال ، فما دام البشر مختلفين فى طبيعة بيئاتهم وأجسامهم وثقافاتهم والعوامل التى تتغلب عليهم فلا يمكن اتحاد لغاتهم لأنها سوف تخضع لتلك العوامل وتتأثر بها فمهما كانت واحدة فى أول أمرها فسوف يعروها الانقسام

---

(٨) اللغة والمجتمع د. السعران ص ١٧٣ .

(٩) المزهر ط الأولى ١٨٨/١ ، ١٩١ .

وصدق الله العظيم اذ يقول : (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم)[١٠] .

واللغوى الحديث يدرس اللغة من وجهين :

١ — اللغة من الناحية التنظيمية والتركيبية الموروثة : والتى تكون مجموعة من القواعد والقوانين تختزن فى عقول الجماعة الناطقة بها وتطبقها فى ميادينها المختلفة للتعامل والسلوك الانسانى .

٢ — اللغة فى تطورها الاجتماعى والتاريخى : فالانسان كما تنتقل أحواله البيولوجية ووظائفه العضوية من طور الى آخر فى مراحل يمر بها المجتمع البشرى بأسره فكذلك عاداته وتقاليده وظواهر الاجتماع التى تتصل به ومنها اللغة التى عراها ويعروها الاختلاف والانتقال بمرور الأجيال والعصور فتتغير وتتلون بألوان تتأثر بحال الانسان ومرور الأحداث المتقدمة به من ثقافات وتجارب تتقدم به أو تتأخر وتستحدث أمورا وتتخلص من أخرى مضى عليها الزمن أو غيرها من منظور اجتماعى أو سياسى أو نفسى الى غير ذلك مما يؤثر فى الانسان وفهمه للحياة فهما جديدا وتخضع اللغة العامة للطبقات الاجتماعية كما نرى فى لغة العمال والفلاحين والصناع والتجار الى غير ذلك ، ومن هنا تعددت اللهجات وتنوعت بما يسمى اللهجات الحرفية أو الطبقية .

وقد نظر الى اللغة المشتركة على أنها النموذج الذى يحتذى ، وأنها المعيار الأساسى الذى يقاس عليه ولها قواعدها ، ونظمها المعروفة وعلى أن اللهجات متفرعة من هذا النموذج وداخلة فى اطاره .

---

(١٠) سورة الروم الآية ٢٢ .

الأطلس اللغوى

فى العصر الحديث ظهرت طرق ومناهج لدراسة اللغات واللهجات فى الغرب وانتقلت الى الدراسات اللغوية المعاصرة فى العالم العربى •

وقد ظهرت دراسات لبعض العلماء فى التوزيع الجغرافى للغات واللهجات وامكان بيان الحدود الجغرافية الفاصلة بين اللغات أو اللهجات التى تنضوى تحت اللغة الواحدة •

اللغات : قرر الباحثون سهولة بيان الحدود الجغرافية للغات فحدود اللغة العربية واضحة المعالم ، فهى تمتد فى الجزيرة والشام والعراق وشمال افريقية ويمكن معرفة نهاية حدودها بابتداء اللغات المجاورة لها من فارسية وتركية وافريقية وغيرها • وهكذا حال اللغات الأخرى كالانجليزية والفرنسية وغيرها حيث يمكن بيان حدود كل منها بطريقة ميسورة •

وهذا فى غالب الأمر ، وقد يصعب ايجاد فاصل بين اللغات ، بأن توجد فى بقعة واحدة ، توجد بينها حواجز ، كما فى سويسرا ، ففيها أربع لغات هى : الألمانية والايطالية والرومانية والفرنسية ، فمناطقها يصعب الفصل بينها لخضوعها لنظام سياسى واحد واختلاط شعبها بعضه ببعض وهكذا شأن اللغات المتجاورة فالفروق بين اللغتين المتجاورتين تختفى فى الأقاليم الحدودية الانتقالية •

وكذلك اللغات المتقاربة فى الأصل اللغوى كالفرنسية والايطالية فمع امكان وضع نقاط انتقال محصورة بينهما لا يبقى هذا الخط عند حدود اللغتين وكذلك الحدود بين الفصحى ولهجاتها فلا نستطيع أن نبين بداية الفصحى الألمانية thigh German ونهاية الألمانية المبتذلة Lew German وهناك خصائص وسطية تربط

اللغات المتشـــابهة بعضها ببعض وقـــد تختفى فيحصـــل الاختـــلاف الواضح •

وهذا ينطبق على طوائف اللغات كالهند وأوربية والسامية وغيرها ، وهجرات السكان تقضى على الاختلافات وتقربها مع عدم تفكك سلسلة المناطق اللغويـــة •

اللهجات : يصعب رسم خط جغـــرافى للهجـــات التى تنتمى الى لغة واحدة للصلات القوية بين الناطقين بها لأنهم أبناء أمة واحدة • وبناء على ذلك :

١ — أنكر بعض الباحثين وجود لهجات فى اللغة الواحدة بناء على أن المكان واحد لا يمكن تجزئتة ؛ كما أنه ليس من الممكن التفريق بين الخصائص الصوتية والصرفية والمعجمية ؛ ومن هؤلاء : بول ميرو وجاستين بارى الذى يقول : لا يوجد أى حد حقيقى يفصل بين فرنسى الشمال وفرنسى الجنوب فصور التكلم الشـــعبية عندنا تمتد عـــلى أرض الوطن من طرف الى آخر كأنها بساط نضحت ألوانه المتنوعة فى كل نقطة منه بعضها على بعض وأصبحت درجـــات لا يكاد يتميز بعضها من بعض ، وكذلك جوهان شميدت صاحب نظرية الأمواج ، فالظواهر اللغوية متداخلة كالموجات بحيث يتعذر الفصل بينها أو بيان حدود كل منها •

وقد طبق ذلك على دراســـة اللغات الهندية الأوربية ، وقرر عدم وجود لهجات فيها ، وان الخط الفاصل بين اللغة واللهجة يصعب فى غالب الأحيان تتبعه ورسمه[١] •

وقد ينظر الى تصنيف اللهجات على أساس من سماتها الخاصة على انه شىء من صنع الخيال الى درجة كبيرة ، ففى الولايات المتحدة

---

(١) أسس علم اللغة لمـــاريوباى ص ٢١١ ونصول فى علم اللغـــة العام لـــ (ف.دى سوسير) ص ٣٥٤ وما بعدها بتصرف .

الأمريكية — مثلا — لا يوجد ما يمكن أن يسمى لهجة جنوبية أو لهجة غربية وسطى أو لهجة نيو انجليزية ، ولكن توجد سلسلة من الخصائص المحلية غير المتناهية مع بعض ملامح مشتركة من ناحية ، وملامح متباينة من اقليم الى اقليم من ناحية أخرى(٢) .

٢ — وقال بعض الباحثين : ان الفصل بين لهجات اللغة الواحدة يمكن عن طريق التعرف على السمات والخصائص البارزة لكل لهجة مما يوجد فى منطقة ولا يوجد فى الأخرى ، ومن هؤلاء مييه الفرنسى ونص عبارته : « هناك لهجة محددة فى كل منطقة يلاحظ فيها وجود خصائص مشتركة وحتى عندما لا يمكن رسم خطوط دقيقة للفصل بين منطقتين متجاورتين فانه يبقى أن كلا منهما تتميز فى مجموعها ببعض السمات العامة التى لا توجد فى الأخرى ... فان كلا من اللهجتين فى مجموعها قد اشتملت على خصائص عديدة واضحة الى حد يجعلها فى مأمن من الخلط بينها »(٣) .

ويذكر بعض الباحثين : هناك على سبيل المثال خط افتراضى واضح محدد يمتد من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى يخترق معظم الأرض الألمانية وعلى أحد جانبى هذا الخط يقول المتكلمون dat وعلى الجانب الآخر يقولون das ، واذا كان هذا الخط الافتراضى لا يتطابق دائما مع الواقع فانه — غالبا — ما ينظم الظواهر فى شكل حزم أو مجموعات مع اختلافات يسيرة نسبيا ، واذا أخذ المرء المتوسط أو المعدل لهذه الخطوط الفاصلة فانه يمكنه أن يحدد خطا مفردا يفصل منطقة لهجة رئيسية عن غيرها ، وهذا هو أساس الطريقة العلمية لتصنيف اللهجات الرئيسية فى لغة معينة(٤) .

ويذكر فرديناند دى سوسير « من الممكن أن نحدد اللهجة

---

(٢) المصدر السابق ص ٦٩ .
(٣) اللغة ٣١٢ .
(٤) أسس علم اللغة لماريوباى ص ٧٠ .

بخصائصها الذاتية التي تتضمن اختيار نقطة محددة على الخريطة ، ومن الممكن — أيضا — أن نحدد اللهجة باحدى مميزاتها ونحدد بيد مدى انتشار هذه الميزة أو الخصيصة » •

ويقول الدكتور أنيس : « متى برزت صفات خاصة واتضحت للسامعين وظهر اختلافها عن صفات البيئات الأخرى للغة الواحدة ، أمكن القول ان هناك لهجة قد نشأت وتميزت وتدرس على أنها لهجة متميزة »[٥] •

وهذا من شأنه أن يقرب المطلوب ، ولكنه لا يؤدى الى بيان الحد الفاصل الدقيق بين لهجة وأخرى •

فلهجات اللغة العربية — مثلا — يمكن التعرف على خصائص كل منها مصرية أو سورية أو عراقية الخ ، ولكن لا يمكن أن يعرف — بالتحديد — المكان الذى تنتهى عنده السورية أو غيرها للتداخل الشديد بينها •

وقياسا على ذلك فاللهجات المحلية فى أى قطر يمكن أن تخضع لهذا المقياس من حيث الخصائص والميزات ، فطرائق النطق بينها مختلفة ، فبعضها يميل فى مثل (عليه — اليه) وبعضها ينطق القاف همزة وبعضها جيما ، وأخرى تحول الكاف الى قاف فى نطق بعض الكلمات كما يلاحظ ذلك فى اللهجات العامية فى مصر •

وهكذا بيان كل ما يكشف عن الفواصل بين اللهجات بحيث يمكن معرفة خصائص وسمات كل منها •

وعلى هذا المنوال سائر اللهجات العربية فى أقطارها المتعددة ويبدو أن هذا الرأى جدير بالاتباع •

وقد كانت الدراسة القديمة تعتمد على الشواهد والنماذج

---

(٥) فى اللهجات العربية ص ١٧ .

وملاحظة ما تحتوى من نظم وقوانين تدرك بالتجارب الذاتية التى نقوم على المشافهة والتلقين والنقل عن السابقين .

ولا ريب أن الأطلس اللغوى كانت له بذوره فى دراسات علمائنا القدماء حين جمعوا النصوص اللغوية التى استخلصوا منها قواعد اللغة العامة ، وفيما جمعوا من نصوص تتعلق ببعض اللهجات السائدة فى بعض مناطق الجزيرة .

وفى العصر الحديث جدت الأجهزة والآلات المعملية وطرق القياس المستحدثة التى يسرت دراسة اللهجات وتحديد خصائصها والأماكن التى تنتشر فيها فيما يعرف بالأطلس اللغوى أو الجغرافية اللهجية Linguistic Geography or Dialect Geography (٦) .

وذلك على أساس من علم اللغة الجغرافى لأن العلاقة قائمة بين اللهجات وبيئاتها الجغرافية .

وقد بدأ ظهور الأطلس اللغوى على يد اللغويين التاريخيين لأغراض تاريخية فى معظمها ثم أصبح ينحو المنحى الوصفى العلمى فى مجال البحث اللغوى (٧) وقد ظهرت فكرة الأطالس اللغوية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر (١٨٨٦ م) وكان (وينكر Wenker) فى ألمانيا و (جيليرون Gillieron) — واضع علم اللغة الجغرافى(٨) — فى فرنسا من أوائل المهتمين بوضع هذه الأطالس للغتين الألمانية والفرنسية ولهجاتهما ووضعوا شروط هذا

---

(٦) انظر : أسس علم اللغة لماريوباى ص ١٣٤ .

(٧) المصدر السابق ص ١٣١ .

(٨) وظيفة علم اللغة الجغرافى أن يصف بطريقة علمية وموضوعية توزيع اللغات فى مناطق العالم المختلفة ليوضح أهميتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاستراتيجية والثقافية وطرق تفاعل اللغات بعضها مع بعض . ماريوباى ص ٣٧ . علم اللغة الجغرافى هو التطبيق العملى الحديث لعلم اللغة ، وعلم اللغة الجغرافى يغطى بشىء من التفصيل الوضع الحالى للغات العالم من حيث عدد المتكلمين والتوزيع الجغرافى ص ٦٤ . وانظر أيضا ص ١٨٥ ، وتدرس فيه العوامل الاتى تؤدى الى تقدم لغة أو تقهقرها واحلال غيرها محلها ص ٧٢ .

المنهج الجديد للدراسة اللغوية حتى تخلو بهذا المنهج من الخطأ وتتجه ناحية الصواب ، ثم امتد هذا النشاط العلمى اللغوى الى دول أخرى كسويسرا والنرويج والسويد والبرتغال وايطاليا وأمريكا وبعض البلاد الشرقية .

وفكرة الأطلس اللغوى نالت اهتماما كبيرا فى العصر الحديث لتحديد جوانب مفيدة فى علم التاريخ اللغوى ، ويبدو هذا فى الصيغ الحية للغة أى بلد ، بالاضافة الى ما تحويه من خصائص لهجية متنوعة ، وقد ساعد هذا كثيرا علماء اللغة التاريخيين ، وبخاصة عند تحديد معالم التغير التى تمت فى الماضى حينما تكون الشواهد المطلوبة مفقودة ، أو غير كافية[٩] .

ومع ذلك فحتى هذا الوقت لا توجد الا مناطق ضئيلة جدا هى التى وضع لها أطلس لغوى[١٠] .

ويهتم علماء الأطالس اللغوية بدراسة الظواهر اللغوية الحديثة المتكلمة ، ويهتمون بالناحية العلمية التى تنتقل الى حقل التجربة .

وهم يجمعون المادة اللغوية المطلوبة من الأماكن المحلية التى يقع عليها الاختيار من اقليم ما — رسمت حدوده — لعمل خرائط له ، مع الاستعانة براو يمثل المتكلمين المحليين وكذلك الاستعانة بمسجل لغوى مدرب تدريبا دقيقا على كيفية الاجابة على الأسئلة .

ويجرى البحث بتحديد مجموعات الكلمات والعبارات والجمل التى يسبق اعداد مقابلات لها من اللغة العامة أو بتحديد الظاهرة أو الظواهر اللغوية التى يراد دراستها .

ويرتب ذلك فى صورة أسئلة يجيب عليها الراوى اللغوى ،

---

(٩) أسس علم اللغة لماريوباى ص ١٣٢ وانظر أيضا ص ٣٧ ، ٢٢١ .

(١٠) المصدر السابق ص ٢٤٠ .

والمـــادة التى ينطقها الراوى اللغوى اما أن تكتب بالطريقة الصوتية أو تسجل على جهاز تسجيل ، أو تستخدم الطريقتان معا ٠

ثم تجرى مرحلة المقابلة والمعارضة بين كل كلمـــة أو عبارة أو اصطلاح أدلى به الرواة اللغويون المحليون وبـــين المقابلات لها من اللغة العامة ، وتستخلص من المقارنة النتائج وتوضع على خريطـــة مستقلة للمنطقـــة ٠

ولهذا اللون من الدراسة طرق متنوعة عند العلمـــاء والباحثين المشتغلين بعلم اللغة الجغرافى ٠

ففى ألمـــانيا برزت (طريقة وينكر) وتقوم على جمـــع أحصائى تحدد فيه عدة خصائص أو كلمات أو عبارات من اللغة الفصحى أو العامة تمثل مظاهر لغوية متعددة صوتية ومعجمية وصرفية ونحويـــة ودلالية ، وينظر اليها على أنها المقياس المعيارى ٠

ويقوم المسجل اللغوى باستطلاع رأى الراوى اللغوى الممثـــل لنطق اللغة المحلية أو اللهجـــة التى يراد دراستها ، فيسجـــل الكلمة أو العبارة أو الجملة التى ينطقها الرجـــل العـــادى فى الشـــائع من الاستعمال اللغى فى الحياة العادية للمجتمع مما يقابل النطق النموذجى للغة العامـــة ٠

وبعد ذلك تفحص الاجابات ـــ لعدد كبير من الرواة اللغويين ، والتى سجلها المسجلون اللغويون ـــ ويقارن النطق الذى فى اللغـــة أو اللهجة المدروســـة بالنظام أو الاســـتعمال اللغـــوى النموذجى ، وتستخلص النتائج المستنبطة من الاجابات عـــلى الأسئلة المدونـــة ، ثم توضـــح هذه النتـــائج عـــلى خـــرائط لغويـــة ، وتصنف حسب مجالات الدراســـة من حيث اصـــوات المفـــردة والكلمات والجمـــل والدلالة والقواعد التى تخضع لها ٠

وفى فرنسا برزت (طريقة جيليرون) فى لون آخر من عمل الخرائط اللغوية .

وفيها تختار البلاد أو الأماكن التى يجرى فيها البحث من البلاد التى لها تأثير لغوى واضح فيما حولها من الأماكن بحيث تمثل بيئة لغوية واسعة .

وتوضع أسئلة فى صورة مجموعات كل مجموعة تتعلق بدراسة احدى الظواهر اللغوية أو عدة ظواهر يتصل بعضها ببعض اتصالا وثيقا ، وتعرض هذه الأسئلة على أهل البلاد التى تجرى فيها دراسة اللهجة أو الظاهرة اللغوية عن طريق الرواة اللغويين أيضا ، ويقوم بعمل الاحصاء مسجل لغوى مدرب كذلك .

وبعد جمع الاجابات تدرس ليمهد ذلك لمعرفة الخصائص والسمات للهجة أو اللهجات التى يقصد دراستها فى مجال الأصوات أو صيغ الألفاظ أو طرق التعبير الى غير ذلك ، ثم تسجل هذه النتائج على الخريطة الخاصة بها .

ويحتوى الأطلس اللغوى فى فرنسا — على سبيل المثال — على خريطة منفصلة كبيرة لكلمة « حصان » — كما تستعمل فى لغة الكلام — فى حوالى خمسمائة منطقة فرنسية مختلفة ، وهناك خرائط لكلمات أخرى ، والمحصل النهائى لهذه الخرائط يعطينا مجموعات من الخطوط المتقاطعة التى تمثل كل منها واحدة من الخمسمائة لهجة محلية ليس فقط فيما يتعلق بالمفردات ولكن أيضا فيما يخص مجموعات الكلمات التى تخدم الغرض النحوى ، وبهذا يصبح من الممكن تماما استخلاص نحو وصفى لكل لهجة من تلك اللهجات المحلية باتباع أسس التحليل الفونيمية والصوتية[١١] .

---

(١١) المصدر السابق ص ١٣٣ .

وفى طريقتى وينكر وجيليرون يشترط فى الرواى اللغـوى أن يكون من أهل المنطقة المدروسـة الأصـليين الذين لم يغادروها ولم يتأثروا بغيرهم ثقافيا أو اجتماعيا ، وأن تتوافر فيه المقدرة اللغوية على تمثيل النطق الصحيح لأهل بيئته ، وأن يتوافر عنده قدر كبير من الوعى والفهم للأسئلة بحيث يمـكنه الاجـابة عليها دون تعثر أو انحـراف •

وأن يكون صادق القول غير واقـع تحت مؤثرات تجعله يخفى بعض الاجابة أو يجيب بغير المطلوب ، أو يعطى بيانات غير صحيحة أو غير دقيقة لأسباب أخرى •

« وكلما كان الراوى اللغوى أقل ثقافة كان أفضل لأن المتعلمين ، أو الأكثر تعلما فى المنطقة تتأثر لغتهم بمعلوماتهم واحترامهم للغـة الأدبية الوطنية »(١٢) •

وفى الأطلس الفرنسى لم تحدد خصائص أو عبارات معينة يقاس عليها كما فى الطريقة الألمانية • وبهذا يمكن أن نميز الطريقة الفرنسية بأن المسلجين اللغويين لا يؤثرون على المتكلم الذى تدرس لهجته بل يترك على طبيعته ليقول ما يشاء ، أما الطريقة الألمانية فقد فرضت نظما معينة تتطلب الاجابة بما يمكن أن يتكلف لها المجيب أو يحور من طريقة الاجابة تبعا للتأثير النفسى واللغوى عليـه ، وان كانت الطريقة التى اتبعها النظام الألمـانى تأخذ فى الاعتبار شمول النواحى المتعـددة للاستعمال اللغوى مما يجعلها أوسع وأشمل •

والأطلس اللغوى يحوى خرائط متعـددة للوقوف عـلى ظواهر اللغة أو اللهجة مع الاستعانة ببعض النواحى الهندسية •

وعلى هذا فالأطلس اللغوى يقوم على عمل خرائط لبيان أصواته

---

(١٢) المصدر السابق ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

أو كلمات أو تراكيب لغة أو لهجة معينة أو عدة لهجات وتوضيح صلتها باللغة الأصلية أو بأخواتها من اللغات أو اللهجات الأخرى .

وعمل الأطالس اللغوية يعتمد — الى حد كبير — على مفردات اللغة وهو عمل لغوى يتم تحت ظروف البيئة المعينة(١٣) .

وتتجلى أهمية هذه الخرائط اللغوية فى أنها توقفنا على بيان النواحى الصوتية واختلاف الألفاظ تبعا لاختلاف المناطق وأوجه الشبه بين اللغات واللهجات ومظاهر الاختلاف بينها على نحو دقيق .

ويخضع ذلك لطرق قياسية محددة لتوضيح ما يتعلق بالنواحى اللغوية المتنوعة على المستوى الصوتى والدلالى للغة واحدة ولهجاتها أو للغات لها علاقة بها أرقى منها أو أدنى ، وهذا يتطلب عمل احصاءات تتوقف عليها النتائج العلمية اللغوية ، وهذا يتوقف على نوع الاحصاء العميق الدقيق أو السطحى الموجز ، وكلما لوحظ التوحد فى طرق القياس والاحصاء كان ذلك داعيا الى دقة النتائج .

والذى ينبغى عمله — فى هذا — هو الاستعانة بالمعلومات الدقيقة وجمع المادة التى تمثل ظواهر اللغة أو اللهجة بشمول واف فى مختلف المناطق وأن تلاحظ كفاءة الرواة اللغويين والمسجلين بحيث تأتى النتائج دقيقة سليمة فلا تختلف من راو الى آخر ولا من مسجل الى غيره ، ولا بد من تحديد الأسئلة التى ستلقى بحيث لا تختلف بين المسئولين ، وألا تكون هناك عوامل مؤثرة فى اختلاف الاجابات أو صدقها .

وعن طريق الأطالس اللغوية تتحدد سمات اللغة أو اللهجة وخصائصها — فى مجالات الأصوات والكلمات والجمل وشتى النواحى اللغوية — ويعرف مكانها وصلتها باللغات أو باللهجات المجاورة وعلاقتها بالأم التى تفرعت عنها ، وعلى هذا يمكن رسم الحدود

---

(١٣) المصدر السابق ص ١٣١ بتصرف .

الجغرافية لها على خريطة بوضوح كامل ومعرفة التغييرات التى تطرأ عليها من حين لآخر[١٤] .

وهذه الأطالس تعتمد فى الكشف عن التاريخ الذى مرت بـه اللغة فى عصورها التى مرت بها وبيان اللهجة التى تعد أقـرب الى الفصحى — ان وجدت — ونتيجة لهـذا اللون من الدراسـة تكون الحدود اللهجية — أحيانا — واضحة كما فى المناطق الصحراوية أو الغابات أو المرتفعات ، وأحيانا تكون غير محددة تحديدا واضحا ، كما فى لهجات المناطق التى يتصل بها غير أهلها كحدود لهجـات العواصم كالقاهرة ولندن وبغداد لتأثر البلاد المجاورة بها ، ولهجة مصر بالنسبة للعالم العربى هى مصدر تتأثر به البلاد العربيـة الأخـرى لمركزها السياسى والثقافى الذى يجعلها محط الأنظار .

والأطلس اللغوى يصبح — بعد اتمامه — مرجعا للغوى حيث يزوده بالمعلومات التى يريدها بدلا من الخروج بنفسه ، ومحاولة الذهاب الى الحقـل اللغوى فى المنطقة موضوع اهتمامـه ، وان كان نزول اللغوى المباشر الى الحقـل اللغوى قد يصـبح ضروريا مع وجود الأطلس اللغوى حينما تواجهه مشكلات خاصة . ومع ذلك فالأطلس اللغوى خاضع للتغيير وغير ثابت لمـا يعترى الحياة من تغيير ولذا لا تظل نتائجه ثابتة بل يقتضى عمل أطالس بين الحين والآخر لمعرفـة ما جد من تغييرات وتأثيرات لغوية فى المناطق التى درست من قبل . وهذا شأن اللهجات العامة الخاضعة للتطور السريع[١٥] .

وعلى ذلك ينبغى فى دراسة اللهجة مراعاة أمور أهمها ما يلى :

١ — اقامة الدراسة على أساس جغرافى .

٢ — الاعتماد على الجانب الوصفى أى على ما هى عليه لا على ما ينبغى أن تكون عليه .

---

(١٤) انظر : الاطلس اللغوى د. خليل عساكر ص ٣٧٩ .

(١٥) اسس علم اللغة لماريوباى ص ١٣٣ .

٣ — بيان الطبقة الاجتماعية التى يراد دراسة لهجتها من عمال أو فلاحين أو صناع أو مثقفين ... الخ .

٤ — أن يكون الخبــراء اللغويون الذين تؤخذ عنهم اللهجة من الناطقين بها ممن يمكن أن يمثلوا اللهجــة تمثيــلا صحيحا ، والكلام الطبيعى خير مثال صادق .

٥ — الاعتماد على النصوص فى اللهجات الصوتية المكتوبة .

٦ — لابد من تمحيص الحقائق لــكل اقليم عدة مرات لتوضيح الخصائص الصوتية والمعجمية والصرفية الخ التى تتزاحم وتتراكب .

٧ — أن تكون الاستبيانات مخططة بوضوح وتعاون المؤسسات المحليــة .

ثم يحلل ما جمع من مادة علمية عن طريق الأجهزة والآلات — ان أمكن — ويوازن بين النتائج المعمليــة والنتائج السمعيــة المستنبطة بالملاحظة الذاتية وتستخلص النتائج الصحيحة التى اتفق عليها سمعا وتجربة وحال الخلاف بينهما ينظر سبب الخلاف حتى يهتدى الباحث الى الحقيقة ، ثم يستخلص النظام العام للظاهرة اللغوية المدروسة .

ويمكن استخدام هذه الأطــالس فى دراســة العربية الفصحى ولهجاتها وصلتها باللغــات السامية واللغــات الأجنبيــة وهذا وثيق الصلة بالنصوص اللغوية ويمكن أن يساعد فى معرفة اللهجات المعاصرة وربما كشف شيئا من تاريخ الظــواهر اللغويــة وعنــاصرها عندنا وتأثرها بغــيرها[١٦] وربما كشف ذلك شيئا من الصــلة بين اللهجات القديمة الفصحى واللهجات الحديثــة عن طريق الموازنــة العلميــة والكشف عن الألفاظ الدخيلة من اللغات الأخرى .

وهذا العمل فى العربية يحتاج الى جهد مضن والى عمل جماعى

---

(١٦) الأطلس اللغوى د. خليل عساكر ص ٣٧٩ .

دائب يتحلى بالروح العلمية الجادة حتى يمكن الوصــول الى أطلس لغوى عربى حديث •

واللغة المشتركة تحكمها قواعد وقوانــين فى مفرداتها وتراكيبها ودلالاتها الحقيقية والمجازية الى غــير ذلك مما عرف بقواعد النحو والصرف والبلاغة ومتن اللغة •

ولم يكن القدماء يهتمون بلهجات العربية خوفا على الفصحى منها ولأن اهتمامهم الأســاسى بالفصحى وان كانت بعض اللهجات قد درست فى كتب النحو واللغة دراسة جانبية • والعاميات يمــكن دراستها على أساس أن لها قواعدها وليست — كما يظن — لا قواعد لها بل يمكن ضبطها وحصر مفرداتها وتراكيبها أيضا ودراستها دراسة وصــفية •

وهى فى العالم العربى لها مظاهرها المتعددة والمتأثرة باللغات التى كانت فى المنــاطق التى تنتشر فيهــا كالفارســية فى العــراق والرومية والسريانية فى الشــام والقبطيــة فى مصر وكذلك اللغات التى تدخل تلك المناطق مع التفاعل المتبادل بين شعوبها وشعوب العالم من ذوى اللغات المختلفة كالانجليزية والفرنسية والألمــانية والتركية الى غير ذلك ، وكذلك آثار البربرية فى لغات شمالى افريقية وتأثير النوبية فى السودان ، وهناك تأثيرات للغة الهندية فى الجزء الجنوبى من الجزيرة العربيــة •

وهــذه التأثــيرات كما تتنــاول نقــل بعض الألفــاظ والتراكيب الأجنبية قد تتناول تأثيرات فى جوهر اللغة فتصاغ الألفاظ العربية بطرق جديدة وكذلك التراكيب مثل : اعطنى واحد شاى أو اثنين قهوة الى غير ذلك ، واللهجات الحديثة تحوى جانبا من اللغــة الفصحى ولهجاتهــا الى جانب ما دخلها من مظاهر جديدة وان كان لا يعرف على وجــه

التحـــديد كيف تطورت ولا كيف اختـــلفت أو تفرعت ، ويبـــدو أن اللهجات العامية مستمدة من الفصحى العربية مع تأثرها باللغات المحلية للأقاليم التى دخلها الاسلام .

وان الفاتحين الذين نزلوا فى ثكنات عســكرية كانوا خليطا من العرب أرباب اللهجات العربية الأصيلة وقد اختلطوا بســكان البلاد المفتوحة وأثروا فيهم فنشأت لغة تجمع بين خواص اللغـــة الأصلية للسكان ولهجات العرب الفاتحين .

ولذا تبدو فى لهجات الأقاليم التى دخلها الاســـلام مظاهر من اللهجات العربية القديمة للعرب الذين انتقلوا اليها — كقيس وتميم والحجاز وأضرابهم — وهى متأثرة بلغات البلاد الأصلية .

ومن هنا يمـــكن أن تدرس اللهجـــات العـــامية لبيان أصواتها ومفرداتها وتراكيبها وقواعدها ومعرفـــة أصولها المؤثر منها والمتأثر . وهذا الكشف عن الخصائص والسمات يحتاج الى مجهود كبير وتواجه الباحثين فيه مصاعب جمة .

وقد اتجه بعض المستشرقين الى دراسة اللهجـــات فى الوطن العربى ومن ذلك :

— لهجة اليمن لـــ . غ . كمبفماير الألمـــانى .

— لهجة بغداد لـــ (مايستر)

— لهجة القدس لـــماكس مولر الألمـــانى .

— دراسة صوتية فى العامية المصرية لـــ (هاريل) .

— نحو اللسان العربى العامى الدارج بمصر لـــ : (و . اسبيتاباى)

— دراسات فى اللسان العربى العامى ببيروت لـــ : (أ . ماتسون)

ـ دراسات فى اللسان العربى الدارج بدمشق لـ : (غ• برجستراسر) •

وقد قام : المستشرق الألمانى برجستراسر ببعض الرحلات الى سوريا وفلسطين لعمل خريطة جغرافية للهجات هذه المناطق •

ـ لهجات شرقى الجزيرة (م جونسون) بجامعة لندن •

ـ صوتيات العربية بالمغرب الأقصى لـ : (أ • فيشر) •

ـ نحو العربية التونيسية لـ : (هـ • اشتمه) •

وسار على هذا المنوال دارسون عرب فى العصر الحديث فنرى دراسة لهجة القاهرة على يد الدكتور ابراهيم أنيس ولهجة لبنان على يد الدكتور كمال بشر ولهجة الكرنك على يد الدكتور تمام حسان ولهجة اقليم ساحل مريوط للدكتور عبد العزيز مطر ولهجة صنعاء وصلتها بالعربية الفصحى للمؤلف وغيرها •••

نهايـة وخاتمـة

درسنا موضوع اللهجات متتبعين جذوره وعناصره من جوانبها المتعددة بما رأينا أنه يمثل أســاس الدراسة اللهجيــة فتحدثنا عن الكلام والقول واللغة واللهجة وأسباب الانقســام والتوحد اللغوى ليكون مدخلنا لتناول اللهجات العربية ، ثم تناولنا أثر البيئة ولقــاء المجتمع البشرى بعضه ببعض — بعامة والعربى بخاصة — فى نشأة ألوان لهجية متنوعة توحدت فى لغة عامة للعرب جميعا ، بعد صراع لغوى طويــل •

وكانت لنا وقفات مع المتجنين عليها من مستشرقين وغيرهم لنرد الحق الى نصــابه •

ثم تناولت اللهجات العربية فيما بقى محفوظا فى كتب اللغــة والنحو والقراءات من مظاهر ابداليــة تناولت عديدا من مصطلحات اللهجات ، وقد حــاولت الاستقصاء والتتبع لذلك فى كل ما يتصــل بالتغيير فى الأصــوات سواء كانت حروف علة أو صوامت مما لــه مصطلح لهجى أو لغوى •

ومع أن الظاهرة واسعة متباعدة الأطراف حاولت جمع شتاتها ونظمه فى اطــار علمى درسته بعرض آراء القدامى والمحدثين منتهجا البحث عن الحقيقة العلمية الناصعة •

وقد قام البحث عــلى الربط بــين الدراســة اللهجية والنحو والقــراءات وأكد عمق الصلة بــين ذلك كله ، مما يكشف للبــاحث والدارس أن الافادة الكاملة تأتى من الموازنة بينها ، وربط كل منها بالآخــر •

ثم عرضت للدرس اللهجى الحديث مبينا أسسه ومبادئه وكيف نفيد منه فى الاهتمام بالفصحى •

وقد عرضت الآراء فى نشأة العربية وتطورها ولم آل جهدا فى الكشف عن خصائصها وصلتها بأهلها وبيئاتهم وثقافاتهم •

ونخلص من ذلك الى ما يلى :

١ — دراسة اللهجات العربية تمثل مدخلا مهما فى فهم طبيعة العربية الفصحى ، لأنها تكشف كيف تنوعت ، وتعددت طرق التعبير فيها ، وأسرارها ، ويمكن فهم قواعدها ، وقوانينها التى تحكمها •

٢ — وان تعدد القبائل العربية قد بدا أثره فى كلامها وصلتها ببيئتها بدوا أو حضرا ، سواء فيما يتصل بالجانب الصوتى أو الجانب الدلالى •

٣ — ان التنقيب عن أولية العربية وتطورها يجد بابا واسعا فى لهجاتها للتعرف على النشأة والتطور ، ويلقى بيانا واضحا عن تفرعها من الأم الأولى •

٤ — فى اطار الدراسة اللهجية العربية نستطيع معرفة اتجاه التقنين اللغوى فيها ، وصلته بالتعليل النحوى وكيفية توجيهه لمعرفة ما أراده العرب الفصحاء •

٥ — لعل فى تنوع الابدال بين الحروف والحركات ما يدل على تحول الحياة الانسانية بعامة والعربية بخاصة فى مظاهرها الاجتماعية واتصالها باللغة •

وهناك صلة بين التبدلات الصوتية فى اللغات العالمية يمكن الكشف عنها بمعرفة خصائص الابدال وطرقه ، ولكن ذلك يحتاج

الى صبر وأناة ، واطلاع واسع والى حيدة علمية وانصاف فى التحليل اللغوى لبيان الحقيقة العلمية واللغويـة ٠

ولعلنا نتمكن ان شاء الله تعالى من اجراء نوع من هذه البحوث فيما يوفقنا له الله تعالى فى المستقبل القريب بالربط بين الابدال فى العربية وبعض اللغات الانسانية الأخرى كالانجليزية وغيرها ٠

والله ولى التوفيق

أهم المصــادر

* الابدال لأبى الطيب اللغوى . دمشق ١٣٧٩ هـ — ١٩٦٠ م .
* ابن جنى اللغوى . رسالة دكتوراه للمؤلف فى مكتبة كلية اللغــة العربيــة مقدمــة سنة ١٩٧١ م .
* أبو عــلى الفارسى للدكتور عبد الفتاح شلبى . نهضة مصر ١٩٥٨ م .
* الاتقان للسيوطى . ط مصطفى الحلبى ١٣٧٠ هـ — ١٩٥١ م .
* اتحاف فضــلاء البشر فى القراءات الأربــع عشر للبنا الدمياطى ط ١٣٥٩ م .
* أدب الكاتب لابن قتيبة ط ١٣٢٨ هـ . القاهرة .
* أسس علم اللغة لــ (ماريوباى) ترجمة وتعليق الدكتور أحمــد مختار عمر . الطبعة الثانية ١٤٠٣ — ١٩٨٣ م مطابع سجل العرب .
* الأشباه والنظائر للسيوطى . ط حيدر آباد .
* الاشتقاق لابن دريد . السنة المحمدية ١٣٧٨ هـ — ١٩٥٨ م .
* اصــلاح المنطق لابن الســكيت تحقيق الاســتاذين أحمد شــاكر وعبد السلام هارون ط القاهرة .
* أصوات اللغة العربية للدكتور عبد الغفار هلال . مطبعة الجبلاوى ط الثانية ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م .
* الأصوات اللغوية للدكتور ابراهيم أنيس . لجنة البيان العــربى ١٩٦١ م .
* الأصول . دراسة ايبستمولوجية لأصول الفكر اللغوى العربى . ط مطبعة النجاح الجديــدة الدار البيضــاء . ط الأولى ١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م .
* اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه بتحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمنى . القاهرة ١٩٤١ م .

* الاقتراح للسيوطى . ط الأولى .

* الامالة فى القراءات واللهجات العربية للدكتور عبد الفتاح شلبى . نهضة مصر ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٧ م .

* الأمـــالى لابن الشجرى (نشره كرنكو) ط حيدر آباد ١٣٤٩ هـ .

* الأمـــالى لأبى على القالى . ط الثالثة . القاهرة . ١٣٤٤ هـ — ١٩٢٦ م .

* أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضـــاوى) للقاضى ناصر الدين البيضاوى . جدة المكرمة ١٣٥٨ هـ .

* اوضح المســـالك لابن هشام ومعه منار السالك للأستاذين محمد عبد العزيز النجار وعبد العزيز حسن . مطبعة الفجالة .

* البحر المحيط لأبى حيان الاندلسى ط ١٣٢٩ هـ . القاهرة .

* البيان والتبيين للجاحظ ط . القاهرة ١٣١١ هـ .

* تاج العروس بشرح القـــاموس للسيد مرتضى الزبيدى . المطبعـــة الخيرية بمصر ١٣٠٦ هـ ، ط بيروت ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م .

* تاج اللغة وصحاح العربية للجوهرى ط الاميريـــة ١٣٩٢ هـ ودار الكتاب العربى ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٦ م .

* تاريخ آداب العرب للأستاذ مصطفى صادق الرافعى . مطبعـــة الأخبار ١٩١١ م .

* تاريخ الأدب العربى . العصر الجاهلى . للدكتور شوقى ضيف . ط دار المعارف ١٩٦٠ م .

* تاريخ الأمم والملوك للطبرى . تحقيق محمد ابى الفضـــل ابراهيم . دار المعارف ١٩٦٨ م .

* تثقيف اللسان لابن مكى الصقلى . لجنة احياء التراث الاســـلامى ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٦ م .

* التجويد والأصوات للدكتور ابراهيم نجا . ط السعادة .

* تحقيق النصوص ونشرها للأستاذ عبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٧٤ — ١٩٥٤ م .
* التصريف الملوكى لابن جنى . أوربا (ليبزج) ١٨٨٥ م ، ط مصر (شركة التمدن الصناعية) ١٣٣١ هـ — ١٩١٣ م .
* التطور اللغوى التاريخى للدكتور ابراهيم السامرائى . دار الرائد . القاهرة ١٩٦٦ م .
* تنوير الحوالك . شرح موطأ مالك للسيوطى ط القاهرة . دار احياء الكتب العربية .
* تهذيب اللغة للأزهرى . الدار المصرية للتأليف والترجمة مطابع سجل العرب .
* الجامع الصحيح للترمذى ط ١٣٤١ هـ وما بعدها وبتحقيق الاستاذ أحمد شاكر ط ٣ القاهرة ١٩٦٨ م .
* الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى) للامام القرطبى . ط الشعب .
* جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسى بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ط دار المعارف ١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م .
* جمهرة اللغة لابن دريد مطبعة المعارف بحيد آباد . الطبعة الأولى ١٣٤٤ هـ .
* جمع الجوامع للسيوطى . ط ١٣٣٧ هـ .
* الجنى الدانى فى حروف المعانى للحسن بن قاسم المرادى . بتحقيق الأستاذ طه محسن . نشر جامعة بغداد ١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م .
* الحجة لأبى على الفارسى . الجزء الأول ط دار الكتاب العربى .
* الحجة فى القراءات السبع لابن خالويه بتحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم ط ٢ دار الشروق ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م .
* خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب . لابن عمر البغدادى . الطبعة الأولى ببولاق سنة ١٢٩٩ هـ وط دار الكتاب العربى ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م بتحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام هارون .

* الخصائص لابن جنى . ط دار الكتب ١٣٧١ هـ — ١٣٧٦ هـ (١٩٥٢ م — ١٩٥٦ م) مع مقدمة محققه الشيخ محمد على النجار .

* دراسات فى فقه اللغة للدكتور صبحى الصالح . ط بيروت ١٣٨٢ هـ — ١٩٦٢ م .

* دراسات فى اللغة للدكتور ابراهيم السامرائى . بغداد ١٩٦١ م .

* دراسات فى اللغة للدكتور ابراهيم السامرائى . بغداد ١٩٧٤ م .

* درة الغواص فى أوهام الخواص للحريرى بتحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم . ط نهضة مصر ١٩٧٥ م .

* دروس فى علم أصوات العربية لجان كانتينو ترجمة صالح القرمادى — تونس ١٩٦٦ م .

* دلالة الألفاظ للدكتور ابراهيم أنيس . الأنجلو المصرية ١٩٥٨ م .

* دور الكلمة فى اللغة لاستيفن أولمان ترجمة الدكتور كمال بشر ١٩٦٢ م .

* ديوان الأدب للفارابى بتحقيق الدكتور احمد مختار عمر ط البيئة المصرية العامة ١٩٧٤ م .

* ديوان صفى الدين الحلى . المطبعة العلمية ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م .

* سر صناعة الاعراب لابن جنى . الجزء الأول ط ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٤ م ومخطوط مكتبة الأزهر (١١٦ لغة) ودار الكتب المصرية ٥٨١٦ هـ .

* السيرة النبوية لابن هشام ط الثالثة ١٩٧٨ م .

* شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك مع حاشية الشيخ محمد الخضرى المطبعة الأزهرية ١٣٥٠ هـ — ١٩٣٢ م .

* شرح التصريح للشيخ خالد الأزهرى . ط دار احياء الكتب العربية . المطبعة الأزهرية ١٣٢٥ هـ .

* شرح الشافية للرضى ط صبيح ١٣٤٥ هـ وط حجازى بتحقيق الأستاذ محمد نور الحسن وآخرين ولعبد الله الحسينى ، والفاضل العصام ط ، ا. احياء الكتب العربية .

* شرح شذور الذهب لابن هشام . ط صبيح ١٣٨٠ هـ — ١٩٦١ م .
* شرح المفصل لابن يعيش . ط المنيرية .
* الشعر والشعراء لابن قتيبة . تحقيق الأستاذ أحمد شاكر . ط دار المعارف ١٩٨٢ م .
* الصاحبى لابن فارس . المؤيد ١٣٢٨ هـ — ١٩١٠ م وط بيروت ١٣٨٢ هـ — ١٩٦٤ م .
* صبح الأعشى فى صناعة الانشا لأبى العباس أحمد القلقشندى . الأميرية ١٣٣١ هـ — ١٩١٠ م .
* صحيح مسلم بشرح النووى . المطبعة العصرية . ١٣٤٧ هـ — ١٩٢٩ م .
* صفة جزيرة العرب للهمدانى . ليدن ١٨٨٤ م .
* الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر للسيد محمود شكرى الألوسى . ط السلفية ١٣٤١ هـ .
* طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحى . دار المعارف ١٣٧١ هـ — ١٩٥٢ م .
* الطبقات الكبرى لابن سعد . بيروت ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٧ م .
* العربية ولهجاتها للدكتور عبد الرحمن أيوب . مطابع سجل العرب ١٩٦٨ م .
* العقد الفريد لابن عبد ربه ط ١٢٩٣ هـ القاهرة .
* علم الأصوات عند سيبويه . أ. شادة . ليدن ١٩١١ م .
A. Schade : Sibwaihi's Lautiehre Leiden, 1911 .
* علم اللغة للدكتور على عبد الواحد وافى . ط السلفية ١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م ونهضة مصر ١٣٨٢ هـ — ١٩٦٢ م .
* علم اللغة بين القديم والحديث للدكتور عبد الغفار هلال . مطبعة الجبلاوى ط الثالثة ١٤٠٩ هـ — ١٩٨٩ م .
* العين للخليل بن أحمد الفراهيدى الجزء الأول الى الثامن ط بغداد ١٩٦٧ م — ١٩٨٥ م .

* فتح البارى بشرح صحيح الامام البخارى لابن حجر . نشر رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء بالمملكة العربية السعودية .

* فتوح البلدان للبلاذرى تحقيق صلاح الدين المنجد . ط النهضة المصرية ١٩٥٦ م .

* فصول فى علم اللغة العام لفرديناند دى سوسير — ترجمة الدكتور أحمد نعيم الكراعين . المطبعة العصرية . الاسكندرية ١٩٨٥ م .

* فعل وأفعل للأصمعى تحقيق الأستاذ عبد الكريم الغرباوى ط لجنة تحقيق التراث ببغداد .

* الفائق فى غريب الحديث والأثر للزمخشرى ط حيدر آباد ١٣٢٤ هـ — ١٩٢٥ م .

* فقه اللغة للدكتور ابراهيم نجا . السعادة ج ٣ — ١٩٦٥ م ، ج ٤ — ١٩٦١ وطبعة أخرى جديدة .

* فقه اللغة للدكتور عبد الله العزازى . دار الطباعة المحمدية ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م .

* فقه اللغة للدكتور على عبد الواحد وافى . لجنة البيان العربى ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م ، ١٣٨١ هـ — ١٩٦٢ م .

* فقه اللغة للدكتور محمد المبارك . ط جامعة دمشق ١٣٧٩ هـ — ١٩٦٠ م .

* فقه اللغة وسر العربية لأبى منصور الثعالبى ط . الحلبى ١٣٩٢ هـ .

* الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية للأستاذ جورجى زيدان . دار الهلال ١٩٢٣ م .

* فى اصول اللغة (مجموعة القرارات التى أصدرها المجمع اللغوى عن الدورة التاسعة والعشرين الى الدورة الرابعة والثلاثين فى اقيسة اللغة واوضاعها العامة) ط ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٩ م .

* فى اللهجات العربية للدكتور ابراهيم أنيس (ط ٢) لجنة البيان العربى ١٩٥٢ م ، (ط ٣) المطبعة الفنية الحديثة ١٩٦٥ .

* القاموس المحيط ط بولاق ١٢٨٩ هـ ، والحسينية ١٣٣٠ هـ ، والسعادة ١٣٣٢ هـ — ١٩١٣ م .
* القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث للدكتور عبد الصبور شاهين . دار القلم ١٩٦٦ م .
* القراءات وصلتها باللهجات العربية . للدكتور عبد الغفار هلال . بحث منشور فى مجلة كلية اللغة العربية بالرياض . العدد الثانى عشر .
* القلب والابدال ليعقوب بن السكيت . القاهرة ١٣٩٨ — ١٩٧٨ م .
* قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان للقلقشندى بتحقيق ابراهيم الابيارى ط دار الكتب الحديثة ١٩٦٣ م .
* الكامل فى اللغة والأدب للمبرد . مطبعة الاستقامة ١٣٦٥ هـ .
* الكتاب لسيبويه . ط بولاق ١٩١٦ م ، ١٩١٧ م ، وبتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ط دار القلم ودار الكاتب العربى .
* كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد بتحقيق الدكتور شوقى ضيف ط دار المعارف ١٩٨٠ م .
* كنز المعانى شرح حرز الأمانى (الشاطبية) المشهور باسم شرح شعلة لأبى عبد الله الموصلى . ط دار التاليف . بالقاهرة .
* اللسان والانسان للدكتور حسن ظاظا . ط دار المعارف ١٩٧١ م .
* لسان العرب لابن منظور . ط بولاق ١٣٠٠ هـ — ١٣٠٧ هـ ، ط بيروت ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م .
* لغات البشر لـ « ماريوباى » ترجمة الدكتور صلاح العربى . نشر الجامعة الأمريكية بالقاهرة .
* اللغات فى القرآن لاسماعيل بن عمر المقرى . حققه الأستاذ صلاح الدين المنجد . ط الرسالة ١٩٤٦ ، ودار الكتاب الجديد ١٣٦٨ هـ — ١٩٧٨ م .
* اللغة للأستاذ فندريس تعريب الأستاذين عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص . لجنة البيان العربى ١٣٧٠ هـ — ١٩٥٠ م .
* اللغة بين الفرد والمجتمع (جسبرسن) ترجمة الدكتور عبد الرحمن ايوب . الأنجلو المصرية — ١٩٥٤ م .

* اللغة الشاعرة للأستاذ عباس العقاد . مطبعة مخيمر ١٩٦٠ م .
* لغة تميم للدكتور ضاحى عبد الباقى ط ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م .
* اللغة العربية خصائصها وسماتها للدكتور عبد الغفار هلال مطبعة الحضارة ١٩٧٦ م .
* اللغة العربية كائن حى للأستاذ جورجى زيدان . دار الهلال .
* اللغة والمجتمع للدكتور محمود السعران ط ٢ دار المعارف بالاسكندرية ١٩٦٣ م .
* اللغة والمجتمع للدكتور وافى . دار احياء الكتب العربية ١٣٦٤ هـ — ١٩٤٥ م .
* اللغة والنحو بين القديم والحديث للأستاذ عباس حسن . دار المعارف ١٩٦٦ م .
* اللهجات العربية للدكتور ابراهيم نجا . ط السعادة .
* اللهجات العربية فى التراث للدكتور احمد علم الدين الجندى ط ١٩٧٨ م . الدار العربية للكتاب .
* اللهجات العربية فى القراءات القرآنية للدكتور عبده الراجحى . دار المعارف ١٩٦٩ م .
* ليس فى كلام العرب لابن خالويه . الطبعة الأولى بالمطبعة المحمودية التجارية .
* مجالس ثعلب لأبى العباس احمد بن يحيى ثعلب . تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ط . القاهرة دار المعارف ١٩٦٠ .
* مجمع الأمثال للميدانى . السعادة ١٣٧٩ هـ — ١٩٥٩ م .
* محاضرات فى فقه اللغة القاها أستاذنا الدكتور محمد قناوى على طلبة الصف الثالث بكلية اللغة العربية عام ١٩٦٣ م .
* محاضرات فى اللهجات وأسلوب دراستها للدكتور أنيس فريحة ١٩٥٥ م .
* المحتسب لابن جنى . دار التحرير ١٩٨٦ هـ ، ١٣٨٩ هـ .
* المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة لابن سيدة ط مصطفى الحلبى ١٣٧٧ هـ — ١٩٥٨ م وما بعدها .

* مختصر شواذ القرآن لابن خالويه . نشرة المستشرق برجستراسر ـ ط القاهرة ١٩٣٤ م .
* المخصص لابن سيدة ط الأميرية ببولاق ١٣٢٠ هـ ، ط بيروت .
* المزهر للسيوطى . ط الأولى . المطبعة السنية ١٢٨٢ هـ ، ط صبيح .
* مستقبل اللغة العربية المشتركة للدكتور ابراهيم أنيس . القاهرة ١٩٦٠ م .
* مسند الامام أحمد . ط بيروت ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م .
* المصباح المنير للفيومى بتحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوى . ط دار المعارف .
* المعاجم اللغوية للدكتور نجا . ط السعادة ١٣٨١ هـ — ١٩٦٤ م .
* المصطلحات العلمية والفنية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة .
* معانى القرآن للأخفش الأوسط . تحقيق د. عيد الأمير محمد أمين ط الأولى ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م .
* معانى القرآن للفراء بتحقيق الأستاذين محمد على النجار وأحمد يوسف نجاتى ط . دار الكتب المصرية ١٩٥٥ م والنسخة المصورة عنها بيروت ١٩٨٠ م .
* معانى القرآن واعرابه للزجاج بتحقيق الدكتور عبد الجليل شلبى ط ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م .
* معجم قبائل العرب للاستاذ رضا كحاله ط مؤسسة الرسالة ١٩٨٥ م .
* معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع للبكرى تحقيق الأستاذ مصطفى السقا . القاهرة ١٩٤٥ وما بعدها .
* معجميات عربية سامية للأب مرمرجى الدومنكى . مطبعة المرسلين اللبنانيين ١٩٥٠ م .
* المغازى للواقدى بتحقيق جونس ط طهران المصورة عن طبعة جامعة اكسفورد . لندن ١٩٦٦ م .
* المغنى فى تصريف الأفعال للدكتور محمد عضيمة . ط العهد الجديد ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٥ م .

* مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشـــام . المطبعة الأزهريـــة ١٣٤٧ هـ — ١٩٢٨ م وط المدنى بتحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .

* مفاتيح الغيب وبهامشـــه تفســـير أبى السعود . المطبعة الخيرية ١٣٠٧ هـ .

* المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى . ط مصطفى الحلبى ١٣٨١ هـ — ١٩٦١ م .

* المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام للأستاذ جواد على ط بـــيروت ١٩٦٨ م .

* مقاييس اللغة لابن فارس . تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون . دار احياء الكتب العربية ١٣٦٦ هـ .

* المقتضب للمبرد بتحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة . ط المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٣٨٨ هـ (١٩٦٣ — ١٩٦٨ م) .

* المقدمة لابن خلدون . القاهرة ١٣٢٧ هـ .

* مقدمة لدرس لغة العرب للأســـتاذ عبد الله العـــلايلى . المطبعة العصرية .

* مقدمة لدراسة فقه اللغة للدكتور محمد أحمد أبو الفرج . ط بيروت ١٩٦٦ م .

* الممتع فى التصريف لابن عصفور الاشـــبيلى . تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ط ٤ بيروت ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م .

* مميزات لغات العرب للأستاذ حفنى ناصف . الســـعادة ١٣٣٠ هـ ط الثانيـــة .

* من أسرار اللغة للدكتور ابراهيم أنيس . الأنجلو المصرية ط الثالثة ١٩٦٦ م .

* مناهج البحث فى اللغة للدكتور تمام حسان . ط الرسالة ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م .

* المنصف لابن جنى . ط مصطفى الحلبى ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م .
* من لغات العرب لغة هذيل للدكتور عبد الجواد الطيب ط ١٩٨٥ م .
* منهج السالك الى ألفية ابن مالك (الأشمونى) بحاشية الصبان ومعه شرح الشواهد للعينى . ط دار احياء الكتب العربية .
* النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى . ط مصطفى الحلبى بتحقيق الشيخ الضباع .
* موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية للدكتور أحمد شلبى ط النهضة المصرية ١٩٧٧ م .
* موطأ الامام مالك . ط الثالثة بتحقيق الأستاذ عبد الوهاب عبد اللطيف . نشر المجلس الأعلى للشئون الاسلامية . القاهرة ١٤٠٧ هـ — ١٩٨٧ م .
* نهاية الأرب لأبى العباس أحمد القلقشندى . العربية للطباعة والنشر ١٣٧٨ هـ — ١٩٥٩ م.
* النهاية فى غريب الحديث والأثر لأبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى بن الأثير بتحقيق الأستاذين طاهر الزاوى ومحمود الطناحى ط . الأولى عيسى الحلبى ١٣٨٣ هـ — ١٩٦٣ م .
* النوادر لأبى زيد الأنصارى . بيروت ١٨٩٤ م .
* همع الهوامع شرح جمع الجوامع للسيوطى . ط السعادة ١٣٢٧ هـ .
* الوجيز فى فقه اللغة للأستاذ محمد الأنطاكى . ط بيروت ١٩٦٩ م .

مراجــع أجنبيــة :

* An outline of English phonetics by Daniel Jones. Cambridge university Press .

محتوى الكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٠/٢٢٣٣